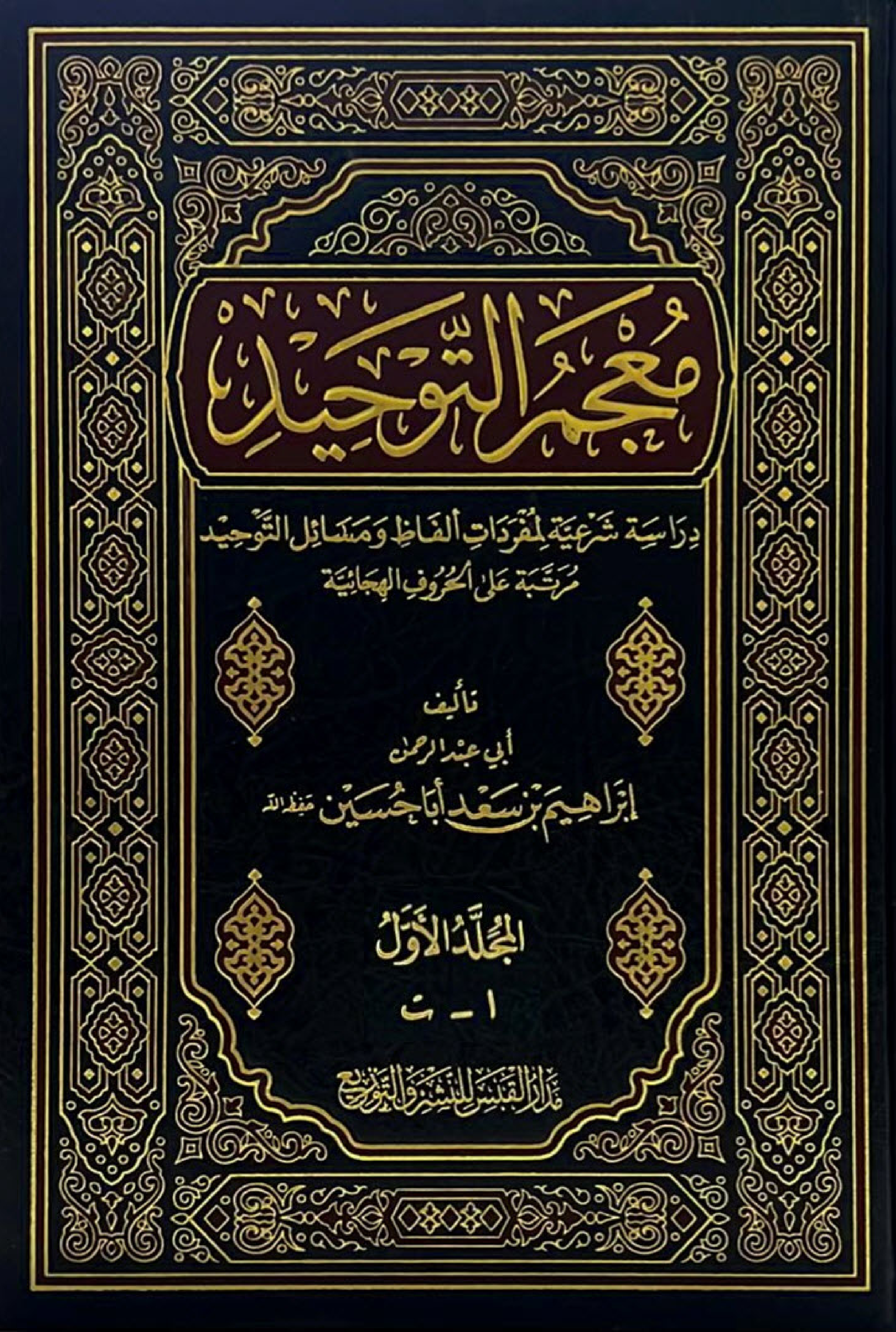
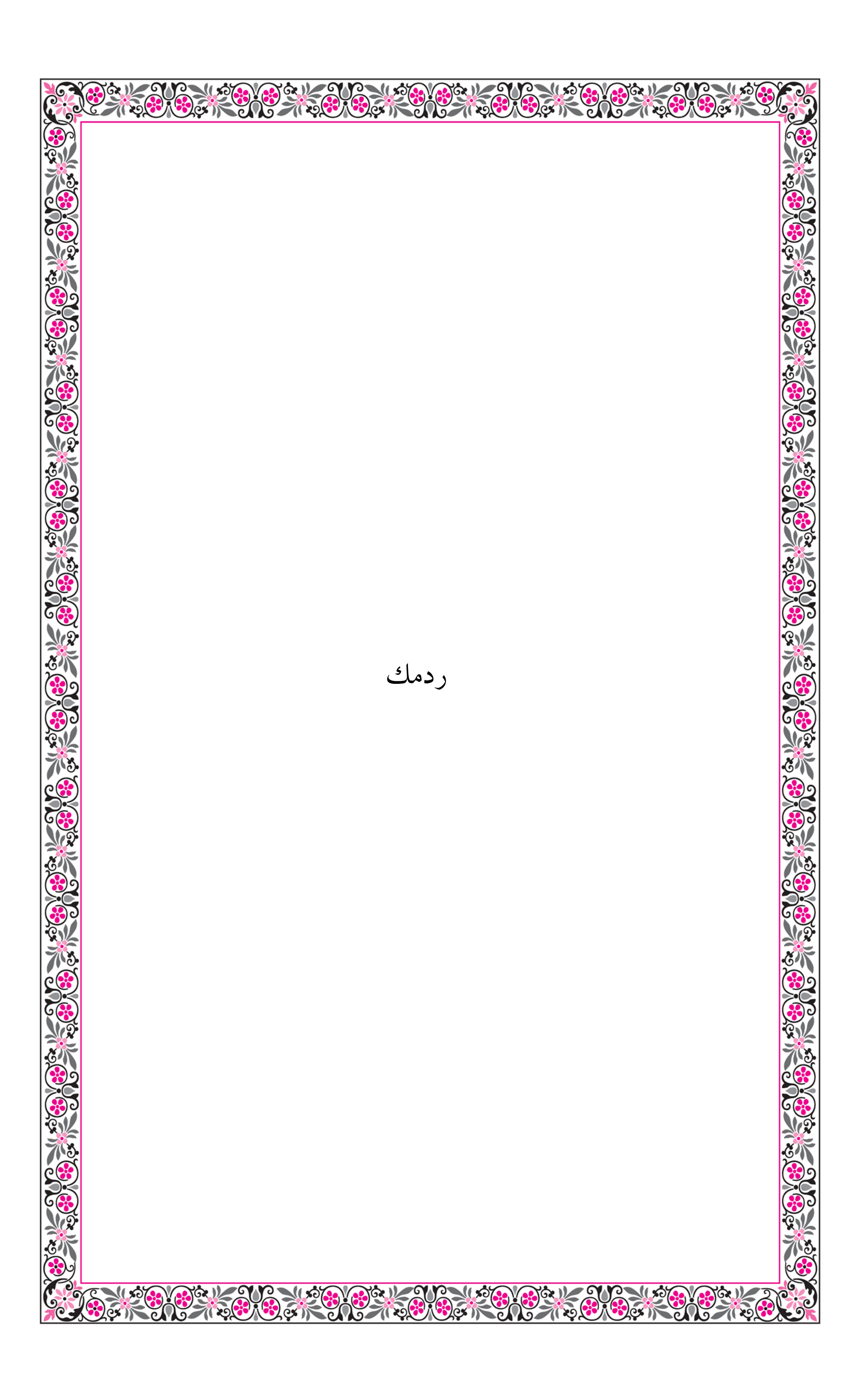
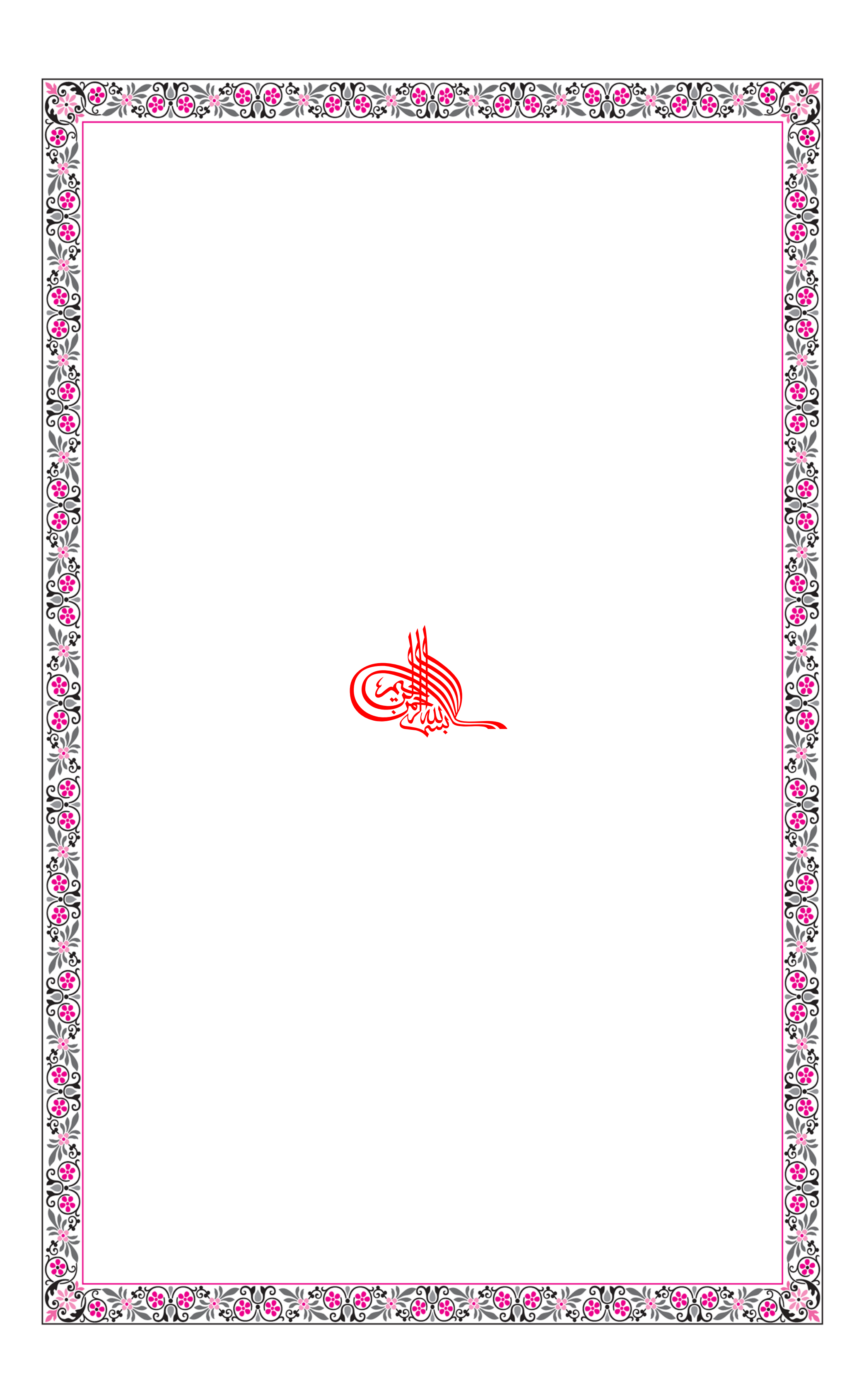

معجم التوحيد
دراسة شرعية لمفردات ألفاظ ومسائل التوحيد
مرتبة على الحروف الهجائية
تأليف
أبي عبد الرحمن
إبراهيم بن سعد أبا حسين حفظه الله
المجلد الأول
ا ـ ت
دار القبس للنشر والتوزيع

معجم التوحيد



ردمك



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله.

بعثه الله تعالىٰ رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، ففتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأقام به الملةَ العوجاءَ، صلوات الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن التوحيد يحتاج لمعرفته أهل الأرض قاطبة، وأهل الملة الإسلامية خاصة، فهم أحوج إليه من غيث السماء، ومن نور الشمس الذي يذهب عنهم حنادس[1] الظلماء، فضرورتُهم إليه أعظمُ الضرورات، وحاجتُهم إليه مقدمة علىٰ جميع الحاجات، إذ لا حياة للقلوب، ولا سرور ولا لذةَ، ولا نعيمَ ولا أمانَ إلا بتحقيق لا إله إلا الله (التي ورّثها إمامُ الحنفاء لأتباعه إلىٰ يوم القيامة، وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسست الملة ونُصبت القبلة وجُرِّدت سيوفُ الجهاد، وهي محض حق الله علىٰ جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرِّيَّة في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي النشور[2] الذي لا تدخل الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلىٰ الله من لم يتعلق بسببه)، وهي (كلمة

---

(١) الحِندِس بكسر الحاء والدال: الليل الشديد الظلمة.

(٢) في مختار الصحاح: نشر الميِّتُ فهو: ناشر، عاش بعد الموت، ومنه يوم النشور، وأنشره الله تعالىٰ أحياه باب (ن ش ر).

الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها تنقسم الناس إلىٰ شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دارُ النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[١].

فأفضل ما شُغلت به الأوقات، وانقضت فيه الساعات توحيد رب العالمين الذي اختاره الله لأنبيائه واصطفىٰ لتحقيقه سادةَ رسله وصفوةَ خلقه.

قال ابن عيينة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «ما أنعم الله علىٰ عبدٍ من العباد نعمةً أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله. وإنَّ لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا»[٢].

وقال الإمام المقدسي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «فلو أن الإنسان عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه كان كأنه لم يعرف شيئاً»[٣].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «فلا يُزهَّد في التوحيد، فإن بالزهد فيه يقع في ضده، وما هلك من هلك ممن يدَّعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقه ومعرفته حق المعرفة، وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله هل هو موجود أو مفقود؟ وهذا كله من عدم التحرز ومعرفة ألفاظ التوحيد لفظة، لفظة»[٤].

فيا غافلاً عن حقيقة السعادة، دونك ما تسابق الأخيار في تحصيله، وما تنافس الأتقياء في تحقيقه حتىٰ قال قائلهم: مساكين أهل الدنيا مضوا عنها وما حصلوا

---

(١) ما بين القوسين من كلام ابن القيم رحمه الله في كتاب الجواب الكافي ص١٣٨.

(٢) كلمة الإخلاص لابن رجب ص٥٢-٥٣.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص١٦٩.

(٤) شرح كشف الشبهات ١٠٨، ١٠٩. وللاستزادة من أقوال العلماء في هذا الباب انظر في هذا الكتاب باب (التوحيد وأقسامه).

أحسن ما فيها معرفة الله وتوحيده.

كَــرِّرْ حــديثَكَ لي عــن بانــةِ العلــمِ ... فهــو الــشفاءُ لمــا ألقــاهُ مــن أَلَــمِ

إن كان عن ناظِري قد غابَ حُسْنُكم ... فَـذِكرُكم أبـداً في خـاطِري وفمِـي

وهذا كتاب «معجم التوحيد»[١]، جمعت فيه ما يتعلق بتوحيد العبادة ومسائل الإيمان، وما يضاده من نواقض الإسلام، وأقسام الكفر، والشرك والنفاق، وما يتعلق به من أصول ومسائل ومصطلحات وتعريفات، مع بيان الغامض من المفردات، ووضع الفوائد والتقسيمات، مما قد يَشُق علىٰ الباحث العثور عليه سريعاً وقد اتسعت مسائل هذا الكتاب وتشعبت، وحاولتُ جاهداً أن أقربها وأُأَلّف بينها وبذلتُ ما في الوسع لأجل ذلك. وانصبَّ الاهتمام علىٰ الأصول من المسائل. وقد جعلت كتاب التوحيد للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله نواةً للعمل، فكل ما استحق بحثاً في مسائله أفردتُ له باباً مستقلاً، وأضفتُ أبواباً أخرىٰ لها صلة بالتوحيد، وقام منهجي في ترتيب هذا الكتاب علىٰ الآتي:

١- تعريف لغوي: وهذا مصدره المعاجم المعروفة، ككتاب تهذيب اللغة للأزهري، والنهاية لابن الأثير، ومختار الصحاح، ولسان العرب، والمعجم الوسيط وأمثالها، وبعض الأبواب أو العناوين سيتضح المعنى منه من غير تعريف بالمعنىٰ اللغوي، كباب (اتخاذ القبور مساجد)، فمثل هذا لا أذكر له تعريفاً لغوياً لوضوحه.

٢- تعريف شرعي أو اصطلاحي: وكان مصدره في الغالب التعريفات التي يعتمدها العلماء المحققون، كابنِ تَيمِيَّةَ، وابن القيم، وابن رجب، وابن كثير،

---

(١) ملاحظة: عنوان الكتاب يعبر عن جزء منه للاختصار، وإلا فسيطول العنوان حيث تضمن الكتاب معرفة ما يتبع التوحيد من الإيمان وأصوله ونواقضه، وما يلحق به من اعتقاد أهل السنة والجماعة وما يخالف ذلك كالبدعة... إلخ.
وسبب إيرادي لبعض هذه المسائل أهميتها، ولأن عدم الإيمان بها كفر بالله عز وجل.

وأسلافهم. ويلحق بهم أئمة الدعوة بدءاً بالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز والألباني وابن عثيمين رحمهم الله.

٣- الأدلة من الكتاب.

٤- الأدلة من السنة: والتزمت إيرادها من مصادرها الأصيلة مع عزو الحديث فإن كان عند البخاري أو مسلم فإنني أكتفي بالإحالة لهما أو لأحدهما، فإن كان عند غيرهما أشرت إلى ذلك. أما الأحاديث التي يذكرها عالِمٌ حال النقل عنه فإنني لم ألتزم تخريجها أو تحقيقها بل أوردها كما ذكرها من غير تغيير فيها.

٥- قول السلف[١] عملاً بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩-٦٠]، يقول الشيخ المعلمي رحمه الله: «ولا ريب أن الردّ إلى الله ورسوله بعد وفاته؛ إنما يحصل بالردّ إلى الكتاب والسنة، وأن تحكيمه بعد وفاته؛ إنما هو بتحكيم الكتاب والسنة.

ولا ريب أن من الرد إلى الكتاب: سؤال العلماء، كما أن الردّ إلى الرسول: اعتبار خلفائه وورثته من أهل العلم، قال الله عز وجل: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وفي حديث أبي الدرداء مرفوعاً: «العلماء خلفاء الأنبياء»[٢]، وله في السنن حديث فيه: «وأنّ العلماء ورثة الأنبياء...» الحديث[٣]. ولا ريب أن الأئمة المجتهدين من أولى من يدخل في ذلك»[٤].

علماً بأني إذا نقلت كلام أحد الأئمة فإني أضع كلامه بين قوسين، فإذا ذكر في كلامه حديثاً أو أثراً أو كلامَ عالِمٍ آخر جعلتُ علامةَ تنصيص ليتضح ذلك.

---

(١) انظر: معنى (السلف) في باب (أهل السنة والجماعة).

(٢) أخرجه البزار، ورجاله موثوقون كما في مجمع الزوائد (١/ ١٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٣)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٤) البناء على القبور للمعلمي ص٥، ٦.

- الحكمُ علىٰ المسألةِ وبيانُ حلِّها أوحرمتِها أو وجوبها وأثرِها علىٰ التوحيد.
- ذكر التقسيمات وإتباعها بفائدةٍ أو فوائد مَّما يحتاج إليه الباحث، وهذا الترتيب في الجملة وربما خالفت هذا المنهج في بعض المواطن لسبب يقتضي ذلك.

وقد حاولتُ الابتعاد عن التكرار قدر الإمكان مع صعوبة ذلك، فإذا رأيتَ أبواباً متشابهةً في الأسماءِ وظهر لك عدم الفرق بينهما فإن المسائل المندرجة تحتها تختلف عن غيرها، فمثلاً أبواب (الكفر) (التكفير) (العذر بالجهل) (الردة) بينها شَبَهٌ كبير من حيث المعنىٰ ولكن في باب (الكفر) ذكرت تعريفه وأنواعه، والفرق بين كفر الاعتقاد وكفر العمل وغير ذلك، أما باب (الردّة) فذكرت فيه أقسام الردة، وأن الكفر يكون بالقول وبالعمل وبالاعتقاد والترك والشك، وما يترتب علىٰ المرتد من آثار. وفي باب (التكفير) ذكرت النصوص الواردة في التحذير من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم، والتفريق بين الإطلاق والتعيين، ومعرفة موانع التكفير كالإكراه والخطأ والتأويل والعجز. أما باب (عارض الجهل) فذكرت فيه ضوابط العذر بالجهل ومعنيقيام الحجة، وأن عدمها مانعٌ من تكفير المعيَّن، كما أوضحتُ المراد من بلوغ الحجة وفهمها، وأن الجهل لا يكون فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وغير ذلك.

وقد ترِدُ المسألةُ في بابٍ فلا أتكلم عنها بل أحيل علىٰ باب آخر مشابه ذكرتُ فيه هذه المسألة بالتفصيل كمسألة (حكم الذهاب للكهان)؛ إذ يحتمل ذكرها في باب (العرَّاف) (الكاهن) (التنجيم)، ففصَّلتُ الكلام عنها في باب (الكهانة)، أما الأبواب الأخرىٰ فعِنْدَ ذكر هذه المسألة فإني أُحيل علىٰ الباب الذي فصّلتُ فيه.

أما الأبواب فقد رتبتها ترتيباً هجائياً مراعياً فيه شهرة اللفظ دون اعتبارٍ لأصل اشتقاقه، فلم ألتزم بما التزم به أصحاب المعاجم اللغوية؛ بل رتّبتُ الأبواب وفق لفظها المذكور في كتب أهل العلم وحسب ذكر العلماء لها، كما أهملتُ (أل)

التعريف فيما هو معرّف (بألْ) ومثال ذلك: باب (الاستعاذة) فإنك تبحث عنه في باب الهمزة ثم السين وهكذا، وتبحث عن باب (التوحيد) في الأبواب التي تبدأ بحرف التاء ثم الواو. وبعض الأبواب لا أستطيع إيرادها إلا بعبارتها أو مظهرها الشركي، كباب (ما شاء الله وشئت) (التنجيم)، (الإقامة في بلاد الكفار) وغيرها، وليعذرنا القارئ في التبويب؛ لأن المراد التقريب وسهولة الوصول إلى المفردات المتعلقة بالتوحيد، فأرجوا أن أكون قد سلكت المسلك المناسب في ذلك؛ تسهيلاً لوصول المعلومة إلى القارئ، وهذا محل اجتهاد مني، إن وفقت فيه فذلك فضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وقد دفعني إلى ترتيب هذا الكتاب على حروف المعجم حاجة بعض طلبة العلم والدعاة والخطباء والباحثين إلى الوصول بطرق يسيرة لأقوال العلماء والأئمة في مسائل التوحيد، مع اختصار الوقت والجهد في البحث عنها في أُمَّات الكتب؛ وذلك يخدم الباحث في العَزْوِ لأهل العلم وكتبهم.

وحاولت التزام ذكرَ المراجع كي يتسنَّى لمن أراد التفصيل العثور على مراجع المسائل.

فتجد تحت كل باب مراجع رُمز لها بعلامة نجمة(*) أذكر بعدها كتب السلف من الأصول المتقدمة والكتب المتأخرة، والتزمتُ بذكر مكان المسألة في الشروح المشهورة على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن ذلك: تيسير العزيز الحميد، فتح المجيد، حاشية ابن قاسم، القول المفيد، ثم فتاوى اللجنة، وفتاوى الشيخ ابن باز، وفتاوى الشيخ ابن عثيمين ـ رحمهم الله جميعاً ـ، وأغلب المسائل المذكورة والتقسيمات الموجودة اعتمدتُ فيها على الكتب والمراجع المكتوبة في حاشية كل باب، وربما نقلتُ من هذه المراجع بالنص أو استفدت من النقل الموجود فيها مع الاكتفاء بالمرجع الأصل، كما استفدتُ من الحواشي أو الشروح

المخطوطة علىٰ كتاب التوحيد، وكذلك الكتب التي تناولت كتب التوحيد بالتحقيق، أو المؤلفات المعاصرة والرسائل الجامعية، أو المناهج الدراسية المعدة لهذا الشأن. وإذا طال النقل تصرفت فيه بما يخدم الكتاب مراعاةً للاختصار.

وقد توخَّيْتُ ذكرَ المراجع من الكتب المعتمدة والصافية، ولكن هناك من الكتب ما يُقَرِّرُ فيه مذهبُ الأشاعرة، أو يُوجد في أثنائه خلل في العقيدة فينبغي التنبيه إلىٰ أن الإحالة إلىٰ المراجع لا يعني التسليم بِما فيها والإذعان لها، وإنما يُؤخذ الصواب، ويترك ما عداه.

ولقد استفدتُ كثيراً من المشايخ والعلماء ـ حفظهم الله ـ، سواء في الدروس العلمية والحلقات أو الاستفسار والاتصال، كما استفدت من الشيخ عبد الله ابن جبرين رحمه الله، في فهم بعض العبارات الموهِمَة وبيان الأحكام المجملة.

تنبيه:

ربما وجد الباحثُ أبواباً يظن أنها لا تَمُتّ إلىٰ توحيد العبادة بصلة، ولكن فيها مباحث ومسائل متعلقة بالتوحيد، فلا تستعجل باللوم حتىٰ تنظر في مسائل الباب ومباحثه، لا في عنوانه، ومن ذلك مثلا باب (جزيرة العرب) فقد يظن أن إدراجه غريب في كتاب كهذا، ولكن فيه مسائل توجب ذكره ضمن أبواب هذا الكتاب؛ إذ يتعلق به علىٰ سبيل المثال حديث: «إن الشيطان يئس أن يُعبد في جزيرة العرب». وحديث: «أخرجوا اليهودَ والنصارىٰ من جزيرة العرب». وحديث «لا يبقى فيها دينان». فنحتاج لفهم معنى «يئس الشيطان» وأقوال العلماء في ذلك، ونحتاج لتوضيح حكم وجود دين آخر في الجزيرة، وحكم استقدام الكفرة إلىٰ هذه الجزيرة، وهذا لاشك أن له تعلقاً بالتوحيد وأقرب عنوان له هو: جزيرة العرب، ومن ذلك باب (الوقف) إذ هو من المسائل الفقهية، لكن له تعلُّق بالتوحيد من جهة حكم الوقف علىٰ بناء القبور، والوقف علىٰ إيقاد السُّرُج عليها، وما شابه ذلك.

وإذا كان الموضوع يناسبه أكثر من عنوان، فإني أضع جميع العناوين المناسبة، ويكون محل البحث تحت عنوان واحد ومثال ذلك باب (لا إله إلا الله) فإن له عناوين أخرىٰ مثل (كلمة التوحيد) (كلمة الإخلاص) (العروة الوثقىٰ) وما شابه ذلك، فأكتُبُ هذه العناوين في مكانها من المعجم مفردةً دون بحث، وأحيلُ علىٰ الأصل الذي اخترته لوجود المباحث فيه، وأذكرُ في السطر الذي يلي عنوان الباب الأبواب ذات الصلة.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن هناك أبواباً تكاد تكون متصلة مع بعضها صلة وثيقة، فأجعل لكل منها باباً مستقلاً، أوضِّحُ فيه المعنىٰ وأحيل في المسائل علىٰ الباب الأصل المختار، ومثال ذلك (الحُجُب) (الحُرُوز) (الرُّقَىٰ) (التمائم)، فإني أفسِّرُ معانيها وأذكر ما يتعلق بها بشيء من الاختصار، ثم أحيل في المسائل والأدلة علىٰ الباب الأصل وحيناً أجعلها كلها في باب واحد لشدة ترابطها مع بعضها، وأجعل لأفرادها عناوين خالية من البحوث وأحيل علىٰ الأصل ومثاله شروط (لا إله إلا الله).

وقد حاولتُ جاهداً أن استقصي جميع المباحث وأن أضع لكل مسألة تفاصيل العلماء وأقوالهم فيها، ولا أدَّعي أنني بلغت الغاية أو قاربتها، لكن جهد مقل أرجو به من الله الرضىٰ والقبول والتوفيق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولقد ساهم في إخراج هذا الكتاب ومراجعته إخوة وأخوات لولا معرفتي لكراهيتهم ذكر أسمائهم لذكرتهم واحداً واحداً، فما كان هذا الكتاب ليخرج إلا بفضل من الله ثم بفضلهم. وإن كنا لا نملك ذكر أسمائهم، فإنا ندعو لهم: أن ييسرهم لليسرىٰ ويجنبهم العسرىٰ، وأن يزيدهم هدىٰ، ويجعل لهم من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويجزيهم عنا خير الجزاء.

وأذكّر إخواني ممن يقرأ هذا الكتاب أو يطلع عليه أن يأخذ بما احتواه الكتاب، وليكن رائده في ذلك البحث عن الحق واتباع الدليل، فإن عثر علىٰ خطأ مني

فليصفح عن ذلك وليعاجلني بتنبيه ونصيحة ولا يظننَّ سوءاً بل يقل: زل القلم وسها الكاتب ولا يكن ممن قيل فيه:

فـإن رأوا هفـوةً طـاروا بهـا فرحـاً مِنِّي وما علموا من صـالحٍ دفنـوا

وفي الختام أحمد الله على ما يسر وأشكره على ما مدَّنا به من توفيق وإعانة فله الحمد وله الشكر والثناء أولاً وأخيراً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه:

إبراهيم بن سعد أبا حسين

غفر الله له ولوالديه ولإخوته ولجميع المسلمين

ص – ب ٥١٣٦٠ - الرمز ١١٥٤٣
إيميل ism-0123@hotmail.com
تويتر @ismhbr

بسم الله الرحمن الرحيم

١- لا إله إلا الله*

الإلهُ: فعالِ بمعنى مألوه، وكُلُّ ما اتُّخِذ مَعبوداً إلهٌ عِنْدَ مُتَّخِذِه[١].

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالىٰ -: «فـ«الإلهُ» اسمُ صفةٍ لكُلِّ معبودٍ بحقٍّ أو باطل، ثم غُلِب على المعبُود بحقٍ وهو اللهُ تعالىٰ، وهو الذي يخلق ويرزق ويدبِّرُ الأُمُور»[٢].

فمعنىٰ «الإلهُ» يتضمَّنُ فعلَ الخلقِ والرزقِ والإثابةِ والعقوبةِ، ولهذا انفرد اللهُ

---

* سبب الابتداء بباب (لا إله إلا الله) لأنها الأصل الذي تدور عليه مسائل هذا الكتاب وأبوابه، وكل الكتاب شرحٌ لهذه الكلمة وتوضيحٌ لها وذكرٌ لأقسامها وتحذيرٌ مما يضادها.

انظر: التمهيد لابن عبد البر ٦/ ٥١، ٦/ ٤٣، ٤٨، ٩/ ٢٤٠، ١٠/ ١٤٩، ٢٣/ ٢٩٦. شَرحُ السُّنَّةِ للبَغوي ١/ ٩٢. اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابنِ تَيمِيَّةَ ٢/ ٨٣٣. كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب. تيسير العزيز الحميد ص١٢٣،٧٥. فتح المجيد ص٦٥، ١٠٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣١، ٥٤ . القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٥٨، ط٢-١/ ١٥٩ ومن المجموع ٩/ ٥١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٥، ١٦. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٧٩، ١٨٩. معارج القبول ١/ ٣٠٠، ٣٢٠. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ١٩٣. نور علىٰ الدرب ص٤٩ شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٥٦، ٥٧. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١، ٧٧، ٧/ ٣٠، ٣١/ ٣٢. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٢٦، ٣٢٨. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٥٩ منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني تأليف: محمد إسحاق كندو ص٩٩٥ وما بعدها. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د/ جمال بن أحمد ١/ ١٦٢. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٥٢. وانظر كتاب (الشهادتان) للشيخ عبد الله بن جبرين، وكتاب (لا إله إلا الله معناها ومكانتها) للشيخ صالح الفوزان. و(تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله) للجابري.

(١) القاموس المحيط مادة «أ ل ه».

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، ص١٠٦.

تعالىٰ باستحقاق العبادةِ وحده؛ لأنَّه المنفردُ بهذه الأفعالِ والصفاتِ.

فالإلهُ: هو المعبودُ المطاعُ الذي تألهُهُ القلوبُ، أي: تتجهُ لهُ وتقصدُه وتخضعُ له وتتعلقُ به خشيةً وإنابةً ومحبةً وخوفاً وتوكلاً عليه وإخلاصاً له تبارك وتعالىٰ.

قال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «اللهُ ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين»[(١)].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله تعالىٰ -: «وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تألُّه القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك لـه، فيجب إفرادُ الله تعالىٰ بها، كالدعاءِ والخوفِ والمحبةِ، والتوكلِ والإنابةِ، والتوبةِ، والذبحِ، والنذرِ، والسجودِ، وجميعِ أنواعِ العبادةِ فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العباداتِ لغيرِ اللهِ، فهُوَ مُشرِكٌ ولو نطق بـ «لا إله إلا الله»، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص»[(٢)].

فـ «لا إله إلا الله» معناها: لا معبود حقٌّ إلا الله، وغير الله إن عبد فباطل[(٣)].

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤] وقوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، وقال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر:٢،٣]، وقال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٢٢ وابن أبي حاتم انظر الدر المنثور ١/ ٢٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٧٥.

(٣) انظر للاستزادة فتح المجيد ص٦٥ – ٦٩.

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١] ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر:١٤]، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

* **الدليل من السنة:** عَنْ عُثْمَانَ ﭬ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(١)]، وعن أبي هريرة ﭬ عن النبي ﷺ قال في الشهادتين: «لا يلقَى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما إلا دخلَ الجنةَ»[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﭬ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اذهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[(٣)].

وعَنْ عُبَادَةَ ﭬ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ[(٤)] أَلْقَاهَا[(٥)] إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ»[(٦)].

وعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي: «فَقَالَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٣٠).

(٤) قال في التيسير ص ٨٤: إنما سُمِّي ﵇ كلمة الله لصدوره بكلمة «كن» بلا أب ا.هـ.

(٥) قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٣٠): خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل ﵇ إلى مريم فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عز وجل، فكان عيسى بإذن الله عز وجل. ا.هـ

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨) واللفظ للبخاري.

أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ إِنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(١)].

وعَنْ عَمْرِو ابْنِ دِينَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أخبرنَا مَنْ شَهِدَ مُعَاذاً حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ يَقُولُ: اكْشِفُوا عَنِّي سَجْفَ الْقُبَّةِ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ قَالَ مَرَّةً: أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثكُمُوهُ إِلا أَنْ تَتَّكِلُوا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَدْخُلْ النَّارَ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ» وَقَالَ مَرَّةً: «دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ»[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»[(٣)]. وهو معنى قوله ﷺ في حديث عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الأَنْصَارِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[(٤)].

١- «لا إله إلا الله» أول واجب على المكلف:

قال العلامة عبدالعزيز الرشيد صاحب أحكام وفوائد في التنبيهات السنية: «هذه الكلمة هي أول واجب وأعظم واجب على الإطلاق كما في الصحيح من حديث ابن عَبَّاسٍ أن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٩٨٢٦). والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١/١٦) وإسناده صحيح ورجاله رجال الشيخين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢١٤٠) وابن حبان (٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩)، (٦٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٥)،(١١٨٦) ومسلم (٣٣).

تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله»، وفي رواية: «إلى أن يعبدوا الله»؛ فدل على أن التوحيد هو أول واجب على العباد، خلافاً لمن زعم أن أول واجب معرفة الله بالنظر أو القصد إلى النظر أو الشك كما هي أقوال لأهل الكلام المذموم، فإن معرفة الله فطرية فطر الله عليها عباده، قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم:١٠] أي: أفي وجوده شك، فإن الفِطَر شاهدة بوجوده مجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة كما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»»[(١)].

٢- تفسيرات باطلة لـ «لا إله إلا الله»:

وإذا تبين أن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وهذا تفسير أهل السنة؛ فينبغي التنبيه إلى أنها قد فُسّرت بتفسيرات باطلة، منها:

١ـ أن معنى لا إله إلا الله: أي لا موجود إلا الله، وهذا تفسير أهل الاتحاد[(٢)].

٢ـ أن معناها: أي لا معبود موجود إلا الله، وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه أن كل معبود عُبِد بحق أو باطل هو الله[(٣)].

٣ـ أن معناها: أي لا خالق[(٤)] إلا الله، أو لا رب إلا الله، ولو كان المعنى كذلك لما حصل نزاع بين النبي ﷺ وكفار قريش، ولما حصل نزاع بين الرسل وأممهم؛ لأن الأمم يقرون بأنه لا خالق إلا الله، فليس هذا المعنى فقط هو المراد منها.

---

(١) انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٥٩، ٢٨٧، ٢٨٨)، والشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص ١٥٩.

(٣) معارج القبول شرح سلم الأصول (٢/ ٤١٦).

(٤) وسبب تفسيرهم بـ (لا خالق إلا الله) أن الكلمة (إله) على وزن (فِعَال)، وفِعَال في اللغة تأتي بمعنى (فاعل) وبمعنى (مفعول).

حيث يثبت بها توحيد الربوبية فقط.

٤ـ وقيل معناها لا حاكمية إلا لله، وهذا أيضًا جزء من معناها وليس هو المقصود لأنه بهذا المعنى تفسير ناقص لا يكفي.

٥ـ ومنها أنه لا قادر على الاختراع إلا الله، ولا مستغنٍ عمَّا سواه مفتقر إليه كل من عداه إلا الله، وهذا القول منسوب لبعض أئمة المتكلمين، قال شيخ الإسلام عمن قال: «إن الإلهية هي القدرة على الاختراع،فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون»[(١)] وهذا تفسير لكلمة التوحيد بشيء من أفعال الربوبية وهو وإن دلت عليه كلمة التوحيد بالتضمن فتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، إلا أنه أغفل المعنى المقصود من هذه الكلمة وهو إثبات توحيد الألوهية وأنه لا يستحق العبادة إلا الله.

وإنما معنى هذه الكلمة باتفاق السلف الصالح: أنه لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥].

قال البقاعي: «لا إله إلا الله، أي: انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرىٰ المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعا إذا كان الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صرف»[(٢)].

(١) التدمرية ١٧٨، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، وانظر: التنبيهات السنية للرشيد ص٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٧٧.

٣- دلالة «لا إله إلا الله» على التوحيد:

قال عبدالعزيز الرشيد في التنبيهات: «وأما دلالتها على التوحيد فإنها دلت على أنواع التوحيد الثلاثة، فدلت على إثبات العبادة لله ونفيها عمن سواه، كما دلت أيضا على توحيد الربوبية، فإن العاجز لا يصلح إلها، ودلت على توحيد الأسماء والصفات فإن مسلوب الأسماء والصفات ليس بشيء بل هو عدمٌ محض كما قال بعض العلماء: المشَبِّه يعبد صنماً، والمعطِّل يعبد عدماً، والموحِّد يعبد إلهَ الأرض والسماء.

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله: «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أُنزل إليهم، وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر»»[١].

٤- إعراب كلمة «لا إله إلا الله»:

«لا»: نافية للجنس تعمل عمل إن.

«إله»: اسم «لا» مبني على الفتح، وخبرها محذوف والتقدير «بحق».

«إلا»: أداة استثناء ملغاة.

«الله»: لفظ الجلالة مرفوع على البدلية.

٥- أركان «لا إله إلا الله»[٢]:

لا إله إلا الله لها ركنان:

* الركن الأول: النفي.
* الركن الثاني: الإثبات.

(١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص٩.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٧٩.

والمراد بالنفي: نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من سائر المخلوقات. فتنفي جميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد غيره.

والمراد بالإثبات: إثبات الإلهية لله سبحانه، فهو الإله الحق المستحق للعبادة وما سواه من الآلهة التي اتخذها المشركون فكلها باطلة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

فــــائـدة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «جملة «لا إله إلا الله» مشتملة على نفي وإثبات، أما النفي فهو: «لا إله» وأما الإثبات فهو: إلا الله. و«الله» لفظ الجلالة بدل من خبر لا المحذوف والتقدير: لا إله حق إلا الله وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة: حق؛ يتبين الجواب عن الإشكال التالي: وهو كيف يقال: لا إله إلا الله؛ مع أن هناك آلهة تُعبد من دون الله، وقد سماها الله تعالى آلهة وسماها عابدوها آلهة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠١]، وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٧٣].

والجواب على هذا الإشكال: يتبين بتقدير الخبر في «لا إله إلا الله» فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، يدل لذلك قول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان:٣٠].

إذن فمعنى «لا إله إلا الله» لا معبود حق إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقية أي ألوهية باطلة»[1].

(١) فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٦٧.

٧- شروط الشهادتين[١]:

جاء عن إياس بن أبي تميمة قال: «شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء على بغله، والفرزدق إلى جنبه على بعير، فقال لـه الفرزدق: قد استشرفنا الناس، يقولون: خير الناس، وشر الناس، قال: يا أبا فراس، كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني! وكم من شيخ مشرك أنت خير منه! ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله قال: إن معها شروطاً، فإياك وقذف المحصنة. قال: هل من توبة؟ قال: نعم»[٢].

وقال ابن رجب: «وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك. ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع. وهذا قول الحسن ووهب ابن منبه وهو الأظهر»[٣].

وقد نظم الشيخ حافظ الحكمي الشروط في الأبيات التالية:

وبشروط سبعةٍ قد قُيِّدت ... وفي نصوصِ الوحي حقاً وردت
فإنه لم ينتفع قائلُها ... بالنُّطقِ إلا حيث يستكملها
العلمُ واليقينُ والقبولُ ... والانقيادُ فادرِ ما أقولُ
والصدقُ والإخلاصُ والمحبةُ ... وفَّقَكَ الله لما أحبَّه[٤]

ونظمها بعضهم بقوله:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُك مع ... محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها[٥]

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٤٦. فتح المجيد ص١١٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٧١.
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٤ و ١/ ١٦٢.
(٣) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ٩، ١٠.
(٤) وقد شرحها رحمه الله في كتابه معارج القبول ٢/ ٤١٨، ٤٣٤.
(٥) ينظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ص٢٩.

وهذه الشروط مأخوذة بالاستقراء والتتبع للأدلة من الكتاب والسنة، وقد أضاف بعضهم إليها شرطا ثامناً ونظمه بقوله:

وزيـــد ثامنُهـــا الكفـــرانُ منـــك بمـــا   سوىٰ الإلهِ مـن الأنـدادِ قـد أُلِهـا

وأخذ هذا الشرط الأخير من قوله ﷺ في حديث أبي مالك عن أبيه: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه علىٰ الله»(١).

وذكره الشيخُ عبدُ الرحمن بنُ حسن في قُرَّةِ عُيونِ الموحِّدين فقال: «إن لا إله إلا الله قد قُيّدت في الكتاب والسنة بقيودٍ فقال منها:

العلمُ، واليقينُ، والإخلاصُ، والصدقُ، والمحبةُ، والقبولُ، والانقيادُ، والكفرُ بما يُعبَدُ من دونِ اللهِ»(٢).

وذكره الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ في «كتاب التَّوحيدِ» ثمَّ قال بعده: «وهذا من أعظم ما يبين معنىٰ لا إله إلا الله، فإنَّه لم يجعل التلفُّظَ بها عاصماً للدمِ والمالِ، بل ولا معرفةَ معناها مع لفظِها، بل ولا الإقرارَ بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا اللهَ وحدَه لا شريكَ له، بل لا يحرمُ مالُه ودمُه حتىٰ يُضيف إلىٰ ذلك الكفرَ بما يُعبَدُ من دون اللهِ، فإن شكَّ أو توقف لم يحرُم مالُه ودمُه»(٣).

وبعضهم يجعل هذا الشرط ضمن أركان (لا إله إلا الله)، وقد تقدم في ذكر الأركان أن (لا إله) يبطل الشرك بجميع أنواعه ويوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله و(إلا الله) يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله ويوجب العمل بذلك ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] فقوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ هو معنىٰ الركن الأول (لا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

(٢) قرة عيون الموحدين ص٥٠، وقد مضىٰ بعضٌ من الأدلة في أول الباب.

(٣) مجموعة التوحيد ص٤٧، ٤٨.

إله) وقوله: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، هو معنى الركن الثاني (إلا الله). وكذلك قولـه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦،٢٧] فقولـه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ هو معنى النفي في الركن الأول. وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ هو معنى الإثبات في الركن الثاني.

وعليه فإن شروطها مجملة ثمانية:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المنافي للكذب، المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلّت عليه والسرور بذلك.

السادس: الانقياد بحقوقها المنافي للترك: وهي الأعمال الواجبة إخلاصا لله وطلباً لمرضاته.

السابع: القبول المنافي للرد.

الثامن: الكفر بما سوى الله من الأنداد .

وسوف أتناول كُلَّ شرطٍ بشرحٍ يُبَيِّنُ المقصودَ:

أولاً: العلمُ بمعناها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك:

قال الشيخ عبد الله بن جبرين: «والمراد العلم الحقيقي بمدلول الشهادتين وما تستلزمه كل منهما من العمل، وضد العلم الجهل، وهو الذي أوقع المشركين من هذه الأمة في مخالفة معناها، حيث جهلوا معنى الإله، ومدلول النفي والإثبات، وفاتهم أن القصد من هذه الكلمة معناها، وهو الذي خالفه المشركون العالمون بما تدل عليه، حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٥]

وقالوا: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص:٦]»[١].

وللتوضيح فإن قولهم: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً يتضمن شطرها الأول نفي العبادة عما سوى الله ﷻ، كما يتضمن شطرها الثاني إثباتها لـه ﷻ، فكما أن الحق جل وعز لا شريك له في ملكه وخلقه وتدبيره فإنه لا شريك لـه في عبادته. فلا بد من العلم بمعناها؛ لأن التلفظ بها دون معرفة معناها ومقتضاها لا ينفع صاحبها كالذي يتكلم بلغة لا يفهمها، ودل على هذا الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

وقولـه: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال البغوي: «أراد بشهادة الحق قول: لا إله إلا الله كلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم»[٢].

وفي الصحيح عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله تعالى: «من اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والإجماع»[٤].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل

---

(١) كتاب الشهادتان لابن جبرين ص٧٩.
(٢) تفسير البغوي معالم التنزيل ٧/ ٢٢٤.
(٣) أخرجه مسلم (٢٦).
(٤) نقلاً عن التنبيهات السنية ص٨.

بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع»[(١)].

وقال رحمه الله: «ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضا بشهادة أن محمداً رسول الله ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول، وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم، ولم يفعل شيئاً من الشرك، فإنه لا يشك أحدٌ في عدم إسلامه، وقد أفتى بذلك فقهاء المغرب كلهم في أول القرن الحادي عشر أو قبله في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب «الدر الثمين في شرح المرشد المعين» من المالكية، ثم قال شارحه: «وهذا الذي أفتوا به جلي في غاية الجلاء، لا يمكن أن يختلف فيه اثنان». انتهى. ولا ريب أن عُبَّاد القبور أشد من هذا؛ لأنهم اعتقدوا الإلهية في أرباب متفرقين»[(٢)].

وقال ابن سعدي رحمه الله: «العلم لابد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم، الذي أمر الله به ـ وهو العلم بتوحيد الله ـ فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائناً من كان، بل كلٌّ مضطرٌ إلى ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه ـ لا إله إلا الله ـ أمور:

أحدها: بل أعظمها تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله، وعظمته وجلاله، فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل، الذي له كل حمد ومجد، وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية؛ فإن ذلك يوجب تعلق القلب به، ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٧٤، فتح المجيد ص ٦٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٨١، ٨٢.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر، والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داعٍ إلىٰ العلم بأنه تعالىٰ وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير، أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله علىٰ ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً، ورأياً وصواباً وعلماً ـ وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون ـ قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية التي تدل علىٰ التوحيد أعظم دلالة، تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه»[(١)].

ثانياً: اليقين[(٢)]:

قال في لسان العرب: «اليقين: العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر وهو نقيض الشك»[(٣)]: وهو كمال العلم بها المنافي للشك[(٤)] والريب.

* والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]

---

(١) تفسير ابن سعدي لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من سورة محمد. آية ١٩.

(٢) انظر للاستزادة فتح الباري لابن رجب ١/ ١٤، ١٥، ١٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٦٧ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١٦٨.

(٣) لسان العرب (ي ق ن).

(٤) انظر للاستزادة باب (كفر الشك).

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو من المنافقين.

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَني رَسُولُ اللهِ لا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

وفي رواية قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَني رَسُولُ اللهِ لا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ»[٢].

وتقدم حديث أبي هريرة ﷺ: «فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[٣].

قال الشيخ حافظ الحكمي: «فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط»[٤].

وقد روي عن ابن مسعود ﷺ قال: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»[٥]. فاليقين شرط في صحة الإيمان وهو حقيقة العلم بأن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فلا بد من انتفاء الشك وارتفاع الريب.

وقال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم: «باب لا يكفي مجرّد التلفظ بالشهادتين بل لا بد من استيقان القلب»[٦].

قال الشيخ عبد الله بن جبرين: «من شروط ـ لا إله إلا الله ـ اليقين وضده

(١)أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) معارج القبول ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٥) ذكره البخاري تعليقاً كما في الفتح ١/ ٤٥، وقال الحافظ: «وصله الطبراني بسند صحيح وأبو نعيم في الحلية» ا.هـ

(٦) نقلها الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتابه فتح المجيد ص ٦٥، ثم قال: «هذه الترجمة تنبيهٌ على فساد مذهب المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان» ا.هـ

الشك والتوقف أو مجرد الظن والريب، والمعنى أن من أتى بالشهادتين فلابد أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقوله، من أحقية إلهية الله تعالى، وصحة نبوة محمد ﷺ، وبطلان إلهية غير الله بأي نوع من التأله وبطلان قول كل من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ، فإن شك في صحة معناها أو توقف في بطلان عبادة غير الله لم تنفعه هاتان الشهادتان»[(١)].

ثالثاً: الصدق: المنافي للكذب المانع من النفاق:

فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

* الدليل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠].

وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»[(٢)].

قال الشيخ عبدالله بن جبرين حفظه الله: «فأما من قالها بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإنها لا تنجيه، كما حكى الله عن المنافقين أنهم قالوا: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]»[(٣)].

(١) كتاب الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما ص ٧٩.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٨).
(٣) كتاب الشهادتان، معناهما وما تستلزمه كل منهما ص ٨٢.

قال الشيخ صالح الفوزان: «فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم غير معتقدين بمدلولها»(١).

رابعاً: المحبة: لهذه الكلمة ولما دلت عليه:

وهذا بخلاف ما عليه المنافقون.

* الدليل قولـه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقولـه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وثبت في الصحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذ أَنقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»(٢).

قوله: «ثلاث من كن فيه»...الخ. قال الحافظ النووي رحمه الله: «هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام.

قال العلماء رحمهم الله: «معنى حلاوة الإيمان» استلذاذ الطاعات وتحمُّل المشقات في رِضَى الله عز وجل ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عَرَض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسوله ﷺ».

قال القاضي رحمه الله: «هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً»؛ وذلك أنه لا تصح المحبة لله

(١) «لا إله إلا الله» معناها ومكانتها وفضلها ص ١٥.

(٢) أخرجه البخاري (٦)، (٢١)، (٦٠٤١)، (٦٩٤١). ومسلم (٤٣) واللفظ للبخاري.

ورسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح لـه صدره وخالط لحمه ودمه وهذا هو الذي وجد حلاوته».. قال: «والحب في الله من ثمرات حب الله»»[١].

وقد أفردتُ باباً في: «محبة الله» فراجعه في هذا الكتاب.

خامساً: الانقياد المنافي للترك:

ويبينها الشيخ صالح الفوزان حفظه الله بقوله: «الانقياد: بأداء حقوقها، وهي: الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته، وهذا هو مقتضاها»[٢].

* **الدليل من الكتاب**: قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [النساء:١٢٥]، وقولـه: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ [لقمان: ٢٢] أي: بـ «لا إله إلا الله».

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥].

* **الدليل من السنة**: قوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لما جِئْتَ بِهِ»[٣]. وعَنْ أَنَسٍ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ٢١٠ في شرح حديث رقم (٤٣).

(٢) «لا إله إلا الله، معناها ومكانتها وفضلها» ص ١٥.

(٣) البغوي شرح السنة ١/ ٢١٣ والخطيب في التاريخ ٤/ ٣٦٩ وابن أبي عاصم في السنة وضعفه بعضهم لتفرد نعيم بن حماد والمروزي به.

(٤) أخرجه البخاري (١٤)، (١٥) واللفظ له، ومسلم (٤٤)، وفي رواية لمسلم: «أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين» (٤٤).

قال ابن رجب رحمه الله: «فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات»[(١)].

سادساً: القبول المنافي للرد:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

وثبت عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[(٢)].

قال الشيخ عبد الله بن جبرين: «ومن شروط ـ لا إله إلا الله ـ القبول المنافي للرد، فإن هناك من يعلم معنى الشهادتين ويوقن بمدلولها ولكنه يردهما كبراً وحسداً، وهذه حالة علماء اليهود والنصارى، فقد شهدوا بإلهية الله وحده، وعرفوا محمداً ﷺ كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك لم يقبلوه ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[البقرة:١٠٩].

وهكذا كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله وصدق محمد ﷺ، ولكنهم يستكبرون عن قبوله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

(١) جامع العلوم والحكم ص٣٦٤.
(٢) أخرجه البخاري (٧٩).

يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [الصافات:٣٥] وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣]»[١].

وفي تفسير آية الصافات يقول ﷺ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ بطريق الدعوة والتلقين ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ عن القبول يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون يستكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها[٢] فهم لا يقبلونها كما قبلها المؤمنون الموحدون، ولم ينقادوا لما دلت عليه من أداء حقوقها، ويدخل في ذلك حالة عُبّاد القبور كما هو مشاهد اليوم، فإنهم يقولون (لا إله إلا الله) ومع ذلك لا يتركون عبادة القبور والذبح لها، فهم وإن تلفظوا بالشهادة إلا أنهم غير قابلين لها وغير ملتزمين بما دعت له.

* الفرق بين الانقياد والقبول:

قال الشيخ عبدالله بن جبرين في الفرق بينهما: «أن الانقياد هو الاتباع بالأفعال، والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول، ويلزم منهما جميعا الاتباع، ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان، وعدم التعقب لشيء من أحكام الله». ثم ذكر ـ حفظه الله ـ الأدلة علىٰ الانقياد من القرآن فقال: «فهذا هو الانقياد لله تعالىٰ بعبادته وحده، فأما الانقياد للنبي ﷺ بقبول سنته، واتباع ما جاء به والرضىٰ بحكمه، فقد ذكره الله تعالىٰ بقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥] فاشترط في صحة إيمانهم أن يسلموا تسليماً لحكمه، أي ينقادوا ويذعنوا لما جاء به من ربه. وقد يكون القبول بالقلب والانقياد بالقلب والجوارح فلا انقياد إلا بالقول. وقد

(١) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص٨٠، ٨١.

(٢) ينظر فيما سبق تفسير البغوي ٧/ ٣٩، وتفسير ابن كثير ٧/ ١١، وروح المعاني ١٢/ ٨١.

يكون القبول بالقلب والانقياد بالقلب والجوارح فلا انقياد إلا بالقبول»[١].

سابعاً: الإخلاص المنافي للشرك:

وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك بأن لا يقصد بقولها طمعاً من مطامع الدنيا ولا رياء ولا سمعة؛ لما جاء في الحديث الصحيح من حديث عتبان قال: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٢].

وسوف يأتي لهذا مزيد بحث في (الإخلاص).

٨ - نواقض الشهادتين:

نواقض لا إله إلا الله كثيرة جداً، وقد عقد لها الفقهاء في كتب الفقه باباً خاصاً سمَّوه باب الردة، وسيأتي الكلام عنها مفصلاً في بابَي (الردة) و(نواقض الإسلام).

٩ - متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله؟:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرح حديث: «إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» قال رحمه الله: «اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث، وحديث أنس قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل فقال: «يا معاذ»: قال لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار»[٣]... ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها أنه يحرم على النار، منها حديث عبادة الذي تقدم قريباً، وحديث أبي هريرة أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك ـ الحديث وفيه ـ فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير

---

(١) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ٨١، ٨٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

شاك فيُحجب عن الجنة»[1].

قال: وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ وغيره: «أن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها. كما جاءت مقيدة وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين».

فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة.

فمَنْ شهِدَ أن لا إله إلاَّ الله خالصاً من قلبِه دخَل الجنَّـةَ؛ لأنَّ الإخلاصَ هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: «لا إله إلا الله»، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يُخشى عليه أن يُفتن عنها عِنْدَ الموت فيُحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليداً وعادة ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يُفتن عِنْدَ الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: «سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، وحينئذٍ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحالة مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذاً لا يبقى في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

قلبه إرادةٌ لما حرم الله ولا كراهيةٌ لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار وإن كانت لـه ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنباً إلا يُمحى كما يُمحى الليلُ بالنهار»[(١)].

١٠ - فضل لا إله إلا الله:

انظر باب (فضل التوحيد وأهميته).

١١ - آثار لا إله إلا الله[(٢)]:

وهي أكثر من أن تحصر لكن أذكر منها:

١ ـ النجاة في الدنيا والآخرة وتوفر الأمن والطمأنينة.

٢- اجتماع الكلمة كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٣ ـ الاستخلاف في الأرض والتمكين ودليله قولـه تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥].

٤ ـ عصمة الدم والمال والعرض لقولـه ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها، وحسابه على الله»[(٣)].

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٨٧، ٨٨.

(٢) للاستزادة انظر كتاب الشيخ صالح الفوزان عن: «لا إله إلا الله معناها، مقتضاها، آثارها في الفرد والمجتمع) ص ٣٦-٤٢.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، (٢٩٤٦) ومسلم (٢٠) واللفظ للبخاري .

٢- أبا جـاد*

تعريفه: «أبا جاد» هي الحروف العربية: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ؛ وهذه إذا استخدمت مربوطة بسير النجوم وتُعُلِّمت لادِّعاء علم الغيب فإنها تحرم.

قال ابن عَبَّاسٍ في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: «ما أرىٰ من فعل ذلك له عِنْدَ الله من خلاق»[(١)].

فقولـه: «يكتبون أباجاد» أي يقطعون حروف (أبجد هوز ... الخ) ويتعلمونها لادعاء علم الغيب.

و قولـه: «ينظرون في النجوم»: أي ويعتقدون أن لها تأثيراً في الحوادث الكونية من دون الله.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيربطون ما يكتبون بسير النجوم وحركتها»[(٢)].

وأثر ابن عَبَّاسٍ منصرفٌ لمن يبتغي بِتعلم «أباجاد» معرفة علم الغيبِ والنظر في النجوم علىٰ اعتقاد أن لها تأثيراً فيما يحدث في الأرض، فهذا كله يدخل في العرافة، ومن فعله فقد أضاع نصيبه من الله.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتعلم **«أباجاد» ينقسم إلىٰ قسمين:**

---

* شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ١٢/ ١٨٣. الدين الخالص لصديق حسن خان القنوجي ٢/ ٣٤٠. تيسير العزيز الحميد ص٤١٨. فتح المجيد ص٣٤٠. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٠٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٦٥، ط٢-٢/ ٧٨ ومن المجموع ٩/ ٥٤٧. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٣١٩.

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ٢٦، والبيهقي في السنن ٨/ ١٣٩.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٥٤٧.

الأول: تعلم مباح بأن نتعلمها لحسابِ الجمل[1]، وما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به وما زال أناس يستعملونها، حتى العلماء يؤرخون بها، قال شيخنا عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله في تاريخ بناء المسجد الجامع القديم:

جُـــد بالرِّضَـــا واعـــطِ المُنـــى ... مـــن سَـــاعدوا في ذا البنـــا

تاريخـــــه حيـــــن انتهـــــى ... قـــول المنيـــب اغفـــر لـنـــا

والـــــشهر في شـــــوال يـــــا ... رب تقبـــــل سعـيـنـــــا

فقولـه: «اغفر لنا» لو عددناها حسب الجمل صارت ١٣٦٢هـ.

وقد اعتنى بها العلماء في العصور الوسطى، حتى في القصائد الفقهية والنحوية وغيرها.

ويؤرخون بها مواليد العلماء ووفياتهم، ولم يرد ابن عَبَّاسٍ هذا القسم.

الثاني: محرم، وهو كتابة «أبا جاد» كتابة مربوطة بسير النجوم وحركتها وطلوعها وغروبها وينظرون في النجوم، ليستدلوا بالموافقة أو المخالفة على ما سيحدث في الأرض، إما على سبيل العموم كالجدب والمرض والحرب، وما أشبه

(١) وحساب الجمل قائم على حروف الهجا في اللغة العربية ويسمى الأبجدية وهي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ. ويقابل كل حرف منها رقم عربي حسب الجدول الآتي:

جدول حساب الجمل تقابله الأرقام							
ا	١	ح	٨	س	٦٠	ت	٤٠٠
ب	٢	ط	٩	ع	٧٠	ث	٥٠٠
ج	٣	ي	١٠	ف	٨٠	خ	٦٠٠
د	٤	ك	٢٠	ص	٩٠	ذ	٧٠٠
هـ	٥	ل	٣٠	ق	١٠٠	ض	٨٠٠
و	٦	م	٤٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠
ز	٧	ن	٥٠	ش	٣٠٠	غ	١٠٠٠

ذلك، أو على سبيل الخصوص، كأن يقول لشخص:سيحدث لك مرض أو فقر أو سعادة أو نحس في هذا، وما أشبه ذلك، فهم يربطون هذه بهذه، وليس هناك علاقة بين حركات النجوم واختلاف الوقائع في الأرض»[(١)].

وصورة «أباجاد» المحرمة: أن يخبر المنجم عن طريق الجمل بالمغيبات، فيتوصل بعدد حروف بعض الألفاظ ويربطها بنتائج يدعي على أساسها خبر في المستقبل.

ويقول الشيخ صالح آل الشيخ: «وفي الواقع هو لا يتحصل على العلم الغيبي عن طريق خط، أو عن طريق فنجان، أو عن طريق النظر في البروج؛ وإنما يأتيه العلم عن طريق الجن، وهو يُظهِر هذه الأشياء حتى يحصل على المقصود كي يصدق الناس أنه لا يستخدم الجن، وأنه ولي من الأولياء»[(٢)].

حكم تعلم أبا جاد تقدم قول ابن عباس رضي الله عنهما: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «(ما له من خلاق) أي من حظ ونصيب؛ لأن فيه ادِّعاء لعلم الغيب وهو كفر»[(٣)]. ومثله في **ادعاء علم الغيب ما يسمى بالجفر.**

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ظاهر كلام ابن عَبَّاسٍ أنه يرى كفرهم؛ لأن الذي ليس لـه نصيب عِنْدَ الله هو الكافر إذ لا ينفي النصيب مطلقاً عن أحد من المؤمنين وإن كان لـه ذنوب عذب بقدر ذنوبه أو تجاوز الله عنها، ثم صار آخر أمره إلى نصيبه الذي يجده عِنْدَ الله»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٤٧، ٥٤٨. وانظر القول المفيد ط١. ٢/ ٦٤.
(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٣٢٥.
(٣) من شرح الشيخ رحمه الله على كتاب التوحيد.
(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٤٨. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٦٤.

٣- اتخاذ القبور عيداً*

العيد لغة:

قال الليث: «العيد: كلُّ يومِ مَجمع؛ وسُميَ عيدا لأنهم قد اعتادوه... واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إليه»(١).

والعيد شرعاً: قال شيخ الإسلام: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع الجاهلية، فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات. وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقاً. وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً، فالزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً»، والاجتماع والأعمال كقول ابن عَبَّاسٍ: «شهدت العيد مع رسول الله ﷺ»، والمكان كقوله: «لا تتخذوا قبري عيداً».

وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب كقول النبي

* شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ١٢/ ٥١٣ ـ ٥٢٥. أحكام القرآن القرطبي ٦/ ٣٦٨. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٢٥ ـ ٤٨٨. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٠الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤١٥. شفاء الصدور ص٦٠،٦١. تيسير العزيز الحميد ص٢٠٠ـ٣٥٢. فتح المجيد ص١٧٧ـ٢٩١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٠٥ ـ ١٧١. القول المفيد لابن عثيمين ط١ ـ ١/ ٤٥٧، ط٢ ـ ١/ ٣٠٥، ٤٩١، ٥٨٠ ومن المجموع ٩/ ٤٤٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٥٩ ـ ٣/ ٥٩٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٨٣. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٠٣، ٢٩٥، ٧/ ١٩٨، ٢٠٧. الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٣٣٦. شرح مسائل الجاهلية ص١٢٩. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٤٨. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٦. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٣٠.

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٣/ ١٣١.

ﷺ لأبي بكر: «دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيداً»»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «والعيد ما يعتاد مجيئه وقصده: من مكان وزمان.

فأما الزمان، فكقوله ﷺ: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى: عيدنا أهل الإسلام»[٢].

وأما المكان، فكما روىٰ أبو داود في سننه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال: «أبها وثن من أوثان المشركين، أو عيد من أعيادهم؟» قالا: لا. قال: «فأوف بنذرك»[٣]. وكقوله: «لا تجعلوا قبري عيداً»[٤].

والعيد: مأخوذ من المعاودة، والاعتياد، فإذا كان اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وانتيابه للعبادة، أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، والمشاعر، جعلها الله تعالىٰ عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام التعبد فيها عيداً.

وكان للمشركين أعيادٌ زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوض الحنفاء منها عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام، وعرفة، ومنى والمشاعر. فاتخاذ القبور عيداً هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد نهى عنه رسول الله ﷺ في سيد القبور، منبها به علىٰ غيره»[٥].

* الدليل من السنة: عن علي بن الحسين: أنه رأىٰ رجلاً يجيء إلىٰ فُرْجَةً كانت عِنْدَ قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا فإن

(١) نقلاً عن تيسير العزيز الحميد ص٢٠٠، ٢٠١.
(٢) أخرجه أبوداود (٢٤١٩)، وأحمد (١٧٥١٤)، والترمذي (٧٧٣) وقال الترمذي حديث حسن صحيح.
(٣) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، وابن ماجه (٢١٣١).
(٤) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٧٩٠).
(٥) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٠، ١٩١.

تسليمكم يبْلُغُنِي أينما كنتم»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، ولا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حيث كنتم»[٢].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان، ثم إنه قرن ذلك بقوله: «ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً» أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور[٣]، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عِنْدَ القبور. عكس ما يفعله المشركون من النصارى وأشباههم... قال: وهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين ﷺ، نهى ذلك الرجل أن يتحرَّى الدعاءَ عِنْدَ قبره ﷺ، واستدل بالحديث وهو الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده علي ﷺ. وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضُّلاَّل. وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر إذا لم يكن يريد المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيداً... فانظر هذه السنة كيف أن مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط»[٤].

(١) أخرجه ضياء الدين المقدسي في المختارة (٤٢٨)وأبو يعلى في مسنده (٤٦٩) وابن أبي شيبة(١١٨١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٧٩٠).

(٣) هذا هو المعنى الأول. والمعنى الثاني: لا تدفنوا فيها موتاكم، وكلا المعنيين حق ولا يرِدُ عليه دفن الرسول ﷺ في بيته فإنه خاص به وبصاحبيه؛ لأن النبي ﷺ كان دائما يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» خرجه مسلم في صحيحه (٢٣٨٩). وروى الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما وقال: «هكذا نبعث يوم القيامة». سنن الترمذي (٣٦٦٩)، وقال: هذا حديث غريب.

(٤) هذا الكلام نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية تلميذُه الإمامُ ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ١٩٢، ١٩٣.

❖ مفاسد اتخاذ القبور عيداً:

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «وبالجملة فهذا الذي يُفعل عِنْدَ هذه القبور بعينه الذي نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله: «لا تتخذوا قبري عيداً» .

فإن اعتياد قصد المكان المعين في وقت معين عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع هو بعينه معنى العيد، فينهى عن دِقِّ ذلك وجُلِّه؛ لأنه إذا سُوِّغَ فعلُ القليل من ذلك أدَّىٰ إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله فيعتقدون ذلك المبتَدَع سنةً أو واجباً، كما هو مشاهد، قال: ويدخل في هذا ما يفعل بمصر عِنْدَ قبر «نفيسة»[١] وغيرها وقبر الدينوري أيضاً، أو ما يفعل بالعراق عِنْدَ القبر الذي يقال إنه عِنْدَ قبر علي وقبر الحسين، وحذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي، وقبر موسى بن جعفر، ومحمد بن علي الجواد ببغداد، وعِنْدَ قبر أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وما يُفعل عِنْدَ قبر أبى بريدة البسطامي، إلى قبور كثيرة في أكثر بلاد الإسلام لا يمكن حصرها، كما أنهم بنوا على كثير منها مساجد وبعضها مغصوب، كما بني على قبر أبي حنيفة والشافعي وغيرهما»[٢] .

قال ابن القيم رحمه الله: «ثم إن في اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ما يغضبُ لأجله كلُّ مَنْ في قلبه وقارٌ لله تعالى، وغَيْرَة على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك ولكن: ما لجرح بميتٍ إيلامُ.

فمن مفاسد اتخاذها أعياداً: الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر

---

(١) وهي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقية صالحة عالمة بالتفسير والحديث، وُلدت بمكة ونشأت بالمدينة ثم انتقلت إلى القاهرة فتوفيت بها سنة ٢٠٨ هـ. ويحصل عِنْدَ مشهدها بمصر ما لا يرضي الله ﷻ من البدع والمناكير. شذرات االذهب ٢/ ٢١.

(٢) شفاء الصدور ص ٦١ .وانظر: الاقتضاء ٢/ ٧٣١.

والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم»[(١)].

❖ حكم زيارة قبر النبي ﷺ كلما دخل المسجد أو خرج منه:

تقدم النهي عن ذلك في قول رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «وكره مالك وغيره من أهل العلم[(٣)] لأهل المدينة، كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على قبر النبي ﷺ وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفراً ونحو ذلك، ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها، وأما قصده دائماً للصلاة والسلام فما علمتُ أحداً رخَّص به؛ لأن ذلك نوعٌ من اتخاذه عيداً، مع أنه قد شرع لنا إذا دخلنا للمسجد أن نقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، كما نقول ذلك في آخر صلاتنا. قال: فخاف مالكٌ وغيره أن يكون فعل ذلك عند القبر كل ساعة نوعاً من اتخاذ القبر عيداً، وأيضاً فإن ذلك بدعة، فقد كان المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ يجيئون إلى المسجد كل يوم لعلمهم ﷺ بما كان النبي ﷺ يكرهه من ذلك وما نهاهم عنه، وأنهم يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه، وفي التشهد كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته، وما أحسن ما قال مالك: لن يصلح آخر هذه الأمة

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٣، ١٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢). وأحمد (٨٧٩٠). وفي قوله ﷺ: «فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدا » إغاثة اللهفان ١/ ١٩٢..

(٣) انظر: الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/ ٧٩، الرد على الأخنائي ٢٤، ١٥٠-١٥١-١٥٦-٢١٧-٢١٨، كتاب أحكام الجنائز ص٢٦٥ برقم (٢٠٤٢).

إلا ما أصلح أولها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم عوضوا ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره، ولهذا كرهت الأمة استلام القبر وتقبيله، وبنوه بناء منعوا الناس أن يصلوا إليه»[(١)].

وقال الألباني رحمه الله: «ومما يدخل في ذلك دخولا أوّلياً ما هو مشاهدٌ اليوم في المدينة المنورة، من قصد الناس دبر كل صلاة مكتوبة قبرَ النبي ﷺ للسلام عليه والدعاء عِنْدَه وبه، يرفعون أصواتهم لديه، حتى ليضجّ المسجد بهم، ولا سيما في موسم الحج، حتى لكأن ذلك من سنن الصلاة! بل إنهم ليحافظون عليه أكثر من محافظتهم على السنن... ولا أحد منهم ينكر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وواأسفا على غربة الدين وأهله، وفي مسجد النبي ﷺ الذي ينبغي أن يكون أبعد المساجد - بعد المسجد الحرام - عما يخالف شريعته عليه الصلاة والسلام»[(٢)].

والبدع التي يتعلق بها العامة عِنْدَ قبر النبي ﷺ كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- إطالة القيام عِنْدَ القبر النبوي للدعاء لنفسه مستقبلاً الحجرة[(٣)].
- استقبال القبر في الصلاة مع استدبار الكعبة[(٤)].
- الاستسقاء بالكشف عن قبر النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين[(٥)].

ومن البدع المتعلقة بقبر النبي ﷺ (شد الرحل لزيارة قبره) وقد بسطت الكلام عنه في باب (شد الرحال).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٧٥.

(٢) أحكام الجنائز ص٢٢٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٨٦. أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٦ رقم ٢٣٥، وانظر بحث ذلك في باب الدعاء تحت عنوان: «هيئة الداعي عند قبر النبي ﷺ».

(٤) أحكام الجنائز الألباني ٢٦٥ رقم ٢١٧، وانظر تفصيل ذلك في الرد على البكري ١/ ٨٨.

(٥) أحكام الجنائز الألباني ٢٦٧ رقم ٢٣٨ .

٤- اتخاذ القبور مساجد*

[البناء على القبور]

قال ابن حجر الهيثمي: «واتخاذ القبر مسجداً معناه الصلاة عليه أو إليه»[(١)].

وقال الصنعاني: «واتخاذ القبور مساجد أعم من أن يكون بمعنى الصلاة إليها أو بمعنى الصلاة عليها»[(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «قوله: «لعن الله اليهود والنصارى»... إلى آخره، لعنهم ﷺ على هذا الفعل بعينه، وهو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، أي: كنائس وبِيَع يتعبدون ويسجدون فيها لله، وإن لم يسموها مساجد، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم. ومثل ذلك القباب والمشاهد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، فإنها هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم وإن لم

* التمهيد لابن عبد البر ١/ ٦٥. ٥/ ٤٣، ٢٣١. ٥/ ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٩، ٦/ ٣٨٣، ٣٨٤ الاستذكار لابن عبد البر ٢٦/ ٥٧. المحلى بالآثار لابن حزم ٢/ ٣٤٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣٧٩، ٣٨٠. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٩٢. مجموع الفتاوى ١/ ١٦٣، ٢٣٩، ٣٥٣، ٤/ ٥٢١، ٢٧/ ٣٣، ١٤٧، ١٨١،٤٤٤. تفسير سورة الإخلاص ص١٩٢. الرد على البكري ص٧١. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٤، ١٩٨. شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور لمرعي الحنبلي ص٤٠. أحكام الجنائز ص٤٨،٦٤، ٢٦٥. تيسير العزيز الحميد ص٣٢٦. فتح المجيد ص٢٦٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٥٩. القول المفيد لابن عثيمين ط ١-١/ ٤٥٦. ط٢-١/ ٥١٨، ٥٢٠، ومن المجموع ٩/ ٤٥٦. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ١٥٦ شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١٢٤. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٩١. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٣٦. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٦٤٦، ١٦٣٥. التبرك د ناصر الجديع ص٣٣١، ٤١١. معجم البدع، رائد بن صبري بن أبي علفه ص ١٤٣، ١٤٤.

(١) الزواجر ١/ ١٢١.

(٢) سبل السلام ١/ ٢٤١.

يسمها من بناها مساجد. وفيه رد على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزا لهم عن غيرهم، فإذا كان النبي ﷺ لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء، فكيف بمن بناها على قبور غيرهم؟!»[(١)].

وفي حديث: «ألا وإن من كـان قبلكم كانوا يتخـذون القبور مساجد...»[(٢)] الحديث. قال الخلخالي: «وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لهم.

الثاني: أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والسجود في مقابرهم، والتوجه إليها حالة الصلاة نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله، والمبالغة في تعظيم الأنبياء.

والأول: هو الشرك الجلي.

والثاني: الخفي، فلذلك استحقوا اللعن»[(٣)].

* **الدليل من السنة**: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ[(٤)] وَأُمُّ حَبِيبَةَ[(٥)] رضي الله عنهما أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ». وفي الرواية الأخرى: «أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٦)].

وعن عائشة وعبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٢٤.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٢٨.

(٤) هي: هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية رضي الله عنها.

(٥) هي: رملة بنت أبي سفيان القرشية الأموية رضي الله عنها.

(٦) أخرجه البخاري (٤٢٧)، (١٣٤١)، ومسلم (٥٢٨).

خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذّر ما صنعوا[(١)].

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد»[(٣)].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ـ وفي رواية ـ: لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٤)].

وعنه عن النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً[(٥)] لعن الله قوما اتخذوا قبور

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩). وقولها (أبرز قبره) أي كشف قبره ودفن خارج بيته. قال الألباني ؒ: «وسبب دفنه ﷺ في بيته هو سد الطريق علىٰ من عسىٰ أن يبني عليه مسجداً». انظر تحذير الساجد ص ١١.

* فائدة: الرسول ﷺ دفن في بيته لحديث أبي بكر ﵁ أنه سمع النبي ﵁ يقول: «لن يقبر نبي إلا حيث يموت». أخرجه أحمد في المسند (٢٧) والترمذي بلفظ آخر (١٠١٨) وضعفه، وضعفه ابن كثير في البداية ٥/٢٦٦. وكذلك فعل الصحابة حيث دفنوه في بيته لأنهم خشوا أن يتخذ قبره مسجداً. انظر للاستزادة حول قبر النبي ﷺ باب (اتخاذ القبور عيداً).

(٣) أخرجه أحمد (٣٨٤٤)، (٤١٤٣)، (٤٣٤٢). والطبراني (١٠٤١٣)، وابن حبان (٦٨٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).

(٥) في رواية مالك في الموطأ (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) (٣٧٦). قال الشيخ سليمان ابن عبد الله في تيسير العزيز الحميد ص٣٤٠: «قد استجاب الله دعاء رسوله ﷺ، فمنع الناس من الوصول إلىٰ قبره لئلا يعبد استجابة لدعاء رسوله ﷺ كما قال ابن القيم:

فأجاب ربُّ العالمين دُعاءَهُ ** وأحاطه بثلاثةِ الجدرانِ)

أنبيائهم مساجد»[١].

ولمسلم عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألاَ فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»[٢].

أقوال العلماء:

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله. والصلاة عِنْدَها من ذلك، وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يُتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً». ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»»[٣].

وقد جاءت الأحاديث في تحريم الصلاة إلى القبور.

فعن أبي مرثد الغنوي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٣٥٢). والحميدي رقم (١٠٥٥) وصححه البزار وابن عبد البر كما في تنوير الحوالك ١/ ١٦ وشرح الزرقاني ١/ ٣٥١.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) الاقتضاء ٢/ ٦٦٨. وانظر: منهاج السنة ١/ ٤٧٥، ٢/ ٤٣٦.

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٢).

وعن ابن عَبَّاسٍ مرفوعاً: «لا تصلوا إلىٰ قبر ولا تصلوا علىٰ قبر»[١]. وغيرها من الأحاديث.

فيدخل في المنع من اتخاذ القبور مساجد الصور الآتية:

١ ـ الصلاة علىٰ القبر أو عِنْدَه[٢].

٢ ـ الصلاة إلىٰ القبر.

٣ ـ بناء المسجد علىٰ القبر.

وتفصيل ذلك علىٰ ما يلي:

١ . الصلاة عِنْدَ القبر:

وجاء صريح النهي في ذلك: ففي صحيح البخاري: أن عمر بن الخطاب ﵁ رأىٰ أنس بن مالك يصلي عِنْدَ قبر، فقال: «القبرَ، القبرَ ولم يأمره بالإعادة»[٣]. وهذا يدل علىٰ أنه كان من المستقر عِنْدَ الصحابة ﵃، ما نهاهم عنه نبيهم ﷺ من الصلاة عِنْدَ القبر. وفعل أنس ﵁ لا يدل علىٰ اعتقاده جوازه؛ فإنه لم يره، أو لم يعلم أنه قبر، فلما نبهه عمر ﵁ تنبه. ويشهد لهذا ما أخرجه البيهقي في السنن عن أنس قال: «قمت يوماً أصلي وبين يدي قبر لا أشعر به فناداني عمر: «القبر، القبر» فظننت أنه يعني القمر فقال لي بعض من يليني إنما يعني القبر فتنحيت عنه»[٤].

وقال أبو سعيد الخدري ﵁: قال رسول الله ﷺ: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام»[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٠٥١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٤٤٤. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٨. أحكام الجنائز ص٦٤.

(٣) أخرجه البخاري معلقا كتاب الصلاة. باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية؟.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٤٣٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٨١)، وابن حجر في تغليق التعليق ٢/ ٢٢٨.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٢)، والترمذي (٣١٧)، وابن ماجه (٧٤٥)، وأحمد (١١٨١٠).

أما الصلاة على القبر فإنها أعظم شراً من الصلاة عِنْدَه. وفيه حديث ابن عَبَّاسٍ الآنف الذكر وفيه: «ولا تصلوا على قبر»[(١)].

وسيأتي مزيد تفصيل عن حكم العبادة عند القبر في باب «العبادة».

٢. الصلاة إلى القبر:

لحديث أبي مرثد الغنوي: «لا تصلوا إلى القبور»[(٢)].

قال المناوي: «أي مستقبلين إليها، لما فيه من التعظيم البالغ، لأنه من مرتبة المعبود، فجمع بين النهي عن الاستخفاف بالتعظيم والتعظيم البليغ»[(٣)].

وهذا النهي محمول على تحريم الصلاة إلى القبر لظاهر النهي، وقد أبعد من قال إن المراد كراهة التنزيه قال النووي: كذا قال أصحابنا. ولو قيل بتحريمه لظاهر الحديث لم يبعد.

قال الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز: «ويؤخذ من الحديث النهي عن الصلاة في المقبرة. فهو مكروه كراهة تحريم. وينبغي أن يعلم أن التحريم المذكور إنما هو لمن لم يقصد بالاستقبال تعظيم القبور وإلا فهو شرك. قال الشيخ علي القاري في شرحه لهذا الحديث: ولو كان هذا التعظيم حقيقة للقبر ولصاحبه لكفر المعظم، فالتشبه به مكروه وينبغي أن يكون كراهة تحريم»[(٤)].

وقال القاضي البيضاوي: «لما كانت اليهود يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة ويتوجهون في الصلاة نحوها فاتخذوها أوثانا لعنهم الله

---

(١) انظر للاستزادة التمهيد لابن عبد البر ٦/ ٢٧٩، ٣٤٤ وكتاب عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص١٦٦.

(٢) مسلم (٩٧٢).

(٣) فيض القدير نقلا عن أحكام الجنائز ص٦٤.

(٤) أحكام الجنائز ص ٢١٠ ـ ٢١١. وانظر قول القاري في المرقاة ٢/ ٣٧٢.

ومنع المسلمين عن مثل ذلك ونهاهم عنه»[١]. أما من جعل القبر بينه وبين القبلة حال صلاته فإنه يمنع من ذلك؛ لأنه يفضي للغلو والتعظيم.

٣. بناء المسجد على القبر:

قال ابنُ تَيمِيَّة: «اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد علىٰ قبر لأن النبي ﷺ قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك» وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غيّر، إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدا وإن كان المسجد بني بعد القبر، فإما أن يزال المسجد وإما تزال صورة القبر، فالمسجد الذي علىٰ القبر لا يصلىٰ فيه فرض ولا نفل، فإنه منهي عنه»[٢].

قال الهيتمي: «الكبيرة الثالثة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد ـ ثم ساق بعض الأحاديث المتقدمة وغيرها ـ فقال:... وعدُّ هذه من الكبائر وقَعَ في كلام بعض الشافعية، وكأنه أخذ ذلك مما ذكره من هذه الأحاديث، ووجهه واضح، لأنه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عِنْدَ الله يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما في رواية: يحذر ما صنعوا. أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك، فيلعنوا كما لعنوا. قال بعض الحنابلة: قصد الرجل الصلاة عِنْدَ القبر متبركا بها عين المحادة لله ورسوله، وابتداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها. وقال: فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عِنْدَها. واتخاذها مساجد. أو بناؤها عليها، والقول بالكراهة محمول علىٰ غير ذلك، إذ لا

---

(١) انظر فيض القدير للمناوي وتحذير الساجد ص ٣٢ ـ ٣٣. وانظر لمسألة استقبال القبر في الصلاة مع استدبار الكعبة: الاقتضاء ص٢١٨.

(٢) الفتاوىٰ ١/ ١٠٧. ٢/ ١٩٢. وانظر أقوال الأئمة الأربعة في ذلك في كتاب تحذير الساجد ص٤٨.

يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ لعن فاعله»[١].

* أحكام وفوائد:

١. حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر أو الصلاة بين القبور[٢]:

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «تُكره الصلاة في المقابر من غير خلاف أعلمه، وتحرم في مذهب الإمام أحمد ولا تصح في ظاهر المذهب، وعليه جمهور الحنابلة وبه يفتى لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام»[٣]»[٤].

وقال الألباني رحمه الله: «وقد دل الحديث وما ذكر معه على كراهة الصلاة في المقبرة. وهي للتحريم لظاهر النهي في بعضها، وذهب بعض العلماء إلى بطلان الصلاة فيها لأن النهي يدل على فساد المنهي عنه. وهو قول ابن حزم، واختاره شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ، والشوكاني في نيل الأوطار[٥]. وروى ابنُ حَزْمٍ[٦] عن الإمام أحمد أنه قال: من صلى في مقبرة أو إلى قبر أعاد أبداً... قال الألباني بعد ذلك: ... ثم إن كراهة الصلاة في المقبرة تشمل كل مكان منها سواء كان القبر أمام المصلي أو خلفه أو عن يمينه، أو عن يساره. لأن النهي مطلق. ومن المقرر في علم الأصول أن المطلق يجري على إطلاقه حتى يأتي ما يقيده، ولم يرد هنا شيء من ذلك، وقد صرح بما ذكرنا بعض فقهاء

---

(١) الزواجر ١/ ١٢٠، ١٢١.

(٢) انظر فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٦٧، ٢٧٥. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٥٨، ٧٥٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٣٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر الجواب الباهر ص ٢٦.

(٥) نيل الأوطار ٢/ ١١٢.

(٦) المحلى ٤/ ٢٧ ـ ٢٨.

الحنفية وغيرهم كما يأتي، فقال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ[١]: ولا تصح الصلاة في المقبرة ولا إليها، والنهي عن ذلك إنما هو سد لذريعة الشرك وذكر طائفة من أصحابنا أن القبر والقبرين لا يمنع من الصلاة، لأنه لا يتناول اسم المقبرة، وإنما المقبرة ثلاثة قبور فصاعدا. وليس في كلام أحمد وعامة أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم وتعليلهم واستدلالهم يوجب منع الصلاة عِنْدَ قبر واحد من القبور، وهو الصواب. والمقبرة كل ما قبر فيه، لا أنه جمع قبر. وقال أصحابنا: وكل ما دخل في اسم المقبرة مما حول القبور لا يصلى فيه، فهذا يعين أن المنع يكون متناولا لحرمة القبر المنفرد وفنائه المضاف إليه. وذكر الآمدي وغيره أنه لا تجوز الصلاة فيه أي المسجد الذي قبلته إلى القبر حتى يكون بين الحائط وبين المقبرة حائل آخر. وذكر بعضهم: هذا منصوص أحمد»[٢].

وسوف يأتي زيادة إيضاح عن حكم الصلاة في المساجد المبنية على القبور في باب (الـمَشاهِد) تحت عنوان حكم الصلاة في المشاهد.

❖ **مسألة:**

استثني من ذلك الصلاة على الجنازة لفعل النبي ﷺ على المرأة السوداء. ومذهب بعض الفقهاء أنه يمتد إلى شهر، لفعل النبي ﷺ حيث صلى على قبر أم سعد بعد ما قدم من سفر وقد مضى شهر[٣].

قال نافع مولى ابن عمر: «صلينا على عائشة وأم سلمة وسط البقيع والإمام يومئذ أبو هريرة وحضر ذلك ابن عمر»[٤].

---

(١) الاختيارات العلمية ص ٣٥.

(٢) أحكام الجنائز ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) سنن الترمذي (١٠٣٧).

(٤) سنن البيهقي ٢/ ٤٣٥، مصنف عبدالرزاق ١/ ٤٠٧.

قال ابن المنذر: «وصلى الحسن البصري في المقابر»(١).

والمقصود أنه صلى على جنازة، فإنه قد روي عنه أنه أمر بهدم المساجد المبنية في المقابر.

٢. الحكمة في النهي عن الصلاة في المقبرة أو بين القبور:

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «والنهي عن ذلك إنما هو سَدٌّ لذريعة الشرك»(٢).

ونقل عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان فقال رحمه الله: «قال شيخنا: وهذه العلة هي التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور، وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم لكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر؛ ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عِنْدَها ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عِنْدَها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد. كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد المصلي ما قصده المشركون سداً للذريعة. قال: «وأما إذا قصد الرجل الصلاة عِنْدَ القبور متبركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة

---

(١) الأوسط لابن المنذر ٢/ ١٨٥.

(٢) الاختيارات العلمية ص ٢٥.

عِنْدَ القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد. فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عِنْدَها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه»[(١)].

وقال الأثرم: «إنما كُرهت الصلاة في المقبرة للتشبه بأهل الكتاب؛ لأنهم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»[(٢)].

وقال ابن القيم: «وأبلغ من هذا: أنه نهى عن الصلاة إلى القبر، فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة. فروى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها» وفي هذا إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة فيها لأجل النجاسة، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ وهو باطل من عدة أوجه:

* منها: أن الأحاديث كلها ليس فيها فرقٌ بين المقبرة الحديثة والمنبوشة، كما يقوله المعللون بالنجاسة.

* ومنها: أنه ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد. ومعلوم قطعا أن هذا ليس لأجل النجاسة. فإن ذلك لا يختص بقبور الأنبياء، ولأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، وليس للنجاسة عليها طريق البتة، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم، فهم في قبورهم طريّون»[(٣)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «بل العلة في ذلك الخوف على الأمة أن يقعوا فيما وقعت فيه اليهود والنصارى، وعباد اللات والعزى من الشرك، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٨٤، ١٨٥.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ١٨٩.

(٣) انظر للاستزادة إغاثة اللهفان ١/ ١٨٦.

قطعا أن هذا ليس لأجل النجاسة، لأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، فإن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجسادهم فهم في قبورهم طريون.

وقد لعن النبي ﷺ متخذي المساجد عليها وموقدي السرج عليها، ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما هو لعن فاعله، لكونه وسيلة إلىٰ تعظيمها وجعلها نصبا يوفض إليها المشركون كما هو الواقع، فهكذا اتخاذ المساجد عليها»[١].

وقال رحمه الله: «وممن علل بخوف الفتنة والشرك الشافعيُّ وأبو بكر الأثرم وأبو محمد المقدسي وشيخ الإسلام وغيرهم وهو الحق»[٢].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «ومعلوم أن من صلّىٰ عِنْدَ قبر فقد اتخذه مسجدا، ومن بنىٰ عليه ليصلي فيه فقد اتخذه مسجداً، فالواجب أن تبعد القبور عن المساجد وألا يجعل فيها قبور امتثالاً لأمر الرسول ﷺ وحذرا من اللعنة التي صدرت من ربنا عز وجل لمن بنىٰ المساجد علىٰ القبور، لأنه إذا صلىٰ في مسجد فيه قبور قد يزين لـه الشيطان دعوة الميت، أو الاستغاثة به، أو الصلاة له، أو السجود لـه، فيقع في الشرك الأكبر، ولأن هذا من عمل اليهود والنصارىٰ، فوجب أن نخالفهم وأن نبتعد عن طريقهم وعن عملهم السيئ والله ولي التوفيق»[٣].

٣. حكم الصلاة في الكنيسة[٤]:

تقدم حديث أم سلمة حين ذكرت لرسول الله الكنيسة بأرض الحبشة وما رأت فيها من الصور فقال رسول الله ﷺ: «أولئِكِ إذا مات فيهم العبد الصالح بنوا علىٰ قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئكِ شرار الخلق عند الله»[٥].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٢٩.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣٣٠.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص ٧٦٠ .

(٤) المحلىٰ لابن حزم ٢/ ٣٩٩، ٣/ ١٠٠.

(٥) سبق تخريجه.

وبوب عليه البخاري: «باب الصلاة في البيعة، وقال عمر: إنا لا ندخل كنائسهم من أجل التماثيل التي فيها الصور. وكان ابن عباس يصلي في البيعة إلا بيعةً فيها تماثيل»[(١)].

وقد رخص سفيان في الصلاة في البيعة إذا لم يكن فيها تماثيل، وكره مالك الصلاة في البيع والكنائس لنجاستها في أقدامهم ولما فيها من الصور، وقال:«لا ينزل بها إلا من ضرورة»[(٢)].

قال ابن رجب: «ورخص أكثر أصحابنا في دخول ما ليس فيه صورة منها، والصلاة فيها، وكرهه بعضهم، منهم: ابن عقيل»[(٣)].

وحكى ابن المنذر وغيره الرخصة في الصلاة في البيعة التي فيها صور منهم أبو موسى، والحسن، والشعبي، والنخعي، وعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز[(٤)]، والراجح أنه لا بأس بالصلاة في الكنيسة لكن يحمل على ما روي عن عمر رضي الله عنه وهو ألا يكون فيها صور وتماثيل.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «ما بالنسبة للصلاة في الكنيسة فإن الصلاة تخالف صلاة أهل الكنيسة فلا يكون الإنسان متشبهاً بهذا العمل بخلاف الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، فإن الفعل واحد بنوعه وجنسه؛ ولهذا لو أراد إنسان أن يصلي في مكان يذبح فيه لغير الله لجاز ذلك لأنه ليس من نوع العبادة التي يفعلها المشركون في هذا المكان»[(٥)].

ولا يقال بكراهة الصلاة في الكنيسة لأنها محل الكفر.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب رقم (٥٤) انظر فتح الباري لابن رجب ٢/ ٤٣٦.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن رجب.

(٣) فتح الباري لابن رجب ٢/ ٤٣٦.

(٤) فتح الباري لابن رجب ٢/ ٤٣٧.

(٥) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٣٥. وانظر القول المفيد ط١-١/ ٢٤٢.

قال ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: «فإن قيل: تكره ـ أي الصلاة في الكنائس ـ لكونها محل كفر. قيل: الصلاة في محل الكفر بمنزلة فتح دار الكفر وجعلها دار إسلام وبمنزلة صلاة المسلمين في دار الحرب وقد أمر النبي ﷺ ثقيفاً أن يتخذوا مسجدهم موضع بيت اللات بعد هدم اللات»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله: «فإن قيل: لِمَ جعل محل اللات بالطائف مسجداً؟ قيل: لو ترك هذا المحل بهذه البلدة خشي أن يُفتتن به، فيرجع إلى جعله وثنا فجعلُه مسجداً والحالة هذه يُنسي ما كان يفعل فيه ويذهب به أثر الشرك فاختص هذا المحل لهذه العلة، وهي قوة المعارض»[(٢)].

أما حكم زيارة الكنيسة فالمنصوص عن أحمد في ذلك كراهة دخولها في مجامعهم وأعيادهم. وقال شيخ الإسلام: «وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارى فمنهيٌّ عنها، فمن زار مكاناً من هذه الأمكنة معتقداً أن زيارته مستحبة، والعبادة فيه أفضل من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل»[(٣)].

٥- احترام أسماء الله الحسنى*

[توحيد الأسماء والصفات]

(١) الرد على البكري ٥٧٠، ٥٧١.

(٢) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ١٠٥.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤).

* تيسير العزيز الحميد ص٦٢٣. فتح المجيد ص٥٠٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣١٦. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ١٢، ٧٢. ط٢ - ٣/ ١٥. ومن المجموع ١٠/ ٨٤١. معارج القبول ١/ ٦٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٩٥.

٦- الإحداد على الزعماء والوجهاء

قال النووي رحمه الله: «الإحداد: من الحد وهو المنع؛ لأن المرأة تُمنع الزينة»[١] فهي تحد على زوجها إذا حزنت عليه ولبست ثياب الحزن وتركت الزينة[٢].

والمقصود هنا الكلام عما يفعله بعض الناس من الوقوف زمناً مع الصمت تحية للشهداء والوجهاء أو تشريفاً أو تكريماً لأرحامهم. انظر باب التعظيم.

٧- الإحسان*

الإحسان لغة: يقال أحسن إذا فعل ما هو حسن، وهو كل مبهج مرغوب فيه[٣].

قال الراغب: «والإحسان يُقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يُقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله»[٤].

يقال: حسَّن الشيءَ تحسيناً أي زيَّنه، وأحسن عمله إذا أتقنه وأتمه وأجاد صنعه[١].

---

(١) تحرير ألفاظ التنبيه ص٢٨٥.

(٢) ينظر: النهاية لابن الأثير ١/ ٣٥٢.

والمقصود هنا الكلام عن ما يفعله بعض الناس من الوقوف زمناً مع الصمت تحية للشهداء والوجهاء، أو تشريفاً أو تكريماً لأرواحهم. انظر: باب التعظيم.

* مجموع الفتاوى ٧/ ٦٢٢. شرح النووي ١/ ١٥٨، مدارج السالكين ٢/ ٤٧٨، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٤. فتح الباري لابن رجب ١/ ٢١١. الفتح ١/ ١٤٧. حاشية الأصول الثلاثة ص ٦٥. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ٢١٤. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ١١٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ١٠٦. معارج القبول ٢/ ٣٣، ٢/ ٣٢٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٦٦٣. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ٢١٦.

(٣) المفردات (ح س ن)، المعجم الوجيز (ح س ن).

(٤) المفردات (ح س ن).

والإحسان شرعاً: بيَّنه النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب: «الإحسان هو: أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته؛ فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة»[(٣)].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

وقال عز من قائل: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَـٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَـٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠].

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزاً يَوْماً لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رجلٌ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ» قَالَ: مَا الإِسْلامُ؟ قَالَ: «الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتْ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا اللهُ» ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»[(٤)].

---

(١) مختار الصحاح (ح س ن)، المعجم الوجيز (ح س ن).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٩).
(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٦.
(٤) أخرجه البخاري (٥٠) (٤٧٧٧) ومسلم (٩١).

أقوال العلماء:

قال النووي: «فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياءً منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلانيته»[(١)].

وقال الحافظ ابن رجب: «وقوله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه ...» إلخ يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «أن تخشى الله كأنك تراه» ويوجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها، وقد وصى النبي ﷺ جماعة من الصحابة بهذه الوصية»[(٢)].

قال ابن القيم: «وهي لب الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منطوية فيها»[(٣)].

❁ أحكام وفوائد:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والدين يجمع هذه المسميات الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان كما في حديث جبريل حين جاء إلى النبي ﷺ بحضرة أصحابه وسأله عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، وبَيَّن النبي ﷺ كل واحد منها ثم قال: «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم»، فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة.

لكن هو درجات ثلاث: مسلم ثم مؤمن ثم محسن، فأولها الإسلام، وأوسطها

(١) شرح النووي ١/ ١٥٨.
(٢) جامع العلوم والحكم ص ٣٣.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤٥٩.

الإيمان، وأعلاها الإحسان»[(١)].

٢- ذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ أن للإحسان مقامين فقال:

(أحدهما: مقام الإخلاص: وهو أن يعمل العبدُ على استحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه، وقُربه منه، فإذا استحضر العبدُ هذا في عمله، وعمل عليه، فهو مخلصٌ لله؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

والثاني: مقام المشاهدة: وهو أن يعمل العبدُ على مقتضى مشاهدته لله بقلبه، وهو أن يتنوَّر القلبُ بالإيمان، وتنفُذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان.

وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويتفاوت أهلُ هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصائر»[(٢)].

٣- بين الإسلام والإيمان والإحسان عموم وخصوص:

الإسلام والإيمان إذا ذُكر أحدهما مفرداً دخل فيه الآخر، فلا فرق بينهما حينئذ، وإذا ذُكرا جميعاً صار لكل واحد منهما معنىً يختلف عن الآخر، كما جاء ذلك في حديث جبريل حيث فرق بينهما ففسر الإسلام: بأعمال الجوارح وهي الأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة، وفسر الإيمان: بأعمال القلب، وهي الأعمال الباطنة من تصديق القلب وإقراره ومعرفته بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأما ما بين هذه الثلاثة من عموم وخصوص، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإحسان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٠ بتصرف.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٩.

من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين»[(١)].

قال ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل ما أطلق الإحسان، فإنه يدخل فيه الإيمان، والإسلام، فإن الإسلام والإيمان والإحسان دوائر، أوسعها دائرة الإسلام، ثم يليها في السعة الإيمان، ثم أضيقها الإحسان، كدوائر، كل واحدة منها محيطة بالأخرىٰ.

ومعلوم: أن من كان في دائرة الإحسان، فهو داخل في الإسلام والإيمان وإذا خرج عن الأولىٰ، فهو داخل في الثانية، وهي دائرة الإيمان، وإذا خرج عنها فهو داخل في الثالثة. وهي دائرة الإسلام، ومن خرج عن هذه الدوائر الثلاث، فهو خارج إلىٰ غضب الله وعقابه، وداخل في دوائر الشيطان، والعياذ بالله.

فظهر بالتمثيل بهذه الدوائر: صحة قول من قال، كل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا محسناً، فلا يلزم من دخوله في الإسلام، أن يكون داخلا في الإحسان والإيمان، وليس المراد: أن من لم يكن في الإحسان، والإيمان، أن يكون كافراً، بل يكون مسلماً، ومعه من الإيمان ما يصحح إسلامه، لكن لا يكون مؤمناً الإيمان الكامل، الذي يستحق أن يثنىٰ عليه به، فإنه لو كان مؤمناً الإيمان الكامل، لمنعه من المعاصي والمحرمات.

وقيل للنبي ﷺ: أعطيتهم وتركت فلاناً، وهو مؤمن. فقال: «أو مسلم».

وقال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» الحديث.

(١) انظر مجموع الفتاوىٰ ٧/ ١٠.

وقال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه» فالنصوص ما نفت عنهم الإسلام، بل أثبتت لهم أحكام الإسلام من عصمة الدم، وإذا ماتوا، غُسّلوا وكُفّنوا وصُلّي عليهم. فأهل الإحسان، هم خواص أهل الإيمان، كما أن أهل الإيمان هم خواص، أهل الإسلام. فإن أهل الإحسان: كملوا عبادة الله، إلى أن وصلوا إلى حد المراقبة»[١].

ولمزيد من التفصيل انظر باب (الإسلام) فقد توسعت فيه في ذكر الفرق بين الإسلام والإيمان.

٨- الأحوال التي تجري على يد السحرة والكهان

[الكهانة ـ السحر]

ونقصد بذلك التفريق بين الكرامة والأحوال الشيطانية، وهذه الأخيرة ينخدع بها كثير ممن يستغيث بغير الله فيستنجد بالمقبور ويستغيث بالقبور كما ينخدع بها من يصدق الكهان والسحرة والمشعوذين.

والحال الشيطانية تكون على يد السحرة والكهان وأمثالهم من الفجرة[٢] فهم أولياء الشيطان وجنوده وأنصاره.

وسوف نفصل ما أجملناه هنا عند الكلام عن الفرق بينها وبين الكرامة. انظر باب (الكرامة).

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص٦٥، ٦٦.

(٢) النبوات ص٤.

٩- الإخـــلاص*

[لا إله إلا الله ـ الرياء]

الإخلاص في اللغة: التصفية والتنقية.

قال ابن فارس: «خَلَصَ: الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد وهو: تنقية الشيء وتهذيبه»[(١)].

وقال الجوهري: «خَلَصَ الشيء بالفتح، يَخْلُصُ خُلُوصاً، أي: صار خالصًا، وخلَصَ إليه الشيء: وصل، وخَلَصْتُه من كذا تخليصاً، أي: نحيته فتخلص، وخلاصة السمن بالضم: ما خلص منه.

والإخلاص أيضًا في الطاعة: ترك الرياء. وخالصه في العشرة أي: صافاه وهذا الشيء خالصة لك، أي: خاصة»[(٢)].

ويسمى الفعل المخلص: إخلاصاً، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا﴾ [النحل: ٦٦].

---

* الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٣٥٨. شعب الإيمان للبيهقي ١٢/ ٢٤٠، ٢٤١. قواعد الأحكام للعز ابن عبد السلام١/ ١٢٣. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٣٥. التحفة العراقية ص٢٦، ٦٥. مختصر منهاج القاصدين ص ٣٩٨. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٦٠. مدارج السالكين ٢/ ٩٣. تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب. ذم الرياء. تحقيق د. محمد باكريم.غذاء الألباب ٢/ ٥٢٠. الدين الخالص لصديق حسن قنوجي ٢/ ٣٠٨. معارج القبول ١/ ٣١١. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص ١٧. نور على الدرب ص٣٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٩٨ ـ ٧/ ١١٢. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٩، ٧٢. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ص١٥٨. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص١٥٨، ١٩٢. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١/ ١٧ الإخلاص حسين عوايشة.

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٨.

(٢) الصحاح ٣/ ١٠٣٧.

وخلوص اللبن ألاّ يكون فيه شوب من الفرث والدم[(١)].

الإخلاص في الشرع: تخليص العبادة وتصفيتها من شائبة الشرك والرياء.

قال الراغب الأصبهاني: «فحقيقة الإخلاص التبري عن كل ما دون الله تعالىٰ»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الإخلاص هو التنقية، والمراد به هنا أن يقصد المرء وجه الله ﷻ والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا مَلَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]»[(٣)].

❊ **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢،٣]. وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:١٤،١٥] وقال له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢،١٦٣].

❊ **الدليل من السنة:** عَنْ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[(٤)].

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٨.

(٢) المفردات ص٢٩٣.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٣١.

(٤) أخرجه البخاري في أول صحيحه رقم (١) كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ومسلم رقم (١٩٠٧).

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت به خيراً ودرجة ورفعة»[(١)].

وسُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل رياء ويقاتل شجاعة ويقاتل حمية أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[(٢)].

قال ﷺ: «ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فُتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر»[(٣)].

وأخبر الرسول ﷺ عن أول ثلاثة تُسعر بهم النار: «قارئ القرآن والمجاهر والمتصدق بماله» الذين فعلوا ذلك ليقال فلان قارئ فلان شجاع فلان متصدق ولم تكن أعمالهم خالصة لله[(٤)].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[(٥)].

وفي الصحيح عنه ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[(٦)].

* أقوال بعض السلف:

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه «من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس».

---

(١) البخاري (٤٤٠٩)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣٣) قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

وقال بعضهم: «الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله ولا مجازيا سواه».

وقال مكحول: «ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[(١)].

وقال أبو سليمان الداراني: «إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء»[(٢)].

* أحكام وفوائد:

١. حكم الإخلاص:

العمل لا يُقبل إلا بشرطين أساسيين:

* أحدهما: الإخلاص.

* الثاني: المتابعة.

فالإخلاص: هو أحد شرطي قبول العمل، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]. وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى

---

(١) قال شيخ الإسلام: «حكي أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يوماً، فلم يتفجر شيء فذكرت ذلك لبعض العارفين. فقال لي: إنما أخلصت للحكمة ولم تخلص لله. ثم قال شيخ الإسلام: وذلك لأن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة، أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس لـه ومدحهم إياه أو غيره من المطالب قد عرف أن ذلك يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص وإرادة وجهه كان متناقضاً، لأن من أراد شيئاً لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته والأول يُراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص لله ليصير عالماً أو عارفاً أو ذا حكمة، أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك، فهو هنا لم يُرد اللهَ، بل جعل الله وسيلة إلى ذلك المطلوب الأدنى» درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٦٦.

(٢) انظر هذه الأقوال في مدارج السالكين ٢/ ٩٣، ٩٤.

بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:١،٢].

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: «أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة»[(١)].

ويقول شيخ الإسلام: «وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان:

أحدهما: ألا نعبد إلا الله.

والثاني: ألا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾»[(٢)].

وبهذا يتبين أن الإخلاص والمتابعة شرطان لصحة العمل وقبوله.

قال العز بن عبد السلام: «وكذلك إخلاص العبادة شرط في أولها»[(٣)].

وقال الزبيدي: «واعلم ـ وفقك الله تعالى ـ أن الإخلاص شرط في سائر العبادات»[(٤)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٩٥.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٣٣.
(٣) قواعد الأحكام ص ١٧٦.
(٤) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١٠/ ٤٩.
(٥) فتح المجيد ص ٣٢٩.

٢. منزلة الإخلاص وفضله:

للإخلاص منزلةٌ عالية في الشرع، وجاءت الآيات والأحاديث والآثار بالحث عليه والترغيب فيه وبيان فضله، فهو للعمل بمنزلة الأساس للبنيان، وبمنزلة الروح للجسد، فكما أنه لا يستقر البناء ولا يتمكن من الانتفاع منه إلا بتقوية أساسه وتعاهده من أن يعتريه خلل فكذلك العمل بدون الإخلاص، وكما أن حياة البدن بالروح فحياة العمل وتحصيل ثمراته بمصاحبته وملازمته للإخلاص، وقد أوضح الله ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة:١٠٩]، ولما كانت أعمال الكفار التي عملوها عارية من توحيد الله وإخلاص العمل له سبحانه جعل وجودها كعدمها فقال: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣][(١)].

وقد ذكر الشيخ تقي الدين رحمه الله: «أن الحسنة تعظم ويكثر ثوابها بزيادة الإيمان والإخلاص حتى تقابل جميع الذنوب»[(٢)].

ومن ثمرات الإخلاص: أنه يحرر العبد من عبودية غير الله فيكون عمله كله لله فينصرف عن كل مراد لنفسه أو للشيطان ويصبح همُّه إرضاء ربه.

قال ابن تيمية: «وإذا كان العبد مخلصاً لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإن فيه طلباً وإرادة وحباً مطلقاً فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مر بعطفه أماله.

(١) انظر كتاب الإخلاص والإحسان، للشيخ عبدالمحسن العباد، ص٣-٤.

(٢) الآداب الشرعية ١/ ١٥٦.

فتارة تجذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقىٰ أسيراً عبداً لمن لو اتخذه عبداً له كان ذلك نقصاً وعيباً وذماً.

وتارة يجذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق.

وتارة يستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه، ويتبع هواه بغير هدىً من الله.

ومن لم يكن مخلصاً لله عبداً له قد صار قلبه مستعبداً لربه وحده لا شريك له بحيث يكون هو أحب مما سواه، ويكون ذليلاً خاضعاً له وإلا استعبدته الكائنات، واستولت علىٰ قلبه الشياطين، وكان من الغاوين إخوان الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه»[(١)].

ومن ثمرات الإخلاص: «نصر الأمة ورفع المنزلة في الآخرة والإنقاذ من الضلال في الدنيا وسبب لزيادة الهدىٰ الناس ووضع القبول لـه في الأرض وتفريج كروب الدنيا وحسن الخاتمة واستجابة الدعاء وغير هذا كثير»[(٢)].

١٠- أذى الرسول ﷺ أو عيبه *

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١].

وسوف يأتي الكلام عنه في باب (سب الرسول ﷺ).

(١) كتاب العبادة ص ٤٢، ٤٣.
(٢) الإخلاص، لحسين عوايشة، ص ٦٤.
* الفروق للقرافي ٣/ ٢٢. وانظر أيضاً: الموافقات للشاطبي ٢/ ٣٥٨، ٣٧٩، وقواعد الأحكام للعز ابن عبدالسلام ١/ ١١٧.

١١- إرادة الإنسان بعمله الدنيا*

[الريــــاء]

المراد من هذا الباب أن الإنسان أراد بعمله الذي شرع للآخرة طمع الدنيا كأن يجاهد من أجل المغنم أو يتعلم من أجل الرئاسة والوظيفة، أو يحج من أجل المال.

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تعِسَ[(١)] عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ[(٢)]، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ[(٣)]، تعس

* تيسير العزيز الحميد ص٥٣٩. فتح المجيد ص٤٣٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٦٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٨-٣٩. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٤١، ط٢- ٢/ ٢٩٣ ومن المجموع ١٠/ ٧١٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٨٦. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٢٠٧، ٢٠٩.

(١) دعاء بالهلاك.

(٢) ثوب خز وصوف معلم. وهذه أمثلة لمن أراد عرض الدنيا وليست مُقتصرة علىٰ الأمور المذكورة في الحديث.

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله (وهذه حال من أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال. وقد صف ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن منع سخط كما: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]. فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة، أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده، فهو عبده) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٤.

وَانتكَسَ[(١)]، وَإذا شيكَ فَلا انتَقَشَ[(٢)]، طُوبَىٰ[(٣)] لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذنَ لَمْ يُؤْذنْ لَهُ، وَإِنْ شَفعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[(٤)].

عن أبي كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسناء[(٥)] والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب»[(٦)].

وعن زيد بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الدنيا الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[(٧)].

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليباهي له العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار»[(٨)].

* أقوال السلف:

عن علي ﷺ أنه ذكر فتناً في آخر الزمان فقال له عمر: متى ذلك يا علي؟ قال: «إذا تُفقه لغير الدين، وتُعلّم العلم لغير العمل، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة»[(٩)].

---

(١) دعاء عليه بالخيبة. قال الطيبي: وفيه الترقي بالدعاء عليه لأنه إذا تعس انكب على وجهه فإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط (تيسير العزيز الحميد ص٥٤٣).

(٢) اذا أصابته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش.

(٣) اسم الجنة وقيل هي شجرة فيها، وقيل العيش الطيب.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٥) قال ابن الأثير: «أي بارتفاع المنزلة والقَدر عند الله تعالى» النهاية ٢/ ٤١٤.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢١٥٣٩) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٤٠٥)، والحاكم (٤/ ٣١٨) وصححه.

(٧) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥) واللفظ لـه، وأحمد (٢١٩٢٥)، والطبراني في الكبير (٤٨٩٠).

(٨) أخرجه ابن ماجه (٢٥٣). ورواه الترمذي من حديث كعب بن مالك وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٢٦٥٤)، والطبراني في الكبير ١٩/ ١٩٩.

(٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٦٠، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٦٧ .

وقال قتادة: «من كانت الدنيا همه ونيته وطُلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلىٰ الآخرة وليس لـه حسنة يُعطىٰ بها جزاء. وأما المؤمن فيجازىٰ بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة»[(١)].

*** حكم إرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا:**

قال ابن سعدي رحمه الله: «وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل علىٰ هذا الوصف لا يصدر من مؤمن فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمناً فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص وعمله ناقص لفقدان كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً ولكنه يأخذ علىٰ عمله جُعْلاً معلوماً يستعين به علىٰ العمل والدين كالجعالات التي تجعل علىٰ أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب علىٰ جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل علىٰ المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له مُعيناً علىٰ قيام الدين؛ ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءاً كبيراً لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة كما قد عرف تفاصيل ذلك، فهذا التفصيل يُبَيِّنُ لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن، ويوجب لك أن تنزل الأمور منازلها والله أعلم»[(٢)].

---

(١) ابن كثير ٢/ ٣٧٩.

(٢) القول السديد ص ١٠٩.

* أحكام وفوائد:

١. الفرق بين إرادة الإنسان بعمله الدنيا وبين الرياء:

الذي يظهر أن فقه هذا الباب غير فقه باب الرياء.

فتعريف الرياء: هو تحسين العبادة في الظاهر أو إظهارها أو الإخبار عنها بقصد رؤية الناس وكسب الثناء منهم.

أما إرادة الإنسان بعمله الدنيا فقد أراد بعمله الديني المنفعة الدنيوية. فهما مختلفان، وقد أفرد الإمام محمد بن عبدالوهاب المجدد لكل منهما باباً مستقلاً في كتاب التوحيد.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الإنسان يعمل رياءً يريد أن يُمدح في العبادة فيقال هو عابد ولا يريد النفع المادي، أما إذا أراد بعمله الدنيا فهو لا يريد أن يُمدح بعبادته ولا يريد المراءاة بل يعبد الله مخلصاً له ولكنه يريد شيئاً من الدنيا؛ كالمال، والمرتبة، والصحة في نفسه وأهله وولده وما أشبه ذلك فهو يريد بعمله نفعاً في الدنيا غافلاً عن ثواب الآخرة»(١).

٢. صور من إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

ذكر الشيخ ابن عثيمين صوراً من إرادة الإنسان بعمله الدنيا فقال:

«١ ـ أن يريد المال كمن أذّن ليأخذ راتب المؤذن أو حج ليأخذ المال.

٢ ـ أن يريد المرتبة كمن تعلم في كلية ليأخذ الشهادة فترتفع مرتبته

٣ ـ أن يريد دفع الأذى والأمراض والآفات عنه كمن تعبد لله كي يجزيه الله بهذا في الدنيا بمحبة الخلق له، ودفع السوء عنه وما أشبه ذلك.

٤ ـ أن يتعبد لله يريد صرف وجوه الناس إليه بالمحبة والتقدير وهناك أمثلة كثيرة»(٢).

---

(١) بتصرف من مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧١٨، ١/ ٩٨. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢٤٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧١٩. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢٤٣.

٣. الأعمال التي رتب عليها الشارع ثواباً دنيوياً:

ومثال ذلك قوله ﷺ: «من أحب أن يبسط لـه في رزقه وينسأ لـه في أثره فليصل رحمه»، وقوله ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سَلَبُه» ونحو ذلك. فهذا إذا استحضر ثواب الآخرة وسعى لها ورغب إليها واستحضر ثواب الدنيا ولم يقتصر عليها بل كان قلبه معلقاً بالآخرة فلا بأس بذلك مع العلم بأن الأفضل استحضار ثواب الآخرة فقط؛ لأن الشارع إنما رتب الثواب الدنيوي لجواز قصده.

وإن لم يرتب الشارع لها ثواباً دنيوياً ولم يرغب فيه فقصد ثواب الدنيا محرم وشرك بالله وهذه المسائل كثيرة، وصورها لا يتأتى حصرها في مثل هذا، والأمر كما قال ابن القيم رحمه الله: «وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]»[(١)].

فينبغي للعبد أن يكون مخلصاً لله، مريداً بعمله وجه الله حتى يغنم الأجرين في الدارين؛ لأن من أراد الله والآخرة جمع الله له ثواب الدنيا والآخرة، ولا يلتفت إلىٰ تحصيل الدنيا، وقد جاءت الأحاديث محذرة من ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء، عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[(٢)].

---

(١) الجواب الكافي ٢٠٠.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

وعن أبي أمامة ﵁ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: أرأيتَ رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ قال رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مرات يقول له الرسول ﷺ: «لا شيء له». ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه»[1].

٤- بعض الناس عِنْدَما يتكلمون علىٰ فوائد العبادات يحولونها إلىٰ فوائد دنيوية، فمثلاً يقولون في الصلاة رياضة وإفادة للأعصاب، وفي الصيام فائدة لإزالة الفضلات وترتيب الوجبات، والمفروض ألا تجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل؛ لأن ذلك يؤدي إلىٰ إضعاف الإخلاص والغفلة عن إرادة الآخرة، ولذلك بَيَّنَ اللهُ تعالىٰ في كتابه عن حكمة الصوم مثلاً أنه سبب للتقوىٰ، فالفوائد الدينية هي الأصل، والدنيوية ثانوية[2].

٥- سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين ﵀ السؤال التالي: يتحرج بعض طلبة العلم الشرعي عِنْدَ قصدهم العلم والشهادة فكيف يتخلص طالب العلم من هذا الحرج؟

فأجاب بقوله: «يُجاب عن ذلك بأمور:

أحدها: أن لا يقصدوا بذلك الشهادة لذاتها، بل يتخذون هذه الشهادات وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق؛ لأن الأعمال في الوقت الحاضر مبنية علىٰ الشهادات، والناس لا يستطيعون الوصول إلىٰ منفعة الخلق إلا بهذه الوسيلة وبذلك تكون النية سليمة.

الثاني: أن من أراد العلم قد لا يجده إلا في هذه الكليات فيدخل فيها بنية طلب العلم ولا يؤثر عليه ما يحصل له من الشهادة فيما بعد.

---

(١) أخرجه النسائي (٣١٤٢) والطبراني (٧٦٢٨)، قال الحافظ في الفتح: إسناده جيد ٦/ ٢٨، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء ٤/ ٣٨٤.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ٢٠٨، ١٠/ ٧٢١، وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٢/ ٢٤٥.

الثالث: أن الإنسان إذا أراد بعمله الحسنيين حسنىٰ الدنيا، وحسنىٰ الآخرة فلا شيء عليه في ذلك لأن الله يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢،٣] وهذا ترغيب في التقوىٰ بأمر دنيوي»[(١)].

٦- بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ أن من طلب العلم أو غيره مما هو خير في نفسه لما فيه من المحبة له لا لله ولا لغيره من الشركاء فليس مذموماً بل قد يثاب بأنواع من الثواب، إما بزيادة فيها وفي أمثالها فيتنعم بذلك في الدنيا ولو كان فعل كل حسن لم يفعل لله مذموماً لما أطعم الكافر بحسناته في الدنيا؛ لأنها تكون سيئات، وقد يكون من فوائد ذلك وثوابه في الدنيا أن يهديه الله إلىٰ أن يتقرب بها إليه وهذا معنىٰ قول بعضهم: «طلبنا العلم لغير الله فأبىٰ أن يكون إلا لله» وقول آخر: «طلبهم له نية». يعني نفس طلبهم حسن ينفعهم، وهذا قيل في العلم لأنه الدليل المرشد فإذا طلبه بالمحبة وحصَّله عرّفه الإخلاص، فالإخلاص لا يقع إلا بالعلم فلو كان طلبه لا يكون إلا بالإخلاص لزم الدور[(٢)].

٧- قال الألوسي في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]: «وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما أن آية الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨] نسخت آية هود»[(٣)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «نسختها أي: قيدتها وخصصتها، فإن السلف كانوا يسمون التقييد والتخصيص نسخاً، وإلا فالآية محكمة»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ٢٠٧، ٢٠٨.
(٢) مستفاد من كتاب غذاء الألباب ٢/ ٥٢٠.
(٣) روح المعاني ٦/ ٢٢٦.
(٤) تيسير العزيز الحميد ص٥٣٩.

قال أنس بن مالك والحسن: «نزلت في اليهود والنصارىٰ»[(١)].

وقال غيرهم: «هذا في الكفار»[(٢)].

*** وهنا يرد إشكالان:**

الأول: دلالة الآية في الكفار الأصليين فكيف تذكر في حق المسلمين؟.

الثاني: أنها لو كانت في المسلمين لاقتضى تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار[(٣)].

ويجاب عن الإشكال الأول: بأن السلف ورد عنهم أيضاً أنهم أدخلوا أصنافاً من المسلمين في هذه الآية فقال مجاهد في تفسيرها: «هم أهل الرياء»[(٤)].

وقال البغوي: «نزلت في كل من عمل عملاً يريد به غير الله ﷻ»[(٥)].

وفي التيسير: «قال الضحاك: «من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوىٰ، عجل له ثواب عمله في الدنيا، واختاره الفراء»، قال ابن القيم: «وهذا القول أرجح». ومعنى الآية على هذا: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها»[(٦)].

فهذه الآية وإن نزلت في الكفار فإن بعض المؤمنين اشتركوا معهم في وصفهم فأصبح الحكم واحداً، ومن هنا ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذه الآية في باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية نزلت في الكفار ولكن لفظها يشمل كل من أراد الدنيا بعمله الصالح من غير الكفار وهي في حق المسلم

---

(١) ابن كثير ٤/ ٣١٠.

(٢) البغوي ٤/ ١٦٦، والطبري ١٥/ ٢٦٥.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٥٤٠.

(٤) البغوي ٤/ ١٦٦، وابن كثير ٤/ ٣١٠.

(٥) البغوي ٤/ ١٦٥.

(٦) تيسير العزيز الحميد ٥٣٩.

لا تقتضي تخليده في النار، قال الإمام ابن القيم مجيباً عن هذا الإشكال: «إن الله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها، وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه، فإذا أحبط ما ينجو به وبطل، لم يبق معه ما ينجيه. فإن كان معه إيمان لم يرد به الحياة الدنيا وزينتها، بل أراد به الله والدار الآخرة، لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل. ونجاة هذا الإيمان من الخلود في النار، وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة. فالإيمان إيمانان:

إيمانٌ: يمنع دخول النار، وهو الإيمان الباعث على أن تكون الأعمال لله وحده يبتغي بها وجهه وثوابه.

وإيمانٌ: يمنع الخلود في النار، فإن كان مع المرائي شيء منه، وإلا كان من أهل الخلود. فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد»[(١)].

وقد سُئل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عن معنى هذه الآية فأجاب بما ملخصه: «ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصاً لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظه أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا همة له في طلب الجنة، والهرب من النار، فهذا يعطي ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عَبَّاسٍ.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يحج لمال يأخذه

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٠.

لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنم، فقد ذكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية. وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكتبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيراً، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم، لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا من أجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء؛ لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة، يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم فهذا النوع أيضا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره. وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت، لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]»[1].

١٢- الاسترقاء

هو طلب الرقية. وسيأتي الكلام عنه في باب (الرقى).

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٠، ٥٤١.

١٣- الاستسقاء بالأنواء*

الاستسقاء لغة: طلب السقيا ومجيء المطر.

والنوء: سقوط نجم من النازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته[(١)]. والنوء جمعه أنواء.

قال ابن الأثير: «ناء. يَنُوء نوءاً: أي نهض وطلع»[(٢)].

وفي قول الرسول ﷺ: «ولا نوء» يقول الإمام البغوي: «أراد به ما كانت العرب تنسب المطر إلى أنواء الكواكب الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر، وتقول: مطرنا بنوء كذا، فأبطل الشرع أن يكون بنوء النجم شيء إلا بإذن الله، كما أخبر الرسول ﷺ عن ربه ﷻ قال: «من قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكواكب»»[(٣)].

وقال النووي: «وأما النوء ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٦/ ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩١. شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ١٢/ ١٧٤. الاستذكار لابن عبد البر ٧/ ١٥٣، ١٥٩. تيسير العزيز الحميد ص٤٥٧. فتح المجيد ص٣٦٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٢٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٢/ ١١٥ط٢-٢/ ١٤١ ومن المجموع ١٠/ ٥٩٧. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ١٩٢. شرح مسائل الجاهلية ص١٣٣. معارج القبول ٢/ ٣١٣. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٧٨. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٧٢. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة ـ العلوي ص٢٧٥. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٨٢. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢١٣.

(١) الصحاح ١/ ٧٩.

(٢) النهاية ٥/ ١٢٢.

(٣) شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي: ١٢/ ١٧٤.

ناء النجم ينوء نوءا، أي سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع.

وبيان ذلك: أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته.

وكان أهل الجاهلية إذا كان عِنْدَ ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما، وقال الأصمعي: «إلى الطالع منهما»، قال أبو عبيد: «ولم أسمع أحدا ينسب النوء للسقوط إلا في هذا الموضع، ثم إن النجم نفسه قد يسمى نوءا تسمية للفاعل بالمصدر». وقال أبو إسحاق الزجّاج في بعض أماليه: «الساقطة في المغرب هي الأنواء والطالعة في المشرق هي البوارج»»[(١)].

قال ابن الأثير: «وإنما يسمى نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناءَ الطالعُ بالمشرق. وقيل: أراد بالنوء الغروب وهو من الأضداد»[(٢)].

قال أبو بكر الرازي: «وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها. وقيل إلى الطالع منها لأنها في سلطانه»[(٣)].

والخلاصة أن الاستسقاء بالأنواء: يراد به نسبة الحوادث إليها نسبة إيجاد أو جعلها سببا لوجود الحوادث كالمطر والرياح والحر والبرد. والنسبة قد تكون إلى طلوع النجم أو غروبه على ما كانت الجاهلية تعتقده.

* **الدليل من الكتاب:** ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢][(٤)].

جاء عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٦٠ - ٦٣ بتصرف.

(٢) النهاية ٥/ ١٢٢.

(٣) مختار الصحاح باب (ن و ء) ٦٨٤.

(٤) وهذه الآية نزلت في الذين يقولون مطرنا بنوء كذا ولا ينسبونه إلى الله تعالى روي ذلك عن علي وقتادة والضحاك وهو قول جمهور المفسرين.

شكركم تقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا»[(١)].

* **الدليل من السنة:** عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى بنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ[(٢)] فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[(٣)].

جاء في صحيح مسلم عن ابن عَبَّاسٍ قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا»، قال فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥] حتى بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢][(٤)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر»[(٥)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ﷻ ليبيت القوم بالنعمة ثم يصبحون وأكثرهم كافرون يقولون مطرنا بنجم كذا وكذا»[(٦)].

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي في آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان»[(٧)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٥) وأحمد (٦٧٧).

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «المراد بالكفر هنا هو الأصغر بنسبة ذلك إلى غير الله وكفران نعمته، وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق للمطر المنزل له بدليل قوله في الحديث فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته إلى آخره، فلو كان المراد هو الأكبر، لقال: أنزل علينا المطر نوء كذا، فأتى بباء السببية ليدل على أنهم نسبوا وجود المطر إلى ما اعتقدوه سبباً» تيسير العزيز الحميد ٤٦٣.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٨) ومسلم (٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٧٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٢٠).

(٦) أخرجه أحمد (١٠٨١٣) والبيهقي ٣/ ٣٥٩.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير انظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٣) والسلسلة الصحيحة (١١٢٧).

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب[١]، والطعن في الأنساب[٢]، والاستسقاء بالنجوم والنياحة»[٣].

❖ **حكم الاستسقاء بالأنواء:**

ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء وهو من باب نسبة الفعل للكوكب وادعاء أنه هو الذي ينشئ السحاب ويأتي بالمطر وهذا كفر أكبر[٤] وكذلك من اعتقد أنها فاعلة له وحدها بما جعل الله فيها من القدرة على ذلك ثم تركها فهو كافر أيضاً؛ لأن الخلق والأمر لله وحده.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ما هو كفر بإجماع المسلمين وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين»[٥].

الثاني: أن يعتقد أن هذه الأنواء سبباً والله هو الخالق الفاعل وهذا شرك أصغر لأن كل من اعتقد سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره فهو مشرك شركا أصغر[٦].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «نسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: نسبة إيجاد وهذا شرك أكبر.

ثانياً: نسبة سبب وهذه شرك أصغر.

---

(١) وذلك على وجه التكبر والرفعة.

(٢) الطعن: العيب والتنقص والنسب المقصود به أهل الإنسان وقرابته والمراد الوقوع فيه بالذم والعيب.

(٣) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٤) انظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ١١٦ ومن المجموع ١٠/ ٥٩٧.

(٥) تيسير العزيز الحميد ٤٤٧.

(٦) انظر في ذلك: التمهيد ١٦/ ٢٨٦ وفتح الباري لابن رجب ٦/ ٣٣٧ والفتح لابن حجر ٢/ ٦٠٨ وشرح النووي ٢/ ٦٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ١١٦ ومن المجموع ١٠/ ٥٩٨.

ثالثاً: نسبة وقت وهذه جائزة بأن يريد بقوله مطرنا بنوء كذا أي جاءنا المطر في هذا النوء أي في وقته.

ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول «مطرنا بنوء كذا»، ويجوز «مطرنا في نوء كذا»، وفرقوا بينهما أن «الباء» للسببية و «في» للظرفية ... والحاصل أن الأقرب المنع ولو قصد الظرفية، لكن إذا كان المتكلم لا يعرف من الباء إلا الظرفية مُطلقا، ولا يظن أنها تأتي سببية، فهذا جائز، ومع ذلك فالأولىٰ أن يُقال لهم: قولوا: في نوء كذا»[(١)].

وقال الشافعي: «من قال مطرنا بنوء كذا علىٰ معنىٰ مطرنا في وقت كذا، فلا يكون كفرا، وغيره من الكلام أحب إليّ منه»[(٢)].

قال في جامع الأصول: «وإنما غلّظ النبي ﷺ في أمر الأنواء؛ لأن العرب كانت تنسب المطر إليها. فأما من جعل المطر من فعل الله ﷺ وأراد بقوله: «مطرنا بنوء كذا». أي: في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني. فإن ذلك جائز»[(٣)] فهذه نسبة وقت جائزة.

قال ابن الأثير: «أي أن الله قد أجرىٰ العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات»[(٤)].

*** تنبيهات:**

الأول: التغييرات الجوية مثل الحر والبرد وهبوب الرياح حكمها حكم نزول المطر الحكم واحد يجري عليها الأقسام التي ذكرنا.

الثاني: قال الشيخ ابن عثيمين: «يذكر في بعض كتب التوقيت «وقل أن يخلف نوؤه» أو «هذا نوؤه صادق» وهذا لا يجوز، وهو الذي أنكره الله ﷻ علىٰ عباده، وهذا شرك أصغر»[(٥)].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٦١٠، ٦١١. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ١٢٨.
(٢) انظر: الفتح ٢/ ٢٠٨. وانظر التيسير ٤٦٤.
(٣) جامع الأصول ٧/ ٦٣٩. وهو موجود في النهاية لابن الأثير ٥/ ١٢٢.
(٤) النهاية ٥/ ١٢٢.
(٥) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٦١١. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ١٢٩.

١٤- الاستشفاع بالله على خلقه*

تعريفه لغة: استشفع استشفاعاً بالشيء أي جعله شافعاً له والاستشفاع مأخوذ من الشفاعة وهي التوسط للغير بجلب منفعة له أو دفع مضرة عنه.

* **الدليل من السنة:** عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ جُهِدَتْ الأَنْفُسُ وَضَاعَتْ الْعِيَالُ وَنُهِكَتْ الأَمْوَالُ وَهَلَكَتْ الأَنْعَامُ فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا» وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ[١].

* أقوال العلماء:

قال السعدي رحمه الله: «وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالىٰ أعظم شأناً من أن يتوسل به إلىٰ خلقه. لأن رتبة المتوسَّل به غالبا دون رتبة المتوسَّل إليه. وذلك من سوء الأدب مع الله. فيتعين تركه. فإن الشفعاء لا يشفعون عِنْدَه إلا بإذنه»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الاستشفاع بالله علىٰ خلقه تنقص لله عز وجل لأنه جعل مرتبة الله أدنىٰ من مرتبة المشفوع إليه. إذ لو كان أعلىٰ مرتبة ما احتاج أن

* فتح المجيد ص٦٠٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٩٠. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٥٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٣/ ٢٦٩ ط٢- ٣/ ٣٣٨ ومن المجموع ١٠/ ١٠٩٤. الدين الخالص لصديق القنوجي ٢/ ١٧١.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧).

(٢) القول السديد ١٥٣.

يشفع عنده بل يأمره أمراً والله ﷻ لا يشفع لأحد من خلقه إلىٰ أحد لأنه أجل وأعظم من أن يكون شافعاً؛ ولهذا أنكر النبي ﷺ ذلك علىٰ الأعرابي، وهذا وجه وضع هذا الباب في كتاب التوحيد»[(١)].

* **فائـدة:** الذي أنكره الرسول ﷺمن الأعرابي قوله: «نستشفع بالله عليك» ومعناها أي نجعله واسطة بيننا وبينك كأنه قال: نطلب من الله أن يتوسط لنا عِنْدَ الرسول ﷺ وهذا يقتضي أنه جعل مرتبة الله في مرتبة أدنىٰ من مرتبة الرسول ﷺ، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما قوله: «إنا نستشفع بك علىٰ الله» فمعناه صحيح أي نطلب منك أن تكون شافعاً لنا عِنْدَ الله فتدعو الله لنا.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصا به ﷺ، بل كل حي صالح يُرجىٰ أن يُستجاب له فلا بأس أن يُطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك»[(٢)]. وأما الميت فإنه يشرع في حقه الدعاء لـه علىٰ جنازته وعلىٰ قبره وفي غير ذلك. وهذا هو الذي يشرع في حق الميت. وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة علىٰ النهي عنه والوعيد عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٩٤. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٢٧٣،٢٧٠.

(٢) أخرجه أبوداود في السنن (١٤٩٨)، والترمذي في الجامع (٣٥٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٣،١٤] فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة»[١].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «فإن قيل أليس قد قال النبي ﷺ: «من سأل بالله فأعطوه». وهذا دليل على جواز السؤال بالله؛ إذ لو لم يكن السؤال بالله جائزاً لم يكن إعطاء السائل واجباً؟

والجواب أن يقال: إن السؤال بالله لا يقتضي أن تكون مرتبة المسؤول به أدنى من مرتبة المسؤول بخلاف الاستشفاع، بل يدل على أن مرتبة المسؤول بـه عظيمة بحيث إذا سئل به أعطي.

على أن بعض العلماء قال: «من سألكم بالله» أي: من سألكم سؤالا بمقتضى شريعة الله فأعطوه، وليس المعنى من قال: أسألك بالله.

والمعنى الأول أصح، وقد ورد مثله في قول الملك: «أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن»»[٢].

(١) فتح المجيد ص٦٠٧، ٦٠٨.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٩٩. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢٧٣.

١٥- الاستعاذة*

لغة: الالتجاء والاعتصام والتحرز وحقيقتها الهرب من شيء تخافه إلىٰ من يعصمك منه. والعياذ بالله لرفع المكروه واللياذ: لطلب المحبوب قال الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به فيما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره[(١)]

شرعاً: قال ابن كثير: «الاستعاذة هي الالتجاء إلىٰ الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير»[(٢)].

وقال ابن القيم بعد أن أوضح معناها وأصل اشتقاقها: «وبعد فمعنىٰ الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات وإنما هي تمثيل وإشارة وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلىٰ الله والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل لديه أمر لا تحيط به العبارة»[(٣)] فالاستعاذة بالله عبادة لأنه وحده الذي يُحرِّزُ[(٤)] عبده

* التمهيد لابن عبد البر ٢١/ ٢٤١ . ٢٣/ ٢٩٥. ٢٤/ ١٨٦ شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ٥/ ١٥٥. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٨٨، ٧٩٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٨٩. مصنف عبد الرزاق ٥/ ٧٣، الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٩٢. تيسير العزيز الحميد ص٢١١. فتح المجيد ص١٨٧. حاشية التوحيد لابن قاسم ص ١١٠. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٢٥١ ط٢- ١/ ٣٢٣ ومن المجموع ٩/ ٢٤٤. شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٩. فتاوىٰ اللجنة ١/ ١٠٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٦٢. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ١٩٠.

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ٢١١، حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ٤٢. ومجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٤٤، ٢٤٥، ١٠/ ٨٠٤. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢٥٢، والبيت للمتنبي.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢١١، وفتح المجيد ص ٢٩٥.

(٣) بدائع الفوائد٢/ ٢٠٠.

(٤) الحِرْز: الموضع الحصين يقال: هذا حِرْزٌ، ويسمىٰ: التعويذ من كذا وتحرّز منه أي توقاه انظر مختار الصحاح (ح ر ز).

من الشرور كلها فصرفها لله إيمان وتوحيد وصرفها لغيره شرك به سبحانه.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق:١]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

* **الدليل من السنة:** وعن خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[١].

ومن الأحاديث دعاء دخول المسجد: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[٢].

حكم الاستعاذة:

* العبادة يجب أن تكون لله وحده وصرفها لغير الله شرك، وهذه قاعدة يجب أن نستحضرها في جميع العبادات.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فالعبادة والاستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار كل هذا لله وحده لا شريك له فالعبادة متعلقة بألوهيته والاستعانة متعلقة بربوبيته، والله رب العالمين لا إله إلا هو، ولا رب لنا غيره لا ملك ولا نبي ولا غيره»[٣].

وقد أمر الله بصرف جميع أنواع العبادات له فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦).
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٧٤.

ﭐلَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالىٰ: «ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره»[(١)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها: مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان؛ ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالىٰ والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.

فمن صرف شيئاً منها لغير الله فهو مشرك كافر والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾»[(٢)].

*** والاستعاذة بالمخلوق على قسمين:**

القسم الأول: الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستعاذة بأصحاب القبور والموتىٰ والغائبين أو الحجر أو الصنم فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «أما الاستعاذة بالمخلوق؛ ففيها تفصيل، فإن كان المخلوق لا يقدر عليه؛ فهي من الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيميه: «لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق عند أحد من الأئمة»[(٣)]، وهذا ليس علىٰ إطلاقه، بل مرادهم مما لا يقدر عليه

(١) تفسير ابن كثير لسورة البقرة، الآيتين: ٢٠-٢١.
(٢) ثلاثة الأصول مع الحاشية لابن قاسم، ص٣٤، ٣٥.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٩٧.

إلا الله؛ لأنه لا يعصمك من الشر الذي لا يقدر عليه إلا الله؛ سوى الله»[(١)].

ويدخل في ذلك الاستعاذة بالجن قال ابن أبي العز الحنفي: «ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ يعني الإنسي للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً: أي إثماً وطغياناً وخسراناً وشراً، وذلك أنهم قالوا: قد سدنا الجن والإنس فالجن تعاظم في أنفسها وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة. وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١،٤٠]. فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم ضالون، وإنما ينزل عليهم الشياطين»[(٢)].

* **القسم الثاني:** الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر القادر.

قال ابن باز: فلا بأس به كما تقول لرجل: أعوذ بك من غلامك أو ابنك وهو مقتضى الأحاديث الواردة في صحيح مسلم لما ذكر النبي ﷺ الفتن قال: «فمن وجد من ذلك ملجأ فليعذ به»[(٣)]. وفي الصحيح عن جابر بن عبدالله أن امرأة من

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٤٩، ٢٥٠. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٣٣٠.

(٢) شرح الطحاوية ص٤٥٣ تحقيق أحمد شاكر.

(٣) شرح الشيخ على كتاب التوحيد، شرح مسموع. والحديث أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ ونص الحديث هو: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، ومن تشرف لها تتشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به» البخاري (٣٦٠١) ومسلم (٢٨٨٦).

بني مخزوم سرقت فأتي بها إلىٰ النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «لو كانت فاطمة لقطعت يدها» فقطعت[(١)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا هو مقتضى النظر، فإذا اعترضني قطاع طريق، فعذت بإنسان يستطيع أن يخلصني منهم، فلا شيء فيه.

لكن تعليق القلب بالمخلوق لا شك أنه من الشرك، فإذا علقت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين، وجعلته ملجأ؛ فهذا شرك؛ لأن هذا لا يكون إلا لله»[(٢)].

* أحكام وفوائد:

❖ الاستعاذة المشروعة والممنوعة خمسة أنواع:

فالأول والثاني: الاستعاذة بالله وبصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته فهذا أمر مطلوب رغَّب فيه الشارع.

الثالث: الاستعاذة بالحي الحاضر القادر وهذه جائزة.

الرابع: الاستعاذة بالأموات والغائبين فهذا شرك والعياذ بالله[(٣)].

الخامس: الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فإنه شرك والعياذ بالله.

* **بعض العلماء قال:** إن الاستعاذة عبادة خاصة بالله فلا يجوز صرفها للمخلوق مطلقاً. قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة»[(٤)]. وقد تقدم أن هذا ليس علىٰ إطلاقه، بل مرادهم مما لا يقدر عليه إلا الله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٩).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٥٠. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢٥٧.

(٣) ينظر للاستزادة شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين من مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٥٩- ٦٠.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٩٧.

وكذلك قال البخاري في خلق أفعال العباد[(١)]؛ ودليلهم أن الاستعاذة عبادة وذكر بعض العلماء الإجماع على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله [(٢)]، فإن كان المراد من كلامهم منع الاستعاذة بالمخلوق مطلقاً. فالصحيح ما تقدم من جواز الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه، أما ما ذكر من إجماع العلماء فمحمول على أن يفعل على وجه التعبد أو أن يكون المستعاذ منه لا يقدر على دفعه إلا الله، أو أن تكون الاستعاذة بأصحاب القبور ونحوه[(٣)]. ولكن يراعى ما يقوم في قلب العبد من الاضطرار لهذا المستعاذ به وتعلق قلبه به، قال الشيخ ابن عثيمين: «لكن تعليق القلب بالمخلوق لا شك أنه من الشرك، فإذا علقت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين، وجعلته ملجأ؛ فهذا شرك، لأن هذا لا يكون إلا لله»[(٤)].

قال الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله -: «لكن هل مقصوده بقوله: «باب من الشرك الاستعاذة بغير الله»[(٥)] شمول هذا الحكم على فاعله بالشرك، لكل أنواع الاستعاذة، ولو كان فيما يقدر عليه المخلوق؟ والجواب: أن هذا فيه تفصيل، فمن العلماء من يقول: الاستعاذة لا تصلح إلا بالله، وليس ثم استعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه؛ لأن الاستعاذة توجه القلب، واعتصامه، والتجاؤه، ورغبه، وهذه المعاني جميعاً لا تصلح إلا لله - جل وعلا -.

وقال آخرون: قد جاءت أدلة بأنه يستعاذ بالمخلوق فيما يقيدر عليه؛ لأن حقيقة الاستعاذة: طلب انكفاف الشر، وطلب العياذ، وهو: أن يستعيذ من شر أَحْدَقَ به،

(١) خلق أفعال العباد ص٨٩.
(٢) فتح المجيد ص١٨٨.
(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٤٩، ٢٥٠. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٣٣٠. وانظر للاستزادة: الاقتضاء ٢/ ٧٩٧، ومجموع فتاوىٰ ابنِ تَيمِيَّةَ ١/ ٣٣٦، وقرة عيون الموحدين ص٨١.
(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٥٠.
(٥) يقصد به الباب الثالث عشر من كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

وإذا كان كذلك: فقد يملك المخلوق شيئاً من ذلك، وعلى هذا فتكون الاستعاذة بغير الله شركاً أكبر، إذا كان ذلك المخلوق لا يقدر على أن يعيذ، أو طُلِبتْ منه الإعاذة فيمالا يقدر عليه إلا الله.

والذي يظهر أن المقام – كما سبق – فيه تفصيل، وهو: أن الاستعاذة فيها عمل ظاهر، وفيها عمل باطن، فالعمل الظاهر: أن يطلب العوذ، وأن يطلب العياذ، وهو أن يُعصم من هذا الشر، أو أن ينجو من هذا الشر، وفيها – أيضاً – عمل باطن وهو: توجه القلب وسكينته، واضطراره، وحاجته إلى هذا المستعاذ به، واعتصامه بهذا المستعاذ به، وتفويض أمر نجاته إليه.

فإذا كانت الاستعاذة تجمع هذين النوعين فيصح أن يُقال: إن الاستعاذة لا تصلح إلا بالله، لأن منهما ما هو عملي قلبي – كما تقدم – وهو – بالإجماع – لا يصلح التوجه به إلا لله. وإذا قصد بالاستعاذة العمل الظاهر – فقط – وهو طلب العياذ والملجأ، فيجوز أن يتوجه بها إلى المخلوق، وعلى هذا يحمل الدليل الوارد في جوازها»[1].

❖ حكم قول أعوذ بالله وبك أو ثم بك:

قال ابن عثيمين: «وقوله أعوذ بالله وبك هذا محرم؛ لأنه جمع بين الله والمخلوق بحرف يقتضي التسوية وهو الواو.

ويجوز «بالله ثم بك» لأن ثم تدل على الترتيب والتراخي.

فإن قيل: سبق أن من الشرك الاستعاذة بغير الله، وعلى هذا يكون قوله: «أعوذ بالله ثم بك» محرماً.

أجيب: أن الاستعاذة بمن يقدر على أن يعيذك جائزة، لقوله ﷺ في صحيح

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص١٦٩، ١٧٠..

مسلم وغيره: «من وجد ملجأ فليعذ به». لكن لو قال أعوذ بالله ثم بفلان وهو ميت فهذا شرك أكبر لأنه لا يقدر على أن يعيذك»[١].

* **في الحديث قوله: «أعوذ بكلمات الله»** وكلمات الله من صفاته فكلام الله صفة غير مخلوق فيستعاذ بالصفة كالاستعاذة بالأسماء ومثله «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك...»، ومثله حديث «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» فيجوز الاستعاذة بها كما يجوز القسم بها.

قال ابنُ تَيمِيَّةَ في كتاب الفرقان: «وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر هي التي كون بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته، وأما كلماته الدينية وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار»[٢].

وقال ابن باز: «الكلمات معناها: أي كلمات الله النافذة الكونية التي لا راد لها. وقال بعض السلف المراد بالكلمات: الشرعية وكلمات القرآن لأنها كلمات عظيمة شريفة وهي كلام الله وكل هذا حق وكلها وصف له سبحانه فكلامه الكوني نافذ وكلامه الشرعي أفضل الكلام»[٣].

* **تجب إعاذة من استعاذ بالله تعظيماً له جل شأنه**، وقد جاء في الحديث: «من استعاذكم بالله فأعيذوه» قال في عون المعبود: («من استعاذكم بالله» أي: طلب الإعاذة مستعيذاً بالله من ضرورة أو جائحة حلت به أو ظلم ناله أو تجاوز عن جناية (فأعيذوه) أي: أعينوه وأجيبوه فإن إغاثة الملهوف فرض)[٤].

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٠٤، ٨٠٥. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٣٣٣.
(٢) الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان ص١٥٠.
(٣) من شرح الشيخ على كتاب التوحيد.
(٤) عون المعبود ١٤/ ١٢، وانظر باب (السؤال بالله).

وقال في فتاوىٰ اللجنة: «هذا إذا كان المستعيذ لا يلزمه ما استعاذ منه، أما إن كان يلزمه ما استعاذ منه كالدين وحق الزوج والقصاص ونحو ذلك لم تجب إعاذته، والواجب عليه أداء الحق عليه إلا أن يسمح خصمه عن حقه، جمعاً بين الأدلة»(١).

❖ الفرق بين الاستعاذة والدعاء:

استعاذ واستغاث علىٰ وزن استفعل، ومادة استفعل تأتي في الغالب للطلب فمادة استعاذ واستغاث واستعان واستسقىٰ وما شابهها فيها دعاء لأنه طلب من الأدنىٰ للأعلىٰ. والدعاء من أنواع الطلب وهذا ظاهر في دلالة اللغة أما دلالة الشرع فالاستعاذة طلب العوذ وهو الدعاء المشتمل علىٰ ذلك والاستغاثة طلب الغوث وهو الدعاء المشتمل علىٰ ذلك فتبين أن الاستعاذة من أنواع الدعاء.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «كالدعاء فإن الاستعاذة من أنواعه»(٢).

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: «فالاستعاذة والاستخارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب»(٣).

---

(١) فتاوىٰ اللجنة ١/ ١٠٨.

(٢) التيسير ٢١٢.

(٣) الرد علىٰ البكري ٢٩٠.

١٦- الاستعانة*

تعريفه لغة: استعان أصلها من عون، والعونُ: المعاونةُ والمظاهرةُ يقال فلان عَوني: أي مُعِيني.

والاستعانةُ شرعاً: طلبُ العون[(١)]، والاستعانة بالله عبادة بل أجل العبادات وهي تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه.

قال شيخ الإسلام: «تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]»[(٢)].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

* **الدليل من السنة:** عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا غُلامُ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثاً احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ فَقَدْ رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الْكُتُبُ، فَلَوْ جَاءَتْ الأُمَّةُ يَنْفَعُونَكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ لَمَا اسْتَطَاعَتْ وَلَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَضُرَّكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَكَ مَا اسْتَطَاعَتْ»[(٣)].

* **أقوال العلماء:** يقول شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّة: «ولهذا أنكرنا على الشيخ يحي

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٢/ ٣٦، ٨٧، أحكام القرآن القرطبي ٤/ ١٧٩. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٧٥. تيسير العزيز الحميد ٢١٧. فتح المجيد ١٩٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١١٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٣/ ١٣٠، ط٢- ١/ ٣٣٥ ومن المجموع ١٠/ ٩٥٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٩٦. مجموع الفتاوى لابن باز ٣/ ١٢٣٧. معارج القبول ١/ ٣٣٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٣٢٢ ـ ٢/ ١٧٨ ـ ٤/ ٥١. نور على الدرب لابن باز ص١٨٤. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٦٣.

(١) المفردات للراغب الأصفهاني، مجموع الفتاوى لابن تَيمِيَّة ١/ ١٠٣.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٧٣، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١٧٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٦٣) (٢٦٦٩) (٢٨٠٤).

الصرصري ما يقول في قصائده في مدح الرسول ﷺ من الاستغاثة به مثل قوله: بك أستغيث، وأستعين، وأستنجد ونحو ذلك. وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استنجاد الصالحين والمتشبهين بهم والاستعانة بهم أحياء وأمواتاً فإني أنكرت ذلك في مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة والعامة»[(١)].

وقال: رحمه الله: «فالعبادة والاستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار كل هذا لله وحده لا شريك لـه، فالعبادة متعلقة بألوهيته، والاستعانة متعلقة بربوبيته، والله رب العالمين لا إله إلا هو ولا رب لنا غيره لا ملك ولا نبي ولا غيره»[(٢)].

❖ حكم الاستعانة بالمخلوق:

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها»[(٣)].

قال الشوكاني: «ولا خلاف أنه يجوز أن يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه»[(٤)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما نصه: «الاستعانة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه جائزة»[(٥)]، «ويمكن الاستعانة بالأحياء من الناس في حدود الأسباب العادية ببذل مال أو شفاعة عِنْدَ ذي سلطان مثلاً، أو إنقاذ من مكروه ونحو ذلك من الوسائل التي هي من طاقة البشر حسب ما هو معتاد ومعروف بينهم، أما ما كان فوق قوى البشر من الأسباب غير العادية فليس ذلك إلى العباد بل هو إلى الله وحده لا شريك له»[(٦)]. وجاء فيها أيضاً: «فالاستعانة بغير الله فيما هو من

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٧٠،٧١.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٧٤.
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٠٢، ١٠٣.
(٤) الدر النضيد ١٤.
(٥) فتاوى اللجنة ١/ ١٠٤.
(٦) فتاوى اللجنة ١/ ١٠٠.

اختصاص الله تعالىٰ نوع من الشرك الأكبر الذي يخرج من فعله من ملة الإسلام وكذا الاستعانة بالأموات أو الاستعانة بالغائبين عن نظر من استعان بهم من ملائكة أو جن أو إنس في جلب نفع أو دفع ضر نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله إلا لمن تاب منه؛ لأن هذا النوع من الاستعانة قربة وعبادة وهي لا تجوز إلا لله خالصة لوجهه الكريم»[١].

وجاء أيضاً: «إن الاستعانة بالجن واللجوء إليهم في قضاء الحاجات من الإضرار بأحد أو نفعه شرك في العبادة؛ لأنه نوع من الاستمتاع بالجني بإجابته سؤاله وقضائه حوائجه في نظير استمتاع الجني بتعظيم الإنسي لـه ولجوئه إليه واستعانته به في تحقيق رغبته»[٢].

وجاء في موضع آخر من فتاوىٰ اللجنة: «إن الاستعانة بالجن والملائكة والاستغاثة بهم لدفع ضر أو جلب نفع أو للتحصن من شر الجن شرك أكبر يخرج من ملة الإسلام والعياذ بالله»[٣].

وقد لخص الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ أحكام الاستعانة فقال: «هي أنواع:

الأول: الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالىٰ ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. ووجه الاختصاص أن الله تعالىٰ قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ وقاعدة اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلىٰ هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالىٰ شركا مخرجا عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق علىٰ أمر قادر عليه، فهذه علىٰ حسب المستعان عليه فإن كانت علىٰ بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ

---

(١) فتاوىٰ اللجنة ١/ ١٠٣.

(٢) فتاوىٰ اللجنة ١/ ٩٦.

(٣) فتاوىٰ اللجنة ١/ ٧٥.

عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢] وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾. وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقولـه تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقا أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]»[1].

ضابط الاستعانة الشركية:

إذا كانت الاستعانة بالأموات أو الغائبين أو الأصنام ونحوها أو استعانة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي شرك أكبر مخرج من الإسلام. قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يطلب إلا من الله»[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فالاستعانة بغيره فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك في الإلهية والربوبية»[3].

وقال الشوكاني: «وأما ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ فلا يستعان فيه إلا به ومنه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»[4].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥٨-٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٠٤.

(٣) بيان ما ألقاه إبليس ٨٨.

(٤) الدر النضيد ١٥.

١٧- الاستغاثة*

في اللغة: أغاثه إغاثة إذا أعانه ونصره[(١)].

والاستغاثة شرعاً: طلب الغوث وهو إزالة الشدة[(٢)]، أو: طلب العون في حالة الشدة والهلاك[(٣)].

***الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:١٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت:١٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف:٥] وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن

---

* اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٧. الرد علىٰ البكري ص٥٧. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٩١، ٢/ ١٧٦، ٢٧٠. تيسير العزيز الحميد ص٢١٧. فتح المجيد ص١٩٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١١٣. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٢٦١ ط٢-١/ ٣٣٥ . المجموع ٩/ ٢٥٣. معارج القبول ١/ ٣٣٥. نور علىٰ الدرب لابن باز ص٦٥. مجموع الفتاوىٰ ابن باز ٣/ ٥٧٥، ٥٨٦. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٩٦، ٢٨ ـ ٧/ ٢٨، ٩٦. أحكام الجنائز ص٢٦٤. التبرك د ناصر الجديع ص٣٢٥. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٩٠. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٤٨٣، ٤٩٣، ١٠٤٧، ١٠٩٢، ١١١٥.

(١) المصباح المنير (غ و ث).

(٢) انظر مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٠٣، تيسير العزيز الحميد ٢١٧، الدر النضيد ص ٩، وحاشية ثلاثة الأصول ص ٤٣.

(٣) انظر: تيسر العزيز الحميد ص ٢١٧.

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل:٦٢].

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[(١)].

وعن عبادة بن الصامت قال: قال أبو بكر: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي، إنما يستغاث بالله ﷻ»[(٢)].

* **أقوال العلماء:**

قال ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ عن الحديث السابق: «إنما أراد ألا يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله»[(٣)].

وقال أيضاً: «لكن ظاهر لفظ الحديث إن صح يقتضي أنه لم يكن قادراً على دفع ضرر ذلك المنافق، وأنه أمرهم أن يستغيثوا فيه بالله تعالى»[(٤)].

وقال أيضاً: «ولا يلزم تخطئة أبي بكر الصِّدِّيق، فإن الصِّدِّيقَ قد يعتقد عند النبي ﷺ في دفع ذلك المنافق بعضَ الأمور التي يقدر عليها البشر، فَبَيَّن لـه النبي ﷺ أنه ليس عنده في دفعه حيلة، بل يستغاث الله في أمره»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤).

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩، وعزاه إلى الطبراني في المعجم الكبير، قال الهيثمي في المجمع: «رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث»، وقال أيضاً: «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسمَّ وابن لهيعة».
والحديث عند الإمام أحمد في المسند (٢٣٠٨٢) بلفظ: «لا يقام لي، إنما يقام لله تبارك وتعالى».
قال ابن تيمية: «هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه، بل ذكر في ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة، ثم ذكر أن هذا الخبر من النوع الذي يصلح للاعتضاد. انظر تلخيص كتاب الاستغاثة ص١٥٣، كما أنه ـ أي ابن تيمية ـ احتج به في مواضع من فتاويه. انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١٠١، ١١٠، ٣٠٣، ٣٢٩.

(٣) الرد على البكري ص٢٠٣، الفتاوى ١/ ١١٠.

(٤) تلخيص كتاب الاستغاثة، ص٢٠١.

(٥) تلخيص كتاب الاستغاثة، ص١٩٥.

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلىٰ التأدب مع الله في الألفاظ لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافق من الأمور التي يقدر عليها إما بزجره أو تعزيره ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلىٰ حسن اللفظ والحماية منه ﷺ لجناب التوحيد»[(١)].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «قوله لا يستغاث بي يحتمل أمرين:

الأول: أن النبي ﷺ لا يستطيع قتله لأنه كان ممنوعاً من قتله؛ لأجل أن لا يتحدث بأن محمداً يقتل أصحابه فامتنع عن قتله.

الثاني: يحتمل ـ إن صح الخبر ـ أنه قاله سداً للذريعة وإن كان قادراً علىٰ التخلص منه حتى لا تقــع منهم هذه الكلمة في أمور لا يقدر عليها»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «قوله (إنه لا يستغاث بي) ظاهر هذه الجملة النفي مطلقاً، ويحتمل أن المراد لا يستغاث به في هذه القضية المعينة.

فعلىٰ الأولىٰ: يكون نفي الاستغاثة هنا من باب سد الذرائع والتأدب في اللفظ، وليس من باب الحكم بالعموم؛ لأن نفي الاستغاثة بالرسول ﷺ ليس علىٰ إطلاقه، بل تجوز الاستغاثة به فيما يقدر عليه»[(٣)].

حكم الاستغاثة:

الاستغاثة أخص أنواع العبادة، فإخلاصها لله إيمان وتوحيد، أما الاستغاثـة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك وكفر[(٤)].

وقد تقدم في باب الاستعاذة أن جميع أنوع العبادات لا تصرف لغير الله، فمن

(١) تيسير العزيز الحميد ص٢٤٣.

(٢) من دروس الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد.

(٣)مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٦٩. وانظر القول المفيد ط١-١/ ٢٧٩.

(٤) انظر تلخيص كتاب الاستغاثة ص٢٤٦، ٢٦٥، القول السديد ص٥١، ٥٢.

صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر. والاستغاثة من نوع الدعاء والطلب؛ لأن فيها طلب الغوث أي الدعاء المشتمل على ذلك فهي من أهم أنواع العبادات.

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: «فالاستغاثة المنفية نوعان:

أحدهما: الاستغاثة بالميت مطلقاً في كل شيء.

الثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، فليس لأحد أن يسأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله لا نبيا ولا غيره»[(١)].

وقال الشوكاني رحمه الله: «ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور ولايحتاج مثل ذلك إلى استدلال فهو في غاية الوضوح وما أظنه يوجد فيه خلاف»[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «والاستغاثة الشركية التي أنكرناها هي ما يأتي بيانه؛ وهي الاستغاثة بالغائب أو الميت أو الحي الحاضر الذي لا يقدر، وأما الجائزة فهي طلب الحي الحاضر»[(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الاستغاثة أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ[(٤)] رحمه الله قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩] وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: «اللهم أنجز لي

---

(١) كتاب الاستغاثة في الرد على البكري ص ٣٥٩. وانظر الفتاوى ١/ ٣٢٩.

(٢) الدر النضيد ص ٩.

(٣) شرح كشف الشبهات ص١١٩.

(٤) يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر ﷺ رداءه فألقاه على منكبه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله هذه الآية[1].

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفيا في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن لـه قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة»[2].

وعلى هذا فإن **الاستغاثة بالمخلوق على قسمين:**

الأول: الاستغاثة بالأموات والغائبين، أو الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله كالذي يستغيث عِنْدَ المرض أو خوف الغرق بالرسول أو البدوي فهذا شرك أكبر مخرج من الملة. قال الشيخ ابن قاسم: «وقد تبين من الآيات والأحاديث أن دعاء

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى ٦/ ٦٠، ٦١.

الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواعه»[(١)].

الثاني: الاستغاثة بالحي القادر الحاضر، وهي جائزة. وعليه يحمل قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: «وإذا طلبت من أحد غوثاً وهو قادر عليه فإنه يجب عليك تصحيحاً لتوحيدك أن تعتقد أنه مجرد سبب وأنه لا تأثير له بذاته في إزالة الشدة؛ لأنك ربما تعتمد عليه وتنسى خالق السبب، وهذا قادح في كمال التوحيد»[(٢)].

* أحكام وفوائد:

* وإذا علمت أن الاستغاثة بغير الله هي الشرك الأكبر تبين لك أن المستغيثين بالقبور والموتى كالمشركين لا تجوز الصلاة خلفهم؛ وقد سئل مفتي الديار الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن حكم الصلاة خلف من يستغيث بغير الله فقال: «لا تجوز الصلاة خلف جميع المشركين ومنهم من يستغيث بغير الله ويطلبه المدد لأن الاستغاثة بغير الله من الأموات والأصنام والجن وغير ذلك من الشرك بالله سبحانه...وإذا لم تجد إماماً مسلماً تصلي خلفه جاز لك أن تصلي في بيتك»[(٣)].

وقالت اللجنة عمن يستغيث بغير الله: «هم مشركون شركاً أكبر يخرج من ملة الإسلام لا تجوز موالاتهم، كما لا تجوز موالاة الكفار، ولا تصح الصلاة خلفهم، ولا تجوز عشرتهم ولا الإقامة بين أظهرهم؛ إلا لمن يدعوهم إلى الحق على بينة ويرجو أن يستجيبوا له وأن تصلح حالهم دينياً على يديه وإلا وجب عليه هجرهم»[(٤)].

---

(١) حاشية ابن قاسم ص ١٧٧.
(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٥٣. وانظر القول المفيد ط١-١/ ٢٦١.
(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ٥٨٦
(٤) فتاوى اللجنة ١/ ٥٢

• الفرق بين الدعاء والاستغاثة:

أن الدعاء عام في كل الأحوال، والاستغاثة هي الدعاء في حالة الشدائد، وكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، فالاستغاثة من الدعاء فكل مستغيث داعٍ وليس كل داعٍ مستغيث[1].

وتختلف الاستغاثة عن الاستعانة أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قالوا: والفرق بين المستغيث والداعي أن المستغيث ينادي بالغوث والداعي ينادي بالمدعو»[3].

---

(١) انظر حاشية كتاب التوحيد ص١١٣.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٢١٧.
(٣) الرد على البكري ١/ ٤٢٠.

١٨- الاستغفار

أصل الغفر في اللغة: التغطية[١].

قال في المفردات: «الغفر إلباس ما يصونه من الدنس»[٢].

والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب[٣].

ويطلق الغفر على الستر ومنه المغفر وهي بيضة الحديد[٤]، والستر من الله معناه كما قال الخطابي: «أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تُشهِرُهُ في عيونهم»[٥]. والألف والسين والتاء للطلب.

وفي الشرع: قال الراغب: «والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفِعال، وقولـه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط بل باللسان وبالفِعال، فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفِعال[٦] فِعلُ الكذابين»[٧].

ومعنى الاستغفار: طلب محو الذنوب والتجاوز عنها وستر كل عيب بما يجب أن يستر به والوقاية من شره.

قال ابن الجوزي: «الاستغفار استفعال من طلب الغفران تغطية الذنب بالعفو

(١) النهاية لابن الأثير (غ ف ر).
(٢) المفردات (غ ف ر).
(٣) المفردات (غ ف ر).
(٤) المصباح المنير (غ ف ر).
(٥) شأن الدعاء ص٥٢.
(٦) أي من دون إقلاع عن الذنب.
(٧) المفردات (غ ف ر).

عنه»[(١)]، وسبب وضعها في هذا الكتاب لأنها من العبادات التي تصرف لله ولا تصرف لغيره.

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩]، وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٦ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [البقر:١٦-١٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر:٥٥].

* **الدليل من السنة**: عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[(٢)].

وعَنه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[(٣)].

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي،

---

(١) نزهة الأعين والنواظر ص٨٩.
(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٣٠٧).
(٣) أخرجه مسلم ٢٧٤٩ .

يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١).

وفي صحيح البخاري عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذ بكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(٢).

❖ الفرق بين الاستغفار والتوبة:

الاستغفار يذكر تارة مفرداً غير مقرون بالتوبة وتارة يذكر مقروناً بها ولها في كل حال معنى قال ابن القيم: «فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله. وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤ. فدلالته عليه إما بالتضمن وإما باللزوم.

* **وحقيقتها**: وقاية شر الذنب، ومنه المغفر، لما يقي الرأس من الأذى. والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مِغفراً، ولا القُبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ «المغفر» من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾، فإن الله لا يعذب مستغفراً، وأما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق ولهذا لا يمنع

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٤٠.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٣).

العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقايــة شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فها هنا ذنبان:

ذنب قد مضى: فالاستغفار منه: طلب وقاية شره.

وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله»[(١)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «وكثيراً ما يقترن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠٧).

١٩- الاستقامة*

قال في النهاية: «قام فُلان على الشيء إذا ثبتَ عليه... ومنه الحديث: «اسْتَقِيموا لقُريش ما اسْتقاموا لكم، فإن لم يفعلوا فضَعُوا سُيوفَكم على عَواتِقكم فأبيدُوا خَضْراءهُم» أي: دُومُوا لهم على الطاعة واثْبُتوا عليها، ما دامُوا على الدَّين وثبَتُوا على الإسلام. يقال: أقام واسْتقام، كما يقال: أجاب واسْتَجاب»[(١)].

وعن قتادة السدوسي رحمه الله قال: «الاستقامة أن تلبث على الإسلام والطريقة الصالحة ثم لا تمرق منها ولا تخالفها ولا تشذ عن السنة ولا تخرج عنها»[(٢)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «الاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك»[(٣)].

وألف أبو العباس ابن تيمية كتاب الاستقامة وقال في أوله: «قاعدة في وجوب الاستقامة والاعتدال، ومتابعة الكتاب والسنة في باب أسماء الله، وصفاته، وتوحيده، بالقول والاعتقاد، وبيان اشتمال الكتاب والسنة على جميع الهدى وأن التفرق والضلال إنما حصل بترك بعضه...»[(٤)].

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾

* الدين الخالص ٣/ ١٣٤، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٥٢٨، ٥٣٣.

(١) النهاية (ق و م).

(٢) الإبانة الكبرى (١/ ٣١٨).

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٥١٠.

(٤) الاستقامة ص٣.

[فصلت: ٣٠] وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف:١٣]، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾[فصلت:٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود:١١٢].

* **الدليل من السنة:** عن سفيان بن عبد الله ﵁ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»[(١)].

قال ابن رجب: «قول سفيان بن عبد الله للنبي ﷺ: «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك» طلب منه أن يعلمه كلاماً جامعاً لأمر الإسلام كافياً حتى لا يحتاج بعده إلىٰ غيره، فقال له النبي ﷺ: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»، وفي الرواية الأخرىٰ: «قل: ربي الله، ثم استقم)»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن»[(٣)].

قال ابن رجب ﵀: «فأصل الاستقامة استقامة القلب علىٰ التوحيد، كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قولـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ بأنهم لم يلتفتوا إلىٰ غيره، فمتىٰ استقام القلب علىٰ معرفة الله، وعلىٰ خشيته وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها علىٰ طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك، استقامت جنوده ورعاياه، وكذلك فُسِّر قولـه تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ

(١) رواه مسلم (٣٨).

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٠٥.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٧٧).

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠] بإخلاص القصد لله وإرادته وحده لا شريك له.

وأعظم ما يُراعىٰ استقامته بعد القلب من الجوارح اللسانُ، فإنه ترجمان القلب والمعبِّر عنه، ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة، وصاه بعد ذلك بحفظ لسانه، وفي «مسند الإمام أحمد» عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتىٰ يستقيم لسانه». وفي «الترمذي» عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وموقوفاً: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»»[1].

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٥١١، ٥١٢.

٢٠- استقدام الكفار إلى جزيرة العرب

انظر باب (جزيرة العرب).

٢١- الاستقسام بالأزلام

انظر باب (الكهانة).

٢٢- الاستمداد

[الدعــاء]

المدد: العون والنصر[١]. والمراد به هنا «طلب المدد»[٢]، والمستمِدُّ داعٍ يلجأ إلىٰ من بيده المدد والمعونة، فلا يُدعىٰ ويُطلب منه المدد إلا الله، ومن الشرك الأعظم أن يقال: (مدد يا حسين) (مدد يا محمد) (مدد يا صاحب القبر)، لأنه من دعاء الأموات والغائبين.

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، [الفتح: ١١]، وقال ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

وقد ردَّ الشيخ عبد الرحمن بن حسـن علىٰ من ادَّعى جواز الاستمداد من

(١) النهاية ٤/ ٣٠٨.

(٢) مختار الصحاح (م د د).

الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فقال:

«الجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن الاستمداد بالأموات والغائبين هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الاستمداد عبادة، والعبادة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله وذلك أن الاستمداد نتيجة الاعتماد، والاعتماد هو معنى التوكل الذي هو من خصائص الإلهية وأجمعها لأعمال القلوب...

الوجه الثاني: أن مورد العبادة القلب واللسان والأركان، والمستمد لا يكون إلا داعياً، وراغباً، وراهباً، وخاشعاً ومتذللاً، ومستعيناً، فإن الاستمداد طلب المدد بالقلب، واللسان، والأركان ولا بد، وهذه الأعمال هي أنواع العبادة، فإذا كانت لله وحده، فقد ألهه العبد، فإذا صرف لغير الله تعالى صار مألوهاً له»[1].

---

(١) الدرر السنية (١١/ ٤١٣، ٤١٥).

٢٣- الاستهزاء*

[سب الرسول، سب الدين والرب، سب الصحابة]

تعريفه لغة: التهزء والهزؤ: السخرية، واستهزأ به سخر[١].

والمقصود هنا الكلام على التنقص أو الهزل أو اللعب أو السخرية أو الاستخفاف، إما بالله أو بالقرآن أو بالرسول ﷺ، أو بالسنة الصحيحة التي يعتقد ثبوتها، أو الأحكام الشرعية.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

* **الدليل من السنة:** عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ: «أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عِنْدَ اللقاء ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء ـ، فقال له عوف بن مالك: كذبتَ، ولكنك منافق،

---

* الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٤٤٧، ٥/ ٤١٨، ٨/ ١٩٧. بدائع الفوائد ١/ ١٥٩. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٣٨. تيسير العزيز الحميد ص٦٢٧. فتح المجيد ص٥١٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣١٩. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٢٥ ط٢- ٣/ ٣٠ ومن المجموع ١٠/ ٨٥١. فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ١١، ١٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٥٤٦. مجموع الفتاوى لابن باز ٣/ ٥٠٩، ٥٣٠، ٥٣٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٥٥، ١٥٩. القول المبين في حكم الاستهزاء بالمؤمنين للشيخ عبد السلام البرجس تقريظ فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، اللمع للتركماني ١/ ١٧٨، ١٧٩. ومن أراد زيادة التفصيل في الكلام عن موضوع الاستهزاء فإن مظانه كتب الفقه في باب الردة.

(١) لسان العرب (هـ ز ء).

لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلىٰ رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول لـه رسول الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾، ما يلتفت إليه وما يزيد عليه»[(١)].

* أقوال العلماء:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في جواب سؤال عن معنى ما ذكره الفقهاء في باب حكم المرتد: «فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين مثل ما قدمت لك ـ يعني ما قاله المنافقون في غزوة تبوك ـ وأما الفعل فمثل: مد الشفة، وإخراج اللسان، ورمز العين، مما يفعله كثير من الناس عِنْدَما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد»[(٢)].

وقال رحمه الله: «إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من الناس يتكلم في الله ﷻ بالكلام الفاحش عِنْدَ وقوع المصائب علىٰ وجه الجد وأنه لا يستحق هذا وأنه ليس بأكبر الناس ذنباً»[(٣)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وفي هذا الحديث من الفوائد أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به، وأشدها خطراً إرادات القلوب فهي كالبحر الذي لا ساحل له»[(٤)].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (١٠/ ١٧٢، ١٧٣).
(٢) الدرر السنية ١٠/ ١٢٥.
(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب قسم الفتاوىٰ ص ٥٨، ٦٠، ٦٢. وانظر الدرر السنية ١٠/ ١٢١.
(٤) تيسير العزيز الحميد ص٦٣٣.

❖ حكم الاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أو القرآن والرسول ﷺ:

بيَّن العلماء أحوال المستهزئين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾.

قال الإمام أبو بكر بن العربي المالكي: «لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلاً وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة فإن التحقيق أخو الحق والعلم والهزل أخو الباطل والجهل»[(١)].

وقال شهاب الدين الألوسي: «واستدل بعضهم بالآية على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء ولا خلاف بين الأئمة في ذلك»[(٢)].

وقال أبو بكر الجصاص بشأن هذه الآية: «فدل على استواء حكم الجاد والهازل في إظهار كلمة الكفر. ودل أيضاً على أن الاستهزاء بآيات الله أو بشيء من شرائع دينه كفر من فاعله»[(٣)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «ومن المعلوم أن الاستهزاء والهزل بشيء من هذه ـ أي المذكورة في الآية ـ أشد من الكفر المجرد؛ لأن هذا كفر، وزيادة احتقار وازدراء»[(٤)].

وقد بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد فقال: «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول» [(٥)].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٧٦.
(٢) روح المعاني ٥/ ٣٢٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٤٢.
(٤) القول السديد ص١٢٧.
(٥) كتاب التوحيد ص ١٢٦ مع القول السديد.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «أي: إنه يكفر بذلك[(١)]، لاستخفافه بجانب الربوبية والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء علىٰ كفر من فعل شيئا من ذلك، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه، كفر ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»[(٢)].

وفي قولـه تعالىٰ: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾[التوبة:٦٦]. الآية دليل علىٰ أن الرجل إذا فعل الكفر ولم يعلم أنه كفر لا يعذر بذلك، بل يكفر، وعلىٰ أن الشاك كافر باطل بطريق الأولىٰ نبه عليه شيخ الإسلام[(٣)].

قال ابن عثيمين رحمه الله «والظاهر أن المراد من هزل بشيء فيه ذكر الله مثل الأحكام الشرعية، أو هزل بالقرآن أو هزل بالرسول ﷺ فيكون معطوفا علىٰ قوله بشيء»[(٤)].

وقد ذكره الشيخ أيضاً في نواقض الإسلام فقال الناقض السادس: «من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه كفر».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «ومن هذا الباب: الاستهزاء بالعلم، وأهله، وعدم احترامهم لأجله»[(٥)].

حكم الاستهزاء بالدين:

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «الاستهزاء بالدين فيه تفصيل، فإن المستهزئ بالدين، أو السابَّ له، أو اللاعن له، قد يريد دين المُستَهزأ به، ولا يريد دين

---

(١) يقصد ما ذكر في الآية، وبوبه الإمام وهو ثلاثة: الله، القرآن، والرسول ﷺ.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٦٢٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٦٢٨.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٨٥١. وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢٥.

(٥) قرة عيون الموحدين ص٢١٧.

الإسلام أصلاً، فلا يرجع استهزاؤه إلىٰ واحد من الثلاثة؛ فلهذا نقول: الكفر يكون أكبر إذا كان الاستهزاء بأحد الثلاثة التي ذكرنا ونصت عليها الآية، أو كان راجعاً إلىٰ أحد الثلاثة.

أما إذا كان الاستهزاء بشيء خارج عن ذلك، فإنه يكون فيه تفصيل: فإن هزل بالدين، فيُنظر هل يريد دين الإسلام، أو يريد تدين فلان؟ ومثال ذلك: أن يأتي واحد من المسلمين ويستهزئ – مثلاً – بهيئة أحد الناس وهيئته يكون فيها التزام بالسنة، فهل يكون هذا مستهزئاً الاستهزاء الذي يخرجه من الملة؟ الجواب: لا؛ لأن هذا الاستهزاء راجع إلىٰ تدين هذا المرء، وليس راجعاً إلىٰ الدين أصلاً، فيُعرَّف بأن هذا سنة عن النبي ﷺ فإذا عَلِمَ أنه سنة، وأقرَّ بذلك، وأن النبي فعله ثم استهزأ، بمعنىٰ: استنقص أو هزأ بالذي اتبع السنة مع علمه بأنها سنة وإقراره بصحة كونها سنة فهذا رجع إلىٰ الاستهزاء بالرسول.

وكذلك الاستهزاء بكلمات قد يكون مرجعها إلىٰ القرآن، وقد لا يكون مرجعها إلىٰ القرآن فيكون فيه تفصيل، فالخلاصة – إذاً – أن الاستهزاء إذا كان بالله، أو بصفاته، أو بأسمائه، أو بالرسول عليه الصلاة والسلام، أو بالقرآن فإن هذا كفر، وإن كان الاستهزاء غير ذلك فينظر: إن كان راجعاً إلىٰ أحد الثلاثة فهو كفر أكبر، وإن كان غير ذلك فإنه يكون محرماً ولا يكون كفراً أكبر»[(١)].

وهكذا القول في **حكم الاستهزاء بالمتمسك بالدين:**

فإن له حالتين:

الحالة الأولىٰ: الاستهزاء بالمسلم لعيب خُلُقي، أو خَلقي مستقذر وذلك: كالاستهزاء بالطول والقصر، والعرج والعور، والعجلة والحماقة، والغضب والبلاهة وما شابه ذلك.

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٨٢، ٤٨٣.

وهذا القسم حكمه التحريم؛ إذ هو كبيرة من كبائر الذنوب، التي حذر الله عباده المؤمنين من الوقوع فيها، ورتب على اقترافها عذابا أليما، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

فمن وقع في مثل هذا فإنما عليه الإقلاع، والتوبة النصوح، وعقد العزم على أن لا يعود[١].

الحالة الثانية: الاستهزاء بالمسلم لتمسكه بدين الإسلام وهذا كفر[٢].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «لا ريب أن الاستهزاء بالله ورسوله وبآياته وبشرعه وأحكامه من جملة أنواع الكفر لقول الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [التوبة:٦٥،٦٦] ويدخل في ذلك الاستهزاء بالتوحيد، أو بالصلاة، أو بالزكاة، أو الصيام، أو الحج، أو غير ذلك من أحكام الدين المتفق عليها.

أما الاستهزاء بمن يعفي لحيته أو يقصر ثيابه ويحذر الإسبال أو نحو ذلك من الأمور التي قد تخفى أحكامها جاهلاً، فهذا فيه تفصيل، والواجب الحذر من ذلك، ونصيحة من يعرف منه شيء من ذلك حتى يتوب إلى الله سبحانه ويلتزم بشرعه، ويحذر الاستهزاء بمن تمسّك بالشرع في ذلك، طاعة لله عز وجل ورسوله ﷺ وحذر من غضب الله وعقابه والردة عن دينه وهو لا يشعر»[٣].

(١) انظر في ذلك القول المبين، عبدالسلام بن برجس ص ٢٢.
(٢) ينظر فتاوى اللجنة ٢/ ٢٦.
(٣) مجموع فتاوى ابن باز ص ٥٣٤.

وقال أيضاً رحمه الله: «من يستهزئ بالمسلمة أو المسلم من أجل تمسكه بالشريعة الإسلامية فهو كافر سواء أكان ذلك في احتجاب المسلمة احتجاباً شرعياً أم في غيره لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عِنْدَ اللقاء. فقال رجل: كذبت، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، فقال عبد الله ابن عمر: وأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥،٦٦] فجعل استهزاءه بالمؤمنين استهزاء بالله وآياته ورسوله. وبالله التوفيق»[١].

وذكر العلامة ابن حجر الهيثمي عن بعض الأئمة الحنفية في كتاب ألّفه فيما يكون به المسلم مرتداً، ذكر في الفصل الأول وهو ما اتفق العلماء عليه من المكفرات:

«أو قال العلم الذي يتعلمونه أساطير وحكايات أو هذيان أو هباء أو تزوير، أو قال: إيش مجلس الوعظ؟ أو العلم لا يُثرِد. أو وعظ على سبيل الاستهزاء، أو ضحك على وعظ العلم، أو قال لرجل صالح: كن ساكناً حتى لا نقع إلا وراء الجنة، أو قال: إيش هذا القبيح الذي خففت شاربك، أو قال: بئسما أخرجت السنة...».

ثم عقب عليه بقوله رحمه الله: «وما ذكره في إيش مجلس الوعظ...الخ إنما يتجه إن أراد الاستهزاء بالواعظ، وكذا إن أُطلِق على احتمال قوي فيه لظهور هذا اللفظ في الاستخفاف بمجلس الوعظ والعلم وما ذكره في الوعظ استهزاء، إنما يتجه إن أراد الاستهزاء بالواعظ، وكذا بالوعظ من حيث هو وعظ. أما لو أراد الاستهزاء

(١) مجموع فتاوى ابن باز ص ٥٣٣.

بالواعظ أو بكلماته لا من حيث كونه واعظا، فلا يتجه الكفر حينئذ، وكذا قال في الضحك على الوعظ...»[(١)].

* أحكام وفوائد:

❖ حكم الجلوس مع المستهزئين:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

قال القرطبي: «فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرّضا بالكفر كفر؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾. فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوِزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتىٰ لا يكون من أهل هذه الآية»[(٢)].

قال العلامة الشوكاني في تفسير هذه الآية: «أي أنزل عليكم في الكتاب أنكم عِنْدَ هذا السماع للكفر والاستهزاء بآيات الله لا تقعدوا معهم ما داموا كذلك حتىٰ يخوضوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بها، والذي أنزل الله عليهم في الكتاب هو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقد كان جماعة من الداخلين في الإسلام يقعدون مع المشركين واليهود حال سخريتهم بالقرآن، واستهزائهم به؛ فنُهوا عن ذلك.

---

(١) الإعلام بقواطع الإسلام، من النسخة الملحقة بكتابه الزواجر ٣/ ٣٦٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤١٨.

وفي هذه الآية ـ باعتبار عموم لفظها الذي هو المعتبر دون خصوص السبب ـ دليلٌ علىٰ اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية»[(١)].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾: «هذا تعليل للنهي: أي إنكم إن قعدتم معهم تكونون مثلهم وشركاء لهم في الكفر، لأنكم أقررتموهم عليه، ورضيتموه لهم، ولا يجتمع الإيمان بالشيء وإقرار الكفر والاستهزاء به، ويؤخذ من الآية أن إقرار الكفر بالاختيار كفر، ويؤخذ منه أن إقرار المنكر والسكوت عليه منكر، وهذا منصوص عليه أيضاً، وأن إنكار الشيء يمنع فشوه بين من ينكرونه حتماً، فليعتبر بهذا أهل هذا الزمان، ويتأملوا كيف يمكن الجمع بين الكفر والإيمان، أو بين الطاعة والعصيان، فإن كثيرًا من الملحدين في البلاد المتفرنجة يخوضون في آيات الله، ويستهزئون بالدين، ويقرهم علىٰ ذلك ويسكت عليهم من لم يصل إلىٰ درجة كفرهم، لضعف الإيمان والعياذ بالله تعالىٰ»[(٢)].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «ومن يستهزئ بأهل الدين والمحافظين علىٰ الصلوات من أجل دينهم ومحافظتهم عليه يعتبر مستهزئاً بالدين، فلا تجوز مجالسته ولا مصاحبته، بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه ومن صحبته، وهكذا من يخوض في مسائل الدين بالسخرية والاستهزاء يعتبر كافرا فلا تجوز صحبته ولا مجالسته بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه وحثه علىٰ التوبة النصوح»[(٣)].

(١) فتح القدير ٢/ ٧٩٤.
(٢) تفسير المنار ٥/ ٣٧٤.
(٣) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص٥٣٢.

❖ توبة المستهزئ:

الصحيح من أقوال أهل العلم قبول توبة المستهزئ بالله إذا توفرت شروط التوبة. قال الشيخ ابن عثيمين: «لقوله ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ﴾ [التوبة:٦٦]، وهذا أمر قد وقع فإن من هؤلاء من عُفي عنه وهُديَ للإسلام وتاب، وتاب الله عليه، وهذا دليل للقول الراجح أن المستهزئ بالله تقبل توبته لكن لا بد من دليل بيّن على صدق توبته لأن كفره من أشد الكفر أو هو أشد الكفر، فليس مثل كفر الإعراض أو الجحد»[١].

❋ فائـــدة: في قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ﴾ قيل: إن الطائفة مخشي بن حُمير عفا الله عنه وتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم مقتله، فقتل يوم اليمامة ولم يعلم مقتله ولا من قتله، ولا يدرى له عين ولا أثر. وقيل إن الطائفة زيد بن وديعة. والأول أشهر، ويحتمل أن الله عفا عنهما جميعاً[٢].

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٥٦. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٣١.

(٢) أحكام القرآن ٨/ ١٩٦ وانظر تيسير العزيز الحميد ص٦٢٩. وأصلها عند ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ١٠/ ١٧٢.

٢٤- الإســلام*

الإسلام فـي اللغة:

قال الخطابي: «السَّلَم بفتح السين واللام: الاستسلام والإذعان كقولـه تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [النساء:٩٠] أي الانقياد، وهو مصدر يقع علىٰ الواحد والاثنين والجمع»[(١)].

وقال أبوبكر الرازي: «واستسلم أي انقاد»[(٢)].

والاستسلام لله: الذل والخضوع له.

وقال الإمام أبوبكر الإسماعيلي: «ومنهم من ذهب إلىٰ أن الإسلام مختص بالاستسلام لله والخضوع له والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به»[(٣)].

---

* التمهيد لابن عبد البر ٩/ ٢٤٧، ١٦/ ١٦٠. الشريعة للآجري ٩٥، ٩٩، ١٠٤. الإبانة لابن بطة العكبري ٦٣٦. الجامع أحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ٤٩، ١٤/ ١٨٥. فتح الباري لابن رجب ١/ ٩٩، ١٢٥. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٠٣، ٤٢٦، ٤٣٨. معارج القبول ٢/ ٢٠. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ١٨٥. نور علىٰ الدرب ص٣٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ٤٥ ـ ٧/ ٢٣٧. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٤/ ٦٢٧. عقيدة الإمام ابن عبدالبر للغصن ص٤٧٣، ٤٧٥. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٦٩، ٤٦٢. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٢٧. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص١٣٧٣. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٣٠١. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٥٤. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٤٦. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٥٣ ـ ٦٣. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٢٢٣ ـ ٢٨٩. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص١٨٦. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٩٥.

(١) النهاية (س ل م).

(٢) مختار الصحاح (س ل م).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث، ص٦٨.

وقال ابن جرير الطبري: «وكذلك الإسلام وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم، بمعنى: دخل في السلم، كما يقال أقحط القوم: إذا دخلوا في القحط، وأربعوا: إذا دخلوا في الربيع، فكذلك أسلموا: إذا دخلوا في السلم، وهو الانقياد بالخضوع، وترك الممانعة، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إن الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة لـه، وإقرارا الألسن والقلوب بالعبودية والذلة، وانقيادها لـه بالطاعة فيما أمر ونهي، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية»[(١)].

* الإسلام فـي الشرع:

قال قتادة: «الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزئ إلا به»[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تعريف الإسلام: «هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد لـه بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله»[(٣)].

وقال الشيخ السعدي: «هو الانقياد لله وحده ظاهراً وباطناً بما شرعه على ألسنة رسله»[(٤)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «هو استسلام العبد لله ظاهراً وباطناً بفعل أوامره

(١) جامع البيان ٣/ ٢١٢.
(٢) جامع البيان ٣/ ٢١٢.
(٣) حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ص٤٦، ٤٧ شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ٦٤.
(٤) تفسير ابن سعدي ص١٠٣.

واجتناب نواهيه فيشمل الدين كلّه»[(١)].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٨٥]).

* **الدليل من السنة:** روى مسلم عن طَاوُس أَنَّ رَجُلا قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَلا تَغْزُو فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الإِسْلامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسة شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»[(٢)].

* **أقوال العلماء:**

قال أبو العالية: «الإسلام: الإخلاص لله وحده وعبادته، لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإسلام الذي هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين فيستسلم لله وحده لا شريك له، ويكون سالماً له بحيث يكون متألهاً له غير متألهٍ لما سواه»[(٤)].

وقال رحمه الله: «وهو أن يجمع معنيَين: أحدهما الانقياد والاستسلام، والثاني إخلاص ذلك وإفراده»[(٥)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «الإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد والطاعة»[(٦)].

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص٩١ من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٤/ ٩١.
(٢) أخرجه مسلم (١٦). وفي رواية البخاري زيادة «وأن محمداً رسول الله» البخاري (٨).
(٣) جامع البيان ٣/ ٢١٢.
(٤) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٢٣.
(٥) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٣٥.
(٦) تحقيق كلمة الإخلاص ص٤٠.

* أحكام وفوائد:

❖ العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام:

إن اسم الإيمان تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإسلام. وتارة يذكر مقرونا

فمن أمثلة ذكره مقرونا بالإسلام قولـه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥،٣٦] وقول جبريل عليه السلام في حديث عمر بن الخطاب: «ما الإسلام، وما الإيمان»[(١)].

ومن أمثلة ذكر الإيمان مفرداً قولـه تعالىٰ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، وقولـه تعالىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد:٧،٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(٣)].

ومن أمثلة ذكر الإسلام مفرداً قولـه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٩)، و مسلم (٣٥، ٥٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) عن أنس بن مالك.

وقولـه تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، وقولـه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقولـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨].

والتفريق بين الإسلام والإيمان من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين السلف ـ رحمهم الله ـ ولهم فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنهما شيء واحد فلا فرق بين الإسلام والإيمان:

وممن قال بذلك:

الإمام البخاري حيث بوّب في صحيحه فقال: «باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام الإيمان والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له، ثم قال: «جاء جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم» فجعل ذلك كله ديناً. وما بين النبي ﷺ لوفد عبد القيس من الإيمان وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٨٥]»[(١)].

قال ابن حجر: «تقدم أن المصنف يرىٰ أن الإيمان والإسلام عبارة عن معنىٰ واحد فلما كان ظاهر سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وجوابه يقتضي تغايرهما، وأن الإيمان تصديق بأمور مخصوصة والإسلام إظهار أعمال مخصوصة أراد أن يرد ذلك بالتأويل إلي طريقته، قوله وبيان أي مع بيان الاعتقاد والعمل دين. وقوله وما بين أي مع ما بين للوفد أن الإيمان هو الاسم حيث فسره في قصتهم بما فسر به الإسلام هنا وقوله أي مع ما دلت عليه الآية أن الإسلام هو الدين، ودل عليه خبر أبي سفيان أن الإيمان هو الدين فاقتضىٰ ذلك أن الإسلام والإيمان أمر واحد هذا محصل كلامه»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٣٧).

(٢) فتح الباري ١/ ١١٤.

محمد بن نصر المروزي يرىٰ أن الإيمان هو الإسلام فيقول: «وقالت طائفة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله الله ديناً ارتضاه لعباده ودعاهم إليه»[(١)].

ونقل عنه شيخ الإسلام أنه قال: «وقد ذكرنا تمام الحجة في أن الإسلام هو الإيمان، وأنهما لا يفترقان ولا يتباينان»[(٢)].

الإمام الحافظ ابن منده حيث بوب لذلك في كتاب الإيمان فقال: «ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب والسنة أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنىٰ واحد»[(٣)].

وإلىٰ هذا الرأي يذهب ابن عبد البر حيث قال: «الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر أن الإيمان والإسلام سواء بدليل ما ذكرنا من كتاب الله ﷻ قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥،٣٦] وعلىٰ القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعية والمالكية وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر إلىٰ أن قال والصحيح عندنا ما ذكرت لك»[(٤)].

القول الثاني: إنهما شيئان متغايران مطلقاً سواء اجتمعا أو افترقا:

وقال به جماعة من السلف منهم:

---

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٥٢٩.
(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٣٦٥.
(٣) الإيمان لابن منده ١/ ٣٢١.
(٢) التمهيد لابن عبد البر ٩/ ٢٥٠.

١ـ الإمام الزهري: حيث يرىٰ: «إن الإسلام الكلمة والإيمان العمل»[١].

ولبيان معنى كلام الزهري رحمه الله أنقل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال: «ولما كان كل من أتىٰ بالشهادتين صاراً مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارىٰ، تجري عليه أحكام الإسلام؛ كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه، فلهذا قال الزهري: الإسلام الكلمة، وعلىٰ ذلك وافقه أحمد وغيره، وحين وافقه لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها، فإن الزهري أجلّ من أن يخفىٰ عليه ذلك»[٢].

٢ـ الإمام أحمد كما ذكره عنه عبد الملك الميموني قال: قلت: لأبي عبد الله تفرق بين الإيمان والإسلام قال: نعم[٣].

وقال ابنه صالح: «سئل أبي عن الإسلام والإيمان. فقال: قال ابن أبي ذئب: الإسلام القول والإيمان العمل فقيل ما تقول أنت؟ قال: الإسلام غير الإيمان»[٤].

قال ابن منده: «وقال بهذا القول جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن عباس والحسن ومحمد بن سيرين وهو مذهب جماعة من أئمة الآثار»[٥].

قال ابن عبد البر: «وقد ذهبت طائفة من أهل الحديث إلىٰ أن الإيمان والإسلام معنيان»[٦].

القول الثالث: أن الإسلام والإيمان إذا أطلق أحدهما مفرداً شمل الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله. وأما إذا قرن بينهما وذكرا معاً فعند

---

(١) الإيمان لابن منده ١/ ٣١١.
(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٤١٥.
(٣) السنة للخلال ٣/ ٦٠٤.
(٤) السنة للخلال ٣/ ٦٤٠
(٥) الإيمان لابن منده ١/ ٣١١ـ٣١٢.
(٦) التمهيد لابن عبد البر ٩/ ٢٤٩.

ذلك يفترقان فيراد بالإسلام حينئذ الأعمال والأقوال الظاهرة ويراد بالإيمان الاعتقادات الباطنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... فإذا قيل إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح وليس أحدهما الآخر فالإيمان كالروح فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن، والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حيا إلا مع الروح بمعنى أنهما متلازمان لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر»[(١)].

وقال ابن رجب: «... فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالٌ على باقيها وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، هكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى آخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعا مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابي في كتابه «معالم السنن» وتبعه عليه جماعة من

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٣٦٥، ٣٦٧.

العلماء من بعده، ويدل علىٰ صحة ذلك أن النبي ﷺ فسَّر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبدالقيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل، وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان كما في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن عنبسة قال جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان». قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت» قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: «الهجرة» قال: فما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء» قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد». فجعل النبي ﷺ الإيمانَ أفضلَ الإسلام وأدخل فيه الأعمال، وبهذا التفصيل يظهر تحقيق القول في مسألة الإيمان والإسلام هل هما واحد أو مختلفان فإن أهل السنة والحديث مختلفون في ذلك وصنفوا في ذلك تصانيف متعددة فمنهم من يدعي أن جمهور أهل السنة علىٰ أنهما شيء واحد منهم محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر، وقد روي هذا القول عن سفيان الثوري من رواية أيوب بن سويد الرملي عنه وأيوب فيه ضعف ومنهم من يحكي عن أهل السنة التفريق بينهما كأبي بكر بن السمعاني وغيره وقد نقل هذا التفريق بينهما عن كثير من السلف منهم قتادة وداود بن أبي هند وأبو جعفر الباقر والزهري وحماد بن زيد وابن مهدي وشريك وابن أبي ذئب وأحمد ابن حنبل وأبو خيثمة ويحيىٰ بن معين وغيرهم علىٰ اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما وكان الحسن وابن سيرين يقولان مسلم ويهابان مؤمن وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف، فيقال إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده لـه وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمّىٰ الله في

كتابه الإسلام ديناً، وفي حديث جبريل سمّىٰ النبيُّ ﷺ الإسلامَ والإيمانَ والإحسانَ ديناً، وهذا أيضاً مما يدل علىٰ أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب وبالإسلام جنس العمل وفي المسند للإمام أحمد عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال الإسلام علانية والإيمان في القلب وهذا لأن الأعمال تظهر علانية والتصديق في القلب لا يظهر وكان النبي ﷺ يقول في دعائه إذا صلىٰ علىٰ الميت اللهم من أحييته منا فأحيه علىٰ الإسلام ومن توفيته منا فتوفه علىٰ الإيمان لأن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن منه في الحياة.

فأما عند الموت فلا يبقىٰ غير التصديق بالقلب ومن هنا قال المحققون من العلماء كل مؤمن مسلم فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام كما قال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام وليس كل مسلم مؤمناً، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفاً فلا يتحقق القلب به تحققاً تاماً مع عمل جوارحه أعمال الإسلام فيكون مسلماً وليس بمؤمن الإيمان التام كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤] فلم يكونوا منافقين بالكلية علىٰ أصح التفسيرين وهو قول ابن عباس وغيره بل كان إيمانهم ضعيفاً ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾»[(١)].

وبه تعرف معنىٰ الجملة المشهورة في ذلك: أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا

(١) جامع العلوم والحكم ص٢٦، ٢٧ وانظر ما بعدها ص٢٨، ٢٩، ٣٠، حيث طلب فيها الشواهد المؤيدة لما قرره.

افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فمتى قرن الإسلام والإيمان كان المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة والمراد بالإيمان ما يكون في القلب من التصديق وعمل القلب، وهذا يدل عليه حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت ... الحديث[١].

وإن ذكر أحدهما شمل الآخر. وهو ما يدل عليه حديث وفد عبدالقيس حيث فسر الإيمان بما فسر به الإسلام في حديث جبريل حيث قال ﷺ لهم: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس ...» الحديث[٢].

وقال ابن سعدي: «اعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام بهذه الأصول وإقراره المتضمن لأعمال القلوب والجوارح وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام، وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها، فهي من الإيمان وأثر من آثاره.

فحيث أطلق الإيمان دخل فيه ما ذكر، وكذلك الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، فإذا قرن بينهما كان الإيمان اسما لما في القلب من الإقرار والتصديق والإسلام اسماً للأعمال الظاهرة»[٣].

(١) أخرجه مسلم (٨) (٩).
(٢) أخرجه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧).
(٣) تفسير السعدي ١/ ١٤٤.

❖ الإسلام بالمعنى العام والخاص:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا؟ وهو نزاع لفظي، فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمداً ﷺ المتضمن لشريعة القرآن ـ ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام، المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً من الأنبياء ـ فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين ﵀: «الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكرالله ﷻ ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله ﷻ. قال الله تعالى عن إبرهيم: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ [البقرة:١٢٨].

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، فاليهود مسلمون في زمن موسى ﵇، والنصارى مسلمون في زمن عيسى ﵇، وأما حين بعث النبي محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين»[(٢)].

❖ الإسلام الكوني والشرعي:

قال الشيخ ابن عثيمين: «الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول: إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوت والأرض من مؤمن وكافر، وبرّ وفجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه

---

(١) التدمرية، ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ١٤.

ودليله قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

الثاني: إسلام شرعي وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير»[(١)].

❖ هل الجهاد من أركان الإسلام؟:

عن يزيد بن بشر عن ابن عمر: قال: «بُني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». فقال له رجل: والجهاد في سبيل الله. قال ابن عمر: الجهاد حسن. هكذا حدثنا رسول الله ﷺ[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب: «وفي حديث معاذ بن جبل: «إن رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد». وذروة سنامه: أعلىٰ شيء فيه، ولكنه ليس من دعائمه وأركانه التي بني عليها، وذلك لوجهين:

أحدهما: أن الجهاد فرض كفاية عند جمهور العلماء ليس بفرض عين بخلاف هذه الأركان.

والثاني: أن الجهاد لا يستمر فعله إلىٰ آخر الدهر، بل إذا نزل عيسى عليه السلام ولم يبق حينئذٍ ملةٌ إلا ملة الإسلام فحينئذ تضع الحرب أوزارها ويستغني عن الجهاد بخلاف هذه الأركان فإنها واجبة علىٰ المؤمنين إلىٰ أن يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك»[(٣)].

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٦/ ١٤، ٦٤.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٧٩٨).
(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ١٥٢.

٢٥- الأصنام

انظر باب (الصنم).

٢٦- أصول الإيمان

الأصل: «هو ما يبنى عليه غيره»[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤]»[(٢)].

«والعقيدة الإسلامية» أصولها: الإيمان، بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وقد دلّ على هذه الأصول كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقول الله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧]، ويقول في القدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر:٤٩،٥٠].

وفي سنة رسول الله ﷺ يقول النبي ﷺ مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(٣)].

وفي سنة رسول الله ﷺ يقول النبي ﷺ مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان:

---

(١) التعريفات للجرجاني، ص٤٥.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ٣٧.

(٣) سبق تخريجه.

«الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

ومن هنا يعلم أن أصول الإيمان ستة: الإيمان بالله، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، الإيمان بالرسل، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقدر خيره وشره.

فهذه كما قال الشيخ عبدالرحمن القاسم: «أصول الإيمان التي تركب منها، والتي يزول بزوالها، ستة أركان، ويكون بزوال الواحد من تلك الستة، كافراً كفراً يخرج من الملة، وما عداها لا يزول بزواله؛ لكن منها ما يزول بزواله، كمال الإيمان الواجب، ومنها ما يزول بزواله، كمال الإيمان المندوب»[(٢)].

وقد أفردنا لكل أصل بابا لوحده والله المستعان.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم، ص٦١.

٢٧- الأصول الثلاثة

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته المشهورة الموسومة بثلاثة الأصول: «فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين معلقاً على ذلك: «وهذه الثلاثة يشير بها رحمه الله إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟»[(٢)].

* **الدليل من السنة:** حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح وسؤال القبر.

وفيه الأصول التي يسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فأقعداه فسألاه من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد، وأما المرتاب أو المنافق فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته[(٣)].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ إذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَداً مِنْ الْجَنَّةِ» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ: لا دَرَيْتَ

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ٣٧. وانظر للاستزادة: أبواب توحيد الربوبية، الدين.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ٣٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٨٧٣٣)، (١٨٧٣٤).

وَلا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلا الثَّقَلَيْنِ»[(١)].

*** فائـــدة:**

هذا المصطلح أطلقه الإمام محمد بن عبدالوهاب وأراد به هذا المعنى الذي في الحديث، وأطلقه غيره وأراد به معنى آخر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذه الأصول الثلاثة: توحيد الله، والإيمان برسله، وباليوم الآخر هي أمور متلازمة... إلخ»[(٢)].

وقال العلامة محمد السفاريني في معرض كلامه عن الأصول الثلاثة التي عليها مدار الخلق والأمر والسعادة: «فالأصل الأول إثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه وهي القصص التي قصها الله تعالى على عباده والأمثال التي ضربها لهم. والأصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة وبيان ما يحبه ويكرهه. والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨).

(٢) ينظر مجموع الفاوى ٩، ٣٢، وللاستزادة ٢/ ٥٦، ١٩/ ٩٦.

(٣) لوامع الأنوار ٢/ ٦٤.

٢٨- أصول الدين *

تقدم تعريف الأصول في باب (أصول الإيمان) والمراد به هنا تقسيم الدين إلى أصول وفروع، وهناك نصوص لعلماء أهل السنة يثبتون فيها هذا التقسيم.

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله في شرح حديث معاذ في بعثته إلى اليمن: «والبداءة في المطالبة بالشهادتين لأن ذلك أصل الدين الذي لا يصح شيء من فروعه إلا به»[(١)].

وقال أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله في الموافقات: «الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها، وإن كثر الخلاف كما أنها في أصول كذلك»[(٢)].

وفي بيان معنى الأصول يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول والدقيق مسائل فروع، فالعلم بوجوب الواجبات كمباني الإسلام الخمس وتحريم المحرمات الظاهرة والمتواترة كالعلم بأن الله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وأنه سميع بصير، وأن القرآن كلام الله ونحو ذلك من القضايا المتواترة ولهذا من جحد تلك الأحكام العملية المجمع عليها كفر، كما أن من جحد هذه كفر»[(٣)].

وقال أيضاً رحمه الله: «إذا عرف هذان النوعان، فمن الناس من يسمى العلم

* منهاج السنة ٥/ ٨٤-٩٥، مجموع الفتاوى ٦/ ٥٦، ٥٧، ٢٣/ ٣٤٦-٣٥٠، النبوات ص١٩٢، الصواعق المرسلة ٢/ ٦١٣، إعلام الموقعين ٤/ ٢١٨، معجم المناهي اللفظية، مادة (أصول وفروع)، تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشور ولباب لمحمد المقدم، دلائل الصواب في إبطال بدعة تقسيم الدين إلى قشور ولباب لسليم الهلالي.

(١) إحكام الأحكام ٣/ ١٨٣.

(٢) الموافقات ٤/ ١١٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٦، ٥٧.

والاعتقاد والحكم والقول الخبري التابع علم الأصول، وأصول الدين أو علم الكلام أو الفقه الأكبر، ونحو ذلك من الأسماء المتقاربة وإن اختلفت فيها المقاصد والاصطلاحات، ويسمىٰ النوع الآخر علم الفروع، وفروع الدين، وعلم الفقه والشريعة، ونحو ذلك من الأسماء وهذا اصطلاح كثير من المتفقهة والمتكلمة المتأخرين.

ومن الناس من يجعل أصول الدين اسماً لكل ما اتفقت فيه الشرائع مما لا ينسخ ولا يغير، سواء كان علمياً أو عملياً سواء كان من القسم الأول أو الآخر؛ حتىٰ يجعل عبادة الله وحده ومحبته وخشيته ونحو ذلك من أصول الدين، وقد يجعل بعض الأمور الاعتقادية الخبرية من فروعه ويجعل اسم الشريعة ينتظم العقائد والأعمال ونحو ذلك، وهذا اصطلاح غلب علىٰ أهل الحديث والتصوف، وعليه أئمة الفقهاء وطائفة من أهل الكلام»[(١)].

وأطلق بعض العلماء علىٰ العقيدة اسم «أصول الدين»[(٢)] وذلك أن ملة النبي ﷺ تنقسم إلىٰ اعتقادات وعمليات، والمراد بالعمليات علم الشرائع والأحكام المتعلقة بكيفية العمل، كأحكام الصلاة والزكاة والبيوع وغيرها.

قال ابن أبي العز في مقدمة شرح الطحاوية: «أما بعد، فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلىٰ فقه الفروع، ولهذا سمىٰ الإمام أبوحنيفة رحمه الله تعالىٰ ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين (الفقه الأكبر) وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما

(١) مجموع الفتاوىٰ ١٩/ ١٣٤.

(٢) مثل الإبانة عن أصول الديانة لأبي حسن الأشعري ومسائل من أصول الديانات لأبي يعلي.

سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه..»[(١)].

وقال في الدرة المضية:

وبعـــد فـــاعلم أن كـــل العلـــــم كالفرع للتوحيـد فاسـمع نظمـي

لأنـــه العلـــم الـــذي لا ينبغـــــي لعـاقـــل لفهمـــه لم يبـــتغ[(٢)]

وهذا وإن كان مصطلحاً إلا أن هناك إشكالاً في **بعض الأقوال في التفريق بين الأصول والفروع**.

فمن قائل: إن مسائل الأصول هي العلمية الاعتقادية التي يُطلب فيها العلم والاعتقاد فقط، ومسائل الفروع هي العملية التي يُطلب فيها العمل وهذا مردود بأن المسائل العملية منها ما يكفر جاحده مثل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وصيام رمضان، كما أن المسائل العلمية فيها ما لا يأثم المتنازعون عليه كتنازع الصحابة: هل رأى محمدٌ ربَّه؟

ومن قائل: إن المسائل الاصولية هي ما كان عليها دليل قطعي والفرعية ما ليس عليها دليل قطعي وهذا الفرق خطأ أيضاً فقد كان على عهد النبي ﷺ طائفة أكلوا بعد طلوع الفجر حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ولم يؤثمهم النبي ﷺ فضلاً عن تكفيرهم وخطؤهم قطعي.

ومن قائل: أن المسائل الأصولية هي المعلومة بالعقل والمسائل الفرعية هي المعلومة بالشرع قالوا: فالأول كمسائل الصفات والقدر، والثاني: كمسائل الشفاعة وخروج أهل الكبائر من النار وهذا مردود بأن الكفر والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل فالكافر من جعله الله ورسوله

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٥، ٦.

(٢) الدرة المضيّة مع شرحها لوامع الأنوار البهية ١/ ٥٥.

كافراً، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً[١].

وأما إذا استخدم هذا الاصطلاح كما يفعل المعتزلة حيث جعلوا الأصول الخمسة هي أصول الدين فإنه ينكر عليهم أشد الإنكار، وكذلك ينكر على الشيعة الذين جعلوا الإمامة من أهم أصول الدين.

وقد رد شيخ الإسلام على من أدخل في أصول الدين ما ليس منه فقال رحمه الله تعالى: «وإنما الغرض التنبيه على أن في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين من المسائل والدلائل التي تستحق أن تكون أصول الدين.

وأما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل فليس ذلك من أصول الدين، وإن أدخله فيه، مثل المسائل والدلائل الفاسدة مثل نفي الصفات والقدر، ونحو ذلك من المسائل، ومثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها إما الأكوان وإما غيرها»[٢].

وقال رحمه الله: «والسلف والأئمة الذين ذموا وبدعوا الكلام في الجوهر والجسم والعرض تضمن كلامهم ذم من يدخل المعاني التي يقصدها هؤلاء بهذه الألفاظ في أصول الدين»[٣].

وقال أيضاً: «ومن تدبر هذا رأى أهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعاً بآرائهم ليس فيها كتاب ولا سنة ثم يُكفِّرون من خالفهم فيما ابتدعوه، وهذا حال من كفر من الناس بما أثبتوه من الأسماء والصفات التي يسميها هو تركيباً وتجسيماً.. ونحو ذلك من الأقوال التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة، ثم كفروا من خالفهم فيها، والخوارج الذين تأوّلوا آيات القرآن

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٥/ ٨٨-٩٢.

(٢) درء التعارض ١/ ٣٨، وانظر أيضاً مختصر الفتاوى المصرية ص٢٢٢.

(٣) درء التعارض ١/ ٢٤.

وكفَّروا من خالفهم فيها أحسن حالاً من هؤلاء، فإن أولئك علَّقوا الكفر بكلام ما أنزل الله به من سلطان»[(١)].

وقال أيضاً: «وهذا كما أن طائفة من أهل الكلام يسمى ما وضعه أصول الدين، وهذا مسمى عظيم، والمسمى به فيه من فساد الدين ما الله به عليم، فإذا أنكر أهل الحق والسنة ذلك، قال المبطل قد أنكروا أصول الدين، وهم لم ينكروا ما يستحق أن يسمى أصول الدين وإنما أنكروا ما سماه هذا أصول الدين، وهي أسماء سموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان، فالدين ما شرعه الله ورسوله وقد بين أصوله وفروعه، ومن المحال أن يكون الرسول قد بيَّن فروع الدين دون أصوله كما قد بيَّنا هذا في غير هذا الموضع»[(٢)].

وقال أيضاً: «وقد تقدم التنبيه على منشأ الضلال في هذا السؤال وأمثاله وما في ذلك من العبارات المتشابهات المجملات المبتدعات سواء كان المحدَث هو اللفظ ودلالته، أو كان المحدث هو استعمال ذلك اللفظ في ذلك المعنى، كلفظ «أصول الدين» حيث أدخل فيه كل قوم من المسائل والدلائل ما ظنوه هم من أصول دينهم، وإن لم يكن من أصول الدين الذي بعث الله به ورسله، وأنزل به كتبه»[(٣)].

وقال رحمه الله: «المعلوم أن أشرف مسائل المسلمين، وأهم المطالب في الدين ينبغي أن يكون ذكرها في كتاب الله تعالى أعظم من غيرها، وبيان الرسول لها أولى من بيان غيرها، والقرآن مملوء بذكر توحيد الله تعالى، وذكر أسمائه وصفاته وآياته وملائكته.. والفرائض بخلاف الإمامة.. ومعلوم أن القرآن لم يدل على هذا كما دل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٥٦.

(٣) درء التعارض ١/ ٧٣.

علىٰ سائر أصول الدين»[١].

❖ **حكم تقسيم الدين إلى لب وقشور:**

سُئل سلطان العلماء العز بن عبدالسلام: هل يجوز أن يقول المكلف: «إن الشرع قشره علم الحقيقة لُبُّه» أم لا يجوز؟، فأجاب رحمه الله:

«لا يجوز التعبير علىٰ الشريعة بأنها قشر من كثرة ما فيها من المنافع والخير، وكيف يكون الأمر بالطاعة والإيمان قشراً، وأن العلم الملقب بعلم الحقيقة جزء ومن أجزاء علم الشريعة؟! ولا يُطلق مثل هذه الألقاب إلا غبيٌّ شقي قليل الأدب! ولو قيل لأحدهم: «إن كلام شيخك قشور» لأنكر ذلك غاية الإنكار ويُطلقُ لفظ القشور علىٰ الشريعة؟! وليست الشريعة إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فيُغرَّر هذا الجاهل تغريراً يليق بمثل هذا الذنب»[٢].

وقال تقي الدين السبكي: «... وقولهم «من أهل القشور» إن أراد به ما الفقهاء عليه من العلم ومعرفة الأحكام؛ فليس من القشور، بل من اللب، ومن قال عليه: «إنه من القشور) استحق الأدب، والشريعة كلها لباب»[٣].

وليس المراد بهذا التقسيم أنه لا يُؤبه للفروع أو لا تأخذ حقها بالامتثال أو أن ينصب الاهتمام علىٰ الأصول فقط بحيث تهجر الفروع وإنما المراد أنها بالنسبة للأصول لا تبلغ مبلغها في الأهمية، فقد قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام علىٰ خمس...» فنبه علىٰ المباني العظام، والأصول والفروع كلها تسير في مساق واحد من الالتزام بها ووجوب الامتثال فهي داخلة تحت حكم الله وخطابه، ويقاس صلاح القلب وفساده بظهور انقياده لشرائع الإسلام.

---

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٢٣.

(٢) فتاوىٰ سلطان العلماء، ص٢٤، ٢٥.

(٣) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، لابن القيم رحمه الله ص٢٥.

وليس المراد بالفروع أنها قشور يطرحها العبد وليست ذات فائدة، فهذا فيه غض من شأنها وتهوين لأمرها، وقد أنكر السلف على من هوَّن أمرها، أو قلل من شأنها ومن ذلك أن الإمام مالك رحمه الله سُئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له: إنها مسألة خفيفة سهلة فغضب، وقال: ليس في العلم شيء خفيف أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]، فالعلم كله ثقيل وخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة [١].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن تقسيم الدين إلى قشور ولب، (مثل اللحية)؟.

فأجاب رحمه الله بقوله: «تقسيم الدين إلى قشور ولب، تقسيم خاطئ وباطل، فالدين كله لب، وكله نافع للعبد، وكله يقربه لله عز وجل، وكله يُثاب عليه المرء، وكله ينتفع به المرء، بزيادة إيمانه وإخباته لربه عز وجل حتى المسائل المتعلقة باللباس والهيئات وما أشبهها، كلها إذا فعلها الإنسان تقرباً على الله عز وجل واتباعاً لرسوله ﷺ فإنه يُثاب على ذلك، والقشور كما نعلم لا ينتفع بها بل ترمى، وليس في الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية ما هذا شأنه، بل كل الشريعة الإسلامية لب ينتفع به المرء إذا أخلص النية لله، وأحسن في اتباعه رسول الله ﷺ وعلى الذين يروجون هذه المقالة، أن يفكروا في الأمر تفكيراً جدياً، حتى يعرفوا الحق والصواب، ثم عليهم أن يتبعوه، وأن يدعوا مثل هذه التعبيرات، صحيح أن الدين الإسلامي فيه أمور مهمة كبيرة عظيمة، كأركان الإسلام الخمسة، التي بينها الرسول ﷺ بقوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام». وفيه: أشياء دون ذلك، لكنه ليس فيه قشور لا ينتفع بها الإنسان، بل يرميها ويطرحها.

---

(١) أعلام الموقعين ٦/ ١٣٢ بتحقيق مشهور آل سلمان.

وأما بالنسبة لمسألة اللحية: فلا ريب أن إعفاءها عبادة؛ لأن النبي ﷺ أمر به وكل ما أمر به النبي ﷺ فهو عبادة يتقرب بها الإنسان إلىٰ ربه، بامتثاله أمر نبيه ﷺ، بل إنها من هدي النبي ﷺ وسائر إخوانه المرسلين، كما قال الله تعالىٰ عن هارون: أنه قال لموسىٰ ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾[طه:٩٤]، وثبت عن النبي ﷺ أن إعفاء اللحية من الفطرة التي فطر الناس عليها، فإعفاؤها من العبادة وليس من العـادة، وليس من القشور كما يزعمه من يزعمه»[١].

وقال الشيخ بكر أبوزيد: «وقد أنحىٰ المقبلي في «العلم الشامخ» علىٰ من قال: الخلاف في الفروع سهل، وما جرىٰ مجرىٰ ذلك مما تجده منتشراً اليوم، بل تحول إلىٰ مقولة هزيلة بحيث أوردوا قولهم: هذا قشور وذلك لباب ويعنـون بالقشور: المسائل الفقهية الدائرة في محيط الاستحباب، أو الكراهة، ونحو ذلك من أمور التحسينات والحاجيات، وهذا النبزُ إحياءٌ لما لدىٰ المتصوفة، من تسميتهم أهل الفقه باسم: أهل القشور وأهل الرقص من الصوفية: أهل الحقيقة، فانظر كيف أن الأهواء يجر بعضها بعضاً.

وابن تيمية رحمه الله كثيراً ما يستعمل هذا التعبير، فمراده إذاً من إنكار التفريق ترتيب التكفير، وعليه: فإن المعيَّن لا يكفر إلا بعد قيام الحجة عليه»[٢].

٢٩- إضافة النعم لغير الله

انظر: باب (كفر النعمة).

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١٢٤، ١٢٥.

(٢) معجم المناهي اللفظية ص١٠١.

٣٠- الإطـــراء *

[الغلو ـ التنطع]

الإطراء في اللغة: المدح، وقال الفيومي: «طريت فلاناً مدحته بأحسن ما فيه، وقيل: بالغت في مدحه وجازوت الحد»(١). وقال ابن الأثير: «الإطراء: المبالغة في المدح والإسراف بما ليس في الممدوح»(٢). وقال ابن حجر: «الإطراء: المدح بالباطل»(٣).

وفي الشرع: قال الإمام البغوي: «هو المبالغة في المدح والتعظيم والكذب فيه»(٤).

*** الدليل من السنة:** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ ﵁ يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْده، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»(٥).

*** أقوال العلماء:**

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «وقوله: «إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله) أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي، كما غلت النصارىٰ في عيسى ﵇، فادّعَوا فيه الإلهية، وإنما أنا عبدُ الله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا:

---

* تيسير العزيز الحميد ص٣١٤. فتح المجيد ص٢٥٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٥١. القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٣٧٤، ط٢- ١/ ٤٧٥ ومن المجموع ٩/ ٣٦٣. الدين الخالص حسن القنوجي ٢/ ٢٧٣، ٤/ ٤٥٦.

(١) المصباح المنير ص ١٩٣.

(٢) جامع الأصول ٤/ ٩٧.

(٣) فتح الباري ٦/ ٥٦٥.

(٤) شرح السنة ١٣/ ٢٤٦.

(٥) البخاري (٣٤٤٥)، ومسلم (١٦٩١).

عبدُ الله ورسوله. فأبى المشركون إلا مخالفة أمره، وارتكاب نهيه، فعظّموه بما نهاهم عنه وحذَّرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارىٰ في غُلُّوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرىٰ منهم من الغلو والشرك شعراً ونثراً ما يطولُ عدُّه، وصنَّفوا فيه المصنفات.

وقد ذكر شيخُ الإسلام عن بعض أهل زمانه: أنه جوَّز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كلِّ ما يُستغاث فيه بالله. وصنَّف في ذلك مصنفاً، ردَّه شيخ الإسلام، وردُّه موجودٌ بحمد الله»[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا النهي يحتمل انه مُنصَبّ علىٰ هذا التشبيه، وهو قولـه: «كما أطرت النصارىٰ ابن مريم»، حيث جعلوه إلهاً أو ابناً لله، وبهذا يوحي قول البوصيري:

دع مـا ادَّعتـه النـصارىٰ في نبـيهم   واحكـم بمـا شـئت مـدحاً فيـه

أي دع ما قاله النصارىٰ أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابن الله أو ثالث ثلاثة والباقي املأ فمك في مدحه ولو بما لا يرضيه.

ويحتمل أنّ النهي عام؛ فيشمل ما يشابه غلو النصارىٰ في عيسىٰ بن مريم وما دونه، ويكون قولـه (كما أطرت) لمطلق التشبيه لا للتشبيه المطلق؛ لأنَّ إطراء النصارىٰ عيسىٰ بن مريم سببه الغلو في هذا الرسول الكريم ﷺ حيث جعلوه ابناً لله وثالث ثلاثة، والدليل علىٰ أن المراد هذا قوله: «إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله»»[2].

وفي هذا الحديث النهي عن مدح النبي ﷺ المدح الزائد عن منزلته لأن الغلو قد يؤدي إلىٰ الشرك بالله كما صار للنصارىٰ.

(١) فتح المجيد، ص٢٥٤.
(٢) القول المفيد من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٣٧٥.

٣١- اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام

قال ابنُ حَزْمٍ: «ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالىٰ من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا: من بلغ الغاية من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة، وغير ذلك، وحلت لـه المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك»[(١)].

* **حكمهم**: من اعتقد ذلك فهو كافر والعياذ بالله.

وقد حكىٰ القاضي عياض إجماع المسلمين علىٰ كفر بعض المتصوفة القائلين: «إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلىٰ إسقاطها، وإباحة كل شيء لهم، ورفع عهد الشرائع عنهم»[(٢)].

وفي معرض كلام شيخ الإسلام عن «اليقين» قال: «وقولـه: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] كقولك يأتيك ما توعد. فأما أن يظن أن المراد: اعبده حتىٰ يحصل لك إيقان. ثم لا عبادة عليك فهذا كفر باتفاق المسلمين»[(٣)].

قال ابن كثير رحمه الله: «ويستدلُّ بها ـ أي الآية ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ ـ علىٰ تخطئة من ذهب من الملاحدة، إلىٰ أن المراد باليقين المعرفة فمتىٰ وصل أحدهم إلىٰ المعرفة سقط عنه التكليف عِنْدَهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم

---

(١) الفصل ٤/ ٢٢٦.

(٢) الشفاء ٢/ ١٠٧٤.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٤١٩،٤٢٠ وانظر المجموع ٢٤/ ٣٣٩.

السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمنا»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد ﷺ كما كان الخضر مع موسى عليه السلام، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه... ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله»[(٢)].

وقال رحمه الله: «ومن اعتقد أن لله رجالاً خواصاً لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى... فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام»[(٣)].

وقال: «ومن ادَّعى أن له طريقاً إلى الله يوصله إلى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث بها رسوله، فإنه كافر يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[(٤)].

قال ابن القيم: «ومن ظن أن يستغني عما جاء به الرسول ﷺ بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفراً، وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة وهذا تارة، فما يلقى في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول ويشهد له بالموافقة وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان»[(٥)].

قال في الإقناع: «ومن اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لـه أو لغيره خروجاً عن اتباعه ﷺ وأخذ ما بعث به، أو

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٠.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٢٢، وانظر ٢٧/ ٥٩، ٤/ ٣١٨.
(٣) المصدر السابق ١٠/ ٤٣٤، ٤٣٥ باختصار.
(٤) المصدر السابق ١١/ ٦٠٧ وانظر ٣/ ٤٢٢، ٢٤/ ٣٣٩، ٢٧/ ٥٩.
(٥) إغاثة اللهفان ١/ ١٢٣.

قال أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو إن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعته، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام أو أن هدىٰ غير النبي خير من هديه فهو كافر»[(١)].

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الباب في نواقض الإسلام حيث قال: «التاسع: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ، وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسىٰ عليهما السلام فهو كافر»[(٢)].

❖ الرد على شبهة احتجاجهم بقصة الخضر:

أورد شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ شبهة احتجاجهم بقصة الخضر في مواضع كثيرة من كتبه وفتاويه ورد عليها بما يأتي:

الأول: موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلىٰ الخضر، ولا كان علىٰ الخضر اتباعه، فإن موسىٰ كان مبعوثاً إلىٰ بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر: كإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وجب عليهم اتباعه، فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً، ولهذا قال الخضر لموسىٰ: «أنا علىٰ علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه[(٣)]، وأنت علىٰ علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه» وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

---

(١) الإقناع مع شرحه كشاف القناع ٦/ ١٧١، وانظر مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب قسم الرسائل الشخصية ص ٦٨.

(٢) الرسائل الشخصية ٢١٤.

(٣) في هذا دليل علىٰ أن ما يفعله الخضر كان عن وحي من الله وليس مجرد خيال وتوهم وهذا لا يمكن أن يكون بعد بعثة محمد ﷺ لأحد من الناس إذ ببعثته ﷺ انقطع الوحي ومن ادعىٰ حصوله فقد كفر وانظر في ذلك الفكر الصوفي ص١٣٢.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك فلما بينها له وافقه على ذلك[١].

قال شارح الطحاوية: «وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدُنِّي، الذي يدّعيه بعض من عُدِمَ التوفيق: فهو ملحد زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته. ولهذا قال لـه: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، ولو كان موسى وعيسى حيَّيْنِ لكانا من أتباعه. وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض، إنما يحكم بشريعة محمد، فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوّز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه، وليشهد شهادةَ الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان، وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم، وأهل الاستقامة، وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا!! فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله ﷺ حين أحصِرَ عنها، وهو يَوَدُّ منها نظرةً؟! وهؤلاء لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾ [المدثر:٥٢] إلى آخر السورة»[٢].

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣/ ٤٢٢، ١١/ ٤٨، ٤٩، ١٠، ٦٠٧/ ٣١٨.

(٢) شرح الطحاوية لأبي العز، ص ٤٥٨ ط- أحمد شاكر.

٣٢ - الاعتكاف عِندَ القبور والمشاهد*

العكف في اللغة: «الحبس والوقف والإقامة»[(١)].

قال النووي: «الاعتكاف: أصله الحبس واللبث والملازمة للشيء فسُمِّي الاعتكاف الشرعي لملازمته المسجد ولبثه فيه»[(٢)].

وفي الشرع: قال الحجاوي رحمه الله: «لزوم مسجد لطاعة الله تعالى»[(٣)].

وقال ابن هبيرة: «عبارة عن اللبث في المسجد بنية الاعتكاف»[(٤)].

ومذاهب الفقهاء اختلفت في مدة الاعتكاف، ففريق قال بتحديد أقل الاعتكاف، وفريق آخر قال بعدم تحديد أقله، وأنه يصح بما يطلق عليه لبث في المسجد، وأكثر أهل العلم على أنه غير محدد بمدة، فيجزئ فيه ما يسمى لبث كلبث ساعة ونحوها»[(٥)]. وهذا يهمنا في فهم صورة الاعتكاف الشركي، إذ المراد من الترجمة هنا التحذير من مشابهة المشركين في العكوف عِندَ الأصنام حيث

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٤٥ ـ ٨/ ٣٢٥. الاستذكار لابن عبد البر ١٠/ ٢٦٥، ٣٤٣. شَرحُ السُّنَّةِ للبَغوي ٦/ ٣٩١ ـ ٢/ ٧٣٩، ٨١٧، ٨١٩. الاقتضاء ٢/ ٧٣٩. تيسير العزيز الحميد ص١٨١. فتح المجيد ١٥٩، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٩٢. القول المفيد لابن عثيمين ط٢-١/ ٢٥٩. نور على الدرب ص٣١٤. التبرك د ناصر الجديع ص٣٩٩، ٤٠٠.

(١) ينظر: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية ص ١٠٧، والتعريفات للجرجاني ص ٤٧.

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه ص١٣٠.

(٣) زاد المستقنع ص ٥٦.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح ١/ ٢٥٥، وعرفه النووي بمثل ذلك. انظر المجموع شرح المهذب ٦/ ٥٠٤.

(٥) انظر المحلى ٥/ ٢٦٤، المغني ٣/ ٢١٠، والاعتكاف أحكامه وأهميته في حياة المسلم ص ٤٧، ٤٨ للدكتور أحمد الكبيسي.

يعكف القبوريون عِنْدَ القبور ويقيمون عِنْدها تعبداً لغير اللهِ.

* الدليل من الكتاب: قال تعالىٰ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾.

* الدليل من السنة: «عن أبي واقد الليثي، أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلِّقون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط. قال: فمررنا بسدة خضراء عظيمة قال: فقلنا: يا رسول اللهِ، اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده، كما قال قوم موسىٰ: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إنها لسنن لتركبنَّ سُنن من كان قبلكم سنة سنة»»[1].

* أقوال العلماء:

قال في شفاء الصدور: «فالعكوف المجاورة عِنْدَ قبر نبي أو غير نبي أو مقام نبي أو غير نبي ليس هو من دين المسلمين بل هو من جنس دين المشركين الذين أخبر اللهُ إذ قال لهم إبراهيم إمام الحنفاء: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] فعكوف المؤمنين في المساجد وعكوف الجاهلين في المشاهد هو من جنس عكوف المشركين فإن المشركين يعكفون علىٰ ما يرجونه ويخافونه ويتخذونه شفعا إلىٰ اللهِ قال: فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم لـه خالقاً ولا أن يساويه في صفاته بل كان يقرون بأن خالق السموات والأرض واحد.

كما أخبر اللهُ تعالىٰ عنهم بقولـه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦، ٨٧] وقولـه: وكانوا يتخذون آلهتهم

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٢٤٢).

إخباراً عنهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر:٣]، ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] وهؤلاء العاكفون على القبور قد شابهم في الصورة المطلوب اجتنابها ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦] قال ابن عَبَّاسٍ وغيره: يسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله ومع هذا يعبدون غيره، وهذا التوحيد لا يخلص بمجرده عن الشرك بل لا بد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا إياه والكمال أن لا يرجو ولا يخشى إلا إياه حقيقة ومجازاً»[١].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومن نوع هذا الشرك: الاعتكاف على قبور المشهورين بالنبوة، أو الصحبة، أو الولاية، وشد الرحال إلى زيارتها، لأن الناس يعرفون الرجل الصالح، وبركته، ودعاءه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك؛ فتارة يسألونه؛ وتارة يسألون الله عِنْدَه؛ وتارة يصلون ويدعون الله عِنْدَ قبره.

ولما كان هذا بدء الشرك، سد النبي ﷺ هذا الباب ففي الصحيحين، أنه قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً»[٢].

---

(١) شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور، أصدرته دار الإفتاء العامة بالمملكة العربية السعودية، ص٧٠، ٧١، وفي الغالب النقل فيه عن ابنِ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) الدرر السنية ٢/ ٩. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٠٨. طريق الهجرتين لابن القيم ص٤١٢، ٤١٣. تفسير ابن كثير ٣/ ٩١. فتح القدير ٣/ ٢٩٦. أضواء البيان ٤/ ١٤٢. إرشاد الطالب إلى أهم المطالب لابن سحمان ص١٢، ١٣. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٣٤٤، ٣٤٦. ضوابط التكفير للقرني ص١٩٥، ٢٠١.

٣٣- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به

في اللغة: قال المناوي: «الإعراض: الإضراب عن الشيء وحقيقته جعل الهمزة للصيرورة أي أخذت عرضا أي جانبا غير الجانب الذي هو فيه»[(١)].

قال في اللسان: «والإعراض عن الشيء: الصد عنه، وأعرض عنه: صد»[(٢)].

«والإعراض الصدود، أعرض عنه: صد ووَلَّى»[(٣)].

والمقصود بالإعراض: الإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به. لا يبالي بالدين أصلاً، فلا يتعلم شيئاً من الدين ولا يوالي فيه ولا يعادي فيه، وهؤلاء لا يعلمون الحق كما قال الله جل وعلا: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤].

فجعل سبب عدم علمهم بالحق، لا لخفاء الحق في نفسه، ولكن لأنهم معرضون عن الديانة، وكذلك قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤].

فالإعراض المكفر هو الإعراض عن تعلُّم أصل الإيمان، أما إذا كان معه أصل الإيمان وأعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية فهذا ينقص الإيمان ولا ينفيه بالكلية[(٤)].

---

(١) التعاريف للمناوي ٢/ ٧٦.
(٢) لسان العرب (ع ر ض) ٧/ ١٨٢.
(٣) الإفصاح في اللغة ١/ ١٩٥، وانظر المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٣٠، مختار الصحاح ص٤٢٥.
(٤) الدرر السنية ١٠/ ٤٧٢، ٤٧٣، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ٣١٥.

* **الدليل من الكتاب**: قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣].

قال ابن كثير في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾: «أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها لـه ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها»(١).

حكمه: وهذا هو الناقض الأخير الذي ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام رحمه الله في نواقض الإسلام العشرة فقال: «العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾»(٢).

ولتوضيح هذا الأمر فقد بيَّن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك أنواع الردة ثم أردفها بتنبيهات فقال:

«التنبيه الثالث: ما يلزم منه لزوماً ظاهراً ويدل دلالة ظاهرة علىٰ عدم الإقرار بالشهادتين باطناً ولو أقرَّ بهما ظاهراً، وذلك يشمل أموراً منها:

الإعراض عن دين الإسلام، لا يتعلمه ولا يعمل به، ولا يبالي بما يترك من الواجبات، وما يأتي من المحرمات، ولا بما يجهل من الأحكام.

وينبغي أن يعلم أنَّ المكلف لا يخرج من كفر الإعراض ـ المستلزم لعدم إقراره ـ بفعل أي خصلة من خصال البر، وشعب الإيمان؛ فإن من هذه الخصال ما يشترك الناس في فعله ـ كافرهم ومؤمنهم ـ كإماطة الأذىٰ عن الطريق، وبر

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٩٦.

(٢) الرسائل الشخصية من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس ص٢١٤.

الوالدين، وأداء الأمانة.

وإنما يتحقق عدم هذا الإعراض، والسلامةُ منه بفعل شيء من الواجبات التي تختص بها شريعة الإسلام التي جاء بها الرسول ﷺ ـ كالصلاة والزكاة والصيام والحج ـ إذا فعل شيئاً من ذلك إيماناً واحتساباً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله مع عدم شيء[(١)] من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد ﷺ» اهـ[(٢)].

وذكر ابن القيم ضابطاً للإعراض فقال رحمه الله: «وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدق ولا يكذب، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة»[(٣)].

وقال في موضع آخر عن أنواع الكفر: «الثالث: كفر إعراض محض لا ينظر فيما جاء به الرسول، ولا يحبه، ولا يبغضه، ولا يواليه، ولا يعاديه، بل هو معرض عن متابعته ومعاداته»[(٤)].

فتبيَّن أن المعرض لا يبالي أن يكون من أنصار الرسول، أو أن لا يكون من أنصار الرسول، أو أن يكون باحثاً عن الحق، أو أن لا يكون باحثاً عن الحق، أو أن يكون متبعا للدين، أو لا يكون متبعا للدين وهذا هو حاصل كلام ابن القيم فتجد أن المرء ليس عِنْدَه علم بالإسلام، ولا عِنْدَه علم بالرسالة، وليس من أهل الديانة أصلاً لأنه معرض عنها.

فالتوحيد ليس مجرد الإقرار ثم يترك العمل ويعرض عنه وعن أحكامه.

---

(١) قال الشيخ البراك: كذا وردت العبارة، ولعل المناسب للسياق: «مع عدم فعل شيء».

(٢) من مجموع الفتاوى ٧/ ٦٢١، جواب في الإيمان ونواقضه للشيخ عبدالرحمن البراك ص٢٣-٢٤.

(٣) مدراج السالكين ١/ ٣٤٧.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤، وانظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٩٧.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فإذا قيل: التوحيد زين، والدين حق، إلا التكفير، والقتال، قيل: اعملوا بالتوحيد، ودين الرسول، ويرتفع حكم التكفير، والقتال، فإن كان حق التوحيد الإقرار به، والإعراض عن أحكامه، فضلا عن بغضه، ومعاداته، فهذا والله عين الكفر وصريحه؛ فمن أشكل عليه من ذلك شيء فليطالع سيرة محمد ﷺ، وأصحابه»(١).

ومن الآيات التي يناسِب ذكرها هنا: قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١]، قال الإمام ابن القيم في معنى هذه الآية: «فجعل الإعراض عما جاء به الرسول والالتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه والتسليم لما حكم به رضى واختيارا ومحبة فهذا حقيقة الإيمان وذلك الإعراض حقيقة النفاق ...»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٤٧،٥١].

قال ابنُ حَزْمٍ عن هذه الآيات: «هذه الآيات محكمات لم تدع لأحد علقة يشغب بها، قد بين الله فيها صفة فعل أهل زماننا فإنهم يقولون: نحن المؤمنون بالله وبالرسول ونحن طائعون لهما، ثم يتولى طائفة منهم بعد هذا الإقرار

(١) الدرر السنية ٢/ ٥٦.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٥٣، وانظر تيسير العزيز الحميد ص٥٥٧.

فيخالفون ما وردهم عن الله ﷻ ورسولـه ﷺ، أولئك بنص حكم الله تعالىٰ ليسوا مؤمنين»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ ﵀: «فبَيَّن الله سبحانه أن من تولىٰ عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن، وإن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النّفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلىٰ غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقض والسب ونحوه»[(٢)].

❖ الفرق بين التولي والإعراض:

قال أبو البـقاء الكفوي في الكليات: «الإعراض: أن تولي الشيء عرضك: أي جانبك ولا تقبل عليه، والتولي: الإعراض مطلقا، ولا يلزمه الإدبار... والإعراض: الانصراف عن الشيء بالقلب، قال بعضهم: المعرض والمتولي يشتركان في ترك السلوك إلا أن المعرض أسوأ حالاً ... وغاية الذم الجمع بينهما»[(٣)].

وقال المناوي: «التولِّي: الإعراض المتكلف بما يفهمه التفعل ذكره الحرالي»[(٤)].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٩٢.
(٢) الصارم المسلول ص٣٩ دار الجيل، ٨١.
(٣) الكليات ٢٨.
(٤) التعاريف للمناوي ٢/ ٢١٦.

٣٤. أعمال القلوب*

هي ما تعلقت بعمل القلب وارتبطت به كالتوكل والمحبة والرغبة والرهبة والرجاء والخوف والإخلاص وتسمى أيضاً عبادة قلبية[(١)].

قال الإمام أبوعبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «وإنما أعطى الله كلَّ جارحة عملاً لم يُعطه الأخرى، فعمل القلب: الاعتقاد، وعمل اللسان: القول، وعمل اليد: التناول، وعمل الرجل: المشي، وكلها يجمعها اسم العمل»[(٢)].

وقال ابن العربي رحمه الله: «فالعمل له محلان: أحدهما القلب، والآخر الجوارح وعلى القلب أمران: أحدهما الاعتقاد، و الآخر الإخلاص»[(٣)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأصل العمل عمل القلب وهو الحب والتعظيم المنافي للبغض والاستكبار»[(٤)].

وقال أيضاً: «وعمل القلب هو المحبة على سبيل الخضوع»[(٥)].

وقال أيضاً: «والأمر يستوجب الانقياد لـه والاستسلام، وهو عمل في القلب جِـماعه الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به»[(٦)].

---

* الصارم المسلول ص٤٥٩، ٥١٩، العقيدة الأصفهانية ص١٧٨، مدارج السالكين ٢/ ٢١٤، ٢٢٨، ٣٩٧، الصلاة لابن القيم ص٢٤، ٢٥، أعمال القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب سليمان الغصن، مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٢٤. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢٣١، ٢٣٢.

(١) انظر للاستزادة كتاب: التحفة العراقية لابنِ تَيمِيَّةَ ١٨.

(٢) كتاب الإيمان، ص٥٢.

(٣) قانون التأويل ص٣٨٠.

(٤) الاستقامة ٢/ ٣١٠.

(٥) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٠.

(٦) الصارم المسلول ص٥١٩.

وقال رحمه الله: «فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته. ويقال لهذا: قول القلب. قال الجنيد بن محمد: «التوحيد: قول القلب، والتوكل: عمل القلب، فلابد فيه من قول القلب، وعمله: ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان، ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد إلا وهي القلب»»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السنة أن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده ولا معرفة القلب مع ذلك بل لابد فيه من عمل القلب وهو حبه لله ورسوله وانقيادة لدينه والتزامه طاعته ومتابعه رسوله وهذا خلاف من زعم أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب وإقراره»[(٢)].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «عمل القلب هو قصده واختياره ومحبته ورضاه وتصديقه»[(٣)].

❖ ومن أعمال القلوب:

اليقين: وهو أهمها وروحها،قال ابن القيم: «فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال القلوب التي هي من أعمال الجوارح وهو حقيقة الصديقية وهو

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٨٦، ١٨٧.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤.

(٣) الدرر السنية ١/ ٤٧٩.

قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

وروى خالد بن يزيد عن السفيانين عن التميمي عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ترضينَّ أحداً بسخط الله، ولا تحمدنَّ أحداً على فضل الله، ولا تذمنَّ أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن ما رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره، وإن الله بعدله وقسطه جعل الرَّوْح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[1]»[2].

الرضى: قال ابن القيم رحمه الله: «إن الرضى من أعمال القلوب نظير الجهاد من أعمال الجوارح فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان قال أبو الدرداء: ذروة سنام الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر»[3].

الصدق: قال ابن القيم: «ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق وأضدادها من الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكسل والجبن والمهانة وغيرها أصلها الكذب فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق ولا مفاسدها ومضارها بمثل الكذب»[4].

❖ العلاقة بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح:

قال ابن القيم رحمه الله: «إن لله على العبد عبوديتين: عبودية باطنة وعبودية ظاهرة،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٩٧.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢١٤.

(٤) الفوائد ص١٣٦.

فله علىٰ قلبه عبودية، وعلىٰ لسانه وجوارحه عبودية فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة مما لا يقربه إلىٰ ربه ولا يوجب لـه الثواب وقبول عمله فإن المقصود امتحان القلوب وابتلاء السرائر فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح والنية هي عمل القلب الذي هو ملك الأعضاء والمقصود بالأمر والنهي فكيف يسقط واجبه ويعتبر واجب رعيته وجنده وأتباعه اللاتي، إنما شرعت واجباتها لأجله ولأجل صلاحه وهل هذا إلا عكس القضية وقلب الحقيقة والمقصود بالأعمال كلها ظاهرها وباطنها إنما صلاح القلب وكماله وقيامه بالعبودية بين يدي ربه وقيومه وإلهه ومن تمام ذلك قيامه هو وجنده في حضرة معبوده وربه فإذا بعث جنوده ورعيته وتغيب هو عن الخدمة والعبودية فما أجدر تلك الخدمة بالرد والمقت وهذا مثل في غاية المطابقة وهل الأعمال الخالية عن عمل القلب إلا بمنزلة حركات العابثين وغايتها أن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب ولما رأىٰ بعض أرباب القلوب طريقة هؤلاء انحرف عنها إلىٰ أن صرفه همه إلىٰ عبودية القلب وعطل عبودية الجوارح وقال المقصود قيام القلب بحقيقة الخدمة والجوارح تبع والطائفتان متقابلتان أعظم تقابل هؤلاء لا التفات لهم إلىٰ عبودية جوارحهم ففسدت عبودية قلوبهم وأولئك لا التفات لهم إلىٰ عبودية قلوبهم ففسدت عبودية جوارحهم والمؤمنون العارفون بالله وبأمره قاموا له بحقيقة العبودية ظاهرا وباطنا وقدموا قلوبهم في الخدمة وجعلوا الأعضاء تبعا لها فأقاموا الملك وجنوده في خدمة المعبود وهذا هو حقيقة العبودية ومن المعلوم أن هذا هو مقصود الرب تعالىٰ بإرساله رسله وإنزاله كتبه وشرعه وشرائعه فدعوىٰ المدعي أن المقصود من هذه العبودية حاصل وإن لم يصحبها عبودية القلب من أبطل الدعاوي وأفسدها والله الموفق.

ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها عَلِم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟.

وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت؛ ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الإيمان القلب ومركب الإسلام الجوارح فهذه كلمات مختصرة في هذه المسألة لو بسطت لقام منها سفر ضخم وإنما أشير إليها إشارة»[١].

وقال في مدارج السالكين: «إن أعمال الجوارح تضاعف إلى حد معلوم محسوب وأما أعمال القلوب فلا ينتهي تضعيفها وذلك لأن أعمال الجوارح لها حد تنتهي إليه وتقف عِنْدَه فيكون جزاؤها بحسب حدها، وأما أعمال القلوب فهي دائرة متصلة وإن توارىٰ شهود العبد لها.

مثاله: أن المحبة والرضىٰ حال المحب الراضي لا تفارقه أصلاً، وإن توارىٰ حكمها فصاحبها في مزيد متصل فمزيد المحب الراضي متصل بدوام هذه الحال له، فهو في مزيد ولو فترت جوارحه بل قد يكون مزيده في حال سكونه وفتوره أكثر من مزيد كثير من أهل النوافل بما لا نسبة بينهما ويبلغ ذلك بصاحبه إلى أن يكون مزيده حال نومه أكثر من مزيد كثير من أهل القيام وأكله أكثر من مزيد كثير من أهل الصيام والجوع. فإن أنكرت هذا فتأمل مزيد نائم بالله وقيام غافل عن الله،

(١) بدائع الفوائد ٣/ ١٩٢، ١٩٣ دار الكتاب العربي.

فالله سبحانه إنما ينظر إلىٰ القلوب والهمم والعزائم لا إلىٰ صور الأعمال»[١].

❖ **ومن أعمال القلوب وأعمال الجوارح:**

قال ابن القيم: «وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين لـه، والصبر علىٰ أوامره وعن نواهيه وعلىٰ أقداره والرضىٰ به وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل لـه والخضوع والإخبات إليه والطمأنينة به وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلىٰ الله من مستحبها وعمل الجوارح بدونها إما عدم المنفعة أو قليل المنفعة وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلىٰ الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلىٰ الخلق ونحو ذلك»[٢].

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٢٨.
(٢) مدارج السالكين ١/ ١٠١.

٣٥. الأعيـــاد

انظر باب (عيد).

٣٦. الإقامة في بلاد الكفار *

[الولاء والبراء ـ الهجرة]

قال الشيخ ابن عثيمين: «الإقامة في بلاد الكفار خطرها عظيم على دين المسلم، و أخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فسّاقاً، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان ـ والعياذ بالله ـ حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك»[(١)].

وقد جاء في الكتاب والسنة النهي عن التشبه بالكفار كما جاء النهي عن الأسباب الموصلة إلى التشبه بهم، فالإقامة في بلادهم سببٌ في التشبه بهم ظاهراً وباطناً؛ فأمرت الشريعة بالابتعاد عن منازل المشركين وجاء الوعيد في حق من ساكنهم وخالطهم وأقام في بلادهم.

* الدرر السنية ٨/ ١٦٢، ٤٥٩، ٤٨٤، ٩/ ٢٤٨، ٢٥٤. ١١/ ٣٣٨، ١٢/ ٤٠٥. المجموعة الكاملة للسعدي ٧/ ٦٩. شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٢، ١٣٩. نواقض الإيمان القولية والعملية لآل عبد اللطيف ص ٣٦٤. التجنس بجنسية دولة غير إسلامية لمحمد السبيل، بحث في مجلة المجمع الفقهي، العدد ٤ ص ١٥٦،٧ ١٥. السنن والآثار الواردة في النهي عن التشبه بالكفار ص٣٩٧، ٤٠١. وانظر للاستزادة مراجع الولاء والبراء.

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٣٢.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:٩٧].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع»[١].

* الدليل من السنة: عن جرير بن عبدالله البجلي ﷺ أنه قال: يا رسول الله، بايعني واشترط، فقال رسول الله ﷺ: «تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين»[٢].

وقال ﷺ: «لا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلاً أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»[٣].

وعن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ مرفوعاً: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال: «لا تراءى نارهما»[٤].

قال الخطابي: «في قوله «لا تراءى نارهما» ثلاثة أوجه:

أحدهما: معناه لا يستوي حكماهما، قاله بعض أهل العلم.

وقال بعضهم: معناه أن الله قد فرق بين داري الإسلام والكفر، فلا يجوز لمسلم أن يساكن الكفار في بلادهم حتى إذا أوقدوا ناراً كان منهم بحيث يراها.

وفيه وجه ثالث ذكره بعض أهل اللغة قال: معناه لا يتسم بسمة المشرك ولا

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥١٤.
(٢) رواه النسائي.
(٣) أخرجه النسائي (٢٥٦٩)، وابن ماجه (٢٥٣٦)، وأحمد (٢٠٢٩٩).
(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) والترمذي (١٦٠٤).

يتشبه به في هديه وشكله. والعرب تقول: ما نار بعير؟ أي: ما سمته»[(١)].

وقال ابن الأثير: «"لا تراءى ناراهما". أي: يلزم المسلم ويجب عليه أن يُباعِد منزِلَه عن منزِلِ المشرك ولا ينزل بالموضع الذي إذا أوقِدت فيه نارُه تَلوُح وتظهرُ لنار المشرك إذا أوقدها في منزله ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم»[(٢)].

وقال ابن القيم: «إن النار هي شعار القوم عند النزول وعلاماتهم وهي تدعوهم إليهم، والطارق يأنس بها، فإذا ألم بها جاور أهلها وسالمهم، فنار المشركين تدعو إلىٰ الشيطان وإلىٰ نار الآخرة، فإنها إنما توقد في معصية الله، ونار المؤمنين تدعو إلىٰ الله وإلىٰ طاعته وإعزاز دينه، فكيف تتفق الناران، وهذا شأنهما؟ وهذا من أفصح الكلام وأجزله، المشتمل علىٰ المعنىٰ الكثير الجليل بأوجز عبارة»[(٣)].

❖ الفرق بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر:

انظر باب (الهجرة).

❖ أقوال العلماء في النهي عن الإقامة ببلاد الكفار:

للعلماء كلام في الإقامة ببلد الكفر سواء كانت بلد حرب أو بلد عهد، ويلحظ أن الحكم يختلف باختلاف الدار، كما يختلف باختلاف نية المقيم وقدرته علىٰ إظهار دينه[(٤)].

يقول ابن رشد: «فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة علىٰ من أسلم ببلد الحرب أن يهاجر، ويلحق بدار المسلمين ولا يثوي بين المشركين، ويقيم بين أظهرهم لئلا تجري عليه أحكامهم، فكيف يباح لأحد الدخول إلىٰ بلادهم حيث

---

(١) معالم السنن مع مختصر السنن ٣/ ٤٣٧.

(٢) النهاية ٢/ ١٧٧ (ر أ ى).

(٣) تهذيب السنن لابن القيم الجوزية مع مختصر السنن ٣/ ٤٣٦.

(٤) انظر للاستزادة فتوىٰ شيخ الإسلام عن بلد ماردين، مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٢٤٠.

تجري عليه أحكامهم في تجارة أو غيرها، وقد كره مالك ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أن يسكن أحد ببلد يُسَبُّ فيه السلف فكيف ببلد يكفر فيه بالرحمن، وتعبد فيه من دونه الأوثان، ولا تستقر نفس أحد علىٰ هذا إلا وهو مسلم سوء، مريض الإيمان»[(١)].

وقال العيني: «وأما الهجرة عن المواضع التي لا يتأتىٰ فيها أمر الدين فهي واجبة اتفاقاً»[(٢)]. وسيأتي في باب (الهجرة) أقوال العلماء في ذلك.

وقال الشيخ ابن عتيق: «من أقام ببلاد الكفر رغبة واختياراً لصحبتهم، فيرضىٰ ما هم عليه من الدين، أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، فهذا كافر عدو لله ورسوله، لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]»[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «**فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسيين:**

الشرط الأول: أمن المقيم علىٰ دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه علىٰ الثبات علىٰ دينه والحذر من الانحراف والزيغ وأن يكون مضمرا لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ

(١) مقدمات ابن رشد ٢/ ٦١٢، ٦١٣.
(٢) عمدة القاري ١٤/ ٨٠.
(٣) الدفاع عن أهل السنة والاتباع لحمد بن عتيق ص١٢، والدرر السنية ٧/ ٢٠٢.

وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١،٥٢].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن: «من أحب قوماً فهو منهم، وأن المرء مع من أحب»(١).

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم؛ لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ: «من أحب قوماً فهو منهم».

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ .

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسين **تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام**:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه، فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ، بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك؛ ليحذّر

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤).

الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبرونه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دولة الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلا يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم ـ رحمهم الله ـ على جواز دخول بلاد الكفار للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكًا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو

مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجة إلىٰ معلمه فيؤدي ذلك إلىٰ التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال.

والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه **بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط**:

الشرط الأول: أن يكون الطالب علىٰ مستوىٰ كبير من النضج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلىٰ المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث ـ صغار السن ـ وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم علىٰ دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر علىٰ أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيرا من أولئكم المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلىٰ مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم ومشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقا أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقىٰ حيراناً أو يتبع الباطل.

وفي الدعاء المأثور: «اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً عليّ فأضل».

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا

صادفت محلا ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلىٰ العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد لـه نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر علىٰ الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربىٰ أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله». وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن لـه وجهة من النظر فإن المساكنة تدعوا إلىٰ المشاكلة، وعن قيس بن أبي حازم عن جرير ابن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال: «لا تراءىٰ نارهما»[1].

وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضىٰ به، بل ينتسب إلىٰ تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلىٰ بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلىٰ أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

(١) سبق تخريجه.

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقا للحق والصواب»[١].

ولبيان معنى إظهار الدين قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «الإظهار ضد الإخفاء فالمظهر لدينه هو الذي يتمكن من إعلانه ولا يضطهد على ذلك ولا يخفيه والعاجز عن الإظهار هو الذي لا يقدر على إظهار إيمانه وتوحيده وعقائد دينه وشرائعه والدين لا يحد ولا يفسر بتفسير أحسن ولا أوضح من تفسير النبي ﷺ ولا أجمع فإنه فسره بمجموع عقائد الدين وشرائعه وحقائقه، فجعل ذلك كله هو الدين فمتى قدر الإنسان على إظهار هذه الأمور وعدم إخفاء شيء منها فهو المظهر لدينه، ومتى عجز عن إظهارها أو إظهار شيء منها فهو عاجز عن إظهار دينه».

❖ حكم السفر إلى بلاد الكفار:

سئل الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية، لأجل التجارة أم لا؟

فأجاب: «الحمد لله إن كان يقدر على إظهار دينه، ولا يوالي المشركين، جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة، إلى بلدان المشركين، لأجل التجارة، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ، كما رواه أحمد في مسنده وغيره.

وإن كان لا يقدر على إظهار دينه، ولا على عدم موالاتهم، لم يجز له السفر إلى ديارهم، كما نص على ذلك العلماء، وعليه تحمل الأحاديث، التي تدل على النهي عن ذلك، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك لم يجز.

---

(١) انظر شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٢٣، ١٣٩.

وأيضاً: فقد يجره ذلك إلىٰ موافقتهم، وإرضائهم، كما هو الواقع كثيراً، ممن يسافر إلىٰ بلدان المشركين، من فساق المسلمين، نعوذ بالله من ذلك»[(١)].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: «وأما السفر إلىٰ هذه الأقطار للاتجار مع حفظ العبد لدينه وقدرته علىٰ إظهاره فما المانع من ذلك والمسلمون مازالوا يسافرون للتجارة لبلاد الكفر في وقت الصحابة – رضي الله عنهم – وقد ذكر ذلك أهل العلم وذكروا ما يدل عليه، ثم قال: وكل هذا دليل علىٰ جواز الاتجار إلىٰ بلدانهم بشرط أن يتمكن الإنسان من إقامة دينه وحفظه...»[(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «السفر إلىٰ بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلىٰ ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلىٰ بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة، وفيه إضاعة المال؛ لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلىٰ ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين علىٰ ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلىٰ بلاد إسلامية يحافظ أهلها علىٰ شعائر الإسلام، وبلادنا الآن – والحمد لله – أصبحت بلاد سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها»[(٣)].

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ١٦٥ – ١٦٧، الدرر السنية ٨/ ١٦١، ١٦٢.

(٢) المجموعة الكاملة ٧/ ٧٠.

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ١٣٢.

❖ حكم التجنس بجنسية بلاد كافرة:

سئلت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله عن المسلمين الذين يقدمون إلىٰ هذه الديار ينوون الإقامة وكذلك يحصلون علىٰ الجنسية الأمريكية فهل يجوز لهم ذلك علما بأنها ديار كفر وشرك وانحلال فأجابت بما يأتي:

«لا يجوز لمسلم أن يتجنس بجنسية بلاد حكومتها كافرة لأن ذلك وسيلة إلىٰ موالاتهم والموافقة علىٰ ما هم عليه من الباطل أما الإقامة بدون أخذ الجنسية فالأصل فيها المنع لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء:٩٧،٩٨]، ولقول النبي ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين». ولأحاديث أخرىٰ في ذلك ولإجماع المسلمين علىٰ وجوب الهجرة من بلاد الشرك إلىٰ بلاد الإسلام مع الاستطاعة لكن من أقام من أهل العلم والبصيرة في الدين بين المشركين لإبلاغهم دين الإسلام ودعوتهم إليه فلا حرج عليه إذا لم يخش الفتنة في دينه وكان يرجو التأثير فيهم وهدايتهم»[(١)].

وهناك أقوال أخرىٰ وأحكام ذكرها العلماء وأجابوا عنها حسب ورود السؤال إليهم، ينظر إليها في مظانها[(٢)].

---

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم ٢٣٩٣.

(٢) انظر علىٰ سبيل المثال: الفصل المبين في مسألة الهجرة ومفارقة المشركين ص ٩٩، ١٠٠، مجلة المنار، مجلد ٢٥، ج١، ص ٢٢، التجنس بجنسية دولة غير إسلامية، لمحمد السبيل، بحث في مجلة المجمع الفقهي، العدد ٤، ص ١٥٠ – ١٥٧.

ويلحظ أن الحكم يختلف باختلاف الدار وباختلاف نية المقيم، وبحسب قدرته علىٰ إظهار دينه.

٣٧ - الإقسام على الله*

[التألِّي على الله]

يراد به هنا الحلف على الله إذا كان على جهة الحجر على الله والقطع بحصول المقسم على حصوله وهو التألي[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «والإقسام على الله أن تحلف على الله أن يفعل، أو تحلف عليه أن لا يفعل، مثل والله ليفعلن الله كذا، أو والله لا يفعل الله كذا»[(٢)].

قال السعدي: «الإقسام على الله سوء أدب في حق الله وهو مناف للتوحيد وهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله»[(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «**والقسَم على الله ينقسم إلى أقسام:**

الأول: أن يقسم على ما أخبر الله به ورسوله من نفي أو إثبات، فهذا لا بأس به، وهذا دليل على يقينه بما أخبر الله به رسوله مثل: والله ليُشفِّعن الله نبيه في الخلق يوم القيامة، ومثل: والله لا يغفر الله لمن أشرك به.

الثاني: أن يقسم على ربه لقوة رجائه وحسن الظن بربه، فهذا جائز لإقرار النبي ﷺ ذلك في قصة الربيّع بنت النضر عمة أنس بن مالك رضي الله عنه حينما كسرت ثنية جارية من

* شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ٢/ ٧٦٢، ٧٧٢. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٨٧ ـ ٨٩. فتح المجيد ص٦٠١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٨٨. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ٧٨. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٢٦٠ ط٢- ٣/ ٣٢٦ ومن المجموع ١٠/ ١٠٨٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٥٥١.

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٨٨.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٨٥. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٢٦١.

(٣) القول السديد ص١٥٣.

الأنصار فاحتكموا إلى النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ بالقصاص، فعرضوا عليهم الصلح فأبوا، فقام أنس بن النضر فقال: أتكسر ثنية الربيّع؟ والله يا رسول الله لا تكسر ثنية الربيّع. وهو لا يريد به رد الحكم الشرعي. فقال الرسول ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص» يعني السن بالسن، قال: والله لا تكسر ثنية الربيّع، وغرضه بذلك أنه لقوة ما عِنْدَه من التصميم على أن لا تكسر ولو بذل كل غال ورخيص أقسم على ذلك.

فلما عرفوا أنه مصمم ألقى الله في قلوب الأنصار العفو فعفوا، فقال النبي ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[(١)] فهو لقوة رجائه بالله وحسن ظنه أقسم على الله أن لا تكسر ثنية الربيع فألقى الله العفو في قلوب هؤلاء الذين صمموا أمام الرسول ﷺ على القصاص فعفوا وأخذوا الأرش.

فثناء الرسول ﷺ عليه شهادة بأن الرجل من عباد الله، وأن الله أبر قسمه، ولين لـه هذه القلوب، وكيف لا وهو الذي قال: بأنه يجد ريح الجنة دون أحد ولما استشهد وجد به بضعة وثمانون ما بين ضربة بسيف أو طعنة رمح، ولم يعرفه إلا أخته ببنانه[(٢)] وهي الربيّع هذه رضي الله عن الجميع وعنا معهم.

ويدل أيضا لهذا القسم قوله ﷺ: «رُبَّ أشعثَ أغْبَرَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[(٣)].

القسم الثالث: أن يكون الحامل له هو الإعجاب بالنفس، وتحجُّر فضل الله ﷻ، وسوء الظن به تعالى، فهذا محرم، وهو وشيك بأن يحبط الله عمل هذا المقسم»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥) عن أنس ر.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٢).

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٨٥، ١٠٨٦،١٠٨٧. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٢٦٢.

٣٨- الاكتـواء

انظر: «باب الكي».

٣٩- الإكراه

من موانع التكفير. انظر باب: «التكفير».

٤٠- الإلحاد في أسماء الله*

[الأسماء والصفات]

الإلحاد لغة: مأخوذ من اللحد وهو الميل، لحد وألحد بمعنى مال حاد عنه وعدل[١]، ومنه سمي الحفر بالقبر لحداً، لأنه مائل إلى جهة القبلة وهو ما يضاد توحيد الأسماء والصفات.

وشرعاً: وقال ابن القيم في تعريف الإلحاد في أسماء الله: «هو الميل بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها»[٢].

* الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ٢١٧ـ٢/ ٤٠٣. مختصر الصواعق ٢/ ١١٠. مدارج السالكين ١/ ٢٩، ٣٠ ـ ٣/ ٣٤٧. بدائع الفوائد ١/ ١٦٩. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٢٨. تيسير العزيز الحميد ص٦٤٥. فتح المجيد ص٥٢٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٣٧. القول السديد لاين سعدي المجموعة ٣/ ٤٥ ـ ٤٦. القول المفيد لابن عثيمين ط ١ – ٣/ ٧٦، ط٢ – ٣/ ٩٠ ومن المجموع ١٠/ ٩٠٣. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٣٩١. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ١٥٧. ٤/ ٢٣ مذكرة التوحيد عبدالرزاق عفيفي ص١٧. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ٣٣٧. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٤١٥. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ٧٦، ١١١. نواقض الإيمان القولية والعملية ص ١١٨.

(١) مختار الصحاح (ل ح د).
(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٦٩.

وحقيقته الميل بها عما جعلت لـه وعما يجب فيها إلى ضد التوحيد من الشرك والتعطيل والكفر.

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

قال ابن كثير: «وقال العوفي عن ابن عباس في قولـه تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ قال: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله.

وقال ابن جريج عن مجاهد ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ قال اشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، وقال قتادة يلحدون يشركون في أسمائه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب: وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى الميل بالإشراك والتعطيل والنكران. وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عباده، ودلت على كماله ﷻ فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات، كإلحاد أهل الاتحاد، فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها، حتى قال زعيمهم: هو المسمى بمعنى كل اسم ممدوح عقلاً وشرعاً وعرفاً، وبكل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٨، وينظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٢٩، ٣٠.

وقال رحمه الله: «**والإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:**

أحدها: أن يسمي الأصنام بها، كتسميتهم اللات: من الإله، والعزىٰ: من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا عن أسمائه إلىٰ أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارىٰ لـه أباً، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

الثالث: وصفه بما يتعالىٰ عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود إنه فقير، وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني ...

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالىٰ الله عما يقولون المشبهون علواً كبيراً»[(١)].

والإلحاد يضاد توحيد الأسماء والصفات. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «الشرك في توحيد الأسماء والصفات نوعان:

أحدهما: تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة.

الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الاله الحق. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[(٢)].

قال ابن عَبَّاسٍ: يلحدون في أسمائه: يشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعزىٰ من العزيز»[(٢)].

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٩، ١٩٢ باختصار، وانظر للاستزادة تيسير العزيز الحميد ص٦٤٥.

(٢) الأعراف آية (١٨٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٤.

قال الشيخ السعدي: «فحقيقة الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عن مقصودها لفظا أو معنى، تصريحاً، أو تأويلاً، أو تحريفاً، وكل ذلك مناف للتوحيد والإيمان»[(١)].

وقال ابن عثيمين: «والإلحاد في أسماء الله الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا من الأسماء أو مما دلت عليه من الصفات أو الأحكام، ووجه كونه إلحاداً أنه مال بها عما يجب لها إذ الواجب إثباتها وإثبات ما تتضمنه من الصفات والأحكام.

الثاني: أن يثبت لله أسماء لم يسم الله بها نفسه؛ كقول الفلاسفة في الله: إنه علة فاعلة في هذا الكون تفعل، وهذا الكون معلول لها، وليس هناك إلـه. وبعضهم يسميه العقل الفعّال، فالذي يدير هذا الكون هو العقل الفعال، وكذلك النصارى يسمون الله أبا وهذا إلحاد.

الثالث: أن يجعلها دالة على التشبيه، فيقول: الله سميع بصير قدير، والإنسان سميع بصير قدير، اتفقت هذه الأسماء فيلزم أن تتفق المسميات، ويكون الله ﷻ مماثلا للخلق، فيتدرج بتوافق الأسماء إلى التوافق بالصفات.

ووجه الإلحاد: أن أسماءه دالة على معان لائقة بالله لا يمكن أن تكون مشابهة لما تدل عليه من المعاني في المخلوق.

الرابع: أن يشتق من هذه الأسماء للأصنام كتسمية اللات من الإله أو من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان حتى يلقوا عليها شيئا من الألوهية ليبرروا ما هم عليه»[(٢)].

أما من جحد شيئاً من الأسماء والصفات فسوف نتكلم عنها في باب (توحيد الأسماء والصفات).

---

(١) القول السديد ص ١٣٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٩٠٤. وانظر القول المفيد ط ١ - ٣/ ٧٧.

٤١. اللهم اغفر لي إن شئت*

لما كان العبد لا غناء له عن رحمة الله ومغفرته طرفة عين؛ نهى ﷺ عن تعليق حصول المغفرة والرحمة من الله على المشيئة وأمر بعزم الطلب دون تعليق وعلل ذلك بأن تعليق الطلب من الله على المشيئة يشعر بأن الله يثقله شيء من حوائج خلقه أو يضطره شيء إلى قضائها وهذا خلاف الحق فإنه هو الغني الحميد الفعال لما يريد. كما يشعر ذلك بفتور العبد في الطلب واستغنائه عن ربه وهو لا غنى له عن ربه ﷻ.

* **الدليل من السنة:** في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مستكره لـه». ولمسلم: «وليعظم الرّغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[(١)].

❖ **أقوال العلماء في الحكمة من النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة:**

قال في التيسير: «قال القرطبي: إنما نهى الرسول ﷺ عن هذا القول لأنه يدل على فتور الرغبة، وقلة الاهتمام بالمطلوب. وكأن هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه، ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء، وكان ذلك دليلا على قلة معرفته بذنوبه، وبرحمة ربه. وأيضا فإنه لا يكون موقنا بالإجابة. وقد قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل»[(٢)]»[(٣)].

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٩/ ٤٩. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٢١. تيسير العزيز الحميد ص٦٦١. فتح المجيد ص٥٣٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٤٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٣/ ٨٩، ط٢ - ٣/ ١١٠ ومن المجموع ١٠/ ٩١٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٩٠.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) والحاكم (١/ ٤٩٣) وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٥٩٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٦٦١.

وقال السعدي رحمه الله: «الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدّين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك قد أمر العبد أن يسألها من ربه طالباً ملحاً جازماً، وهذا الطلب عين العبودية ومخها، ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة، لأنه مأمور به وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالىٰ لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد، فالعبد يسأل ربه ويعلقه علىٰ اختيار ربه لـه أصلح الأمرين كالدعاء المأثور: «اللهم أحيني ...» وكدعاء الاستخارة.

فافهم هذا الفرق البديع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعها وعدم ضررها وأن الداعي يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التي لا يدري العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها علىٰ ضررها فالداعي يعلقها علىٰ اختيار ربه الذي أحاط بكل شيء علماً»[(١)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «والمحظور في هذا التعليق من وجوه ثلاثة:

الأول: **أنه يشعر بأن الله لـه مكره على الشيء، وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه، فكأن الداعي بهذه الكيفية يقول: أنا لا أكرهك، إن شئت فاغفر وإن شئت فلا تغفر.**

الثاني: أن قول القائل: «إن شئت» كأنه يرىٰ أن هذا أمر عظيم علىٰ الله فقد لا يشاؤه لكونه عظيماً عنده، ونظير ذلك أن تقول لشخص من الناس ـ والمثال للصورة بالصورة لا للحقيقة بالحقيقة ـ: أعطني مليون ريال إن شئت، فإنك إذا قلت له ذلك؛ ربما يكون الشيء عظيماً يتثاقله، فقولك: إن شئت؛ لأجل أن تُهوِّن عليه المسألة، فالله عز وجل لا يحتاج أن تقول له: إن شئت؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا

(١) القول السديد ١٣٦.

يتعاظمه شيء أعطاه»..

الثالث: أنه يشعر بأن الطالب مستغنٍ عن الله، كأنه يقول: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل، فأنا لا يهمني، ولهذا قال: «وليعظم الرغبة»؛ أي: يسأل برغبة عظيمة، والتعليق ينافي ذلك؛ لأن المعلق للشيء المطلوب يشعر تعليقه بأنه مستغن عنه، والإنسان ينبغي أن يدعو الله تعالىٰ وهو يشعر أن مفتقر إليه غاية الافتقار، وأن الله قادر علىٰ أن يعطيه ما سأل، وأن الله ليس يعظم عليه شيء، بل هو هَيِّن عليه، إذاً من آداب الدعاء أن لا يدعو بهذه الصيغة، بل يجزم فيقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم وفقني، وما أشبه ذلك»[1].

* أحكام وفوائد:

❖ حكم قول اللهم اغفر لي إن شئت:

تعليق إجابة الدعاء بالمشيئة ينافي كمال التوحيد.

فإذا كان قولـه هذا علىٰ وجه الاستغناء أو يقولها مشعراً أن هذا المطلوب عظيم علىٰ الله فهذا حرام ولا يجوز، بل الواجب أن يعزم المسألة ويعظم الرغبة ويتيقن الإجابة فإن الله لا مكره له ولا يتعاظمه شيء أعطاه، وممن قال بالتحريم الحافظ ابن عبد البر حيث قال: «لا يجوز لأحد أن يقول: اللهم اعطني إن شئت وغير ذلك من أمور الدين والدنيا؛ لأنه كلام مستحيل لا وجه له، لأنه لا يفعل إلا ما شاءه»[2].

وذهب بعض العلماء كالنووي وابن حجر إلىٰ حمل النهي علىٰ كراهة التنزيه[3]، وكلامنا هذا إذا كان قوله علىٰ وجه الدعاء، وأما إذا كان علىٰ وجه الإخبار لا علىٰ وجه الدعاء فحكمه الجواز لاختلاف المسألة فباب الإخبار غير باب الدعاء

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٩١٦-٩١٧.

(٢) فتح الباري ١١/ ١٤٤.

(٣) ينظر فتح الباري ١١/ ١٤٤.

لانتفاء المحاذير السابقة وعليه يحمل حديث «لا بأس طهور إن شاء الله»[(١)] وحديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا أفطر وهو صائم قال: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[(٢)] وحديث زيارة المقبرة وفيه: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[(٣)].

* **مسألة:** سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن **قول «إن شاء الله» على عمل قد تم** فقال:

«هذا فيه تفصيل، أما في العبادات فلا مانع أن يقول إن شاء الله صليت إن شاء الله صمت؛ لأنه لا يدري هل كملها وقبلت منه أم لا وكان المؤمنون يستثنون في إيمانهم وفي صومهم؛ لأنهم لا يدرون هل أكملوا أم لا، فيقول الواحد منهم: صمت إن شاء الله، ويقول أنا مؤمن إن شاء الله.

أما الشيء الذي لا يحتاج إلى ذكر المشيئة مثل أن يقول: بعت إن شاء الله، فهذا لا يحتاج إلى ذلك أو يقول: تغذيت أو تعشيت إن شاء الله، فهذا لا يحتاج أن يقول كلمة إن شاء الله؛ لأن هذه الأمور لا تحتاج إلى المشيئة في الخبر عنها لأنها أمور عادية قد فعلها وانتهى منها، بخلاف أمور العبادات التي لا يدري هل وفاها أم بخسها حقها، فإذا قال إن شاء الله فهو للتبرك باسمه سبحانه والحذر من دعوى شيء لم يكن قد أكمله ولا أداه حقه»[(٤)].

وبه تعلم أن قول: (إن شاء الله) لا يكون في العمل الذي علم انقضاؤه في الزمن الماضي كقول خلق الله السموات والأرض إن شاء الله لكنه يصح في العبادات رجاء قبولها عِنْدَ الله ويقال أيضاً حال الشك وعدم القطع بالأمر فتقول: ذهب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٦)(٥٦٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٥٧) والنسائي في الكبرى (٣٣١٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز ص ٤٩٤.

فلان إن شاء الله لأنك غير مستيقن. ومما يلزم الاستثناء فيه ما يتعلق بالمستقبل كأن تقول سأفعل كذا إن شاء الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف:٢٣،٢٤].

❖ **حكم قول: والله على ما يشاء قدير:**

قال الشيخ ابن عثيمين: «فإذا تبين أن وصف الله تعالىٰ بالقدرة لا يقيد بالمشيئة بل يطلق كما أطلقه الله تعالىٰ لنفسه فإن ذلك لا يعارضه قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩] فإن المقيد هنا بالمشيئة هو الجمع لا القدرة، والجمع فعل لا يقع إلا بالمشيئة ولذلك قيد بها فمعنى الآية أن الله تعالىٰ قادر علىٰ جمعهم متى شاء وليس بعاجز عنه كما يدعيه من ينكره ويقيده بالمشيئة رد لقول المشركين الذين قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢٥،٢٦] فلما طلبوا الإتيان بآبائهم تحديا وإنكاراً لما يجب الإيمان به من البعث، بين الله تعالىٰ أن ذلك الجمع الكائن في يوم القيامة لا يقع إلا بمشيئته ولا يوجب وقوعه تحدي هؤلاء وإنكارهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٧-٩] والحاصل أن قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ لا يعارض ما قررناه من قبل لأن القيد بالمشيئة ليس عائداً إلىٰ القدرة وإنما يعود إلىٰ الجمع.

وكذلك لا يعارضه ما ثبت في صحيح مسلم في كتاب «الإيمان» في: باب «آخر أهل النار خروجاً» من حديث ابن مسعود ﷺ، قال: قال: رسول الله ﷺ: «آخر من

يدخل الجنة رجل...» فذكر الحديث وفيه أن الله تعالى قال للرجل: «إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر»[١] وذلك لأن القدرة في هذا الحديث ذكرت لتقرير أمر واقع والأمر الواقع لا يكون إلا بعد المشيئة، وليس المراد بها ذكر الصفة المطلقة التي هي وصف الله تعالى أزلاً وأبداً، ولذلك عبر عنها باسم الفاعل ﴿قادر﴾ دون الصفة المشبهة ﴿قَدِيرٌ﴾ وعلى هذا فإذا وقع أمر عظيم يستغربه المرء أو يستبعده فقيل لـه في تقريره إن الله على ما يشاء قادر فلا حرج في ذلك، وما زال الناس يعبرون بمثل هذا في مثل ذلك، فإذا وقع أمر عظيم يستغرب أو يستبعد قالوا قادر على ما يشاء، فيجب أن يعرف الفرق بين ذكر القدرة على أنها صفة لله تعالى فلا تقيد بالمشيئة، وبين ذكرها لتقرير أمر واقع فلا مانع من تقييدها بالمشيئة لأن الواقع لا يقع إلا بالمشيئة، والقدرة هنا ذكرت لإثبات ذلك الواقع وتقرير وقوعه، والله سبحانه أعلم»[٢].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد: «لكن هذا الإطلاق مقيد بأفعال معينة كهذا الحديث وكذلك في الآية ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ معلقة بالجمع وعليه فإن إطلاق هذا اللفظ له حالتان الأولى على وجه العموم فهذا ممتنع لثلاثة وجوه:

١ ـ لأن فيها تقييدا لما أطلقه الله.

٢ ـ لأنه موهم بأن ما لا يشاؤه لا يقدر عليه.

٣ ـ لأنه موح بمذهب القدرية.

والحالة الثانية على وجه التقييد كما ذكر»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ٨٣-٨٤، وانظر: للاستزادة في هذا البحث مجموع الفتاوى لابنِ تَيمِيَّة ١١/ ٤٨٨.

(٣) معجم المناهي اللفظية ص ٣٣٠.

٤٢. الأمن من مكر الله *

[اليأس ـ القنوط]

المكر في اللغة: الاحتيال والخديعة[(١)].

وشرعاً: هو التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر[(٢)].

* **الدليل من الكتاب**: قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]..

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [النجم:٣٢] قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، لقوله الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢]، واليأس من روح الله قال الله: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] والأمن من مكر الله لقول الله عز وجل: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩][(٣)].

* **الدليل من السنة**: وعن ابن مسعود قال: «الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله». وفي رواية: «أكبر الكبائر»[(٤)].

---

* تيسير العزيز الحميد ص٥٠٩. فتح المجيد ص٤١٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٥٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٢/ ٢٠١ ومن المجموع ١٠/ ٦٧٩، مجموع فتاوى ابن باز ١/ ٣١٨.

(١) مختار الصحاح (م ك ر).

(٢) القول المفيد من مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٨٠.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٠٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن (٧/ ١١٦).

(٤) أخرجه معمر في جامعه(١٩٧٠١)والطبراني في الكبير(٨٧٨٣) من طرق عن ابن مسعود، وقال الهيثمي إسناده صحيح.

وفي الحديث: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ﴾. إلى قوله: ﴿مُّبْلِسُونَ﴾[(١)][(٢)].

*** أقوال العلماء:**

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «ويخشى على العبد من خُلُقَيْنِ رذيلين: أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه، وأن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان»[(٣)].

فوائد:

أسباب الأمن من مكر الله:

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «وللأمن من مكر الله سببان مهلكان:

أحدهما: إعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وماله من الحقوق وتهاونه بذلك فلا يزال معرضاً غافلاً مقصراً عن الواجبات منهمكاً في المحرمات حتى يضمحل خوف الله من قلبه ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء لأن الإيمان يحمله على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأخروي.

والثاني: أن يكون العبد عابداً جاهلاً معجباً بنفسه مغروراً بعمله فلا يزال به جهله حتى يدل بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن لـه عِنْدَ الله المقامات العالية فيصير آمناً من مكر الله متكلاً على نفسه الضعيفة ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين

(١) سورة الأنعام: الآية ٤٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٤٤)والطبري في تفسيره (١٣٢٤٠) ويذكر أهل التفسير من الأمثلة استدراج الأقوام السابقة في النعم ثم يحل عليهم العذاب.

(٣) القول السديد للسعدي ص ١٠٣.

التوفيق إذ هو الذي جنىٰ علىٰ نفسه.

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد»[١].

فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره مذموم؟

فالجواب: إن المكر إذا كان في محله فهو ممدوح، وإن كان في غير محله فهو مذموم.

ومكر الله استدراجه العبد بالنعم إذا عصىٰ وإملاؤه له حتىٰ يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وهو مكر يحُمد عليه سبحانه؛ لأنه واقع في محله وبمن يستحقه، ومعلوم أن أهل السنة لا يطلقون صفة المكر علىٰ الله إلاَّ مقيدة فيقولون (يمكر بمن يمكر به)»[٢].

(١) القول السديد ١٠٣.

(٢) انظر أيضاً المجموع الثمين لابن عثيمين ٢/ ٦٥.

٤٣.الإنابة*

[التـــوبـــة]

الإنابة في اللغة: قال الراغب: «النَّوب: رجوع الشيء مرةً بعد أخرىٰ.. والإنابة إلى الله تعالىٰ الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل»[(١)].

وفي الشرع: يقول السعدي: «هي انجذاب القلب في محبة الله وعبوديته والرجوع إليه في كل حالة»[(٢)].

وقال ابن القيم: «وحقيقة الإنابة عكوف القلب علىٰ طاعة الله ومحبته والإقبال عليه»[(٣)].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤]، وقوله حكاية عن شعيب أنه قال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ [الروم:٣١]، وقوله: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق:٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧]، وقوله: ﴿وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾ [الممتحنة:٤]، وقوله عن نبيه داود: ﴿وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٢/ ١٩١. معارج القبول ١/ ٣٣٣.مباحث العقيدة في سورة الزمرص ٢٦٣، ٢٦٩.

(١) المفردات (ن و ب).

(٢) الرياض الناضرة للسعدي ص٢٤١.

(٣) الفوائد، ص٣٦.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن القيم: «والإنابة إنابتان: إنابة لربوبيته:

وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر، كما قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ فهذا حالهم بعد إنابتهم.

والإنابة الثانية: إنابة أوليائه، وهي إنابة لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة.

وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه. فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك.

وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم، و «المنيب» إلى الله: المسرع إلى مرضاته، الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابه»[(١)].

والناس في إنابتهم على درجاتٍ متفاوتة، فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي، وهذه الإنابة مصدرُها مطالعةُ الوعيد، والحاملُ عليها العلم والخشية والحذر.

ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقُربات، فهو ساع فيها بجهده وقد حُبِّبَ إليه فعلُ الطاعات وأنواع القربات، وهذه الإنابة مصدرها الرجاءُ ومطالعة الوعد والثواب، ومحبة الكرامة من الله.. ومنهم المنيبُ إلى الله بالتضرُّع والدعاء، والافتقار إليه، والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه، ومصدرُ هذه الإنابة

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٦٦.

شهودُ الفضل والمنة والغنى والكرم والقدرة، فأنزلوا به حوائجهم، وعلّقوا به آمالهم، فإنابتُهم إليه من هذه الجهة مع قيامهم بالأمر والنهي...»[(١)].

الفرق بينها وبين التوبة: قال ابن عثيمين: «الإنابة الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤]»[(٢)].

(١) طريق الهجرتين ص٣١٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥٧، للاستزادة انظر: «باب التوبة».

٤٤- الانحناء*

قال ابن عثيمين: «ولما سئل ﷺ عن الرجل يلقى أخاه فيسلم عليه أينحني له؟ فقال: لا، فمنع ﷺ من الانحناء عِنْدَ التسليم لأن ذلك خضـــوع لا ينبغي إلا لله رب العالمين فهو سبحانه وحده الذي يركع لـه ويسجد وكان السجود عِنْدَ التحية جائزاً في بعض الشرائع السابقة ولكن هذه الشريعة الكاملة شريعة محمد ﷺ منعت منه وحرمته إلا لله وحده»[(١)].

قال ابن جماعة: «قال بعض العلماء: إنه من البدع، ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر، وهذا لم يفعله السلف الصالح، والخير كله في اتباعه، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم. قال: وليس عجبي ممن جهل ذلك وارتكبه بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه، ومخالفته لعمل السلف، واستشهد لذلك بالشعر»[(٢)].

وقال الشيخ عبد الله بن جبرين: «فمن دعا ميتاً أو رجاه أو علق قلبه به أو أحبه كحب الله أو انحنى لـه أو خشع وخضع عِنْدَ القبر ونحوه، أو طاف به أو ذبح لـه أو نحو ذلك من أنواع العبادة فقد أبطل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»[(٣)].

* التمهيد لابن عبد البر ١٦/ ١١٨. أحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٤٤، ٩/ ٢٦٥. الدرر السنية ٧/ ٢٤١، الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٣١، ٤٤٤. شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور إصدار دار الافتاء العامة في الديار السعودية. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٢٤٠، ٢٤١.

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ص٣٩.

(٣) الشهادتان لابن جبرين ص٨٨.

وقال ابن عثيمين: «الشرك قسمان خفي وجلي:

* **فالجلي**: ما كان بالقول مثل الحلف بغير الله أو قول ما شاء الله وشئت.

أو بالفعل: مثل الانحناء لغير الله تعظيماً...»[١].

وقال ابن القيم ذاكراً أنواع الشرك: «ومن أنواعه: ركوع المتعممين بعضهم لبعض عِنْدَ الملاقاة. وهذا سجود في اللغة. وبه فسر قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [النساء:١٥٤] أي: منحنين، وإلا فلا يمكن الدخول بالجبهة علىٰ الأرض. ومنه قول العرب: سجدت الأشجار، إذا أمالتها الريح»[٢].

والانحناء إذا كان علىٰ غير وجه التعظيم كما يُعظم الله فإنه لا يصل إلىٰ حد الكفر ولكن يُنهى عنه.

٤٥- الأنداد

انظر: باب (الند).

٤٦- الأنصاب

انظر: باب (الصنم).

٤٧- الانقياد المنافي للترك

من شروط (لا إله إلا الله) انظر: باب لا إله إلا الله.

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢٣٤.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٧٤.

٤٨- إنكار النعم*

النعم كلها من عِنْدَ الله تعالىٰ ويجب القيام بحقوقها وإضافتها إلىٰ الله قولا واعترافا حتىٰ يسلم للمرء دينه ويتم توحيده. قال الإمام السعدي رحمه الله: «فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شيء»[(١)]. وسوف يأتي مزيد بحث في (كفر النعمة).

٤٩. أهل الأهــواء

انظر باب (الهوىٰ).

٥٠. أهل السنة والجماعة*

قال ابن عثيمين رحمه الله: «أهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بالسنة، واجتمعوا عليها، ولم يلتفتوا إلىٰ سواها، لا في الأمور العلميّة العقدية، ولا في الأمور العملية الحكمية، ولهذا سموا أهل السنة لأنهم متمسكون بها، وسمُّوا أهل

---

* انظر مراجع باب كفر النعمة.

(١) القول السديد ١١٧.

* التمهيد لابن عبد البر ١٠/ ١٢٧،٢١/ ٢٧٤ـ٢٨٤. الإبانة لابن بطة العكبري ٢٧٠،٣٠٩، ٣٥٩. تفسير القرطبي ١/ ٤١٥، ١١/ ٢٣١، ١٨/ ١٦٠.الموافقات للشاطبي ٤/ ٣، ٤. مجموع الفتاوىٰ ١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨. جامع العلوم والحكم ص٢٣٠ دار الفكر. الدر السنية ٩/ ٩٥-١٠٧، ١٤٦، ١٩٧، ١٢/ ١٠٨. إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٩، ٨٣٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٢٩٦. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ٢/ ٢٣، ٩٧، ١٣١، ١٣٥. منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٨٨. الماتريدية للشمس السلفي الأفغاني ١/ ١٦٥. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٨٠. منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عثمان حسن ١/ ٢٨، ٨٢. موقف ابنِ تَيمِيَّةَ من الأشاعرة د المحمود ١/ ٢١. دعوة إلىٰ السنة للرحيلي.

الجماعة، لأنهم مجتمعون عليها.

وإذا تأملت أحوال أهل البدعة وجدتهم مختلفين فيما هم عليه من المنهاج العقدي أو العملي، مما يدل على أنهم بعيدون عن السنة بقدر ما أحدثوا من البدعة»[١].

ومصطلح (أهل السنة والجماعة) يتكون من شقين هما «السنة» و«الجماعة» وسوف نعرِّف كل واحدٍ منهما ونبيِّن معناه ثم نذكر ألقاباً أخرى يُعرف بها أهل السنة والجماعة.

السنّة: عرَّفها ابن الأثير في اللغة بأنها: «الطريقة والسيرة»[٢] وهذا عام في السنة الحسنة والسيئة ومن ذلك قوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٣].

وخصها الأزهري بالطريقة المحمودة فقال: «السنة: الطريقة المستقيمة المحمودة ... وسن فلان طريقاً من الخير يسنه: إذا ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه فاستنوا به وسلكوه»[٤].

وقولهم: «هي السنة أي الطريقة التي سنها النبي ﷺ وأمر بها»[٥]، ولذلك صار لفظ السنة يطلق على ما كان محموداً فيقال: فلان من أهل السنة أي من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة»[٦].

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١/ ٣٧.
(٢) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٠٩ (س ن ن).
(٣) أخرجه مسلم (١٠١٧).
(٤) تهذيب اللغة ١٢/ ٢٩٨، ٢٩٩ مادة (س ن ن).
(٥) مشارق الأنوار ٢/ ٢٢٣.
(٦) انظر: لسان العرب، مادة (س ن ن).

وأما في الاصطلاح: فقد اختلفت التعريفات وتنوعت بحسب العلم الذي يبحث عنه فتطلق السنة ويراد بها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي فهي عِنْدَ الأصوليين: تطلق على ما صدر عن الرسول من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز[(١)].

ويراد بها في اصطلاح الفقهاء: مرادفة المندوب، وهو ما ثبت عن النبي ﷺ، ولم يكن واجباً[(٢)].

وفي اصطلاح المحدثين: قال النووي: «وتطلق سنته عليه الصلاة والسلام على الأحاديث المروية عنه ﷺ»[(٣)].

وقال ابن حجر في «الفتح»: «هي ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله»[(٤)].

وعرفها البعض بأنها: «كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها»[(٥)].

وهذه هي أهم إطلاقات السنة عِنْدَ العلماء، والذي يهمنا هنا تعريفها في اصطلاح أئمة السنة المشتغلين بتقرير مذهب السلف الصالح في الاعتقاد حيث تطلق السنة عِنْدَهم في مقابل البدعة[(٦)]، فيقال: فلان على السنة إذا عمل على وفق ما

---

(١) الإحكام للآمدي ١/ ١٦٩.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٢٤٥، إرشاد الفحول ص٦٧.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٥٦.

(٤) فتح الباري ١٣/ ٢٤٥.

(٥) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي ص٤٧.

(٦) قال السمعاني في الأنساب لما ذكر من نُسب إلى السنة قال: السُني: بضم السين المهملة، وتشديد النون المكسورة، هذه النسبة إلى السنة التي هي ضد البدعة، ولما كثر أهل البدع خصوا جماعة بهذا الانتساب (الأنساب ٧/ ١٧٥).

عمل عليه الصلاة والسلام سواء كان ذلك مما نص عليه الكتاب أو لا[(١)].

قال الإمام البربهاري: «اعلم أن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام ولايقوم أحدهما إلا بالآخر»[(٢)].

وقال أبو نصر السجزي الوائلي: «أهل السنة: هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه ﷺ فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ لأنهم ﷺ أئمة وقد أمرنا باقتفاء آثارهم واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى إقامة برهان»[(٣)].

فإذا قيل عن رجل أنه صاحب سنة، فالمقصود به: أنه على ما كان عليه النبي ﷺ، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم من أمور الدين قولاً وعملاً واعتقاداً[(٤)].

كما يطلق لفظ أهل السنة في مقابل الرافضة، كما أن الرافضة يعنون به من عداهم.

وعليه فإن **مصطلح أهل السنة له إطلاقان: عام، وخاص**:

أما الإطلاق العام: فالمراد به ما يكون في مقابل الشيعة، فتدخل جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام ـ عدا الشيعة ـ في مفهوم أهل السنة، وعليه يصح تقسيم المسلمين إلى سنة وشيعة.

وأما الإطلاق الخاص: فالمراد به ما يكون في مقابل أهل البدع، والمقالات المحدثة كالشيعة، والخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والأشاعرة، وغيرهم من أهل البدع، يقول ابنُ تَيمِيَّةَ: «فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة وقد يراد به أهل

---

(١) الموافقات ٤/ ٤.

(٢) شرح السنة للإمام البربهاري ٢١.

(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر ص٩٩.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابنِ تَيمِيَّةَ ١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧.

الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى»[(١)].

ويدل على ذلك بعض الآثار الواردة عن أئمة السنة فقد كان أئمة السلف يسمون، الاعتقاد الصحيح سنة[(٢)]، كما قال سفيان بن عيينة: «السنة عشرة، فمتى كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة. ثم ذكر جملة من عقائد السلف»[(٣)].

وقال الإمام أبو بكر بن عياش رحمه الله، عِنْدَما سئل: من السني؟ فقال: «الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها»[(٤)].

ومنها قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله، عِنْدَما سئل: من أهل السنة؟ فقال: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به: لا جهمي ولا قدري ولا رافضي»[(٥)].

وقال الإمام الشافعي: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»[(٦)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «أصول السنة عِنْدَنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم... ثم ذكر جملة عقائد السلف»[(٧)].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: «وأهل السنة نقاوة المسلمين»[(٨)].

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٢٢١.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٣٠. ومجموع الفتاوى ١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٧٥ رقم ٣١٦.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٧٣ رقم٥٣.

(٥) الانتقاء لابن عبدالبر ص٣٥، وترتيب المدارك ٢/ ٤١.

(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم ص٥٩.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ١/ ١٧٦ رقم ٣١٧.

(٨) منهاج السنة ٥/ ١٥٨. وانظر ٦/ ٤٦٦

وقال الإمام علي بن المديني رحمه الله: «السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها ثم ذكر مجمل اعتقاد السلف»[(١)].

وصنف الأئمة على هذا المعنى فصار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم أن: «السنة عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة، وأما السنة الكاملة فهي الطريقة السالمة من الشبهات، والشهوات»[(٢)].

وحين صنف الأئمة كتباً باسم السنة فإنهم يريدون بها الكلام في الأسماء والصفات، وأن القرآن كلام الله، والقضاء والقدر، ومسائل الإيمان والكفر، والمسائل المتعلقة بالبرزخ والآخرة، والموقف من الصحابة وولاة الأمور وما شابه ذلك من أبواب العقيدة.

والكتب التي سميت بالسنة كثيرة ألفها الأئمة في بيان عقائد السلف، منها كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب الاعتصام بالسنة للبخاري، والسنة لعبد الله ابن إمام أحمد بن حنبل، والسنة للخلال، والسنة لأبي بكر بن أبي عاصم، والسنة لأبي داود، وابن أبي حاتم، والطبراني، والطلمنكي، والبربهاري، وابن أبي زمنين، وغيرهم.

وبعدما عرفنا مصطلح «السنة» نأتي على أقوال أهل العلم في تعريف «الجماعة».

الجماعة في اللغة: من جمع، يقال: جمع المتفرق، والجماعة ضد الفرقة[(٣)].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٨٥، رقم ٣١٨.

(٢) كشف الكربة ص١٩، ٢٠.

(٣) انظر: لسان العرب مادة (ج م ع)، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٥٧.

و في الاصطلاح: ورد لفظ الجماعة في حديث: «يد الله على الجماعة، ومن شذّ شذّ إلى النار»[(١)]، وحديث: «من أحب منكم أن ينزل بحبوحة[(٢)] الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ...»[(٣)].

وحديث: «فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية»[(٤)]، وحديث: «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[(٥)]، **وقد اختلف أهل العلم في المراد بالجماعة في هذه الأحاديث** ونحوها على أقوال[(٦)]:

الأول: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، ويدخل فيهم مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها ومن سواهم داخلون في حكمهم.

الثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، وهو اختيار البخاري رحمه الله حيث قال: «هم أهل العلم»[(٧)]، واختاره الترمذي رحمه الله حيث قال: «هم أهل الفقه والعلم والحديث»[(٨)].

الثالث: أنها جماعة الصحابة على وجه الخصوص. فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً[(٩)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٧).

(٢) بحبوحة الجنة: أي وسطها وخيارها.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٦٥) والإمام أحمد (١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) والإمام أحمد (١٧٠٦١)وقال ابن تيمية هذا الحديث محفوظ. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١١٨.

(٦) انظر: الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٦٠ - ٢٦٥، وانظر: تنبيه أولي الأبصار ٢٦٩.

(٧) انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٢٨ كتاب الاعتصام بالسنة باب: +وكذلك جعلناكم أمة وسطاً (سورة البقرة:الآية ١٤٣) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم.

(٨) سنن الترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم (٢١٦٧).

(٩) الاعتصام ٢/ ٢٦٢، وانظر: فتح الباري ١٣/ ٣٧.

الرابع: أنها جماعة المسلمين إذا أجمعوا على أمر ما، وهو الإجماع. فإذا اجتمع العلماء على أمر من أمور الشرع سواءً الأحكام أو المعتقدات فيلزم متابعة حكمهم والاعتصام به، وهذا يرجع إلى القول الأول والثاني.

الخامس: أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فلا يجوز الخروج عليهم فيه. وهو اختيار أبي جعفر الطبري، حيث قال: «والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة»[(١)].

السادس: أنها جماعة الحق، قال الإمام البربهاري في شرح السنة: «هم جماعة الحق وأهله»[(٢)].

وقال ابن كثير: «فأهل الحق هم أكثر الأمة ولا سيما في الصدر الأول ولا يكاد يوجد فيهم من هو على بدعة، وأما في الأعصار المتأخرة فلا يعدم الحق عصابة يقومون به»[(٣)].

وهذه الأقوال حاصلها واحد وهو لزوم المنهج الحق الواضح الذي سنّه رسول الله ﷺ وأصحابه ويلزم من ذلك تقديم أهل العلم والاجتهاد الذين التزموا بالاتباع وترك الابتداع إذ المُعَوَّلُ عليه اتباع الحق ولزومه وخير من يتّبع الحق ويلزمه العلماء أتباع السنة ولو كانوا قلّة المقتدون بالصحابة رضوان الله عليهم فإذا ظفر العبد بهم وجب عليه طاعتهم ولزوم ما التزموا، فالعلماء هم السواد الأعظم والعوام تبع لهم.

ومن صفاتهم أنهم يلزمون إمام المسلمين، إلا إذا رأوا كفراً بواحاً، فيكون مدار

---

(١) انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٧. وهذه الخمس الأولى ذكرها الشاطبي في الاعتصام ٢/ ٢٦٠-٢٦٥.

(٢) شرح السنة للبربهاري ص٢٢.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم ٢/ ٦٣.

تعريف الجماعة على أنها الحق وأهله.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك».

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله وقد سئل عن الجماعة فقال: «أبو بكر وعمر. قيل له: وقد مات أبو بكر وعمر. قال: فلان. قيل له: قد مات فلان وفلان. فقال: عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة»[(١)].

وقال أبو شامة رحمه الله: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً، والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولا ينظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»[(٢)].

وقال ابن القيم: «وقد شذّ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل، إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة، وكان القضاة حينئذٍ، والمفتون، والخليفة، وأتباعه كلهم شاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة»[(٣)].

وبعد أن ذكرنا معنى (السنة) ومعنى (الجماعة) يتبين بوضوح أن أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بالسنة المجتمعون عليها الذين يلزمون جماعة المسلمين وإمامهم. قال شيخ الإسلام: «فإن السنة تتضمن النص، والجماعة تتضمن الإجماع فأهل السنة والجماعة هم المتبعون للنص والإجماع»[(٤)].

❖ صفات وخصائص منهج أهل السنة والجماعة:

قال الشيخ ابن عثيمين: «أبرز الخصائص للفرقة الناجية هي التمسك بما كان عليه النبي ﷺ، في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملة، هذه الأمور الأربعة

---

(١) سنن الترمذي تابع لحديث رقم (٢١٦٧).
(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٢٢.
(٣) إعلام الموقعين ٣/ ٣٩٧.
(٤) منهاج السنة ٦/ ٤٦٦ .

تجد الفرقة الناجية بارزة فيها»[١].

ودليل ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»[٢].

ويلزم من ذلك ألا يقدم رأي أحد علىٰ سنة المصطفى ﷺ بل يقدم النقل والنص الصحيح علىٰ العقل والرأي فلايسلك مسلك أهل الكلام في تقديم العقل علىٰ النقل بل إذا لم يوجد للمسألة نص صحيح فيُرجع إلىٰ أقوال السلف ويستنار بفهمهم للكتاب والسنة ويُلتزم ما لزموا ولا يخوض فيما نهوا عنه ولا يجالس أهل الأهواء ولا يجادل أهل البدع بل يأتمر بما أمر الله من هجرهم وعدم مجالستهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال الشوكاني رحمه الله: «وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلىٰ أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة فإذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزيهه عما يلتبسون به، شبهة يشبهون بها علىٰ العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة علىٰ مجرد سماع المنكر»[٣].

وقال الحسن رحمه الله: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[٤].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١/ ٣٨.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩٣ والبيهقي ١٠/ ١١٤ واللفظ له.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢/ ١٢٨.

(٤) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ١٥٠ رقم (٢٤٠)، سنن الدارمي رقم (٤٠٧).

❖ نشأة مصطلح أهل السنة والجماعة:

عُرف هذا اللقب أيام الصحابة حيث ظهر في تلك الأثناء الحثّ على الطاعة والجماعة.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ في إحدى خطبه: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»[١].

وأخرج اللالكائي عن ابن عباس ﷺ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦] قال: «فأما الذين ابيضّت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم، وأما الذين اسودّت وجوههم: فأهل البدع والضلالة»[٢].

قال محمد بن سيرين ﷺ: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٣].

ويظهر بهذا أنه عُرِف آخر عهد الصحابة لا سيما بعد ظهور الفرق وأهل الأهواء من الخوارج والشيعة والقدرية.

❖ أسماء يعرف بها أهل السنة والجماعة:

هناك ألقاب يعرف بها أصحاب السنة وإن اختلفت الأسماء فالمعنى واحد فأهل السنة هم أهل الحديث وهم السلف الصالح الطائفة المنصورة وهم الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة وهم الغرباء وهم وإن اختلفت أسمؤهم

---

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ١٢١ رقم (١٥٨، ١٥٩)، والآجري في الشريعة ص١٣.

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ٧٩ رقم ٧٤٠.

(٣) صحيح مسلم ١/ ١٥ المقدمة.

فخصائصهم واحدة وأصولهم معروفة ثابتة ومن ألقابهم التي عرفوا بها:

١ ـ السلف: قال ابن فارس: «سلف: السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، ومن ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون»[(١)].

وقال في لسان العرب: «سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُفاً وسُلُوفاً ... والسلف أيضا من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل... ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصلح»[(٢)].

ومعاني السلف تدور حول التقدم والسبق، فالسلف هم الجماعة المتقدمون من الأئمة أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وتابع التابعين الذين ساروا على نهجهم واقتفوا أثرهم.

ويطلق السلف أيضاً على: «كل شيء قدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه فهو له سلف، وقد سلف له عمل صالح، قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس:٣٠] أي جزاء ما عملت»[(٣)].

وكل من كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ فهو منسوب إلى السلف أهل السنة والجماعة؛ لأن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف، ومذهب السلف هو: ما كانوا عليه من الاعتقاد المنسوب إليهم[(٤)].

ومن خالف ذلك كان مبتدعا عِنْدَ أهل السنة والجماعة؛ لأنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة[(٥)].

(١) معجم مقاييس اللغة (س ل ف).
(٢) اللسان (س ل ف).
(٣) تفسير القرطبي ٨/ ٣٣٤.
(٤) لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٢٠.
(٥) انظر: منهاج السنة لابنِ تَيمِيَّةَ ٢/ ٤٨٢.

* إطلاق السلفية والمراد بها:

السلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين:

الأول: حقبة تاريخية معينة تختص بأهل القرون الثلاثة المتقدمة، كما في حديث: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»[(١)].

قال القلشاني: «السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم المهتدون بهدي النبي ﷺ الحافظون لسنته اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وانتخبهم لإقامة دينه»[(٢)].

وقالت اللجنة الدائمة: «السلفية نسبة إلى السلف وهم صحابة رسول الله ﷺ وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة رضي الله عنهم»[(٣)].

وفائدة هذا التحديد الرجوع إلى أقوال رجال هذا الزمن وإلى فهمهم عِنْدَ الاختلاف الذي قد ينشأ فيمن بعدهم.

الثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما. فمن سار على ذلك وتمسك به فهو من السلف ويطلق عليه سلفي[(٤)].

فالسلفية بالإطلاق الأول: مرحلة تاريخية انتهت بموت رجالها. من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المباركة من الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم المذكورين في حديث رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) نقلاً منهج الشافعي في إثبات العقيدة ١/ ٥٣.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ١٦٥.

(٤) وانظر توحيد الخلاق ص٦٤.

(٥) سبق تخريجه.

وبالإطلاق الثاني: تكون منهاجاً باقياً إلى يوم القيامة، يصح الانتساب إليه متى التزمت شروطه وقواعده؛ لحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[(١)].

٢ ـ الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية:

أو يقال الفرقة الناجية والمنصورة لأنهما فرقة واحدة هم أهل الحديث، أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام: «أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة»[(٢)].

وقال ابن مفلح: «أهل الحديث هم الطائفة الناجية القائمون على الحق، ونص أحمد على أن أصحاب الحديث هم الطائفة في قولـه ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» .

ونص أيضاً على أنهم الفرقة الناجية في الحديث الآخر، وكذا قال يزيد بن هارون»[(٣)].

ودل على ذلك عدة أحاديث منها حديث: «... «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار، إلا ملة واحدة». قال: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»»[(٤)]. وفي رواية: «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[(٥)].

ويدل عليه قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠).

(٢) الواسطية مع شرح الهراس ١٣، ١٤.

(٣) الآداب الشرعية ١/ ٢٣٤.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤١).

(٥) أخرجها الحاكم في مستدركه ١/ ١٢٨ كتاب العلم، ثم قال: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث.

ظاهرون»[١] وفي لفظ «ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم»[٢]. وفي لفظ: «قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم»[٣].

وفي لفظ: «لا يزال ناس من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى الساعة»[٤]. قال الإمام البخاري عن علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث»[٥].

وقال عبد الله بن المبارك: «هم عِنْدَي أصحاب الحديث»[٦].

وقال يزيد بن هارون: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم»[٧].

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم»[٨].

وقال السفاريني:

اعلم هُديت أنه جاء الخبر ... عن النبي المقتفى خير البشر

بأن ذي الأمةَ سوف تفترق ... بضعا وسبعين اعتقادا والمحق

ما كان في نهج النبي المصطفى ... وصحبه من غير زيغ وجفا

وليس هذا النص جزماً يعتبر ... في فرقة إلا على أهل الأثر[٩]

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠).
(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤١).
(٤) أخرجه الترمذي (٢١٩٢) وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه (٦) وأحمد (١٥٦٨٢).
(٥) ذكره الترمذي في الحديث نفسه.
(٦) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٦ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٧، ٢٠.
(٧) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٦.
(٨) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٢، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٢٧ .
(٩) لوامع الأنوار ١/ ٧٤، ٧٦.

*** فائدة:**

النبي ﷺ لم يعيّن الفرقة الناجية إلا بالوصف، فلم يقل مثلاً: أنا وأصحابي، وإنما ذكر وصفها، وهو: ما أنا عليه وأصحابي، ولا ريب أنه هو وأصحابه أول من يدخل في هذا الوصف، بل هم الأصل الذي يعتبر به غيرهم من الناس، وهذا يعني أن النجاة لا تختص بمن تقدم، بل تشمل كل من أتى بأوصاف الفرقة الناجية، إلى أن تقوم الساعة[(١)].

٣. أهل الحديث والأثر:

وخُصُّوا بذلك لاشتغالهم بأحاديث الرسول ﷺ وآثار أصحابه ﷺ فالمقصود بهم الذين يعنون بحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، فيكونوا عالمين وعاملين مطبقين لما يتعلمونه، متبعين للسنة مجانبين للبدعة، وبهذه الأمور يتميزون عن أهل الأهواء، فأهل الحديث مرادف لأهل السنة، يقول اللالكائي: «فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخلصهم بهذا الرسم أصحاب الحديث لاختصاصهم برسول الله ﷺ واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه...»[(٢)].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء محبة

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٨٧، ٢٨٩.
(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ٢٣.

القرآن، والحديث والبحث عنهما، وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبهما...»[(١)].

وقال رحمه الله: «فهم أعلم الناس بأقواله ﷺ وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، واتباع لها: تصديقاً، وعملاً، وحباً وموالاة لمن والاها، وبغضاً ومعاداة لمن عاداها»[(٢)].

وقال: «مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة الأولى ومن سلك سبيلهم من الخلف»[(٣)].

وذكر عبد القادر الجيلاني رحمه الله: «أن أهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد، وهو أصحاب الحديث»[(٤)].

ويروي الخطيب عن أحمد بن سنان قال: «كان الوليد الكرابيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحدا أعلم بالكلام مني؟ قالوا لا، قال: فتتهموني؟، قالوا: لا، قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟، قالوا: نعم، قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم...»[(٥)].

وفي ذلك قيل:

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثار

لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأي ليل والحديث نهار[(٦)]

(١) مجموع فتاوى ابن تَيمِيَّةَ ٤/ ٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٤٧. وانظر ٤/ ٨٥، منهاج السنة ٤/ ٢٨٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٥.

(٤) انظر: الغنية لطالبي طريقة الحق عز وجل لعبد القادر الجيلاني ١/ ٧١.

(٥) شرف أصحاب الحديث ٥٦.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٤٣.

فأهل الحديث هم الفرقة الناجية، ودل عليه حديث الافتراق وفيه: قيل من هم؟ يا رسول اللهﷺ! قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[(١)].

وقد صرح الإمام أحمد بأن الفرقة الناجية هي أصحاب الحديث[(٢)].

كما صرح بذلك جمع من الأئمة الأعلام منهم ابن مفلح[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ في العقيدة الواسطية: «أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة»[(٤)].

فالفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة وصفان لموصوف واحد ولا فرق بينهما[(٥)].

٤ ـ الغرباء:

وهم النزَّاع من القبائل الذين يصلحون إذا فسد الناس[(٦)]. قال سفيان الثوري: «استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء»[(٧)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٩ وروايته: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

(٢) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٢٥.

(٣) انظر: الآداب الشرعية ١/ ٢١١.

(٤) العقيدة الواسطية لابن تيمية.

(٥) انظر: للاستزادة لقاء الباب المفتوح (٥٤/ ٩٦).

(٦) انظر: باب (الغرباء) فقد توسعنا في ذكر وصفهم هنالك.

(٧) أخرجه اللالكائي في شرح السنة ١/ ٧١ رقم ٤٩.

٥١- أهل الفترة*

[التكفير، عارض الجهل]

هذا الباب له علاقة بمسألة العذر بالجهل، حيث سأبحث فيه عن مسألة: هل أهل الفترة معذورن في الآخرة أم لا؟ مع العلم أنني أفردت الكلام في باب (عارض الجهل) بمن ارتكب ناقضاً بعد إسلامه، ولم يقل أحد من الأئمة إن أهل الفترة مسلمون أو تجري عليهم أحكام المسلمين، وتقدم في باب التكفير قول ابن القيم رحمه الله: «أن الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر ... الخ» وعلى هذا فإنه لا ينظر هل هم معذورون أم غير معذورين في أحكام الدنيا فقد خصصت العذر بالجهل بمن دخل في الإسلام ثم ارتكب ناقضاً.

والفترة: قال ابن كثير رحمه الله: «هي ما بين كل نبيين كانقطاع الرسالة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ»[(١)].

وقال الألوسي: «أجمع المفسرون بأن الفترة هي انقطاع ما بين رسولين»[(٢)].

كما يدخل فيها كل زمان خفيت فيه آثار الرسالة وقل دعاة العلم وظهر الجهل

* التمهيد لابن عبد البر ١٨/ ١١١، ١١٢. شرح النووي لمسلم ١٦/٢٠٨. تفسير القرطبي ١٠/ ١٥٦التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي ص٦١٢. الجواب الصحيح ١/ ٣١٢، ٣٤٤. درء التعارض ٨/ ٤٠١، مختصر الفتاوى المصرية ص٦٤٣. الفتاوى ٢٤/ ٣٧١. شفاء العليل ص٥٧٨، ٥٩٥. طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٦٩، ٤١١. تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥، ٢٨٣. فتح الباري ٣/ ٢٦٤. العواصم من القواصم لابن الوزير ٧/ ٢٤٨. إيثار الحق لابن الوزير ص٢٠٦. الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥/ ٨٩٥. الدرر السنية ١/ ٣٦٧. نواقض الإيمان الاعتقادية ١/ ٢٩٤.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤، ٣٥.

(٢) روح المعاني ٦/ ١٠٣.

واختفىٰ الهدىٰ، ويختلف ذلك باختلاف المكان والزمان.

جاء في فتاوىٰ اللجنة الدائمة أن: «من عاش في بلاد غير إسلامية، ولم يسمع عن النبي ﷺ، ولا عن القرآن الكريم والإسلام، فهذا علىٰ تقدير وجوده، حكمه حكم أهل الفترة، يجب علىٰ علماء المسلمين أن يبلغوه شريعة الإسلام أصولاً وفروعاً، إقامة للحجة، وإعذارا إليه، ويوم القيامة يعامل معاملة من لم يكلف في الدنيا لجنونه، أو بلهه، أو صغره، وعدم تكليفه، وأما ما يخفىٰ من أحكام الشريعة من جهة الدلالة، أو لتقابل الأدلة وتجاذبها، فلا يقال لمن خالف فيه آمن وكفر، ولكن يقال: أصاب وأخطأ»(١).

قال ابن باز رحمه الله في مَنْ يُعذر بجهله: «والقسم الثاني: من يعذر بالجهل كالذي ينشأ في بلاد بعيدة عن الإسلام في أطراف الدنيا، أو لأسباب أخرىٰ كأهل الفترة ونحوهم ممن لم تبلغهم الرسالة، فهؤلاء معذورون بجهلهم، وأمرهم إلىٰ الله عز وجل، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة فيؤمرون فإن أجابوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا النار قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ولأحاديث صحيحة وردت في ذلك. وقد بسط العلامة ابن القيم رحمه الله الكلام في هذه المسألة في آخر كتابه «طريق الهجرتين» لما ذكر طبقات المكلفين فيراجع هناك لعظم فائدته»(٢).

* أقوال العلماء:

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما من لم تبلغه الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال، وهو بمنزلة الأطفال والمجانين»(٣).

---

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢/ ٩٩.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص ٥٢٩.

(٣) طريق الهجرتين ص٤١١.

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «وأما من يفعل ذلك[(١)] جهلاً لا عناداً وماتوا عليه قبل أن يبلغهم أنه شرك هل يحكم بإسلامهم ويرجىٰ لهم العفو من الله والمغفرة وينفعهم استغفار الأحياء لهم؟ فهذه المسألة أحسن الأجوبة فيها أن يقال الله أعلم بهم كما قال موسى ﷺ لما قيل لـه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾»[(٢)].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «إذا مات غير المكلف بين والدين كافرين فحكمه حكمهما في أحكام الدنيا فلا يغسل ولا يصلىٰ عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين أما في الآخرة فأمره إلىٰ الله سبحانه»[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «إذا مات أطفال الكفار وهم لم يبلغوا سن التمييز وكان أبواهم كافرين فإن حكمهم حكم الكفار في الدنيا أي لا يغسلون ولا يكفنون ولا يصلىٰ عليهم ولا يدفنون مع المسلمين لأنهم كفار بوالديهم.. هذا في الدنيا أما في الآخرة فالله أعلم بما كانوا عاملين وأصح الأقوال فيهم أن الله سبحانه وتعالى يختبرهم يوم القيامة بما يشاء من تكليف فإن امتثلوا أدخلهم الله الجنة وإن أبوا أدخلهم النار وهكذا نقول في أهل الفترة ومن لم تبلغهم الرسالات»[(٤)].

❖ حكم أهل الفترة:

قال ابنُ حَزْمٍ عند ذكره قول الله تعالىٰ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾: «فنص تعالىٰ علىٰ أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته، لا من لم تبلغه، وأنه تعالىٰ لا يعذب أحداً حتى يأتيه رسول من عِنْدَ الله عز وجل،

(١) أي فعل شيئاً من الشرك.
(٢) الرسائل والمسائل القسم الأول ١/ ٢٠١.
(٣) مجموع فتاوىٰ إسلامية جمع محمد المسند ٢/ ٦٥.
(٤) فتاوىٰ إسلامية جمع محمد المسند ٢/ ٦٥.

فصح بذلك أنه من لم يبلغه الإسلام أصلاً فإنه لا عذاب عليه، وهكذا جاء النص عن رسول الله ﷺ أنه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف، والأصم، ومن كان في الفترة، والمجنون، فيقول المجنون: يا رب أتاني الإسلام، وأنا لا أعقل، ويقول الخرف والأصم، والذي في الفترة أشياء ذكرها، فيوقد لهم نار، ويقال لهم: أدخلوها، فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً. وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين، فإنه معذور لا ملامة عليه»[(١)].

ويقول الشاطبي: «جرت سنته سبحانه في خلقه، أنه لا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد إرسال الرسل، فإذا قامت الحجة عليهم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولكل جزاء مثله»[(٢)].

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «والذي عليه السلف والأئمة أن الله تعالىٰ لا يعذب إلا من بلغه الرسالة، ولا يعذب إلا من خالف الرسل كما دل عليه الكتاب والسنة، ومن لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة كالأطفال، والمجانين وأهل الفترات، فهؤلاء فيهم أقوال، أظهرها ما جاءت به الآثار أنهم يمتحنون يوم القيامة، فيبعث إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقوا الثواب، وإن عصوه استحقوا العذاب»[(٣)].

والقول بأنهم يمتحنون حكاه الأشعري عن جمهور السلف[(٤)]. وممن قال به المروزي[(٥)]، والبيهقي[(٦)]، وابن كثير ونصره ابن القيم وقال: «وبهذا يتألف شمل

(١) الفصل ٤/ ١٠٥.

(٢) الموافقات ٣/ ٣٧٧.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣١٢، وانظر مجموع الفتاوىٰ (تفسير سورة الإخلاص) ١٧/ ٣٠٨. ودرء التعارض ٨/ ٤٠١، ومختصر الفتاوىٰ المصرية ص٦٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠.

(٥) أحكام أهل الذمة ٢/ ٦٥٠.

(٦) الاعتقاد للبيهقي ١٧٠.

الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث»[(١)].

وقال ابن كثير: «وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض»[(٢)].

وقد قيل في حكمهم غير ذلك، فمنهم من قطع لهم بالجنة، ومنهم من قطع لهم بالنار ومنهم من توقف والقول بأنهم يمتحنون يجمع بين الأدلة ويدفع عنها التناقض.

وقال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا التفصيل يذهب الخصومات التي كره الخوض فيه لأجلها من كرهه، فإن من قطع لهم بالنار كلهم، جاءت نصوص تدفع قوله، ومن قطع لهم بالجنة كلهم جاءت نصوص تدفع قوله...»[(٣)].

وممن اختار القول بأنهم يُمتحنون الشيخ ابن باز، قال: «وهذا القول هو أصح الأقوال في أهل الفترة ونحوهم ممن لم تبلغهم الدعوة الإلهية وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وجماعة من السلف والخلف ـ رحمة الله عليهم جميعاً ـ»[(٤)]. واختاره أيضاً الشنقيطي في أضواء البيان[(٥)] وبه أفتت اللجنة الدائمة[(٦)]، والشيخ محمد بن عثيمين[(٧)].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتحقيق أنهم معذورون بالفترة في الدنيا، وأن الله يوم القيامة يمتحنهم بنار يأمرهم باقتحامها، فمن اقتحمها دخل الجنة، وهو الذي كان

(١) طريق الهجرتين ٣٦٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠.
(٣) درء التعارض ٨/ ٤٠١.
(٤) فتاوىٰ إسلامية جمع محمد المسند ٢/ ٦٦.
(٥) أضواء البيان ٣/ ٤٨٢.
(٦) مجلة البحوث الإسلامية العدد ٤٠ ص٩٥.
(٧) فتاوىٰ إسلامية جمع محمد المسند ٢/ ٦٥.

يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع دخل النار وعذب فيها، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا؛ لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل»[١].

❖ **تنبيه:**

حكم أهل الفترة لا ينطبق علىٰ بلاد سمع أهلها بالدعوة إلىٰ الإسلام.

جاء في فتاوىٰ اللجنة الدائمة: «ومن عاش في بلاد يسمع فيها بالدعوة إلىٰ الإسلام وغيره، ثم لا يؤمن ولا يطلب الحق من أهله، فهو في حكم من بلغته الدعوة الإسلامية، وأصر علىٰ الكفر»[٢]. والمستند في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» وهذه الأحكام تتعلق بمن لم يدخل الأسلام أصلًا.

(١) أضواء البيان ٣/ ٤٨١ وانظر في نفس الكتاب ٣/ ٤٧٤ - ٤٨٤.
(٢) فتاوىٰ اللجنة ٢/ ٩٧.

٥٢.الأوثان *

[الصنم – النصب]

الأوثان لغة: جمع وثن. قال ابن الأثير: الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد. والصنم: الصورة بلا جثة. ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنيين. وقد يُطلق الوثن على غير الصورة(١).

وقيل: هو المعبود الذي لا صورة له كالقبور والأشجار والأحجار ونحوها.

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [العنكبوت:١٧]، و قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت٢٥].

* **الدليل من السنة:** عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيَّ بَعْدِي»(٢).

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٤٥. تيسير العزيز الحميد ص١١٨،٣٧٩. فتح المجيد ١٠١، ٣٠٨. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم٥٠، ١٨٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٤٦٧، ط٢- ١/ ٥٨٦، ١/ ٦٢٨ ومن المجموع ٩/ ٤٥٢. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٤٤، ٤/ ٢٩،٦٣. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٠١. دعاوى المناوئين ٢٢٢، ٢٢٣.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (و ث ن).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٩)، وأخرجه مطولاً أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢) وأحمد (٢٢٧٥٦).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاتُ وَالْعُزَّى» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامٌّ، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»[(١)].

* أقوال العلماء:

يقول الشيخ السعدي: «فإن الوثن اسم جامع لكل ما عُبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع وهو العبادة فإنها حق الله وحده، فمن دعا الله أو عبده فقد اتخذه وثناً وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر منافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها»[(٢)].

وهل الناس كلهم يقعون في عبادة الأوثان[(٣)]؟ انظر باب (جزيرة العرب)، حديث «إن الشيطان...» وكلام أهل العلم عنه.

الفرق بين الصنم والوثن:

انظر باب: «صنم».

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٧).
(٢) القول السديد ص٧٨.
(٣) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٤٥٢. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٤٦٧.

٥٣- أوثق عرى الإيمان

فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما حين سأل أبو ذر: أي عُرىٰ الإيمان أظنه قال: أوثق. قال الله ورسوله أعلم. قال: «الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»[(١)]، وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله في باب (الحب في الله).

٥٤- إيقاد السرج على القبور*

اتخاذ السرج علىٰ القبور سواء أكان ذلك بإيقاد الشموع أو القناديل أو إيقاد غيرها منهي عنه، وكذلك جاء النهي عن اتباع الميت بنار[(٢)] حين تشييعه إلىٰ قبره لأنه وسيلة إلىٰ تعظيمهم والغلو فيهم.

* الدليل من السنة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[(٣)].

* أقوال العلماء:

قال ابن قدامة رحمه الله: «لو أبيح اتخاذ السرج عليها ـ يعني القبور ـ لم يلعن النبي

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٥٣٧).

* التمهيد لابن عبد البر ٣/ ٢٣٢. إغاثة اللهفان ابن القيم ١/ ١٩٤ ـ ١٩٨. أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٥ رقم ٢١٩. تيسير العزيز الحميد ص٣٤٦. فتح المجيد ص٢٨٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ١٦٨. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٤٣٦. ط٢- ١/ ٥٥١ ومن المجموع ٩/ ٤٢٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٢٣٦. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٤٥. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١٢٩.

(٢) انظر باب القبر.

(٣) سنن أبي داود (٣٢٣٦) و الترمذي (٣٢٠).

ﷺ من فعله، ولأن فيه تضييعا للمال في غير فائدة، وإفراطا في تعظيم القبور، أشبه بتعظيم الأصنام»[(١)].

وقال العلامة ابن الحاج المالكي: «نهى عليه الصلاة والسلام عن أن يتبع الميت بنار حين تشييعه إلى قبره لأنه تفاؤل رديء وهؤلاء ـ أي المسرجون على القبور ـ يوقدون الشموع وغيرها عِنْدَه، مع ما يوقدونه من الأحطاب لطعامهم. اللهم عافنا من قلب الحقائق»[(٢)].

*** حكمه:**

يتبين من الحديث السابق تحريم إيقاد السرج على القبور.

قال ابن القيم رحمه الله «والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذينها أعياداً، الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب. مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادون لما جاء به. وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها. وهو من الكبائر. وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه»[(٣)].

وعدّ ابن حجر الهيتمي الإسراج على القبور تعظيما وتبركاً بها من الكبائر، واستدل بما في الحديث من لعن من اتخذ على القبر سُرجاً، ثم ذكر عن بعض علماء الحنابلة أنه قال: «يجب إزالة كل قنديل أو سراج على القبر ولا يصح وقفه ونذره»[(٤)].

---

(١) المغني لابن قدامة ٢/ ٣٧٩ ط مكتبة القاهرة.

(٢) المدخل للعلامة ابن الحاج المالكي ١/ ٢٤٥.

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٧.

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١٦٥. وانظر للاستزادة شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ص٨٧ ـ ٨٨.

قال ابن حجر الهيتمي: «صرح أصحابنا بحرمة السراج على القبر وإن قل، حيث لم ينتفع به مقيم ولا زائر، وعللوه بالإسراف وإضاعة المال، والتشبه بالمجوس، فلا يبعد في هذا أن يكون كبيرة»[(١)].

أسباب المنع من إيقاد السرج:

ذكر الشيخ الألباني رحمه الله أسباباً للمنع منها:

أولاً: كونها بدعة محدثة لا يعرفها السلف الصالح، وقد قال ﷺ: كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[(٢)].

ثانياً: أن فيه إضاعة للمال وهو منهي عنه بالنص.

ثالثاً: أن فيه تشبهاً بالمجوس عباد النار[(٣)].

---

(١) الزواجر ١/ ١٣٤ نقلاً عن أحكام الجنائز ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) أخرجه النسائي (١٥٧٩).

(٣) أحكام الجنائز ص٢٣١ـ٢٣٢.

٥٥.الإيمان*

الإيمان في اللغة: مصدر من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن وهو مشتق من الأمن.

قال ابن بطة: «الإيمان اسم ومعناه التصديق»[(١)].

وقال الجوهري: «الإيمان: التصديق»[(٢)]. وكذلك قال ابن منظور[(٣)]، والرازي

* التمهيد لابن عبد البر ٩/ ١١٧، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٣. الاستذكار لابن عبد البر ٢٦/ ١٣٢، ١٣٣. الشريعة للآجري ص٩٥، ٩٩، ١٠٧. السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ص٢٤٢ -٣٧٠. أحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٩٤، ١٤/ ١٨٥، ١٧/ ٤٩. الإبانة لابن بطة العكبري ص٦٣٨، ٧٦٠، ٨٨١. شرح السنة للبغوي. ١/ ٧. الإيمان لابن تيمية. فتح الباري لابن رجب ١/ ٥. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٠٣. الدرر السنية ١/ ١٣٩، ١٨٧، ٢٥٦، ٣٣٠، ٤٧٧. قطف الثمر صديق حسن ص٨٥. معارج القبول ٢/ ٢١. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ١٥٧. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٢، ٦٤. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٨٩. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٤٩، ٨٠، ٨٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٣/ ١٤٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٧/ ٣٠، ٣٤. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ١/ ٦٣. منهج الإمام مالك في العقيدة ص١٧١، ٢٠٢. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ص٤٤٥. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص١٥١. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٨٥. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص٣٤٩. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعبَّاد ص٢٩٥. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٨٣. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١١٣٨. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ١/ ١٠٩، ١٢٤. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٤٥١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٠٣ إلىٰ ٥١٩. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٤٢٤. نواقض الإيمان القولية والعملية ص١٤، ٣٠. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٤١ إلىٰ ٥٣.

(١) الإبانة ١/ ١٨٢، ١٨٣.

(١) الصحاح للجوهري (أ م ن).

(٢) لسان العرب لابن منظور (أ م ن).

(٣) مختار الصحاح للرازي (أ م ن).

في مختار الصحاح[١].

وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية من جعل الإيمان مجرد التصديق ورد عليهم من وجوه كثيرة فكان مما قال رحمه الله: «وليس لفظ الإيمان مرادفاً للفظ التصديق كما يظنه طائفة من الناس فإن التصديق يستعمل في كل خبر»[٢].

وقال أيضاً: «... فإن الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر... فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان أو الأمانة، كما يدل عليه الاشتقاق والاستعمال، ولهذا قالوا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]، أي لا تقرّ بخبرنا ولا تثق به، ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم...»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فإن الإيمان ليس مجرد التصديق وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد»[٤].

وقال الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾، قيل معناه: «بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن»[٥].

فمعنى الآية ما أنت بمصدق لنا التصديق الجازم الذي يتبعه عمل وهو عدم المؤاخذة بفعلهم، فلم يعطهم الأمن. فيكون معنى الإيمان في اللغة: التصديق

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٩. وانظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص٢٧٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٩١، ٢٩٢.

(٤) كتاب الصلاة ص٢٥.

(٥) المفردات ص٢٦.

الجازم المستلزم للعمل الذي يكون معه أمن.

والتصديق في اللغة إما أن يكون تصديقاً لخبر، وإما أن يكون تصديقاً لإنشاء، والإنشاء هو الأمر والنهي، فتصديق الأخبار بِاعتقادها وتصديق الأوامر والنواهي بِامتثال الأمر وبِالابتعاد عن النهي، قال جل وعلا في سورة الصافات ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات:١٠٣،١٠٥] فلما ابتدأ في العمل صار مصدقا للرؤيا.

قال ابن نصر المروزي في معنى التصديق: «هو المعرفة بِالله، والاعتراف له بِالربوبِية، بِوعده، ووعــيده، وواجبِ حقه، وتحقيق ما صدق بِه من القول والعمل»[١].

والإيمان إذا عُدي بِاللام فإنه يكون بِالمعنى اللغوي الذي سبق بيانه كقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وأما إذا عدي بِالباء فيراد بِه المعنى الشرعي كقول الله جل جلاله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقولـه تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقولـه تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا﴾ [النساء:٤٧]، والآيات في هذا كثيرة.

والمعنى الشرعي: ما أجمع عليه السلف من أنه قول وعمل واعتقاد.

قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ: «المشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابِعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً...»[٢].

(١) الصلاة ٢/ ٦٩٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٠٤.

وقال الثوري: «هو رأي محدث أدركنا السلف على غيره»[(١)].

وقال ابن جرير: «والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل»[(٢)].

قال أبو عبيد: «اعلم رحمك الله أن أهل العلم والعناية بِالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين:

فقالت إحداهما: الإيمان بِالإخلاص لـه بِالقلوبِ وشهادة الألسنة وعمل الجوارح.

وقالت الفرقة الأخرى: بل الإيمان بِالقلوبِ والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبِر، وليست من الإيمان.

وإذا نظرنا في اختلاف الطائفتين، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بِالنية والقول والعمل جميعاً، وينفيان ما قالت الأخرى»[(٣)].

وعرفه القاضي أبو يعلى فقال: «هو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، فالباطنة أعمال القلبِ، وهو تصديق القلبِ والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات»[(٤)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «ومن هذا البابِ أقوال السلف وأئمة السنة في الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون قول بِاللسان واعتقاد بِالقلبِ، وعمل بِالجوارح، وكل هذا صحيح، فإذا قالوا: قول

(١) الإبانة ٢/ ٩٠٣.
(٢) تفسير ابن جرير ١/ ١٠١.
(٣) الإيمان ص٥٣، ٥٤.
(٤) مسائل الإيمان ص ١٥٢.

وعمل، فإنه يدخل في القول قول القلبِ واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق»(١).

وقال الإمام ابن القيم: «الإيمان هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء بِه الرسول ﷺ علماً، والتصديق بِه عقداً، والإقرار بِه نطقاً، والانقياد لـه محبة وخضوعاً، والعمل بِه باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بِحسبِ الإمكان»(٢).

وقال الإمام السعدي: «الإيمان وهو الإقرار والتصديق الجازم بكل ما أخبر الله به ورسوله، الموجب لأعمال القلوب، ثم تتبعها أعمال الجوارح»(٣).

وينبني على معرفة المعنىٰ الشرعي أن التكفير يكون بالاعتقاد ويكون بالقول ويكون بالعمل وأن ترك العمل كفر وأن الإيمان يزيد وينقص.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد سأل الصحابِي الجليل أبو ذر رضي الله عنه النَّبِيَ ﷺ عن الإيمان، فتلا هذه الآية حتىٰ فرغ منها. قال: ثم سأله أيضاً فتلاها، ثم سأله أيضاً فتلاها، ثم سأله فقال: «وإذا عملت حسنة أحبها قلبك وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك»(٤).

(١) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ١٧٠.
(٢) الفوائد ص١٩٦.
(٣) تيسير الكريم المنان ص١٨٧.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٢)، وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.

* أحكام وفوائد:

١. العلاقة بين الإسلام والإيمان:

قال ابن قاسم: «الإيمان وصف أعلى من وصف الإسلام، لأنه مشتق من الأمن، فهو من الأمور الباطنة الذي يؤتمن عليه، ويكون خفية، والإسلام من الأمور المدركة بالحواس المحسوسة في الظاهر مشتق من التسليم، أو المسالمة كما تقدم، فإذا أطلق الإيمان في النصوص دخل فيه الإسلام، وإذا أطلق الإسلام لم يدخل فيه الإيمان، ومن أثبت له الإيمان في النصوص فإنه ثابِت له الإسلام، والمسلم لا بد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه، وإلا كان منافقاً، ولكن لا يستحق أن يمدح بِه ويثنى عليه، بل إيمانه ناقص، ويأتي تمثيله.

والإيمان الشرعي: قول وعمل، قول القلبِ واللسان، وعمل القلبِ واللسان والجوارح، ويزيد بِالطاعة وينقص بِالمعصية، فدخل فيه جميع المأمورات، سواء كان من الواجبات، أو المستحبات، ودخل فيه ترك جميع المنهيات، سواء كان ذلك المنهي ينافي أصول الدين بِالكلية أو لا، فإن تعريفه المذكور يشمل ذلك، فما من خصلة من خصال الطاعات، إلا وهي من الإيمان، ولا ترك محرم من المحرمات، إلا وهو من الإيمان»[(١)].

وقد فرَّق النبي ﷺ بين مسمىٰ الإسلام وبين مسمىٰ الإيمان وبين مسمىٰ الإحسان في حديث جبريل عليه السلام وبِه وبِغيره من الأحاديث نفهم أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا، فسر الإسلام بِالأمور الظاهرة من الأعمال، وفسر الإيمان بِالأمور الباطنة من الاعتقاد. وإذا افترقا، فسر أحدهما بِما يفسر بِه الآخر، بِمعنىٰ أن الإسلام يفسر بِالاعتقاد والأعمال، كما يفسر بِه بِمثل ذلك الإيمان أيضاً.

وانظر هذه المسألة في باب (الإسلام)، فقد توسعتُ في توضيحها هناك.

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة للشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله ص٦٠.

٢. أركان الإيمان:

أركان الإيمان ستة أن تؤمن بِاللهِ، وملائكته، وكتبِه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسوف نفرد لكل ركن منها بحثاً خاصاً إن شاءالله، فلتراجع في أبوابها.

٣. ثمرات الإيمان: عقد ابن سعدي في خلاصة التفسير فصلاً خاصاً بثمرات الإيمان فيراجع هناك[(١)].

٤. زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو ما دلت عليه نصوص الكتابِ والسنة وإجماع السلف الصالح قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح:٤].

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ

(١) انظر المجموعة الكاملة للشيخ عبد الرحمن السعدي ٨/ ٢١١.

تَصُمْ؟» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[(١)].

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سألت الإمام أحمد عن الإيمان ما نقصانه قال: نقصانه قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[(٢)][(٣)].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بِضع وستون ـ وفي رواية مسلم: بِضع وسبعون شعبة ـ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[(٤)].

وعن أبِي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبِي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالىٰ: أخرجوا من كان في قلبِه مثقال حبة من خردل من إيمان»[(٥)].

* **أقوال العلماء:**

أ - أقوال الصحابة رضي الله عنهم في الإيمان قول معاذ بن جبل لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[(٦)] يعني نذكر الله عز وجل.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «الإيمان يزداد وينقص»[(٧)].

وقد ثبت هذا أيضاً عن ابن عباس وأبي الدرداء رضي الله عنهم كلهم قالوا: «الإيمان يزيد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم عن ابن عمر بنحوه (٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥).

(٣) مسائل بن هانئ ٤/ ١٦٤.

(٤) أخرجه البخاري (٢). ومسلم (٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (٢٢). ومسلم (١٨٤).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ص ٣٥ ح ١٠٥، ١٠٧، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة ح: ٧٩٦. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥/ ١٠١٤ (١٧٠٦، ١٧٠٧).

(٧) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١/ ٣١٤ (٦٢٢)، والآجري في الشريعة ص١١، وابن ماجه في سننه في المقدمة (٩٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/ ١٠١٦ رقم (١٧١١).

وينقص»[١].

وعن عمير بن حبيب ﷺ قال: «الإيمان يزيد وينقص، قيل لـه: ما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله ﷻ خشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيّعنا فذلك نقصانه»[٢].

وقال جندب ﷺ: «كنا مع رسول الله ﷺ فكنا فتياناً حزاورة[٣] فتعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً»[٤].

ب - أقوال التابعين: جاء عن سعيد بن جبير في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة:٢٦٠] قال: «ليزداد إيماني»[٥].

وروىٰ الآجري بسنده أنه قال لسفيان بن عيينة: «الإيمان يزيد وينقص؟ قال: أليس تقرؤون القرآن: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران:١٧٣] في غير موضع، قيل: ينقص؟ قال:ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص»[٦].

وروىٰ الآجري واللالكائي عن الحميدي، أنه قال: سمعت ابن عيينة يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة يا أبا محمد، لاتقولن يزيد وينقص، فغضب وقال: اسكت يا صبي، بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء»[٧].

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة ص١١١، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة ١/ ٣١٤، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة ٥/ ١٠١٦ رقم ١٧١٢ ورقم ١٧٠٩.

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة ص١١١.

(٣) الحزورة: الغلام الذي قد شب وقوي.

(٤) السنة ١/ ٣٦٩. والإبانة (١١٢٢).

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١/ ٣٦٩ ح ٧٩٨.

(٦) أخرجه الآجري في الشريعة ص١١٧.

(٧) أخرجه الآجري في الشريعة، ص١١٧. التمهيد ٩/ ٢٥٤.

وقال سهل بن المتوكل رحمه الله تعالىٰ: «أدركت ألف أستاذ أو أكثر كلّهم يقولون: الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»[(١)].

وعن الأوزاعي رحمه الله تعالىٰ قال: «الإيمان قول وعمل ويزيد ينقص، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع»[(٢)].

وقال البغوي: «وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية علىٰ ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء»[(٣)].

وقال الحليمي: «ومما يدل علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص قول النبي ﷺ للنساء: «إنكن ناقصات عقل ودين»»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع، ودلت النصوص علىٰ نقصه، كقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» ونحو ذلك، لكن لم يعرف اللفظ إلا في قوله في النساء: «ناقصات عقل ودين» وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد علىٰ أنه ينقص»[(٥)].

وقال في موضع آخر: «وهذا النقصان ليس هو نقص مما أمرت، فلا تعاقب علىٰ هذا النقصان، لكن من أمر بالصلاة والصوم ففعله، كان دينه كاملاً بالنسبة إلىٰ هذه الناقصة الدين»[(٦)].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥/ ١٠٢٨ رقم ١٧٣٤.
(٢) أخرجه الآجري في الشريعة ص١١٧.
(٣) شرح السنة ١/ ٣٩.
(٤) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٦٣.
(٥) مجموع الفتاوىٰ ١٣/ ٥١.
(٦) كتاب الإيمان، ص٢١٩، ٢٢٠.

❖ موقف الإمام مالك رحمه الله من القول بنقص الإيمان:

عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس قال: سئل مالك عن الإيمان: يزيد وينقص؟ فقال: يزيد وذلك في كتاب الله، فقيل لـه: وينقص يا أبا عبد الله؟ قال: ولا أزيد أن أبلغ هذا.

وعن عبد الرحمن بن القاسم قال: كان مالك يقول: الإيمان يزيد، وتوقف في النقصان، وقال: ذكر الله زيادته في غير موضع، فدع الكلام في نقصانه، وكف عنه[(١)].

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن رواية الإمام مالك هذه فقال: «ولهذا أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص، ومنهم من يقول: يزيد، ولا يقول: ينقص، كما روي عن مالك في إحدى الروايتين»[(٢)].

وذكر سبب ذلك فقال: «إنه توقف عن القول بالنقصان لعدم ذكر النقص في القرآن وأن الله لم ينص إلا على زيادته ... وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن، ولم يجدوا ذكر النقص وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه، وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم: إنه يزيد وينقص»[(٣)].

وبهذا تعلم أن زيادة الإيمان قال به جميع أهل السنة وكذلك نقص الإيمان قال به عامة أهل السنة ومن توقف فيها فإنه رجع إلى القول بأنه ينقص قال الإمام عبد الرزاق: «سمعت سفيان الثوري ومعمر وابن جريج ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. فقلنا لعبد الرزاق فما تقول

---

(١) التمهيد ٩/ ٢٥٢.

(٢) كتاب الإيمان ص ٢١٠.

(٣) الفتاوى ٧/ ٥٠٦.

أنت؟ فقال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص فإن لم أقل هذا فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وقد ثبت لفظ الزيادة والنقص منه عن الصحابة ولم يُعرف منهم مخالف فيه وجمهور السلف علىٰ ذلك قال ابن عبد البر: وعلىٰ أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الأمصار وذكر عن مالك روايتين في إطلاق النقص إحداهما التوقف والثانية موافقة الجماعة»[(٢)].

٥. السلف يعدّون من أنكر زيادة الإيمان ونقصانه من المرجئة:

ذكر البيهقي بإسناده عن الثوري، أنه قال: «خالفَنا المرجئةُ في ثلاث: نحن نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: قول بلا عمل، ونحن نقول: يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص؛ ونحن نقول: أهل القبلة عندنا مؤمنون، أما عند الله فالله أعلم، وهم يقولون: نحن عند الله مؤمنون»[(٣)].

٦. الإيمان يتبعض:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قول القائل: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله. فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت منه البدع في الإيمان فإنهم ظنوا أنه متىٰ ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء. ثم قالت الخوارج والمعتزلة: هو مجموع ما أمر الله به ورسوله، وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث، قالوا فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار وقالت المرجئة علىٰ اختلاف فرقهم: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر

(١) التمهيد ٩/ ٢٥٢.
(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص٩٣.
(٣) الاعتقاد للبيهقي ص٨٤.

والفاجر، ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقولـه: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»»[١].

٧. صلة العمل بالإيمان:

تبين لنا من التعريف الشرعي أن العمل يرتبِط بِالإيمان ارتباطاً وثيقاً. وزيادة في الإيضاح نقول: إن العمل ركن من أركان الإيمان فلا تقوم حقيقة الإيمان إلا بِعمل، ومعلوم أن الركن هو الذي تقوم بِه الماهية وكما أن الممتنع عن كلمة التوحيد لا يصير مؤمنا، كذلك الممتنع عن العمل لا يصير مؤمناً. وقد أجمع السلف على أن العمل من الإيمان. فمن لم يأتِ بعمل فهو كافر كما أن من انتفى في حقه الاعتقاد فهو كافر أو انتفى في حقه القول فهو كافر لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة لا يكون إلا باعتقاد وقول وعمل ومن زال عنه واحد من الثلاثة فإنه يزول عنه أصل الإيمان.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان الإجماع من الصحابة والتابِعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»[٢].

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتفقت الصحابة والتابِعون، فمن بعدهم من علماء السنة على أن: الأعمال من الإيمان»، ثم قال أيضاً: «وقالوا الإيمان قول وعمل وعقيدة»[٣].

وقال الإمام أبو حاتم الرازي وأبو زرعة: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار... فكان مذهبِهم أن الإيمان قول وعمل»[٤].

وقال محمد بِن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٢٣.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥/ ٨٨٦، ٨٨٧. الإيمان لابن تيمية ١٩٧.

(٣) شرح السنة للبغوي ١١/ ٣٨، ٣٩.

(٤) عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة ص١٤٩.

علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بِالقلبِ وإقرار بِاللسان وعمل بِالجوارح»[(١)].

وقال محمد بن أبِي حاتم سمعت الإمام البخاري قبل موته بِشهر يقول: «كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص»[(٢)].

فالسلف ـ رحمهم الله ـ رأوا أن الإيمان هو هذه الأمور الثلاثة: «اعتقاد بِالجنان وقول بِاللسان وعمل بِالأركان) وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. وقد نقل الإجماع عنهم على هذا التعريف أبو عبيد القاسم بن سلام[(٣)] والشافعي[(٤)] والبخاري[(٥)] واللالكائى[(٤)] والبغوي[(٦)] وابن عبد البر[(٧)] وغيرهم وهذا الإجماع منهم مبني على أدلة صريحة من الكتابِ والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلبِ واللسان وعمل القلبِ والجوارح ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بِالقلبِ، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا بِاتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، وإنما أرادوا ما

(١) الشريعة للآجري ص١١٩.
(٢) الشريعة للأجري ص١٢٠ .
(٣) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٤/ ٩١٣.
(٤) الإيمان لابن تيمية ص ١٩٧ .
(٥) فتح الباري ١/ ٤٧.
(٦) شرح السنة ١/ ٣٨.
(٧) التمهيد ٩/ ٢٣٨.

كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: «قول وعمل ونية وسنة»؛ لأن الإيمان إذا كان بِلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بِلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بِلا سنة فهو بِدعة»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومما يبين ذلك أن الإقرار بالصانع مع خلو القلب عن محبته والخضوع له وإخلاص الدين له لا يكون نافعاً بل الإقرار به مع الإعراض عنه وعن محبته وتعظيمه والخضوع له أعظم استحقاقا للعذاب فلا بد أن يكون للفطرة مقتض للعلم ومقتض للمحبة»[(٢)].

وقال أيضاً: «وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلبِ وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بِكلمة الإسلام.والعمل قسمان:عمل القلبِ وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بِكماله، وإذا زال تصديق القلبِ لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلبِ شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلبِ مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة. فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلبِ وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون بِه سرا وجهرا ويقولون: ليس بِكذابِ، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن بِه. وإذا كان الإيمان يزول بِزوال عمل القلبِ فغير مستنكر أن يزول بِزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلبِ

(١) الإيمان ص١٦٢، وانظر مجموع الفتاوى ٧/ ٣٣٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٦٢١، ٢٨/ ١٧٧.

(٢) شفاء العليل ص٣٠٢.

وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلبِ عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان، فإن الإيمان ليس مجرد التصديق ـ كما تقدم بيانه ـ وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد، وهكذا الهدىٰ ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بِموجبِه، وإن سمىٰ الأول هدىٰ فليس هو الهدىٰ التام المستلزم للاهتداء، كما أن اعتقاد التصديق وإن سمىٰ تصديقا فليس هو التصدق المستلزم للإيمان. فعليك بِمراجعة هذا الأصل ومراعاته»[(١)].

وقد جاء عن السلف أن من ترك العمل المجزئ في الإيمان أنه كافر، وأن من قال بأن الإيمان هو الإقرار وأنه لا يوجد قدر مجزئ من العمل يُدخله في الإيمان فهو مرجئ.

فعن معقل بن عبيد الله العبسي قال: «قدم علينا سالم الأفطس بِالإرجاء فعرضه قال: فنفر منه أصحابنا نفاراً شديداً... قال فجلست إلىٰ نافع فقلت لـه: إنهم يقولون: نحن نقر بِأن الصلاة فريضة ولا نصلي، وأن الخمر حرام ونحن نشربها وأن نكاح الأمهات حرام ونحن نفعل. قال: فنتر يده من يدي ثم قال: من فعل هذا فهو كافر»[(٢)].

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا سويد بن سعيد الهروي قال: «سألنا سفيان ابن عيينة عن الإرجاء. فقال: يقولون الإيمان قول وعمل، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصراً بقلبه علىٰ ترك الفرائض وسمّوا ترك الفرائض ذنبا بمنزلة ركوب المحارم، وليسا بسواء لأن ركوب المحارم من غير استحلال

(١) كتاب الصلاة ٢٥.

(٢) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١/ ٣٨٢، ٣٨٢.

معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر»[(١)].

وفي السنة للخلال قال الحميدي: «أخبرت أن قوماً يقولون: إن من أقر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت أو يصلي مسند ظهره مستدبر القبلة حتى يموت فهو مؤمن ما لم يكن جاحدا إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان يقر الفروض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر بالله الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسولـه ﷺ وفعل المسلمين. قال حنبل: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: من قال هذا فقد كفر بالله، ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به»[(٢)].

وقال الإمام أبو ثور: «فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان فيقال لهم: ما أراد الله ﷻ من العباد إذ قال لهم: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]؟ الإقرار بذلك، أو الإقرار والعمل؟ فإن قالت: إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل فقد كفرت عند أهل العلم[(٣)] من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة.

فإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل.

قيل: فإذا أراد منهم الأمرين جميعاً، لـم زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر؟ وقد أرادهما جميعاً.

أرأيتم لو أن رجلاً قال: أعمل جميع ما أمر الله ولا أقر به أيكون مؤمناً؟.

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل منه شيئاً، أيكون مؤمناً؟.

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ١/ ٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) السنة للخلال ٣/ ٥٨٦، ٥٨٧. وانظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص١٩٧.

(٣) هكذا في الكتاب.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: ما الفرق؟ وقد زعمتم أن الله ﷻ أراد الأمرين جميعاً، فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا عمل ولم يقر مؤمناً، لا فرق بين ذلك.

فإن احتج فقال: لو أن رجلاً أسلم فأقر بجميع ما جاء به النبي ﷺ، أيكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت عمل؟.

قيل له: إنما نطلق لـه الاسم بتصديقه أن العمل عليه بقوله أن يعمله في وقته إذا جاء، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمناً. وقال: أقر ولا أعمل لم نطلق له اسم الإيمان»[1].

وقال ابن تيمية: «من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيماناً ثابتاً في قلبِه، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة، والصيام والحج، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم من رمضان، ولا يؤدي لله الزكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلبِ وزندقة، لا مع إيمان صحيح. ولهذا إنما يصف سبحانه بِالامتناع من السجود الكفار كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٢،٤٣]»[2].

وفي معنى قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس» قال الحافظ ابن رجب: (أن الإسلام مثله كبنيان، وهذه الخمس: دعائم البنيان وأركانه التي يثبت عليها البنيان.

وقد روي في لفظ: «بني الإسلام على خمس دعائم».

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٩٣١-٩٣٣ رقم (١٥٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٦١١.

وإذا كانت هذه دعائم البنيان وأركانه، فبقية خصال الإسلام كبقية البنيان، فإذا فقد شيء من بقية الخصال الداخلة في مسمى الإسلام الواجب نقص البنيان ولم يسقط بفقده.

وأما هذه الخمس فإذا زالت كلها سقط البنيان ولم يثبت بعد زوالها وكذلك إن زال منها الركن الأعظم وهو الشهادتان، وزوالهما يكون بالإتيان بما يضادهما ولا يجتمع معهما.

وأما زوال الأربع البواقي فاختلف العلماء هل يزول الاسم بزوالها أو بزوال واحد منها؟ أم لا يزول بذلك؟ أم يفرق بين الصلاة وغيرها؟ فيزول بترك الصلاة دون غيرها؟ أم يختص زوال الإسلام بترك الصلاة والزكاة خاصة؟

وفي ذلك اختلاف مشهور، وهذه الأقوال كلها محكية عن الإمام أحمد.

وكثير من علماء أهل الحديث يرىٰ تكفير تارك الصلاة[(١)].

وحكاه إسحاق بن راهويه إجماعا منهم حتىٰ إنه جعل قول من قال: لا يكفر بترك هذه الأركان مع الإقرار بها من أقوال المرجئة.

وكذلك قال سفيان بن عيينة: «المرجئة سموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم؛ وليسا سواء؛ لأن ركوب المحارم متعمدا من غير استحلال: معصية،

---

(١) تنبيه: ينبغي العلم بأن علماء السنة لا يقصدون أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان بل يقولون: إن مَنْ لَم يأتِ بعملٍ فهو كافر. وللمزيد من التفصيل في حكم تارك الصلاة انظر تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٨٧٣، ١٠١٧. الروايتان والوجهان لأبي يعلىٰ بن الفراء ١/ ١٩٤. بداية المجتهد لابن رشد ١/ ٩٠. فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٣ المغني لابن قدامة ٢/ ٤٤٢. شرح النووي ٢/ ٧٠. كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم. الإنصاف للمرداوي ١/ ٣٢٧، ٤٠١. الإقناع لأبي النجا الحجاوي ١/ ٧١. نيل الأوطار للشوكاني ١/ ٢٨٧، ٢٩٧. وفتاوىٰ اللجنة الدائمة ٦/ ٣٠-٥١، رسالة حكم تارك الصلاة لابن عثيمين. الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ٣٦، ٥١.

وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر هو كفر.

بيان ذلك في أمر آدم وإبليس وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبي ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

وروي عن عطاء ونافع مولىٰ ابن عمر أنهما سئلا عمن قال: الصلاة فريضة ولا أصلي، فقالا: هو كافر. وكذا قال الإمام أحمد.

ونقل حرب عن إسحاق قال: «غلت المرجئة حتىٰ صار من قولهم: إن قوما يقولون: من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها لا نكفره، يرجىٰ أمره إلىٰ الله بعد؛ إذ هو مقر. فهؤلاء الذين لا شك فيهم ـ يعني في أنهم مرجئة ـ.

وظاهر هذا: أنه يكفر بترك هذه الفرائض»[(١)].

وقال في موضع آخر: «وجعل النبي ﷺ مثل المؤمن أو المسلم كمثل النخلة وقال طاووس: مثل الإسلام كشجرة أصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا وكذا، وثمرها: الورع، ولا خير في شجرة لا ثمر لها، ولا خير في إنسان لا ورع فيه.

ومعلوم أن ما دخل في مسمىٰ الشجرة والنخلة من فروعها وأغصانها وورقها وثمرها إذا ذهب شيء منه لم يذهب عن الشجرة اسمها؛ ولكن يقال: هي شجرة ناقصة، وغيرها أكمل منها، فإن قطع أصلها وسقطت لم تبق شجرة، وإنما تصير حطباً، فكذلك الإيمان والإسلام إذا زال منه بعض ما يدخل في مسماه مع بقاء أركان بنيانه لا يزول به اسم الإسلام والإيمان بالكلية، وإن كان قد سلب الاسم عنه لنقصه بخلاف ما انهدمت أركانه وبنيانه فإنه يزول مسماه بالكلية»[(٢)].

(١) فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٢، ٢٣.

(٢) المرجع السابق.

٥٦. الإيمان بالله *

الإيمان بالله أعظم أركان الإيمان وأصل من أصول الإيمان الستة بل هو أصل الأصول وهو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وهو رب كل شيء ومليكه ليس له شريك في الملك هو الخالق، الرازق، المعطي، المانع، المحيي المميت، المتصرف في جميع شؤون الخلق.

وهو المستحق لجميع أنوع العبادة من الخضوع، والخشوع، والخشية، والإنابة، والقصد، والطلب، والدعاء، والذبح، والنذر ونحو ذلك. ومن الإيمان بالله الإيمانُ بما أخبر به عن نفسه في كتابه الكريم، أو أخبر به عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وأنه متفرد بهذا عن جميع المخلوقات وأن له الكمال المطلق في ذلك كله، إثباتا بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل. كما أخبر عن نفسه تبارك وتعالى بقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠١،١٠٢] والإيمان بأنه الإله الحق وأن من عبد من دونه فعبادته أبطل الباطل وأضل الضلال(١).

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] والآيات في ذلك كثيرة.

---

* شعب الإيمان ٢١، ٢٢. معارج القبول ٢/ ٦٢. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٣٩٨. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ١٤٧، ٥/ ١٠٧. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٤٥. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص١٢٤. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٢/ ٥٠٧.

(١) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص٦١.

*** الدليل من السنة:**

حديث عمر بن الخطاب ﷺ في سؤال جبريل ﷺ: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ...» الحديث[١].

❖ والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالىٰ.

الثاني: الإيمان بربوبيته[٢].

الثالث: الإيمان بألوهيته[٣].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته[٤].

وقد فصَّل الشيخ ابن عثيمين في شرح هذه المضامين الأربع ونكتفي هنا بما ذكره عن الأول لأن الثلاث الباقيات جعلنا لكل واحدة منها باباً منفرداً. قال ابن عثيمين في شرح الإيمان بوجود الله تعالىٰ: «قد دل علىٰ وجوده تعالىٰ الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١ . أما دلالة الفطرة علىٰ وجوده:

فإن كل مخلوق قد فطر علىٰ الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضىٰ هذه الفطرة إلا من طرأ علىٰ قلبه ما يصرفه عنها لقوله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[٥].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر باب توحيد الربوبية.

(٣) انظر باب توحيد الألوهية.

(٤) انظر باب توحيد الأسماء والصفات.

(٥) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

٢. وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى:

فلأن هذه المخلوقات سابقها ولا حقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد لـه من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعا باتا أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظما حال بقائه وتطوره؟

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجود وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطّور، حيث قـال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] أفيجـوز أن يكـون هـذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

٣. وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى:

فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤ . وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٧٦] وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير بيده إلى ناحية إلا انفرجت»[(١)].

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى «المعجزات» ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدا لرسله ونصرا لهم.

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

ﭐلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ [المائدة:١١٠].

ومثال ثالث: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾ [القمر:١، ٢].

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى»[1].

❖ من ثمرات الإيمان بالله تعالى:

قال ابن عثيمين: «والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوف، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه»[2].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٧٧ -٨٠.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٨٦.

٥٧.الإيمان بالملائكة *

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة.

الملائكة لغة: جمع ملك بفتح اللام، قيل إنه مشتق من الألوكة وهي الرسالة ومعلوم أن من الملائكة من هم رسل الله إلى خلقه، وقيل من لأك إذا أرسل. وقيل غير ذلك. قال في النهاية: «الملائكة جمع ملأك في الأصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك وقد تحذف الهاء فيقال ملائك»[(١)].

الملائكة شرعاً: هم نوع من مخلوقات الله ﷻ خلقهم مجبولين على طاعته وعبادته. وقيل في تعريفهم: هم عباد الله وخلق من خلقه وهم السفرة بين الله وبين رسله عليهم السلام وهم عالم غيبي خلقهم الله من نور وجعلهم طائعين متذللين له ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء.

قال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «وهم الجنس المعروف من خلق الله، بتعريف النصوص، عباد مكرمون، خلقوا من نور، يؤمن بهم إجمالا في الإجمالي، وتفصيلا في التفصيلي، وتعيينا في التعيين، مثل ما ورد في الكتاب العزيز، والسنة المطهرة،

---

* أحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣٦ . مختصر شعب الإيمان ص٢٥. لوامع الأنوار للسفاريني١/ ٤٤٨، ٢/ ٣٩٨. قطف الثمر صديق حسن ص١٤٣.شرح مسائل الجاهلية ص١٤٨ معارج القبول ٢/ ٦٣. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٤. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٣٣٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ١٥٩، ٥،٢٣٩/ ١١٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٠٥. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ٣٩٧. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٥٧. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٧٠. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٣٣، ٤٤٠. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص١٣٦. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٧٥٠. التبرك د/ ناصر الجديع ص٧٩، ٨٩.

(١) النهاية (م ل ك).

كجبرائيل وميكائيل وإسرافيل، ومالك ورضوان وغيرهم»[(١)].

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر:١]. وقال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ [الأنفال:٥٠]، وقال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]. وقال في أهل الجنة: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩، ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إذا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ»[(٢)].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[(٣)].

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص٦٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) (٦٠٤٠) (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

وجاء في وصفهم ما ثبت في بعض أحاديث المعراج وفيه أنه ﷺ قال: «فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ...الحديث»[(١)].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ»[(٢)].

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنْ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ[(٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتْ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشاً، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) (٣٣٩٣) (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٤٨)، (٣٨٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢١١) ومسلم (٨٥٠).

وعَنْه ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَلاَئِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ، مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ»(١).

وعَنْه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(٢).

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ الْمَدِينَةِ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي عَنْكَ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٣) (٧٤٢٩) (٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: وَلاَ جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ. قَالَ: لا. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظِّهِ أَوْ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جداً.

❋ أحكام وفوائد:

❋ الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ومعناه التصديق الجازم بأن لله تعالىٰ ملائكة موجودين مخلوقين من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

❋ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «**الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:**

أولاً: الإيمان بوجودهم.

ثانياً: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم كجبريل ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

ثالثاً: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه علىٰ صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالىٰ إلىٰ هيئة رجل، كما حصل لجبريل حين أرسله تعالىٰ إلىٰ مريم فتمثل لها بشرا سويا، وحين جاء إلىٰ النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرىٰ عليه

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٣٤٢).

أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلىٰ النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه. ووضع كفيه علىٰ فخذيه وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال ﷺ: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[(١)].

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم، ولوط كانوا علىٰ صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالىٰ، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة:

مثل: جبريل الأمين علىٰ وحي الله تعالىٰ يرسله الله إلىٰ الأنبياء والرسل.

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عِنْدَ قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عِنْدَ الموت.

ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.

ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها، لكل شخص ملكان: أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال.

ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم وقد سبق تخريجه.

(٢) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ص ٢٧، ٢٩. وانظر شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٨٧، ٨٨، ٨٩.

❖ من ثمرات الإيمان بالملائكة:

قال ابن عثيمين: «والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالىٰ، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالىٰ علىٰ عنايته ببني آدم، حيث وكّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة علىٰ ما قاموا به من عبادة الله تعالىٰ»(١).

❖ حقيقة وجود الملائكة:

الملائكة لهم وجود حقيقي قائمون بوظائفهم وليسوا عبارة عن قوىٰ خيرية تكمن في الخلق بل لهم أجسام حقيقية فيجب التصديق بذلك ومن قال أن الملائكة هي القوىٰ الخيرية والصفات الحسنة الموجودة في الإنسان فقد أنكر وجود الملائكة ومن أنكر وجود الملائكة فهو كافر زائغ ضال.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «ولا تكاد تجد أحدا ينكر وجود الملائكة إلا الزنادقة المنكرين لوجود ربهم ومن تستر بالإسلام منهم فإنه ينكر الملائكة حقيقة وينكر خبر الله ورسوله عنهم، ويفسر الملائكة تفسيرا وتحريفا خبيثا فيزعم أن الملائكة هي القوىٰ الخيرية والصفات الحسنة الموجودة في الإنسان، وأن الشياطين هي القوىٰ الشريرة فيه وغرضهم من هذا التحريف دفع الشنعة عنهم، وقد ازدادوا بهذا التحريف شراً إلىٰ شرهم، وراج هذا التحريف الخبيث علىٰ بعض الذين يحسنون الظن بهؤلاء الزنادقة، وليس عِنْدَهم بصيرة في أديان الرسل وإن أظهروا تعظيمهم، فإن زنادقة الفلاسفة أعظم في قلوبهم من الرسل وكفىٰ بالعبد

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٨٩.

ضلالاً وغياً أن يصل إلىٰ هذه الحال، نعوذ بالله من مضلات الفتن»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساما، وقالوا إنهم عبارة عن قوىٰ الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالىٰ، وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين... ثم ذكر الأدلة علىٰ ذلك من الكتاب والسنة وقال: وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوىٰ معنوية، كما قال الزائغون وعلىٰ مقتضىٰ هذه النصوص أجمع المسلمون»[(٢)].

ومما يدل علىٰ أن الملائكة عباد مأمورون: ما رواه البخاري أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة علىٰ صفوان فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير»[(٣)].

❖ المفاضلة بين الملائكة والبشر:

قال ابن كثير: «أكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم».

وقال: «أقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن سعيد ابن العاص أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر: ما أحد أكرم علىٰ الله من كريم بني آدم، وذكر بقية الواقعة وفيها معارضة أحدهم بتفضيل الملائكة واستدلال كل»[(٤)].

وقال جماعة من أهل العلم أن هذه من فضول المسائل، قال البيهقي في التفاضل

---

(١) الخلاصة ص٢٩، وانظر جهود السعدي ص ٢٣٢.

(٢) شرح الأصول الثلاثة من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٩٠.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٨١).

(٤) البداية والنهاية ١/ ٥٤، وانظر: الخبر الذي ذكره ابن كثير في تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ١٣٦.

بين الملائكة والبشر: «والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به»[(١)].

وقال شارح الطحاوية: «وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها وأنها قريب مما لا يعني ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(٢)].

وينبغي التنبه إلى أن هناك فرق في المفاضلة بين الملائكة والبشر والمفاضلة بين صالحي البشر والملائكة.

قال السفاريني: «اختلف العلماء في المفاضلة بين البشر والملائكة وهي مسألة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف وتشعبت فيها الأقوال...الخ»[(٣)].

وبعضهم ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر مطلقاً، وممن قال بذلك المعتزلة وبعض الأشعرية كالإسفراييني والباقلاني وقال به ابن حزم ومال إليه بعض أهل السنة وبعض الصوفية واستدلوا بأدلة من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله لها وجهها في الدلالة على قولهم كقوله سبحانه في بني آدم: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] فقال على كثير ولم يقل على كل فدل على تفضيل الملائكة. كما استدلوا بأدلة أخرى ليس فيها نص صريح واضح وإنما يستدل منها على تفضيل الملائكة على البشر ورد عليهم من يخالفهم في ذلك[(٤)].

---

(١) شعب الإيمان ١/ ١٨٢.

(٢) شرح الطحاوية ٢/ ٤١٠.

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٨.

(٤) انظر في المفاضلة بين الملائكة والبشر: مقالات الإسلاميين ٤٨، ٢٢٦،٤٣٩ والمحلى ١/ ١٣ وأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٨٩، ٦/ ٤٣٠،١١/ ٢٧٨،٢٠/ ١٤٥، لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٨ ومباحث المفاضلة في العقيدة د/ الشظيفي ص٣٥٤.

❖ المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر:

قال بعض العلماء: «لا طريق إلىٰ القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة ولا القطع بأن الملائكة خير منهم لأن طريق ذلك خبر الله تعالىٰ وخبر رسوله أو إجماع الأمة وليس ها هنا شيء من ذلك»[(١)].

والتحقيق أن الملائكة لهم فضل عظيم ولكن صالحي بني آدم من الأنبياء وأتباعهم أفضل من الملائكة وقد ثبت عن الرسول ﷺ التفضيل بذلك فعن عبد الله بن عمرو أنه قال: «إن الملائكة قالت يارب جعلت بنى آدم يأكلون في الدنيا ويشربون ويتمتعون فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا قال لا أفعل ثم أعادوا عليه فقال لا أفعل ثم أعادوا عليه مرتين أو ثلاثا فقال وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»[(٢)].

وهذا الحديث أصح ما في هذا الباب وقد احتج به ابن تيمية وابن القيم وذكرا ما يدل علىٰ سلامة سنده «وقد جاء عن الإمام أحمد أنه كان يفضل صالحي المؤمنين علىٰ الملائكة ويخطئ من يفضل الملائكة علىٰ بني آدم»[(٣)].

وقد ذكر ابن تيمية هذه المسألة وفصل فيها تفصيلاً طويلاً في مجموع الفتاوىٰ[(٤)] وقرر فيه مذهب أهل السنة تفضيل صالحين البشر علىٰ الملائكة.

فقال رحمه الله بعد ذكر بعض الأحاديث في ذلك: «وأقل ما في هذه الآثار أن السلف

(١) تفسير القرطبي ١/ ٢٨٩.

(٢) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد علىٰ بشر المريسي ٣٤٦ والطبراني في الكبير والأوسط قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٢. وسمعت شيخنا ابن باز يقول سنده جيد. وقال ابن تيمية: «ورواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنن عن النبي ﷺ مرسلاً» مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٣٤٤ وهو في كتاب السنة للإمام عبد الله بن أحمد ٢/ ٤٦٩.

(٣) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٧٩و٣٠٦.

(٤) انظر الجزء الرابع، من ص ٣٥٠ إلىٰ ص ٣٩٢.

الأولين كانوا يتناقلون بينهم أن صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك، ولم يخالف أحد منهم في ذلك، إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها وتفرق الآراء فقد كان ذلك المستقر عندهم»[(١)]، وقال: «وقد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالح البشر على الملائكة وتروى على رؤوس الناس ولو كان هذا منكراً لأنكروه فدل على اعتقادهم ذلك»[(٢)].

ونقل عنه تلميذه ابن القيم: «أنه سئل عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزّهين عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة»، ثم قال: «وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه»[(٣)].

قال العلامة محمد السفاريني:

وعندنا تفضيل أعيان البشر ... على ملاك ربنا كما اشتهر

قال ومن قال سوى هذا افترى ... وقد تعدى في المقال واجترى[(٤)]

و سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

أيهما أفضل الملائكة أم الصالحون من البشر؟

فأجاب بقوله: «هذه المسألة وهي المفاضلة بين الملائكة وبين الصالحين من

(١) الفتاوى ٤/ ٣٧٠،٣٦٩.
(٢) الفتاوى ٤/ ٣٧١.
(٣) بدائع الفوائد ٣/ ١٦٣ و لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٨.
(٤) لوامع الأنوار ٢/ ٣٩٨.

البشر محل خلاف بين أهل العلم وكل منهم أدلى بدلوه فيما يحتج به من النصوص، ولكن القول الراجح أن يقال: إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية فإن الله ﷻ يعد لهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما نعلم، بل إن الملائكة في مقرهم أي في مقر الصالحين وهو الجنة يدخلون عليهم من كل باب ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤].

أما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل لأنهم خلقوا من نور وجبلوا على طاعة الله ﷻ والقوة عليها كما قال الله تعالى في ملائكة النار: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠] هذا هو القول الفصل في هذه المسألة.

وبعد فإن الخوض فيها وطلب المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به والله المستعان»[1].

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ رقم (١٠٧).

٥٨.الإيمان بالكتب*

الكتب لغـة: جمع كتاب، يقال كتب يكتب كتاباً وكتابةً ثم سُمي به المكتوب فيه[(١)]، وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها.

وشـرعـاً: كلام الله تعالى الموحى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام ليبلغوه للناس، المتعبد بتلاوته.

*** الدليل من الكتاب:** قول الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقولـه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

*** الدليل من السنة:** حديث عمر بن الخطاب المتقدم.

* أحكام وفوائد:

١ - الإيمان بالكتب أصل من أصول الإيمان الستة، وقد تقدم الكلام على ذلك.

---

* مختصر شعب الإيمان ص٢٣. معارج القبول ٢/ ٧٤. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١٦٣، ٢٤١ - ٥/ ١٢٠ شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤١١. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٤٩٧. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٢٢٦. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٦٠. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٩٩. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٨٦. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٤٧، ٤٥٩. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص ١٤٧.

(١) النهاية لابن الأثير (ك ت ب).

٢ - قال الشيخ ابن عثيمين ﵀: «**والإيمان بها يتضمن أربعة أمور:**

الأول: الإيمان بأن نزولها من عِنْد الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها كالقرآن الذي نزل على محمد والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى والزبور الذي أوتيه داود وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صحّ من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي «حاكماً عليه» وعلى هذا فلايجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن»[(١)].

والإيمان بهذه الكتب التي أخبرنا الله تعالى عنها في القرآن الكريم يستلزم الإيمان بأن نزولها من عند الله سبحانه وأن كلا منها كتاب الله تعالى وكلامه فيه النور والهدى وكلها داعية إلى التوحيد وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله فهي متفقة في الأصول وإن اختلفت في الشرائع قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقد دعا الرسل عليهم الصلاة والسلام قومهم إلى ذلك كما قال ﷻ حاكياً لنا قولهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٨٥].

(١) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ص ٣٢،٣٣.

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات[(١)]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[(٢)].

ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع ـ والله أعلم ـ.

وقال السعدي رحمه الله: «ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب، فالإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسنة ألفاظها ومعانيها، فلا يتم الإيمان إلا بذلك، وكل من كان أعظم علما بذلك وتصديقا واعترافاً وعملاً كان أكمل إيماناً»[(٣)].

٣ - من ثمرات الإيمان بالكتب:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك»[(٤)].

---

(١) العلاّت: الضرائر بمعنى إخوة لأب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) ولفظه (إخوة من علات).

(٣) الفتاوى السعدية ص١٥، وانظر جهود السعدي ص٢٢٦.

(٤) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٩١، ٩٢.

٥٩. الإيمان بالرسل*

[الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان الستة]

تعريف الرسل: الرسل جمع رسول بمعنى مرسَل أي مبعوث بإبلاغ شيء والمراد هنا: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

قال ابن عثيمين: «والرسل ينقسمون إلىٰ قسمين رسل من البشر ورسل من الملائكة قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ والمراد بالرسول هنا جبريل وهو رسول ملكي...»[(١)].

*** الدليل من الكتاب:** قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣][(٢)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

---

* شرح حديث جبريل من فتاوىٰ العقيدة ص١٦٦. تفسير القرطبي ١٠/ ٤٩، ٢٩٤ ـ ٣/ ٢٦١. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢٥٨. الدر السنية ١/ ١٦٣. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٧. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٣/ ١٩٠. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٤٠١. معارج القبول ٢/ ٨٧. شرح مسائل الجاهلية ص٥٧. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١/ ٣٠٩ ـ ٣/ ١٦٦، ٢٤٥ ـ ٥/ ١٢٢. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤١٥. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٣٢٥. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٢٧٩. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٣٩١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٦٧. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة ص١٥٢. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٤٠٢. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبدالرحمن العلوي ص٣٣١. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١١٦٨، ١٢٠٧. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص ٤٦٣، ٤٨٦. التبرك للجديع ص ٧١، ٧٢. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٧٦٠. الشيخ ابن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٩٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٢٩٣.

(١) شرح حديث جبريل، من فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١٦٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٣.

وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]. وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

* **الدليل من السنة:** حديث عمر بن الخطاب ﷺ في سؤال جبريل ﵇: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» الحديث[(١)].

* **أحكام وفوائد:**

١ . ما ينبغي للمسلم أن يعتقده في الأنبياء والرسل:

قال ابن سعدي رحمه الله: «وهذا الأصل مبناه على أن يعترف ويعتقد بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله بوحيه وإرساله، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به، وأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً، وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقا وأعمالا، وأن الله خصهم بخصائص وفضلهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأن الله برأهم من كل خلق دنيء ورذيل وأنهم معصومون في كل ما يبلغونه عن الله، وأنه لا يستقر في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم»[(٢)].

٢ - قال الشيخ ابن عثيمين: «**والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:**

الأول: بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الفتاوى السعدية ص١٤.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم مثل: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام وهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب:٧]، وفي سورة الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[الشورى:١٣].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[غافر: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صحّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]»[1].

٣ - من ثمرات الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

قال الشيخ ابن عثيمين: «وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبيّنوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

---

(١) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ص٣٦، ٣٨.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده»[(١)].

٤ - فائدة:

يقول شارح الطحاوية: «وأما الأنبياء والمرسلون فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[النساء:١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨] ... وعلينا الإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل خلافه. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥].

وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال أحسنها ما نقله البغوي وغيره عن ابن عَبَّاسٍ و قتادة أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم... وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب:٧]. وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣]، وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً»[(٢)].

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٩٦.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٢٣، ٤٢٤.

* مسألة: من كفر بنبي واحد كفر بجميع الأنبياء:

قال السعدي: «جميع الأنبياء دعوتهم واحدة، من كذّب واحدا منهم فقد كذّب الجميع لأنه يكذب الحق الذي جاء به كل واحد منهم»[(١)].

٥- من هو أول الرسل؟

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة عِنْدَ كلامه عن الأنبياء: «وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قولـه تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾[النساء:١٦٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وثبت في الصحيح من حديث الشفاعة[(٢)]: «إن الناس يأتون إلى نوح فيقولون لـه أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض» فلا رسول قبل نوح وبهذا نعلم خطأ بعض المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح بل الذي يظهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل.

وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلا نبي بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام»[(٣)].

فإن قيل: هل آدم رسول أم لا؟ فالجواب: أنه عليه السلام ليس برسول ولكنه نبي[(٤)].

وهناك مباحث أخرى منها معرفة معنى النبي والفرق بينه وبين الرسول وحكم ادعاء النبوة وهذه تجدها في باب (النبوة).

---

(١) الخلاصة ١١٥.

(٢) حديث الشفاعة أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤).

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٥١.

(٤) انظر للاستزادة مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ١٦٧.

٦٠- الإيمان باليوم الآخر*

الإيمان باليوم الآخر هو الأصل الخامس من أصول الإيمان الستة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم»(٢).

قال الحَلِيمي ومعناه: «التصديق بأن لأيام الدنيا آخرا، وأنها منقضية، وهذا العالم منقض يوما ما، ففي الاعتراف بانتفائه اعتراف بابتدائه إذ القديم لا يفنى ولا يتغير»(٣).

فالإيمان باليوم الآخر هو: الاعتقاد الجازم بصدق كل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه العزيز أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه

* شَرحُ السُّنَّةِ للبَغوي المجلد الخامس عشر. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٦٥-١٦٠. مختصر شعب الإيمان للبيهقي ص٢٥. شرح مسائل الجاهلية ص ٨٠. حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص٦٢. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٣/ ٩١، ٩٨. قطف الثمر صديق حسن ص١٢٧. معارج القبول ٢/ ٨٢. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٨. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٤٥٧. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٩، ٣/ ١٦٨، ٢٥١، ٥/ ١٢٧. شرح رياض الصالحين ٢/ ٤١٨. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٩٠ إلى ٢٢٨.. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص١٥٩. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٣٢٣. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٦٤٥. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٧٧٥. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٢٣٤، ٢٧٩. منهج ابن رجب في العقيدة ص٤٠٩. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ٤٠٩. منهج ابن حجر في العقيدة ١٢٨١، ١٣٨٥. منهج الإمام مالك في العقيدة ٣٤١. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص ١٥٤٧.

(٢) شرح أصول الإيمان ص ٤٠.

(٣) شعب الإيمان ص٢٥.

ونعيمه وما بعد ذلك من البعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله تعالىٰ لأهلهما فيهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه»[(١)].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج:٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، وقول الله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[التوبة:٢٩].

* **الدليل من السنة:** عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»[(٢)].

وعِنْدَ البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومنّ الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلىٰ فيه فلا يطعمها»[(٣)].

* **أحكام وفوائد:**

١ - قال ابن عثيمين: «**والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:**

الأول: الإيمان بالبعث وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة غير منتعلين عراة غير مستترين، غرلاً غير

(١) العقيدة الواسطية مع شرح محمد هراس ص٢٠١.
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٢٩٥١).
(٣) أخرجه البخاري(٦٥٠٦) .

مختتنين، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء:١٠٤].

والبعث حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥،١٦] وقال النبي ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً»[(١)].

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادا يجازيهم فيه على ما كلّفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وقال لنبيّه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص:٨٥].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٥،٢٦]، وقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق. فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٦) ومسلم (٢٨٦٠).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧، ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالىٰ للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنكال، ما لا يخطر علىٰ البال.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦]»[1].

٢- من ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

قال الشيخ ابن عثيمين: «وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولىٰ: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضىٰ بها خوفا من عقاب ذلك اليوم

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها»[2].

٦١. الإيمان بالقدر خيره وشره

هو الأصل السادس من أصول الإيمان الستة. انظر باب (القدر).

(١) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ٤٠،٤٣.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ١٠٢، ١٠٣.

٦٢- البدعــــة *

لغة: قال في معجم مقاييس اللغة: «(بدع) الباء والدال والعين أصلان:

أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر: الانقطاع والكلال.

فالأول: قولهم: أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال والله بديع السموات والأرض.

والعرب تقول: ابتدع فلان الركي إذا استنبطه»[(١)].

وقال الراغب: «ومنه قيل ركية بديع أي جديدة الحفر»[(٢)(٣)].

ومن هذا يتبين أن البدعة تطلق لغة على الشيء المستحدث[(٤)].

قال الزجاج: «وكل من أنشأ مالم يسبق إليه قيل له: أبدعت، ولهذا قيل لكل من

* البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح، الحوادث والبدع للطرطوشي، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٨٢-٦١٢، الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٦-٥١، مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ١١/ ٤٤٥-٤٧٥، ٢٠/ ١٠٣-١٠٥، جامع العلوم والحكم ٢/ ١٠٩، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي، الدرر السنية ١/ ٢٧٣، ٤٢٣، ٤٨٦، ٧/ ٥٥٨، ٨/ ١٠٣، ٩/ ٤٣٢، ١١/ ١٤٦، ١٧٤، مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٣، محاضرات في العقيدة والدعوة للشيخ صالح الفوزان ١/ ١٠٧-١٢٣، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع د. إبراهيم الرحيلي، الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها لعبدالرحمن آدم، الأعياد وأثرها علىٰ المسلمين د. سليمان السحيمي ص٢٠٩، ٤٦٨.

(١) مقاييس اللغة (ب د ع)، وانظر المفردات للراغب (ب د ع).

(٢) انظر العين للخليل ٢/ ٥٤، مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥/ ٢٣.

(٣)المفردات للراغب (ب د ع).

(٤) انظر العين للخليل ٢/ ٥٤، مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥/ ٢٣.

خالف السنة والإجماع مبتدع، لأنه يأتي دين الإسلام بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون»[(١)].

وقال في الصحاح: «أبدع الشيء: اخترعه لا على مثال، والله تعالى بديع السموات والأرض، أي مبدعهما... والبدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال.

واستبدعه: عده بديعاً، وبدَّعه تبديعاً: نسبه إلى البدعة»[(٢)].

وفي الشرع: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد قررنا في قاعدة السنة والبدعة أن البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك وسواء كان هذا مفعولا على عهد النبي أو لم يكن»[(٣)].

وقال رحمه الله: «لكن أعظم المهم في هذا الباب وغيره تمييز السنة من البدعة إذ السنة ما أمر به الشارع والبدعة ما لم يشرعه من الدين»[(٤)].

وقال: «والبدعة ما خالفت الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات كاقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء فى المساجد والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة وأنواع ذلك من البدع التى يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة والله أعلم»[(٥)].

وقال ابن رجب: «والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/ ١٩٨-١٩٩.
(٢) مختار الصحاح (ب دع).
(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٠٧، ١٠٨ وانظر الاستقامة ١/ ٥ .
(٤) مجموع الفتاوى ١/ ١٣ .
(٥) مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٤٦.

عليه وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة... فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة»[(١)].

وقال ابن عثيمين: «والبدعة اصطلاحاً: ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل»[(٢)].

وللعلماء تعاريف مشابهة لهذا التعريف منهم على سبيل المثال الطرطوشي والعيني والسيوطي وابن حجر الهيثمي وغيرهم[(٣)].

والمتقدم المشهور في هذا المقام قول الشاطبي رحمه الله في تعريف البدعة حيث قال: «البدعة: عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه، وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعةفيقول: البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»[(٤)].

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾

(١) جامع العلوم والحكم ٢٥٢.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ محمد العثيمين ٥/ ٢٣.

(٣) انظر الحوادث والبدع للطرطوشي (٣٤-٣٥)، عمدة القاري ٢٥/ ٣٧، والفتاوى الحديثية لابن حجر (١٥٠-١٥١)، والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (٨٨) وانظر حقيقة البدعة ١/ ٢٦٣.

(٤) الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٦ - ٣٧.

[النور:٥٤]، وقولـه تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥] وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤]. وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٦٣].

وعن مجاهد قال: «ولا تتبع السبل قال البدع والشبهات»[(١)].

* الدليل من السنة:

عن الْعِرْبَاض بْنَ سَارِيَةَ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ

(١) سنن الدارمي، باب في كراهية أخذ الرأي (١/ ٦٨).

وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»[١].

وفي الصحيحين من حديث عَائِشَةُ رضي الله عنها قالت: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فَهُوَ رَدٌّ».

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٣].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[٤].

وفي رواية عند النسائي: «وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ»[٥].

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ هُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ: اعْلَمْ قَالَ مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: اعْلَمْ يَا بِلاَلُ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له والترمذي كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

(٤) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٥) أخرجها النسائي (٤٦).

مِنْ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلالَةٍ لاَ تُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارهم شيئاً»[(١)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبَى اللهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ»[(٢)].

* أقوال العلماء:

عن عبد الله قال: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بد مقتدين فبالميت فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة»[(٣)].

وعن ابن عباس قال: «ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن، وسمعته يقول حتى تظهر البدع»[(٤)].

وقال ابن الديلمي سمعت ابن عمرو يقول: «ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مضيا ولا تركت سنة إلا ازدادت هويا»[(٥)].

وعن سفيان الثوري قال: «من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث إما أن يكون فتنة لغيره وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار وإما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٧)، وابن ماجه (٢٠٩، ٢١٠)، قال ابن رجب: «وخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن عبدالله المزني وفيه ضعف» جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥٠).

(٣) شرح أصول الاعتقاد (١٣٠) ١/ ١٠٥.

(٤) شرح أصول الاعتقاد (١٢٥) ١/ ١٠٣.

(٥) شرح أصول الاعتقاد (١٢٨) ١/ ١٠٤ .

(٦) البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي ص٤٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة في الله أو في رسله أو في دينه أو عباده الصالحين وتكون له زهادة وعبادة واجتهاد في ذلك فيؤثر ذلك الكذب الذي ظنه صدقا وتوابعه في باطنه ويظهر ذلك على وجهه فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله كما قال بعض السلف: لو أدهن صاحب البدعة كل يوم بدهان فإن سواد البدعة لفي وجهه وهذه الأمور تظهر يوم القيامة ظهوراً تاماً قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾»[1].

*** فوائد:**

١ - ضابط البدعة وأقسامها:

سئل الشيخ ابن عثيمين عن معنى البدعة وعن ضابطها؟ وهل هناك بدعة حسنة؟ وما معنى قول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة»؟[2]:

فأجاب: «البدعة شرعاً ضابطها «التعبد لله بما لم يشرعه الله»، وإن شئت فقل: «التعبد لله تعالى بما ليس عليه النبي ﷺ، ولا خلفاؤه الراشدون» فالتعريف الأول مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]، والتعريف الثاني مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام:

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٤٩٠.
(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور»[٤] فكل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله، أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ، وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه. أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعرف فهذه لا تسمى بدعة في الدين وإن كانت تسمى بدعة في اللغة، ولكن ليست بدعة في الدين وليست هي التي حذر منها رسول الله ﷺ.

وليس في الدين بدعة حسنة أبداً، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع، وهذه تشمل أن يبدأ الإنسان بالسنة أي يبدأ العمل بها، أو يبعثها بعد تركها، أو يفعل شيئاً يسنه يكون وسيلة لأمر متعبد به فهذه ثلاثة أشياء:

الأول: إطلاق السنة على من ابتدأ العمل ويدل لـه سبب الحديث فإن النبي ﷺ حث على التصدق على القوم الذين قدموا عليه ﷺ، وهم في حاجة وفاقة، فحث على التصدق فجاء رجل من الأنصار بصرة من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي عليه الصلاة والسلام فقال النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»[١] فهذا الرجل سن سنة ابتداء عمل لا ابتداء شرع.

الثاني: السنة التي تركت ثم فعلها الإنسان فأحياها فهذا يقال عنه سنها بمعنى أحياها وإن كان لم يشرعها من عنده.

الثالث: أن يفعل شيئاً وسيلة لأمر مشروع[٣] مثل بناء المدارس وطبع الكتب فهذا لا يتعبد بذاته ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هذا داخل في قول النبي ﷺ: «من

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم (١٠١٧).

(٣) انظر للاستزادة مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٥١.

سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» والله أعلم»[٣].

وقال ابن عثيمين: «**المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:**

الأول: السبب فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي بدعة مردودة على صاحبها.

مثال ذلك: أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتهجد عبادة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً. وهذا الوصف ـ موافقة العبادة للشريعة في السبب ـ أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة.

الثاني: الجنس فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة.

مثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا يصح أضحية لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام، الإبل، البقر، الغنم.

الثالث: القدر فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفية فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه ثم غسل يديه، ثم وجهه فنقول: وضؤوه باطل لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزمان فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/ ٢٩١ رقم (٣٤٦).

لمخالفة الشرع في الزمان.

وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يذبحون الغنم تقرباً لله تعالىٰ بالذبح، وهذا العمل بدعة علىٰ هذا الوجه، لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلىٰ الله بالذبح إلا الأضحية، والهدي والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر علىٰ الذبح كالذبح في عيد الأضحىٰ فبدعة. وأما الذبح لأجل اللحم فهذا جائز.

السادس: المكان فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلىٰ البيت. فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان. ومن الأمثلة لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق ووجد ما حوله قد ضاق فصار يطوف من وراء المسجد فلا يصح طوافه لأن مكان الطواف البيت قال الله تعالىٰ لإبراهيم الخليل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٦]»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والترك الراتب سنة كما أن الفعل الراتب سنة بخلاف ما كان تركه لعدم مقتضٍ أو فوات شرط أو وجود مانع وحدث بعده من المقتضيات والشروط وزوال المانع ما دلت الشريعة علىٰ فعله حينئذ كجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في التراويح علىٰ إمام واحد وتعلم العربية وأسماء النقلة للعلم وغير ذلك مما يحتاج إليه في الدين بحيث لا تتم الواجبات أو المستحبات الشرعية إلا به وإنما تركه ﷺ لفوات شرطه أو وجود مانع فأما ما تركه من جنس العبادات مع أنه لو كان مشروعا لفعله أو أذن فيه ولفعله الخلفاء بعده والصحابة فيجب القطع بان فعله بدعة وضلالة ويمتنع القياس في مثله وان جاز القياس في النوع الأول وهو مثل قياس صلاة العيدين والاستسقاء والكسوف علىٰ

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٥٣، ٢٥٤.

الصلوات الخمس في أن يجعل لها أذانا وإقامة كما فعله بعض المراونية في العيدين وقياس حجرته ونحوها من مقابر الأنبياء على بيت الله في الاستلام والتقبيل ونحو ذلك من الأقيسة التي تشبه قياس الذين حكى الله عنهم أنهم قالوا «إنما البيع مثل الربا»»[٢].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «**والابتداع على قسمين:**

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة وهذا مباح لأن الأصل في العادات الإباحة.

وابتداع في الدين وهذا محرم لأن الأصل فيه التوقيف قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»»[١].

وقال ـ حفظه الله ـ: «البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة، بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياماً غير مشروع أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في

(١) مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٧٢.

(٢) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١٠٨.

العبادات إلىٰ حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام. فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلىٰ دليل»[(٢)].

٢ - مناقشة تقسيم البدع إلى حسنة وسيئة:

أثّر تقسيم العلماء البدع إلىٰ حسنة وسيئة أو إلىٰ بدعة هدىٰ وبدعة ضلال في إثارة شبه عند المبتدعة لإظهار بدعهم.

قال الشيخ ابن عثيمين: «وإنك لتعجب من قوم يعرفون قول رسول الله ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» ويعلمون أن قوله: «كل بدعة» كلية عامة شاملة، مسورة بأقوىٰ أدوات الشمول والعموم «كل»، والذي نطق بهذه الكلية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه. إذاً فالنبي ﷺ حينما قال: «كل بدعة ضلالة» كان يدري ما يقول، وكان يدري معنىٰ ما يقول، وقد صدر هذا القول منه عن كمال نصح للأمة»[(٢)].

ومما تعلقوا به في إثبات التقسيم ما يلي:

١. قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ الموفق للصواب حينما أمر أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس في رمضان، فخرج والناس علىٰ إمامهم مجتمعون فقال: «نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون» .

قال الشيخ ابن عثيمين: «فالجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يعارض كلام الرسول ﷺ بأي

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١٠٧ للشيخ صالح الفوزان

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٤٨.

كلام، لا بكلام أبي بكر الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عثمان الذي هو ثالث هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام علي الذي هو رابع هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام أحد غيرهم لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قول النبي ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك».

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر».

الوجه الثاني: أننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أشد الناس تعظيماً لكلام الله تعالىٰ ورسوله ﷺ فلا يليق بعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو من هو أن يخالف كلام سيد البشر محمد ﷺ وأن يقول عن بدعة: «نعمت البدعة» وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله: «كل بدعة ضلالة» بل لابد أن تنزل البدعة التي قال عنها عمر: إنها «نعمت البدعة» علىٰ بدعة لا تكون داخلة تحت مراد النبي ﷺ في قوله: «كل بدعة ضلالة» فعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يشير بقوله: «نعمت البدعة هذه» إلىٰ جمع الناس علىٰ إمام واحد بعد أن كانوا متفرقين، وكان أصل قيام رمضان من رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قام في الناس ثلاث ليال وتأخر عنهم في الليلة الرابعة وقال: «إني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها». فقيام الليل في رمضان جماعة من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وسماها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بدعة باعتبار أن النبي ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرقين يقوم الرجل لنفسه، ويقوم الرجل ومعه الرجل، والرجل ومعه الرجلان، والرهط، والنفر في المسجد، فرأىٰ أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ برأيه السديد

الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة، فهي بدعة اعتبارية إضافية، وليست بدعة مطلقة إنشائية أنشأها عمر ﵁، لأن هذه السنة كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ فهي سنة لكنها تركت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حتى أعادها عمر ﵁ وبهذا التقعيد لا يمكن أبداً أن يجد أهل البدع من قول عمر هذا منفذاً لما استحسنوه من بدعهم»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قول عمر نعمت البدعة هذه فأكثر المحتجين بهذا لو أردنا أن نثبت حكما بقول عمر الذي لم يخالف فيه لقالوا قول الصاحب ليس بحجة فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن اعتقد أن قول الصاحب حجة فلا يعتقده إذا خالف الحديث فعلى التقديرين لا تصلح معارضة الحديث بقول الصاحب نعم يجوز تخصيص عموم الحديث بقول الصاحب الذي لم يخالف على إحدى الروايتين فيفيدهم هذا حسن تلك البدعة أما غيرها فلا ثم نقول أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق وأما البدعة الشرعية فكل مالم يدل عليه دليل شرعي فإذا كان نص رسول الله ﷺ قد دل على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته أو دل عليه مطلقا ولم يعمل به إلا بعد موته ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر ﵁ فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى بدعة في اللغة لأنه عمل مبتدأ كما أن نفس الدين الذي جاء به النبي ﷺ يسمى بدعة ويسمى محدثاً في اللغة كما قالت رسل قريش للنجاشي عن أصحاب النبي ﷺ المهاجرين إلى الحبشة إن هؤلاء خرجوا من دين آبائهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين محدث لا يعرف،

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٥٠، ٢٥١.

ثم ذلك العمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة وإن سمي بدعة في اللغة فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة وقد علم أن قول النبي ﷺ كل بدعة ضلالة لم يرد به كل عمل مبتدأ فإن دين الإسلام بل كل دين جاءت به الرسل فهو عمل مبتدأ وإنما أراد ما ابتديء من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ وإذا كان كذلك فالنبي ﷺ قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى، وقد قال لهم في الليلة الثالثة والرابعة لما اجتمعوا: إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن يفرض عليكم فصلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.

فعلَّل ﷺ عدم الخروج بخشية الافتراض فعلم بذلك أن المقتضى للخروج قائم وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم، فلما كان في عهد عمر جمعهم على قارئ واحد وأسرج المسجد فصارت هذه الهيئة وهي اجتماعهم في المسجد على إمام واحد مع الإسراج عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل فسمي بدعة؛ لأنه في اللغة يسمى بذلك وإن لم يكن بدعة شرعية؛ لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الافتراض وخوف الافتراض قد زال بموته ﷺ فانتفى المعارض»[(١)].

٢. قول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» وسن بمعنى «شرع».

قال الشيخ ابن عثيمين: «الجواب: أن من قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة» هو القائل: «كل بدعة ضلالة» ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب لـه قولاً آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً، ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبداً، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٨٩-٥٩١.

كلام رسوله ﷺ متناقض فليعد النظر فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه، وإما عن تقصير. ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالىٰ أو كلام رسوله ﷺ تناقض أبداً.

وإذا كان كذلك فبيان عدم مناقضة حديث «كل بدعة ضلالة» لحديث «من سن في الإسلام سنة حسنة» أن النبي ﷺ يقول: «من سن في الإسلام» والبدع ليست من الإسلام، ويقول «حسنة» والبدعة ليست بحسنة، وفرق بين السن والتبديع.

وهناك جواب لا بأس به: أن معنى «من سن» من أحيا سنة كانت موجودة فعدمت فأحياها وعلىٰ هذا فيكون «السن» إضافياً نسبياً كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

وهناك جواب ثالث يدل لـه سبب الحديث وهو قصة النفر الذين وفدوا إلىٰ النبي ﷺ وكانوا في حالة شديدة من الضيق، فدعا النبي ﷺ إلىٰ التبرع لهم، فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة كادت تثقل يده فوضعها بين يدي الرسول ﷺ فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتهلل من الفرح والسرور وقال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة» فهنا يكون معنىٰ «السن» سن العمل تنفيذاً وليس العمل تشريعاً، فصار معنىٰ «من سن في الإسلام سنة حسنة» من عمل بها تنفيذاً لا تشريعاً، لأن التشريع ممنوع «كل بدعة ضلالة»»[1].

٣- **جمع القرآن** ولم يكن جمعه علىٰ عهد رسول الله ﷺ، والجواب عن هذا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا جمع القرآن فإن المانع من جمعه علىٰ عهد رسول الله ﷺ كان أن الوحي كان لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو جمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت، فلما استقر القرآن

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٥٢، ٢٥٣.

بموته ﷺ واستقرت الشريعة بموته ﷺ أمِن الناس من زيادة القرآن ونقصه، وأمنوا من زيادة الإيجاب والتحريم والمقتضي للعمل قائم بسنته ﷺ فعمل المسلمون بمقتضى سنته وذلك العمل من سنته وإن كان يسمى هذا في اللغة بدعة، وصار هذا كنفي عمر رضي الله عنه ليهود خيبر ونصارى نجران ونحوهم من أرض العرب، فإن النبي ﷺ عهد بذلك في مرضه فقال: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» وإنما لم ينفذه أبو بكر رضي الله عنه لاشتغاله عنه بقتال أهل الردة وبشروعه في قتال فارس والروم وكذلك عمر لم يمكنه فعله في أول الأمر لاشتغاله بقتال فارس والروم فلما تمكن من ذلك فعل ما أمر به النبي ﷺ وإن كان هذا الفعل قد يسمى بدعة في اللغة كما قال له اليهود كيف تخرجنا وقد أقرنا أبو القاسم وكما جاءوا إلى علي رضي الله عنه في خلافته فأرادوا منه إعادتهم وقالوا كتابك بخطك فامتنع من ذلك لأن ذلك الفعل من عمر كان بعهد رسول الله ﷺ وإن كان محدثاً بعده، ومغيراً لما فعله هو ﷺ»[(١)].

٤. تمسكوا بأقوال لعلماء أجلاء ولم يعرفوا مرادهم من أقوالهم:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «قال الشَّافِعِيّ: «الْبِدْعَة بِدْعَتَانِ: مَحْمُودَة وَمَذْمُومَة، فَمَا وَافَقَ السُّنَّة فَهُوَ مَحْمُود وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَذْمُوم» أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم بِمَعْنَاهُ مِنْ طَرِيق إِبْرَاهِيم بْن الْجُنَيْد عَنْ الشَّافِعِيّ.

وَجَاءَ عَنْ الشَّافِعِيّ أَيْضًا مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبه قَالَ: «الْمُحْدَثَات ضَرْبَانِ مَا أُحْدِث يُخَالِف كِتَابًا أَوْ سُنَّة أَوْ أَثَراً أَوْ إِجْمَاعًا فَهَذِهِ بِدْعَة الضَّلاَل، وَمَا أُحْدِث مِنْ الْخَيْر لاَ يُخَالِف شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَهَذِهِ مُحْدَثَة غَيْر مَذْمُومَة»»[(٢)].

وقال ابن العربي في شرح قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور»: «ليس المحدث والبدعة مذموماً للفظ محدث وبدعة ولا لمعناها، وإنما يذم من البدعة ما خالف

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٩١، ٥٩٢.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣، جامع العلوم والحكم ٢/ ١٣١، الحلية ٩/ ١١٣.

السنة، ويذم من المحدثات ما دعا إلىٰ ضلالة»[(١)].

وقال ابن الأثير: «البدعة بدعتان: بدعة هدىٰ وبدعة ضلال. فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله ورسوله ﷺ فهو في حيز المدح، وما لم يكن لـه مثال موجود كنوع من الجود والسخاء، وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به... وقوله: «كل محدثة بدعة» إنما يريد ما خالف أصول الشريعة، ولم يوافق السنة؛ وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفاً في الذم»[(٢)].

وقال النووي: «البدعة بكسر الباء في الشرع: هي إحداث مالم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلىٰ حسنة وقبيحة»[(٣)].

وقال القاضي عياض: «كل ما أحدث بعد النبي ﷺ فهو بدعة، والبدعة فعل ما لم يسبق إليه، فما وافق أصلاً من السنة يقاس عليها فهو محمود، وما خالف أصول السنن فهو ضلالة»[(٤)].

* **وللرد علىٰ ذلك نقول**: إن استدلالاتكم هذه مخالفة لحديث الرسول ﷺ «فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وللرد علىٰ ذلك نقول:

قال ابن رجب: «قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين»[(٥)].

وقال ابن عثيمين: «وما ادعاه العلماء من أن هناك بدعة حسنة. فلا تخلو من حالين:

---

(١) عارضة الأحوذي لابن العربي ٩/ ١٤٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: «ب د ع» لسان العرب: «ب د ع».

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ٣/ ٢٢-٢٣، شرح النووي لصحيح مسلم ٦/ ١٥٤ وانظر قول الخطابي في معالم السنن ١٤/ ٣٠١.

(٤) مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار للقاضي عياض ١/ ٢١٨-٢١٩.

(٥) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٨.

١- أن لا تكون بدعة لكن يظنها بدعة.

٢- أن تكون بدعة فهي سيئة لكن لا يعلم عن سوئها.

فكل ما ادعي أنه بدعة حسنة فالجواب عنه بهذا. وعلى هذا فلا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول الله ﷺ «كل بدعة ضلالة»»[1].

فتقسيم البدعة الشرعية إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة ليس بصحيح، بل البدع كلها محدثة وضلالة، والبدع إنما تكون في العبادات، فأما البدع الدنيوية كالمصانع والمراكب والملابس والمساكن فلا يقال لها بدع وإنما هي عادات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على هذا التقسيم: «وأما مقامهم الثاني فيقال هب أن البدع تنقسم إلى حسن وقبيح فهذا القدر لا يمنع أن يكون هذا الحديث دالاً على قبح الجميع لكن أكثر ما يقال إنه إذا ثبت أن هذا حسن يكون مستثنى من العموم وإلا فالأصل أن كل بدعة ضلالة فقد تبين أن الجواب عن كل ما يعارض به من أنـه حسن وهو بدعة إما بأنه ليس ببدعة وإما بأنه مخصوص فقد سلمت دلالة الحديث وهذا الجواب إنما هو عما ثبت حسنه فأما أمور أخرى قد يظن أنها حسنة وليست بحسنة أو أمور يجوز أن تكون حسنة ويجوز أن لا تكون حسنة فلا تصلح المعارضة بها بل يجاب عنها بالجواب المركب وهو إن ثبت أن هذا حسن فلا يكون بدعة أو يكون مخصوصا وإن لم يثبت أنه حسن فهو داخل في العموم وإذا عرفت أن الجواب عن هذه المعارضة بأحد الجوابين فعلى التقديرين الدلالة من الحديث باقية لا ترد بما ذكروا ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ الكلية وهي قوله «كل بدعة ضلالة» بسلب عمومها

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٤٨.

وهو أن يقال ليست كل بدعة ضلالة فإن هذا إلىٰ مشاقة الرسول أقرب منه إلىٰ التأويل؛ بل الذي يقال فيما يثبت به حسن الأعمال التي قد يقال هي بدعة إن هذا العمل المعين مثلاً ليس ببدعة فلا يندرج في الحديث أو إن اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم لدليل كذا وكذا الذي هو أقوم من العموم مع أن الجواب الأول أجود، وهذا الجواب فيه نظر، فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله ﷺ بهذه الكلمة الجامعة فلا عدل عن مقصوده بأبي هو وأمي ﷺ»[١].

وقال ابن رجب: «وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية فمن ذلك قول عمر ﷺ لما جمع الناس في قيام رمضان علىٰ إمام واحد في المسجد وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه. ورُوي عنه أنه قال: إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة، وروي عن أبي بن كعب قال لـه إن هذا لم يكن. فقال عمر: قد علمت ولكنه حسن. ومراده أن هذا الفعل لم يكن علىٰ هذا الوجه قبل هذا الوقت ولكن لـه أصل في الشريعة يرجع إليها، فمنها أن النبي ﷺ كان يحث علىٰ قيام رمضان ويرغب فيه وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة ووحداناً وهو ﷺ صلىٰ بأصحابه في رمضان»[٢].

٣ - أسباب ذم البدع:

قال الشاطبي: «لا خفاء أن البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها لأن اتباعها خروج عن الصراط المستقيم ورمى في عماية. وبيان ذلك من جهة النظر، والنقل الشرعي العام. أما النظر فمن وجوه:

أحدهما: أنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا إلىٰ اليوم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٨٧، ٥٨٨.
(٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٨.

أن العقول غير مستقلة بمصالحها، استجلاباً لها، أو مفاسدها، استدفاعاً لها. لأنها دنيوية أو أخروية... فالعقل غير مستقل البتة. ولا ينبني على غير أصل، وإنما ينبني على أصل متقدم مسلم على الإطلاق. ولا يمكن في أحوال الآخرة قبلهم أصل مسلم إلا من طريق الوحي... فالابتداع مضاد لهذا الأصل، لأنه ليس مستند شرعي بالفرض، فلا يبقى إلا ما ادعوه من العقل.

فالمبتدع ليس على ثقة من بدعته أن ينال بسبب العمل بها، ما رام تحصيله من جهتها، فصارت كالعبث.

والثاني: أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان، لأن الله تعالى قال فيها ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾.. فإذا كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله:

إن الشريعة لم تتم، وأنه بقى منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها، لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع ولا استدرك عليها. وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكاً يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً.

والثالث: أن المبتدع معاند للشرع ومشاقٌ لـه، لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد واخير أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها إلى غير ذلك، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين. فالمبتدع راد لهذا كله، فإنه يزعم أن ثم طرقا أخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين،

كأن الشارع يعلم، ونحن أيضاً نعلم بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع، أنه علم ما لم يعلمه الشارع.

وهذا إن كان مقصوداً للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود، فهو ضلال مبين.

وإلى هذا المعنى أشار عمر بن عبد العزيز ﷺ، إذ كتب لـه عدى ابن أرطاة يستشره في بعض القدرية، فكتب إليه:

أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطإ والزلل والحمق والتعمق، فارضَ لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ، قد كفوا وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل كانوا فيه أحرى. فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سننهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسن، ولقد قصر عنهم آخرون فقلوا وأنهم بين لك لعلى هدى مستقيم.

والرابع: أن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع، لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجرى على سننها، وصار هو المنفرد بذلك، لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون. وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس. ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام.

وهذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيراً ومضاهياً حيث شرع مع الشارع، وفتح للاختلاف باباً؛ ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفى بذلك.

والخامس: أنه اتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق لـه إلا

الهوىٰ والشهوة؛ وأنت تعلـــم ما في اتباع الهوىٰ وأنه ضلال مبين»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «فاعلم أن كل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن فإن بدعته هذه مع كونها ضلالة تعتبر طعناً في دين الله ﷻ، تعتبر تكذيباً لله تعالىٰ في قولـه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾. لأن هذا المبتدع الذي ابتدع شريعة في دين الله تعالىٰ وليست في دين الله تعالىٰ كأنه يقول ـ بلسان الحال ـ: إن الدين لم يكمل لأنه قد بقي عليه هذه الشريعة التي ابتدعها يتقرب بها إلىٰ الله ﷻ»[٢].

٤ - تاريخ ظهورالبدع:

قال ابن حجر رحمه الله: «وَثَبَتَ عَنْ مَالِك أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَهْد النَّبِيّ ﷺ وَأَبي بَكْر وَعُمَر شَيْء مِنْ الأَهْوَاء ـ يَعْنِي بِدَع الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض وَالْقَدَرِيَّة ـ»[٣].

قال شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله: «وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فعاقب الطائفتين أما الخوارج فقاتلوه فقتلهم وأما الشيعة فحرق غاليتهم بالنار وطلب قتل عبدالله بن سبأ فهرب منه وأمر بجلد من يفضله علىٰ أبي بكر وعمر وروىٰ عنه من وجوه كثيرة أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ورواه عنه البخاري في صحيحه»[٤].

وهذا من حيث ظهور البِدْعَة وانتشارها وأما المقالة فقد حَدَثَتْ فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ. قال ابن القيم: «وَالَّذِي صَحَّ عَنْ النَّبِيّ ﷺ مِنْ طَوَائِف أَهْل الْبِدَع: مِنْهُمْ الْخَوَارِج فَإِنَّهُ قَدْ ثبَتَ فِيهِمْ الْحَدِيث مِنْ وُجُوه كُلّهَا صِحَاح. لأَنَّ مَقَالَتهمْ حَدَثَتْ

(١) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٦-٥٣ باختصار.
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٤٦.
(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣، وانظر ٥/ ٢٥٣.
(٤) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٢٧٩.

فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ. وَكَلِمَة رَئِيسهمْ. وَأَمَّا الإِرْجَاء، وَالرَّفْض، وَالْقَدَر، وَالتَّجَهُّم، وَالْحُلُول وَغَيْرهَا مِنْ الْبِدَع فَإِنَّهَا حَدَثَتْ بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر الصَّحَابَة. وَبِدْعَة الْقَدَر: أَدْرَكَتْ آخِر عَصْر الصَّحَابَة فَأَنْكَرَهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ حَيًّا، كَعَبْدِ اللَّه بْن عُمَر، وَابْن عَبَّاس، وَأَمْثَالهمَا. أَكْثَر مَا يَجِيء مِنْ ذِمَّتهمْ فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقُوف عَلَى الصَّحَابَة: مِنْ قَوْلهمْ فِيهِ. ثُمَّ حَدَثَتْ بِدْعَة الإِرْجَاء بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر الصَّحَابَة فَتَكَلَّمَ فِيهَا كِبَار التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَدْرَكُوهَا كَمَا حَكَيْنَاهُ عَنْهُمْ ثُمَّ حَدَثَتْ بِدْعَة التَّجَهُّم بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر التَّابِعِينَ. وَاسْتَفْحَلَ أَمْرهَا، وَاسْتَطَارَ شَرّهَا فِي زَمَن الأَئِمَّة، كَالإِمَام أَحْمَد. ثُمَّ حَدَثَتْ بَعْد ذَلِكَ بِدْعَة الْحُلُول، وَظَهَرَ أَمْرهَا فِي زَمَن الْحُسَيْن الْحَلاَّج. وَكُلَّمَا أَظْهَرَ الشَّيْطَان بِدْعَة مِنْ هَذِهِ الْبِدَع وَغَيْرهَا: أَقَامَ اللَّه لَهَا مِنْ حِزْبه وَجُنْده مَنْ يَرُدّهَا، وَيُحَذِّر الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا، نَصِيحَة لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلأَهْل الإِسْلاَم. وَجَعَلَهُ مِيرَاثًا يُعْرَف بِهِ حِزْب رَسُول اللَّه ﷺ وَوَلِيّ سُنَنه، مِنْ حِزْب الْبِدْعَة وَنَاصِرهَا. وَقَدْ جَاءَ فِي أَثَر لاَ يَحْضُرنِي إِسْنَاده «إِنَّ لِلَّهِ عِنْد كُلّ بِدْعَة يُكَاد بِهَا الإِسْلاَم وَلِيًّا يَنْطِق بِعَلاَمَاتِهِ». فَاغْتَنِمُوا تِلْكَ الْمَجَالِس، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّه. فَإِنَّ الرَّحْمَة تَنْزِل عَلَيْهِمْ. نَسْأَل اللَّه تَعَالَى أَنْ يَجْعَلنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ يُلْحِقنَا بِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلنَا لَهُمْ خَلَفًا، كَمَا جَعَلَهُمْ لَنَا سَلَفًا بِمَنِّهِ وَكَرَمه»[(١)].

٥ - أسباب ظهور البدع:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

١. الجهل بأحكام الدين: كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قلَّ العلم وفشى الجهل كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»[(٢)]. وقولـه: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن

(١) عون المعبود مع شرح الحافظ ابن القيم ١٢/ ٤٥٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦ وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) وصحيح

يقبض العلم بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[(١)]. فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء فإذا فقدا العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

٢. **اتباع الهوىٰ:** من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية:٢٣] والبدع إنما هي نسيج الهوىٰ المتبع.

٣. **التعصب للآراء والرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق،** قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠] وهذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين إذا دعوا إلىٰ اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

٤. **التشبه بالكفار:** هو من أشد ما يوقع في البدع»[(١)].

٦ - حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم قالوا لا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة وهي الشريعة وهي ما أمر الله به ورسوله ﷺ؛ لأن القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنوناً مشروعاً قد أمر الله به يكون بدعة وكل بدعة ضلالة ليس مما

الجامع (٢٥٤٦).

(١) البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١١٢-١١٤.

يحبه الله فلا يقبله الله ولا يصلح مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب»[(١)].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة لقوله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[(٣)]، وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[(٣)] وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(٤)] فدل الحديث على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة. ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة.

فمنها ما هو كفر صراح: كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها وتقديم الذبائح والنذور لها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم. وكمقالات غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو من وسائل الشرك: كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

ومنها ما هو فسق اعتقادي: كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية.

ومنها ما هو معصية: كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس. والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع»[(٥)].

٧ - أثر البدع على التوحيد:

بَيَّنَ الله سبحانه وتعالى أن الشيطان هو عدو بني آدم وحذر منه فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فعلى العبد أن يتخذه عدوا ويحترز منه ولا يتبع خطواته فإن له

(١) الاستقامة ٢/ ٣١٠.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦ وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢) وصحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٣) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٤) مسلم (١٧١٨) (١٨).

(٥) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١٠٧.

مع الناس عقبات وخطوات ومن عقباته بعد الكفر بالله وبدينه عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله وقد انخدع به كثير من الناس فوقعوا في البدع التي حذر الله ورسوله منها فمن ذلك رفع القبور والبناء عليها وإيقاد السرج والشموع عِنْدَها. وشد الرحال إليها ومن ذلك التبرك بالصالحين وتتبع آثارهم والتوسل بالذوات أو بالجاه ومن ذلك إحداث أعياد لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح ومن ذلك الصلاة لله عند القبر، والذبح لله عند القبر.

والأمور المبتدعة عند القبور مراتب ودركات أشنعها سؤال الميت، والاستغاثة به والسجود لـه ومن البدع التمسح به و تعظيمه واتخاذه مسجدا وعيدا وإكرامه بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها. وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرِّقاع فيها وأخذ تربتها تبركا و الكتابة على القبر، وإفاضة الطيب عليها، وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداء بمن عبد اللات والعزى وهذه حال من اتبع سبل الشيطان في تحسين المعاصي والبدع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وفيهم من ينظم القصائد فى دعاء الميت والاستشفاع به والاستغاثة أو يذكر ذلك فى ضمن مديح الأنبياء والصالحين فهذا كله ليس بمشروع ولا واجب ولا مستحب باتفاق أئمة المسلمين ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين فإن الله لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب وكثير من الناس يذكرون فى هذه الأنواع من الشرك منافع ومصالح ويحتجون عليها بحجج من جهة الرأى أو الذوق أو من جهة التقليد والمنامات ونحو ذلك»[١].

وكما أثرت البدع على التوحيد فقد أثرت في السنة فعَنْ غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٦٠.

الثُّمَالِيِّ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَقَالَ: يَا أَبَا أَسْمَاءَ، إِنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا النَّاسَ عَلَى أَمْرَيْنِ. قَالَ: وَمَا هُمَا؟ قَالَ: رَفْعُ الأَيْدِي عَلَى الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْقَصَصُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُمَا أَمْثَلُ بِدْعَتِكُمْ عِنْدِي وَلَسْتُ مُجِيبَكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُمَا قَالَ لِمَ قَالَ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلاَّ رُفِعَ مِثْلُهَا مِنْ السُّنَّةِ» فَتَمَسُّكٌ بِسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ إِحْدَاثِ بِدْعَةٍ»[1].

وعن حسان بن عطية قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها ويبغض من يفعل ذلك، كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه»[3].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «إنك لتجد الكثير من هؤلاء الحريصين على البدع يكون فاتراً في تنفيذ أمور ثبتت شرعيتها وثبتت سنيتها، فإذا فرغوا من هذه البدع قابلوا السنن الثابتة بالفتور، وهذا كله من نتيجة أضرار البدع على القلوب فالبدع أضرارها على القلوب عظيمة، وأخطارها على الدين جسيمة، فما ابتدع قوم في دين الله بدعة إلا أضاعوا من السنة مثلها أوأ شد، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم من السلف.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٠٩٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٨: (وفيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو منكر الحديث) وجوّد الحافظ حديثه هذا في الفتح ١٣/ ٢٥٣. قال ابن رجب: «وقد رُوي عن ابن عمر من قوله نحو هذا» جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٨.

(٢) شرح أصول الاعتقاد (١٢٩) ١/ ١٠٤.

(٣) درء التعارض ١/ ٢٢١.

لكن الإنسان إذا شعر أنه تابع لا مشرع حصل لـه بذلك كمال الخشية والخضوع، والذل، والعبادة لرب العالمين، وكمال الاتباع لإمام المتقين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين محمد ﷺ»[(١)].

٨ - وللعلماء كلام في قبول توبة المبتدع:

فمنهم من قال: يمكن أن يتوب ويستشهد له بما روى أحمد عن عبدالله بن شداد «أن علياً رضي الله عنه لما اعتزله الحرورية بعث إليهم عبدالله بن عباس فواضعوه كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف»[(٢)].

مع أن الخوارج ورد فيهم من الأحاديث ما لم يرد في غيرهم من الفرق، فهم كلاب النار، وهم الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...[(٣)].

وكذلك توبة أبي الحسن الأشعري مع براعته في معرفة الاعتزال[(٤)].

والقول بصحة توبة المبتدع سواء كان داعية أو غير داعية هو قول أكثر أهل العلم[(٥)].

ومنهم من قال: من كان عالماً لا مقلداً فلا يتوب؛ لأنه زاغ فأزاغ الله قلبه، وأما إذا كان مقلداً أو عامياً فيمكن أن يتوب كما رجع بعض الخوارج[(٦)].

ومنهم من قال بأن صاحب البدعة ليست له توبة.

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٥٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/ ٨٦ – ٨٧.

(٣) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ٢/ ٣٩٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٦.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٥، الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١١٠، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١/ ٣٣٠.

(٦) انظر: الرد على الجهمية لأبي سعيد الدارمي ١١٤، مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ١٨٦، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ٢/ ٤٠٣.

قال ابن عمر في القدرية: «لو أنفقوا ما في الأرض ذهباً ما تقبل منهم حتىٰ يؤمنوا بالقدر»[(١)].

وقال الحسن البصري: «إن صاحب البدعة لا يقبل لـه صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا جهاد ولا صرف ولا عدل»[(٢)].

وفي بدائع الفوائد: «من خط القاضي أبي يعلىٰ: قال أبو الفرج الهمداني سمعت المروزي يقول: سئل أحمد عما ورد عن النبي ﷺ أن الله احتجز التوبة عن صاحب بدعة وحجب التوبة إيش معناه؟ فقال أحمد: لا يوفق ولا يُيسر صاحب بدعة لتوبة، وقال النبي ﷺ لعائشة لما قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ فقال النبي ﷺ: «هم أهل الأهواء والبدع ليست لهم توبة»»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا قال أئمة المسلمين كسفيان الثوري أن البدعة أحب إلىٰ إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها، ومعنىٰ قولهم «أن البدعة لا يتاب منها»: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه أو أنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو أمر استحباب ليتوب ويفعله فما دام يرىٰ فعله حسناً وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتىٰ يتبين لـه الحق كما هدىٰ ﷻ من هدىٰ من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه...»[(٤)].

---

(١) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ٢/ ٤١٢، الشريعة للآجري ص ٢٠٥.
(٢) الشريعة للآجري ص ٦٤.
(٣) بدائع الفوائد ٤/ ٤٨.
(٤) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٩، التحفة العراقية ١/ ٣٨.

٩ - موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة:

لقد كان أئمة السلف حريصين كل الحرص على مواجهة البدعة والرد على المبتدعة والتحذير من البدع عموما ويحصل ذلك إما بالمناصحة أو الإنكار أو ببيان حاله والتحذير منه والرد عليه أو يكون بالهجر فإن أصر على بدعته ودعا إليها لإضلال الناس فإن أكثر السلف يأمرون بردعه وإنزال العقوبة به لأجل إفساده في الدين وإليك بيان ذلك بنقول عنهم:

عن أيوب قال: «لقيني سعيد بن جبير فقال: ألم أرك مع طلق؟ قلت: بلى فما له؟ قال: لا تجالسه فإنه مرجيء. قال أيوب: وما شاورته في ذلك، ولكن يحق للرجل المسلم إذا رأى من أخيه شيئاً يكرهه أن ينصحه»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن أظهر المنكر وجب عليه الإنكار وان يهجر ويذم على ذلك فهذا معنى قولهم ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له بخلاف من كان مستتراً بذنبه مستخفياً فان هذا يستر عليه، لكن ينصح سراً ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ويذكر أمره على وجه النصيحة»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وقال بعضهم لأحمد بن حنبل إنه يثقل علي أن أقول فلان كذا وفلان كذا. فقال: إذا سكتَ أنت وسكتُ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟

ومثل ذلك أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في

(١) البدع لمحمد بن وضاح ص٥٢.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٢٠.

أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فَبَيَّنَ أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً... وأعداء الدين نوعان: الكفار والمنافقون، وقد أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين في قولـه: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ في آيتين من القرآن، فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تُبيَّن للناس فسد أمرُ الكتاب وبُدِّل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله»[(١)].

ومما جاء عن الأئمة في تعليقه على الداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وهذا لأن المقصود بإرسال الرسل وإنزال الكتب هو إقامة القسط كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾ وإذا كان الأمر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة ولا بالعكس ولهذا أكثر السلف يأمرون بقتل الداعي إلى البدعة الذي يضل الناس لأجل إفساده في الدين سواء قالوا هو كافر أو ليس بكافر...»[(٢)].

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٣١-٢٣٢، وانظر للاستزادة حول ذلك محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١٧ للشيخ صالح الفوزان.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٠٠.

وقال رحمه الله: «والداعي إلىٰ البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين، وعقوبته تكون تارة بالقتل وتارة بما دونه كما قتل السلف جهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيلان القدري وغيرهم، ولو قدر أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته فلا بد من بيان بدعته والتحذير منها فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله»[(١)].

وقال أيضاً: «وكذلك المبتدع الذي خرج عن بعض شريعة رسول الله وسنته واستحل دماء المسلمين المتمسكين بسنه رسول الله ﷺ وشريعته وأموالهم هو أولىٰ بالمحاربة من الفاسق وإن اتخذ ذلك ديناً يتقرب به إلىٰ الله كما أن اليهود والنصارىٰ تتخذ محاربة المسلمين ديناً تتقرب به إلىٰ الله؛ ولهذا اتفق أئمة الإسلام علىٰ أن هذه البدع المغلظة شر من الذنوب التي يعتقد أصحابها أنها ذنوب وبذلك مضت سنة رسول الله ﷺ؛ حيث أمر بقتال الخوارج عن السنة وأمر بالصبر علىٰ جور الأئمة وظلمهم والصلاة خلفهم مع ذنوبهم وشهد لبعض المصرّين من أصحابه علىٰ بعض الذنوب أنه يحب الله ورسوله ونهىٰ عن لعنته وأخبر عن ذي الخويصرة وأصحابه مع عبادتهم وورعهم أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»[(٢)].

وقال: «وأما الواحد المقدور عليه من الخوارج والرافضة فقد روىٰ عنهما أعني عمر وعلي قتلهما أيضاً والفقهاء، وإن تنازعوا في قتل الواحد المقدور عليه من هؤلاء فلم يتنازعوا في وجوب قتالهم إذا كانوا ممتنعين، فإن القتال أوسع من القتل كما يقاتل الصائلون العداة والمعتدون البغاة وإن كان أحدهم إذا قُدر عليه لم يعاقب إلا بما أمر الله ورسوله به، وهذه النصوص المتواترة عن النبي ﷺ في

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ٤١٣-٤١٥.
(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٤٧٠. ٤٧١.

الخوارج قد أدخل فيها العلماء لفظاً أو معنى من كان في معناهم من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين؛ بل بعض هؤلاء شر من الخوارج الحرورية مثل الخرمية والقرامطة والنصيرية وكل من اعتقد في بشر أنه إله أو في غير الأنبياء أنه نبي وقاتل علىٰ ذلك المسلمين فهو شر من الخوارج الحرورية، والنبي إنما ذكر الخوارج الحرورية لأنهم أول صنف من أهل البدع خرجوا بعده بل أولهم خرج في حياته فذكرهم لقربهم من زمانه»[1].

وقال: «وجوَّز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية إلىٰ البدع المخالفة للكتاب والسنة وكذلك كثير من أصحاب مالك وقالوا إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفساد في الأرض لا لأجل الردة»[2].

١٠- وقد كان أئمة السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع أو سماع كلامهم:

قال محمد بن طلحة: «قال إبراهيم: لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإني أخاف أن ترتد قلوبكم»[1].

وعن محمد بن مسلم قال: «أوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ بن عمران لا تجالس أصحاب الأهواء فتسمع منهم كلمة فترديك فتضلك فتدخلك النار»[2].

وعن محمد بن عجلان قال قال ابن مسعود: «من أحب أن يكرم دينه فليعتزل مخالطة السلطان ومجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم الصق من الجرب»[5].

وعن الحسن البصري قال: «لا تجالس صاحب هوىٰ فيقذف في قلبك ما تتبعه

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٤٧٥-٤٧٧.
(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٣٤٦.
(٣) البدع لمحمد بن وضاح ص٤٩.
(٤) البدع لمحمد بن وضاح ص٤٩.
(٥) البدع لمحمد بن وضاح ص٤٩، ٥٠.

عليه فتهلك أو تخالفه فيمرض قلبك»[١].

وقال الأوزاعي: «لا تمكّنوا صاحب بدعة من جدل فيورث قلوبكم من فتنته ارتياباً»[٢]. وسوف يأتي زيادة تفصيل عن هجر أهل البدع في باب (الهجر).

١١ - حكم تكفير الداعي إلى البدعة المكفرة:

قال المجد رحمه الله: «الصحيح: أن كل بدعة كفرنا فيها الداعية، فإنا نفسق المقلد فيها، كمن يقول بخلق القرآن، أو علم الله سبحانه مخلوق، أو أسماءه مخلوقة، أو أنه لا يرىٰ في الآخرة، أو يسب الصحابة، أو أن الإيمان مجرد الاعتقاد ونحو ذلك، فمن كان عالما في شيء من هذه البدع، يدعو إليه، ويناظر عليه، فهو محكوم بكفره، نص أحمد علىٰ ذلك في مواضع»[٣].

وقال الشيخ أبا بطين: «مع أن قول الشيخ[٤] رحمه الله في عدم تكفير الجهمية ونحوهم، خلاف المشهور في المذهب، فإن الصحيح من المذهب: تكفير المجتهد الداعي إلىٰ القول بخلق القرآن، ونفي الرؤية ونحو ذلك»[٥].

٦٣.البروج

انظر باب: «التنجيم».

(١) البدع لمحمد بن وضاح ص٤٩، ٥٠.
(٢) البدع لمحمد بن وضاح ص٥٣.
(٣) نقلا عن الدرر السنية ١٠/ ٣٥٦.
(٤) يعني ابن تيمية.
(٥) الدرر السنية ١٠/ ٣٥٦.

٦٤.البعث*

قال في النهاية: «في أسماء الله تعالىٰ «الباعث» هو الذي يبعث الخلق أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة»[(١)]. والبعث هو إحياء الخلق للجزاء يوم القيامة.

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧]، وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [الجاثية:٢٦].

* **الدليل من السنة:** حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ لما سئل عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله»[(٢)].

قال القاضي عياض: «وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث أو الحساب أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة علىٰ صحة نقله متواتراً، وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذات روحانية ومعان باطنة، كقول النصارىٰ والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة»[(٣)].

ويقول البهوتي رحمه الله: «وإذا جحد البعث كفر لتكذيبه للكتاب والسنة وإجماع الأمة»[(٤)].

---

* انظر مراجع الإيمان باليوم الآخر. وانظر أيضاً زاد المعاد ٣/ ٢٣٠، الفوائد لابن القيم ص٦، ٧، مغني المحتاج ٤/ ١٣٥، الصواعق المرسلة ٤/ ١٣٥٦، شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٨٩، القواعد الحسان للسعدي ٢٤، ٢٥.

(١) النهاية (ب ع ث).

(٢) أخرجه البخاري (٥) ومسلم (١٠) واللفظ له وفي رواية: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر».

(٣) الشفاء ٢/ ٢٩٠.

(٤) كشاف القناع ٦/ ١٣٦.

٦٥. بغض و كراهية ما جاء به الرسول ﷺ*

البغض والكراهية ضد المحبةِ، والمحبةُ شرط من شروط لا إله إلا الله. قال الإمام تقي الدين ابن تيمية: «وأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهو أصل كل فعل ومبدؤه، كما أن البغض والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه ومادته، فهو أصل كل ترك»[(١)].

والمراد الكره الاعتقادي، وإذا انتفت المحبة محبة الله ورسوله ومحبة أوامره والرضا بها وحل محلها البغض والكراهة في القلب فهذه صفات من كفر بالله ﷻ فلا يبقى مع تلك الكراهة عملٌ لأن كُرهَ ما أنزلَ اللهُ يحبطُ الأعمالَ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: «الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر»[(٢)].

وقد ذكره ابن تيمية ضمن أقسام النفاق الأكبر المخرج من الملة فقال: «فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله ابن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك، مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله»[(٣)].

وعدَّه في أنواعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقال: «... فأما النفاق الاعتقادي فهو

* الدرر السنية ٢/ ٣٦١، ١٠/ ١٢٢، مجموعة التوحيد ١/ ١٠، ورسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وشروحها، الجامع الفريد ٢٧٧.

(١) قاعدة في المحبة ص ٧.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٩٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٣٤.

ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار»[(١)].

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٠] وقد وصف سبحانه المنافقين بقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة:٥٤] وقال تعالىٰ: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٨١].

والبغض والكراهة ينافيان عمل القلب من وجهين:

١ ـ أنه ينافي شرط المحبة والتعظيم لله ﷻ، ومحبة أوامره، وأوامر رسوله ﷺ.

٢ ـ أن فيه تركاً للقبول والانقياد والتسليم. يقول ابن تيمية: «إن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرّمه عليه، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرّمه، أو أنه حرّمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبىٰ أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند ... ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته يعود هذا إلىٰ عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمرداً أو اتباعاً لغرض النفس وحقيقته كفر هذا؛ لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه

(١) مجموع التوحيد لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٠، وأقسام النفاق الأكبر دقيقة وخطيرة ولم أجد من تعرض له بمؤلف يجمع أحكامه.

ويقول: أنا لا أقرّ بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر منه، فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع»[(١)].

وجاء في شرح الإقناع قولـه: «أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه كما هو حال من يدّعي العلم ويقرر أنّه دين الله ورسوله ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارىٰ، بل يعادون من التفت إليه، ويحلّون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام ... والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه[(٢)]، وأبغض الأمر بمعاداة أهله ولو لم يتكلم وينصر، فكيف إذا فعل ما فعل»[(٣)].

ومما يدخل في ذلك ما يتفوه به بعض أهل زماننا من كراهية شرع الله في تعدد الزوجات وكراهية كون المرأة ليست بمنزلة الرجل في الميراث والدية والشهادة وكون القاتل يقتل والسارق تقطع يده فيبغضون أحكام الله ورسوله كما فعلَ المنافقون من قبل الذين ضاقت صدورهم وحرجت بشرع الله وبما جاء عن رسوله صلىٰ الله عليه وسلم وأبغضوا مادلت عليه. وكذلك الذي يكره شرع الله في حجاب المرأة، أو اللحية. وليس لـه تأويل في ذلك إلا أن الرسول جاء به فإن كان لـه تأويل كأن يبغض شكلها لا شرع الله فيها فهذا شيء آخر وحكم آخر أما أحكام الله فلا تبغض ولا يكره شيء منها البتة[(٤)]، بل ينبغي الحذر من الوقوع في ذلك، والرضىٰ بالله وبما جاء به والاطمئنان إليه.

(١) الصارم المسلول ص ٥٢١، ٥٢٢، وانظر: مجموع الفتاوىٰ ١٤/ ١٠٨، ٢٠/ ٩٧. وقاعدة في المحبة ص١٩٣.

(٢) أي الشرك.

(٣) انظر كشاف القناع ٣/ ٦٢. وانظر مجموعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الثالث ص ٦٢، ونواقض الإيمان الاعتقادية ٢/ ١٧٨.

(٤) أفاده شيخنا عبد الله بن جبرين ـ حفظه الله ـ.

وقد تقرر أن من شروط (لاإله إلاالله) المحبة لما دلت عليه والسرور بذلك وانشراح الصدر، أما الكره والبغض فإنه ينافي المحبة والانقياد ولا يصح إيمان إلا بالانقياد لشرع الله والتسليم له كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

* **الفرق بين كره المشقة ونفور الطبع وبين الاعتقاد:**

قال الراغب رحمه الله: «الكره: المشقة التي تنال الإنسان من خارجٍ فيما يُحمَل عليه بإكراهٍ، والكُرهُ ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك علىٰ ضربين:

أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع.

الثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشرع.

ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد إني أريده وأكرهه بمعنىٰ إني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] أي تكرهونه من حيث الطبع»(١)، وقال الإمام البغوي رحمه الله: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾: «أي شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالىٰ...»(٢).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «إنما كان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال، ومفارقة الوطن والأهل، والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس، فكانت كراهيتهم لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالىٰ»(٣).

(١) المفردات (ك ر هـ).
(٢) تفسير البغوي ١/ ٢٤٦.
(٣) تفسير القرطبي ٣/ ٣٩.

فالمراد بالبغض والكره ما يتعلق بالاعتقاد القلبي فيخرج بذلك كراهية المشقة الحاصلة، ولا يؤاخذ العبد بالوسواس الذي يلقيه الشيطان في القلوب وينفيه العبد بكراهيته.

*** فائدة:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقد دل الكتاب والسنة على أن من في قلبه الكفر وبغض الرسول وبغض ما جاء به أنه كافر بالله ورسوله وقد عفى الله لهذه الأمة وهم المؤمنون حقاً الذين لم يرتابوا عما حدثت به أنفسها ما لا تتكلم به أو تعمل كما هو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وابن عباس وروى عن النبي ﷺ أن الذي يهم بالحسنة تكتب لـه والذي يهم بالسيئة لا تكتب عليه حتى يعملها إذا كان مؤمناً من عادته عمل الحسنات وترك السيئات فإن ترك السيئة لله كتب له حسنة فإذا أبدى العبد ما في نفسه من الشر بقول أو فعل صار من الأعمال التي يستحق عليها الذم والعقاب وإن أخفى ذلك وكان ما أخفاه متضمنا لترك الإيمان بالله والرسول مثل الشك فيما جاء به الرسول أو بغضه كان معاقباً على ما أخفاه في نفسه من ذلك لأنه ترك الإيمان الذي لا نجاة ولا سعادة إلا به وأما إن كان وسواساً والعبد يكرهه فهذا صريح الإيمان كما هو مصرح به في الصحيح، وهذه الوسوسة هي مما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهته صريح الإيمان وقد خاف من خاف من الصحابة من العقوبة على ذلك قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]»[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٠٨.

٦٦. البناء على القبور *

وتسمىٰ القبورُ المبنيةُ بالقبورِ المشرِفة أي: المرتفعة.

قال الشيخ ابن عثيمين: «**والإشراف له وجوه:**

الأول: أن يكون مشرفاً بكبر الأعلام التي توضع عليه، وتسمىٰ عِنْدَ الناس «نصائل» أو «نصائب». ونصائب أصح لغة من نصائل.

الثاني: أن يبني عليه وهذا من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ: «لعن المتخذين عليها المساجد والسرج».

الثالث: أن تُشرف بالتلوين، وذلك بأن يوضع علىٰ أعلامها ألوان مزخرفة.

الرابع: أن يرفع تراب القبر عمّا حوله فيكون بيِّناً ظاهراً.

* شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥. أحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣٨٠. المغني لابن قدامة ٢/ ٥٠٧ والمجموع للنووي ٥/ ٢٩٦. المحلىٰ بالآثار لابن حزم ٣/ ٣٥٦. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٧٧، ٣٤٢ ـ ٢/ ٦٦٩، ٦٧١. تفسير سورة الاخلاص ص ١٧٠. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٠٦. الإنصاف ٢/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩. شرح الصدور بتحريم رفع القبور تأليف محمد بن علي الشوكاني. الدرر السنية ٢/ ١٨٨، ٥/ ٩٦، ١١/ ١٩٥، ٤٧٤. الدين الخالص حسن القنوجي ٣/ ٥٧٤ ـ ٤/ ٦٠. كتاب البناء علىٰ القبور للشيخ المعلمي تحقيق حاكم المطيري. شفاء الصدور في الرد علىٰ الجواب المشكور ص ٧٢. أحكام الجنائز الألباني ٢٦٤ رقم ٢١٠. تيسير العزيز الحميد ٣١٩ ـ ٣٤٧. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٠،٣٩٤،٣٩٣/ ١٠٣٦. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٤٠٤، ٣/ ٢١٣. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٢٧٤. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٧٤٣، ٧٨٧. نور علىٰ الدرب ابن باز ص٢٧٨١. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٤٦. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٦٨. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص ٢٥٨ ـ ٢٤٤ ـ ٢٥٩ ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٩١. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص١٦١. التبرك د.ناصر الجديع ص٤١٢. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١٦١١ـ١٦١٨.

فكل شيء مشرف أي: ظاهر على غيره متميز عن غيره يجب أن يسوى بغيره لئلا يؤدي ذلك إلى الغلو في القبور والشرك»[(١)].

والأصل في القبر أن يكون مسنماً مرتفعاً قدر شبر لا يزيد عن ذلك أما رفعه فوق الأرض بالبناء عليها سواء كان البنيان مسجداً أو قبة أو غير ذلك، فقد جاءت الأحاديث في التحذير من ذلك والنهي عنه.

* **الدليل من السنة:** عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «نهى أن يبنى على القبر»[(٣)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ: أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»[(٤)].

عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[(٥)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وقد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور وتحريمه ووجوب هدمه لهذه الأحاديث الصريحة التي لا مطعن فيها بوجه من الوجوه، ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبلة، أو مملوكة، إلا أنه في المملوكة أشد. ولا عبرة بمن شذ من المتأخرين فأباح ذلك، إما مطلقا وإما في المملوكة.

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٦، ١٠٣٧. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٢١٣.
(٢) أخرجه مسلم (٩٧٠).
(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٦٤). قال البوصيري: إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع.
(٤) أخرجه مسلم (٩٧٠).
(٥) أخرجه مسلم (٩٦٩).

قال الإمام أبو محمد بن قدامة: ولا يجوز اتخاذ المساجد علىٰ القبور لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(١)]. يحذر ما صنعوا. ولأن تخصيص القبور بالصلاة عِنْدَها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عِنْدَها.

وقال شيخ الإسلام: أما بناء المساجد علىٰ القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي، بتحريمه. قال: ولا ريب في القطع بتحريمه»[(٢)].

وقال ابنُ حَزْمٍ: «ولا يحل أن يبنىٰ القبر، ولا أن يجصص، ولا أن يزاد علىٰ ترابه شيء ويهدم كل ذلك»[(٣)].

وقد ألف الشوكاني رحمه الله كتاباً مستقلاً في ذلك وسماه شرح الصدور بتحريم رفع القبور ومما قال: «اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلىٰ هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها»[(٤)].

وقال الشوكاني رحمه الله: «والظاهر أن رفع القبور زيادة علىٰ القدر المأذون فيه محرم، وقد صرح بذلك أصحاب محمد، وجماعة الشافعي ومالك. قال: ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القبب والمشاهد علىٰ القبور، وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك»[(٥)].

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم، ١٩ ـ (٥٢٩).
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣٣٣.
(٣) المحلىٰ ٥/ ٣٣.
(٤) شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص٧.
(٥) نيل الأوطار ٤/ ٧٢

* سبب التحذير من رفع البناء على القبر:

يقول العلامة الصنعاني في كلامه على البناء على القبور: «إنه ذريعة إلى تعظيم الميت، والطواف بقبره، والتماس أركانه، والنداء باسمه. وبالجملة إنه يصير صنما يعبد، وهذه بدعة عظيمة عمّت الدنيا، وعبد الناس القبور، وعظموها بالمشاهد والقباب، وزادوا على فعل الجاهلية، فأسرجوا عليها السرج والشموع، وجعلوا لها نصيبا من أموالهم، كما قال تعالى في المشركين: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾[النحل:٥٦] وكما قالوا: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦]»[١].

وقال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: «فالبناء على القبور وتجصيصها ووضع الزينات عليها أو الستور كله منكر ووسيلة إلى الشرك، فلا يجوز وضع القباب أو الستور أو المساجد عليها»[٢].

وقال رحمه الله: «إنما يعاد تراب القبر عليه ويرفع قدر شبر تقريبا حتى يعرف أنه قبر، هذه هي السنة في القبور التي درج عليها رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. ولا يجوز اتخاذ المساجد عليها ولا كسوتها ولا وضع القباب عليها لقول النبي ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٣]»[٤].

وكل عاقل يعلم أن لزيادة الزخرفة للقبور، وإسبال الستور الرائعة عليها، وتسريجها، والتأنق في تحسينها تأثيراً في طبائع غالب العوام، وينشأ عنه التعظيم،

(١) العدة على إحكام الأحكام ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩. نقلاً عن شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ص٧٢.
(٢) الفتاوى ص ٧٤٦.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) الفتاوى للشيخ ابن باز رحمه الله ص ٧٤٤.

والاعتقادات الباطلة، وهكذا إذا استعظمت نفوسهم شيئا مما يتعلق بالأحياء، وبهذا السبب اعتقد كثير من الطوائف الإلهية في أشخاص كثيرة"[١].

قال الشوكاني رحمه الله: «وكم قد نشأ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام. منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال وتمسحوا واستغاثوا، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه! فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل لـه بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني! تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق! وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة. فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك واجباً؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رماد»[٢]

(١) شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ص ٧١.

(٢) نيل الأوطار ٤/ ٧٢. وانظر أحكام الجنائز للألباني ص ٢٠٧.

* شبهات حول البناء على القبور:

يتعلق بعض المجيزين للبناء بشبهات منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١] قالوا: إن الآية قبلها تدل على أنهم ماتوا فاتخذوا مسجدا على قبره فقص الله ﷻ هذا في كتابه ولم يصحبه بما يدل على حظره فدل هذا على جوازه.

وقولهم مردود فإن أولئك القائلين ليس فيها التصريح بأنهم كانوا مؤمنين صالحين بل هم من جملة من قال فيهم رسولنا ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي رواية: «وصالحيهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر: لم يمدح الله شيئاً منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

فهؤلاء الذين اتخذوا على أهل الكهف مسجداً: كانوا من النصارىٰ الذين لعنهم النبي ﷺ، حيث قال: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي رواية: «والصالحين»»[(١)].

وظاهر الآيات في قصة أصحاب الكهف تدل على أن هروب الفتية أصلاً كان فراراً بدينهم وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم وظهورهم عليهم أنهم بين أمرين إما الرجم بالحجارة فيقتلونهم أشنع قتلة لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه

(١) الرد على البكري ٢/ ٥٦٧، ٥٦٨.

الحال لا يفلحون أبداً، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم»[(١)].

ومن وجه آخر يُردُّ عليهم بأن قول الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ يشعر بأنهم ذو جهل وضلال، وأما الحظر فقد جاء من رسول الله ﷺ حين لعن اليهود والنصارىٰ لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد.

وقال ابن رجب في شرح حديث: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»: «وقد دل القرآن علىٰ مثل ما دل عليه هذا الحديث، وهو قول الله ﷻ في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ فجعل اتخاذ القبور علىٰ المساجد من فعل أهل الغلبة علىٰ الأمور، وذلك يشعر بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوىٰ وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المتبعين لما أنزل الله علىٰ رسله من الهدىٰ»[(٢)].

وقال ابن كثير: «حكىٰ ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون منهم.

والثاني: أهل الشرك منهم، فالله أعلم. والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر، لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. يحذر ما فعلوا»...»[(٣)].

وقال السيوطي: «وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي.. فقال الملك: «لأتخذن عِنْدَ هؤلاء القوم الصالحين مسجداً..»، وقال: وأخرج عبدالرزاق وابن أبي حاتم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٤٢٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب ٢/ ٣٩٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٨٢.

عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قال: «هم الأمراء أو قال السلاطين»»[(١)].

وقال المعلمي في بيان قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: «والغالب أن الغلبة تكون سبباً للمعصية، والغالب في الأمم السابقة أن الغلبة إنما تكون للضالين، والغالب في الأمم السابقة أيضاً التكذيب بالآيات، والضلال فيها نوع من التكذيب بها، قال الله ﷻ: ﴿مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢] وعلىٰ كل حال فوصف هؤلاء بالغلبة مع وصف مقابليهم بما تقدم، يشعر بأنهم ذو جهل وغلو، واتخاذ المسجد لا ينافي الجهل والغلو كما لا يخفىٰ»[(٢)].

ولا يقال في هذا المقام أننا غير متعبدين بشرع من قبلنا، أو أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا، فإن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ليس من شرع الله قط، لا في أمة محمد ﷺ ولا في الأمم قبلها، ولو كان ذلك شرعاً من شرع الله لِمَنْ كان قبلنا لم يستحقوا لعن النبي ﷺ بشيء فعلوه قد أتىٰ به شرعهم الذي بُعثت به أنبياؤهم.

قال الألوسي رحمه الله: «وكيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد علىٰ القبور من الشرائع المتقدمة مع ما سمعت من لعن اليهود والنصارىٰ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٣)].

وأخيراً نقول: إن الاستدلال بهذه الآية علىٰ جواز اتخاذ المساجد علىٰ القبور مع

(١) الدر المنثور للسيوطي ٤/ ٣٩٢.
(٢) البناء علىٰ القبور للمعلمي ص ١٩.
(٣) روح المعاني للألوسي ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٤٠. وانظر تفنيدها بالتفصيل في كتاب البناء علىٰ القبور للمعلمي ص٨ وما بعدها. وتحذير الساجد ص٦٩ وما بعدها.

مخالفته للأحاديث المتواترة الناهية عن ذلك ـ مخالفٌ لإجماع علماء المسلمين، على تحريم اتخاذ المساجد على القبور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ، واتفاق أئمة الدين»[١].

٢ - شبهة أن قبر النبي ﷺ في مسجده كما هو مشاهد اليوم فيقال فيه:

أولاً: أن مسجد الرسول ﷺ لم يبن على القبور فإن النبي ﷺ هو الذي بناه بعدما نبش قبور المشركين وأخبر عنه سبحانه بأنه أول مسجد أسس على التقوى.

ثانياً: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد كما يفعل هؤلاء القبوريون.

ثالثاً: أن إدخال بيوت النبي ﷺ في المسجد لم يكن في عهد الصحابة، وإنما أدخل في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ للهجرة فأدخل في المسجد النبوي حجر أزواجه عليه السلام بما فيها قبره الذي في حجرة عائشة، وقد أنكر عليه العلماء منهم سعيد بن المسيب رحمه الله.

وقال الألباني رحمه الله: «ولم يكن في المدينة المنورة أحد من الصحابة حينذاك خلافا لما توهم بعضهم»[٢].

وقال أيضاً: «يتبين لنا مما أوردناه أن القبر الشريف إنما أدخل إلى المسجد النبوي حين لم يكن في المدينة أحد من الصحابة وأن ذلك كان على خلاف غرضهم الذي رموا إليه حين دفنوه في حجرته ﷺ؛ فلا يجوز لمسلم بعد أن عرف هذه الحقيقة أن يحتج بما وقع بعد الصحابة؛ لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة وما

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٨٨.

(٢) تحذير الساجد ص ٨٥. وانظر الصارم المنكي ١٣٧. وممن ذكر وجود الصحابة آنذاك الإمام النووي رحمه الله وقد رد عليه الألباني مبينا عدم ثبوته انظر للاستزادة تحذير الساجد ص٩٥.

فهم الصحابة والأئمة منها كما سبق بيانه، وهو مخالف أيضاً لصنيع عمر وعثمان حين وسعاً المسجد ولم يدخلا القبر فيه، ولهذا نقطع بخطإ ما فعله الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه، ولئن كان مضطراً إلىٰ توسيع المسجد، فإنه كان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرىٰ دون أن يتعرض للحجرة الشريفة، وقد أشار عمر بن الخطاب إلىٰ هذا النوع من الخطأ حين قام هو رضي الله عنه بتوسيع المسجد من الجهات الأخرىٰ ولم يتعرض للحجرة، بل قال: «إنه لا سبيل إليها»، فأشار رضي الله عنه إلىٰ المحذور الذي يترتب من جراء هدمها وضمها إلىٰ المسجد».

رابعاً: ومع هذه المخالفة الصريحة للأحاديث المتقدمة وسنة الخلفاء الراشدين، فإن الذين زادوا في المسجد النبوي احتاطوا للأمر شيئاً، فحاولوا تقليل المخالفة ما أمكنهم. فقد ذكر النووي في شرح مسلم أنه لما احتيج إلىٰ الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلىٰ أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا علىٰ القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد؛ فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلىٰ المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتىٰ التقيا، حتىٰ لا يتمكن أحد من استقبال القبر[(١)].

ونقل الحافظ ابن رجب في الفتح نحوه عن القرطبي كما في «الكواكب» ٦٥/ ٩١/ ١. وذكر ابنُ تَيمِيَّةَ في الجواب الباهر (ق٩/ ٢). «أن الحجرة لما أدخلت إلىٰ المسجد سد بابها، وبنىٰ عليها حائط آخر، صيانة لـه ﷺ أن يتخذ بيته عيداً وقبره وثناً»[(٢)].

أما بناء القبة علىٰ القبر الشريف فقد قال صاحب كتاب المشاهدات

(١) النووي شرح مسلم ٥/ ١٤ بتصرف.

(٢) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص٩٢ـ٩٨.

المعصومية: «اعلم أنه إلىٰ عام ٦٧٨ هـ لم تكن هناك قبة علىٰ الحجرة النبوية التي فيها قبره ﷺ وإنما عملها وبناها الملك الظاهر المنصور قلاوون الصالحي في تلك السنة ٦٧٨ هـ فعملت تلك القبة.

قلت[1]: إنما فعل ذلك لأنه رأىٰ في مصر والشام كنائس النصارىٰ المزخرفة فقلَّدهم جهلاً منه بأمر النبي ﷺ وسنته كما قلدهم الوليد في زخرفة المسجد فتنبه... ثم قال: إن عمل قلاوون هذا مخالف قطعاً للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولكن الجهل بلاء عظيم، والغلو في المحبة والتعظيم وباء جسيم، والتقليد للأجانب داء مهلك، فنعوذ بالله من الجهل، ومن الغلوِّ، ومن التقليد للأجانب»[2].

❖ حكم هدم القباب المبنية على القبور:

قال ابن القيم: «فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين من شجرة، أو عمود، أو وثن أو قبر، أو خشبة، أو عين، ونحو ذلك. والواجب هدم ذلك كله، ومحو أثره كما أمر النبي ﷺ علياً ﵁[3] بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض. كما روىٰ مسلم في صحيحه عن أبي الهيّاج الأسدي قال: قال لي علي ﵁: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته». وعمَّىٰ الصحابةُ بأمر عمر ﵁ قبر دانيال وأخفوه عن الناس.

ولما بلغه أن الناس يتتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه

---

(١) القائل العلامة محمد سلطان المعصومي الحنفي.

(٢) المشاهدات المعصومية ص ٤٨.

(٣) قال الشيخ حامد الفقي ﵀: «ومن أعجب كيد الشيطان أن علياً ﵁ هو الذي كان يهدمها بأمر رسول الله. ثم أقيمت وأعيد بناؤها محادة لله ولرسوله باسم علي وأولاد علي. وهم والله برآء من ذلك» ا.هـ من حاشية لـه في تحقيق إغاثة اللهفان ص ١/ ٢٠٩.

أرسل فقطعها. رواه ابن وضاح في كتابه فقال: سمعت عيسىٰ ابن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب ﷺ بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة.

قال عيسىٰ بن يونس: وهو عِنْدَنا من حديث ابن عون عن نافع: «أن الناس كانوا يأتون الشجرة، فقطعها عمر ﷺ».

فإذا كان هذا فعل عمر ﷺ بالشجرة التي ذكرها الله تعالىٰ في القرآن، وبايع تحتها الصحابة رسول الله ﷺ فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان، التي قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بها؟.

وأبلغ من ذلك: أن رسول ﷺ هدم مسجد الضرار. ففي هذا دليل علىٰ هدم ما هو أعظم فساد منه كالمساجد المبنية علىٰ القبور فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها حتىٰ تسوىٰ بالأرض. وهي أولىٰ بالهدم من مسجد الضرار وكذلك القباب التي علىٰ القبور يجب هدمها لأنها أسست علىٰ معصية الرسول؛ لأنه قد نهىٰ عن البناء علىٰ القبور. كما تقدم. فبناء أسس علىٰ معصيته ومخالفته بناء غير محترم. وهو أولىٰ بالهدم من بناء الغاصب قطعاً.

وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة كما تقدم، فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولىٰ وأحرىٰ؛ لأنه لعن متخذي المساجد عليها، ونهىٰ عن البناء عليها، فيجب المبادرة والمسارعة إلىٰ هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله. والله ﷻ يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما، ويذب عنهما. فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً»[(١)].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي: «انظروا ـ رحمكم الله تعالىٰ ـ أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون

(١) إغاثة اللهفان ص ١/ ٢١٠.

بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها»[١].

وقال الشوكاني: «وفي هذا أعظم دلالة علىٰ أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة عن القدر المشروع واجب متحتم، فمن إشراف القبور أن يرفع سمكها، أو يجعل عليها القباب، أو المساجد، فإن ذلك من المنهي عنه بلا شك ولا شبهة، ولهذا بعث النبي ﷺ لهدمها أمير المؤمنين ﷺ ثم إن أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته»[٢].

وقال العلاَّمة صديق حسن خان: «الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب علىٰ المسلمين إنكارها وتسويتها من غير فرق بين نبي وغير نبي، وصالح وطالح، فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره ﷺ ولم يرفع قبورهم، بل أمر علياً بتسوية المشرف منها، ومات ﷺ ولم يرفع قبرَه أصحابُه»[٣].

٦٧ـ البيان

انظر باب (السحر).

(١) الحوادث والبدع ص ١٠٥. وانظر للاستزادة المشاهدات المعصومة ص ٨٠. زيارة القبور الشرعية والشركية ص ٧٩.

(٢) شرح الصدور ص١٣، ١٤. وانظر شفاء الصدور في الرد علىٰ الجواب المشكور ٦٠.

(٣) الروضة الندية شرح الدرر البهية ١/ ١٧٨، ١٧٩ ط ـ المنيرية. وانظر: شفاء الصدور في الرد علىٰ الجواب المشكور ص٦٩.

٦٨. التألّي على الله *

التألي لغة: من الأليّة بتشديد الياء المثناة من تحت أي اليمين[١]، يقال آلى يولي إيلاء، وتألَّى يتألَّى تألِّياً، والاسم الألية.

وشرعاً: الحلف على الله إذا كان على جهة الحجر على الله والقطع بحصول المقسم على حصوله[٢].

*** الدليل من السنة:** عَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[٣].

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[٤].

*** حكمه:** قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله عن الحديث السابق: «فيه تحريم الإدلال على الله ووجوب التأدب مع الله في الأقوال والأحوال، وأن حق العبد أن يعامل نفسه بأحكام العبودية ويعامل ربه بما يجب له من أحكام الإلهية والربوبية»[٥].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «من تألّى على الله عز وجل فقد أساء الأدب معه وتحجر

---

* فتح المجيد ٦٠١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٨٨. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ٧٨. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٢٦٠ ط٢- ٣/ ٣٢٦ ومن المجموع ١٠/ ١٠٨٥. مسائل الإمام أحمد للأحمدي ١/ ٤٠٢.

(١) انظر مختار الصحاح باب (أ ل ا).

(٢) حاشية كتاب التوحيد ص ٣٨٨.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

(٥) حاشية على كتاب التوحيد ص ٣٨٨.

فضله، وأساء الظن به، وكل هذا ينافي كمال التوحيد، وربما ينافي أصل التوحيد، فالتألي علىٰ من هو عظيم يعتبر تنقصا في حقه»[١].

وأما إن كان علىٰ جهة حسن الظن بالله فقد قال ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم علىٰ الله لأبره»[٢].

* **فائدة:** ومما يحسن ذكره هنا: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يشهد لأحد بعينه أنه من أهل الجنة أو النار.

يقول أبو إسماعيل الصابوني: «ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بم يختم لـه، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون علىٰ أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم»[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «ولا نشهد علىٰ أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف علىٰ المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله»[٤].

ويستثنىٰ من ذلك: من شهد لهم رسول الله ﷺ من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة، حيث روىٰ الترمذي بسنده عن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبوعبيدة ابن الجراح في الجنة»[٥].

قال الإمام أحمد في رسالته إلىٰ مسدد بن مسرهد: «وأن نشهد للعشرة بالجنة وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٨٧. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢٦٢.
(٢) انظر حاشية علىٰ كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٣٨٨.
(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٨٢.
(٤) طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٤، ٢٤٥.
(٥) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٤٧).

الرحمن بن عوف الزهري، وأبو عبيدة ابن الجراح»[١].

وقال: «ولا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة»[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما الشهادة لرجل بعينه بأنه من أهل النار أو الجنة فليس لأحد ذلك إلا بنص صحيح يوجب، كالعشرة الذين بشرهم الصادق ﷺ بالجنة ومنهم من جوز ذلك لمن استفاض في الأمة الثناء عليه كعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأمثاله»[٣]. وقال أيضاً: «وأما توقف الناس في القطع بالجنة فلخوف الخاتمة»[٤].

وقال شارح الطحاوية: «لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من أخبر الصادق ﷺ إنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم وغيرهم، وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به. ولكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين»[٥].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «الحمد لله والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد كثر الإعلان في الجرائد عن وفاة بعض الناس، كما كثر نشر التعازي لأقارب المتوفين، وهم يصفون الميت فيها بأنه مغفور لـه أو مرحوم أو ما أشبه ذلك من كونه من أهل الجنة، ولا يخفى على كل من لـه إلمام بأمور الإسلام وعقيدته بأن ذلك من الأمور التي لا يعلمها إلا الله، وأن عقيدة أهل السنة

---

(١) هو عامر بن عبد الله بن الجراح مات بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٣١٢، ١٣٣.

(٣) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١٠٩ وعزاها لكتاب مختصر الفتاوى ص ٢٥٧.

(٤) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١١٠ وعزاها لكتاب مختصر الفتاوى ص ٢٥٧.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٦.

والجماعة أنه لا يجوز أن يشهد لأحد بجنة أو نار إلا من نص عليه القرآن الكريم كأبي لهب أو شهد لـه رسول الله ﷺ بذلك كالعشرة من الصحابة ونحوهم، ومثل ذلك في المعنىٰ الشهادة له بأنه مغفور له أو مرحوم، لذا ينبغي أن يقال بدلا منها: «غفر الله له» أو «رحمه الله» أو نحو ذلك من كلمات الدعاء للميت»[١].

ومن هذا الباب الشهادة لشخص معين بأنه شهيد. قال الشيخ ابن عثيمين: «فهذا لا يجوز إلا لمن شهد له النبي ﷺ أو اتفقت الأمة علىٰ الشهادة له بذلك وقد ترجم البخاري رحمه الله لهذا بقوله: «باب لا يقال فلان شهيد» قال في الفتح ٦/ ٩٠: أي علىٰ سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي، وكأنه أشار إلىٰ حديث عمر أنه خطب فقال: تقولون في مغازيكم: فلان شهيد، ومات فلان شهيداً ولعله قد يكون قد أوقر راحلته: ألا لا تقولوا ذلكم، ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: «من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد». وهو حديث حسن أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وغيرهما من طريق محمد بن سيرين عن أبي العجفاء عن عمر. اهـ كلامه.

ولأن الشهادة بالشيء لا تكون إلا عن علم به، وشرط كون الإنسان شهيدا أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وهي نية باطنة لا سبيل إلىٰ العلم بها، ولهذا قال النبي مشيرًا إلىٰ ذلك: «مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله»[٢]. وقال: «والذي نفسي بيده لا يُكْلَم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»[٣] رواهما البخاري من حديث أبي هريرة. ولكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك ولا نشهد له به ولا نسيء به الظن»[٤].

---

(١) فتاوىٰ ابن باز ص٧٣٧.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري(٢٨٠٣).

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١١٦، الجواب المختار لهداية المحتار لابن عثيمين ص٦٥.

٦٩- التأويـل

من موانع التكفير. انظر باب (التكفير).

٧٠ - التبـرك *

البركة لغة: تطلق ويراد بها معنيين:

الأول: ثبوت الخير ودوامه.

والثاني: كثرة الخير وزيادته[(١)].

قوله تبرك، تفعل من البركة، والبركة: هي كثرة الخير وثبوته، وهي مأخوذة من

* التمهيد لابن عبد البر ١٣/ ٦٧ ـ ١٩/ ١٩٧ ـ ٨/ ١٢٩. الاعتصام ١/ ٤٨٣. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٤، ٦٤٩، ٧٢٩. إغاثة اللهفان ١/ ٢١١،٢٠٥. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٩٧، ٣٨٣. فتح الباري مع تعليق الشيخ ابن باز ٣/ ١٣٠. تحفة الأحوذي ٦/ ٤٠٨، المرقاة ٩/ ٢٩٣. الدرر السنية ١/ ٢٩٤، ٧/ ٢٤١، ١٠/ ٢٥٢. قطف الثمر صديق حسن ص١١٣. التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ١٤٦. تيسير العزيز الحميد ص١٧٥، ٣٨٣. فتح المجيد ص١٥٥، ٣١٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٩٠، ١٨٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٩١ ط٢- ١/ ٢٤٥ ومن المجموع ٩/ ١٨٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٠. معارج القبول ١/ ١٨٥. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٧١٠ـ ٢/ ٨٥ـ ٣/ ٩٥٦. نور على الدرب لابن باز ص٣٦١. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٣/ ٩١ ـ١/ ١٠٩. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٢١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٤٣. التبرك المشروع والممنوع للعلياني. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١٠٢٢. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٥٧. شرح مسائل الجاهلية ص١٣٢. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢٣١. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٥٧١، ١٥٨١. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٤١٤.

(١) انظر للاستزادة المفردات (ب ر ك)، بدائع الفوائد ٢/ ١٨٥، جلاء الأفهام ١٧٨، ١٨٠.

البِركة بالكسر مجمع الماء، ومجمع الماء يتميز عن مجرىٰ الماء بأمرين: الكثرة. والثبوت[١].

فالبركة تجمع بين وصف الزيادة ووصف الثبوت واللزوم.

والتبرك شرعاً: طلب البركة بفعل أو اعتقاد.

قال ابن سعدي: «إن العلماء اتفقوا علىٰ أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها فإن هذا التبرك غلو فيها وذلك يتدرج إلىٰ دعائها وعبادتها وهذا هو الشرك الأكبر»[٢].

* **الدليل من السنة:** عن أبي واقد الليثي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بحنين ونحن حديثو عهد بكفر، فمررنا علىٰ شجرة يضع المشركون عليها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط[٣]، فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر قلتم كما قال أهل الكتاب لموسى ؏: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾» ثم قال الرسول ﷺ: «إنكم ستركبون سنن من كان قبلكم»[٤].

قال ابن القيم: «فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إلهٍ مع الله تعالىٰ، مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها. فما الظن بالعكوف حول القبر، والدعاء به ودعائه، والدعاء عِنْدَه؟ فأيُّ نسبةٍ للفتنة بشجرة إلىٰ الفتنة

(١) مختار الصحاح (ب ر ك)، مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٨٥. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٩١.

(٢) القول السديد ص٤١.

(٣) ذات أنواط: اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين، ينوطون بها سلاحهم أي: يعلقونه بها، ويعكفون حولها، انظر: النهاية (ن و ط).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٢٤٢)، والترمذي (٢١٨٠) وقال حديث حسن صحيح، والطيالسي في مسنده رقم (١٤٤٣) واللفظ له.

بالقبر؟ لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون.

قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك[(١)]: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البُرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها»[(٢)].

ويستفاد من حديث أبي واقد الليثي ما يلي:

١ - أن السائلين من الصحابة يجهلون أنه شرك:

قال أبو واقد الليثي ﷺ[(٣)]: ونحن حدثاء عهد بكفر[(٤)]. أي أسلمنا من قريب وقالها للاعتذار أي لهذا جهلنا هذا الأمر.

وإليك كلام بعض المفسرين والعلماء حول الآية والحديث:

قال ابن جرير: «وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك فقالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل»[(٥)].

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي رحمه الله.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٥.

(٣) أبو واقد الليثي أسلم عام الفتح ولم يشهد بدراً. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد نصَّ الزهري على أنه أسلم يوم الفتح، وأسند ذلك عن سنان بن أبي سنان الدؤلي، أخرجه ابن منده بسند صحيح إلى الزهري...» [الإصابة ٤/ ١٢٥]، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٥، وأُسد الغابة ١/ ٣٤٢، وشذرات الذهب ١/ ٦.

(٤) هذا القول يُبيِّن أن الطلب كان من طائفة معينة وهم حدثاء العهد بالكفر وليس من كل الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن فيهم قدماؤهم وعلماؤهم الذين هم أبعد الناس عن هذا الطلب؛ لرسوخ قدمهم في الإسلام. قال الشيخ ابن قاسم: «وقوله يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريباً، فلذلك خفي عليهم هذا الشرك» ا.هـ حاشية كتاب التوحيد ص ٩٢.

(٥) تفسير ابن كثير لقولـه تعالى: +وجاوزنا ببني إسرائيل البحر' في سورة الأعراف آية ١٣٨.

وقال قتادة: «كان أولئك القوم من لخم، وكانوا نزولاً بالرقة فقالت بنو إسرائيل لما رأوا ذلك قالوا: يا موسىٰ اجعل لنا إلهاً أي مثالاً نعبده كما لهم آلهة، ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلىٰ الله وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم قال موسىٰ: إنكم قوم تجهلون»[(١)].

وقال النسفي: «فوصفهم بالجهل المطلق وأكده أن هؤلاء يعنى عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه أىٰ يتبر الله ويهدم دينهم الذىٰ هم عليه»[(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «(ونحن حدثاء عهد بكفر) أي: قريبو عهد بكفر، ففيه دليل أن غيرهم لا يجهل هذا، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادات الباطلة، ذكره المصنف»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ولا خلاف أن بني إسرائيل لم يفعلوا وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب، ولكن القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري عنها فتفيد لزوم التعلم والتحرز... وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه علىٰ ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ»[(٤)].

---

(١) تفسير البغوي لقوله تعالىٰ: +وجاوزنا ببني إسرائيل البحر' سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

(٢) تفسير النسفي لقوله تعالىٰ: +وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم' سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص١٨١.

(٤) كشف الشبهات ص٢٣.

وقال أيضاً: «أفيظن أن قوم موسىٰ لما قالوا اجعل لنا إلها خرجوا من الإسلام أفيظن أن أصحاب رسول الله ﷺ لما قالوا اجعل لنا ذات أنواط، فحلف لهم أن هذا مثل قول قوم موسىٰ: اجعل لنا إلهاً أنهم خرجوا من الإسلام؟ أيظن أن النبي ﷺ لما سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» أنهم خرجوا من الإسلام؟ إلىٰ غير ذلك من الأدلة التي لا تحصر، فلم يفرق بين الشرك المخرج عن الملة من غيره ولم يفرق بين الجاهل والمعاند»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وظنوا أن هذا الأمر محبوب عند الله وقصدوا التقرب به، وإلا فهم أجَلُّ قدراً من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ»[(٢)].

وقال ابن باز رحمه الله: «وهكذا هؤلاء قالوا مثل أولئك جهلاً ولم يكونوا يعرفون حكمه لأنهم حدثاء عهد بكفر»[(٣)].

٢ـ أن الصحابة لم يفعلوا ذلك وأنهم لو فعلوا لكفروا:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وللمشركين شبهة أخرىٰ يُدْلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك. وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا.

فالجواب: أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النَّبِيّ ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا.

وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النَّبِيّ ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب»[(٤)].

(١) تاريخ نجد ص ٢٥٣

(٢) فتح المجيد ص١٦٠.

(٣) من شرح الشيخ ابن باز على كتاب التوحيد باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوها.

(٤) كشف الشبهات ص٢٣.

٣ـ أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء:

وقد ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن حيث قال، ومنها: «أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي ﷺ طلبهم كطلب بني إسرائيل، ولم يلتفت إلىٰ كونهم سموها ذات أنواط، فالمشرك مشرك، وإن سمىٰ شركه ما سماه، كمن يسمي دعاء الأموات والذبح لهم والنذر ونحو ذلك تعظيماً ومحبة، فإن ذلك هو الشرك، وإن سماه ما سماه، وقس علىٰ ذلك»[(١)].

٤ـ النهي عن مشابهة الكفار:

فالنَّبِيّ ﷺ جعل قول الصحابة مثل قول بني إسرائيل لما قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط، قال: «قلتم كما قال بنوا إسرائيل»[(٢)]، فشبَّه قولهم بقول بني إسرائيل. ولما أخبر أنه من السنن دل ذلك علىٰ النهي عن التشبه بهم.

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطم من ذلك من مشابهتهم المشركين أو هو الشرك بعينه»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «فإذا كان هذا تغليظ رسول الله ﷺ علىٰ أولئك الصحابة لما طلبوا منه مشابهة المشركين في جعل سدرة لتعليق الأسلحة والتبرك بها والعكوف عندها، فكيف بما هو أشد من ذلك وهو الشرك الأكبر الذي يفعله اكثر الناس ليومنا هذا»[(٤)].

تنبيه: ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بيان صورة طلبهم حيث قال في

---

(١) فتح المجيد ص١٦١، ١٦٢ وانظر: الدر النضيد للشوكاني ص٩.

(٢) رواه الترمذي في الفتن (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٣٩٠) كلاهما من حديث أبي واقد الليثي.

(٣) الاقتضاء ٢/ ٦٤٤.

(٤) تاريخ نجد (تحقيق ناصر الدين أسد) ص ٤٧.

«كتاب التوحيد» ضمن مسائل باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما: «الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا»[(١)] .

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «حيث لم يطلبوا جعل ذات أنواط لعبادتها بل للتبرك بها»[(٢)] .

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب لما سئل عن من حلف بغير الله جهلاً منه أنه شرك لا عناداً ولا معتقداً أن عظمته تساوي عظمة الله فقال: «الظاهر أن الذي يجهل مثل ذلك يعذر بالجهل لأن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغ الرسالة إلىٰ أن قال وكذلك إذا فعل شيئا من الشرك غير الحلف جهلا منه وخطأ فإذا نبه علىٰ ذلك تنبه وتاب ونزع كما جرىٰ لقوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكما جرىٰ للصحابة الذين قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط وأما من يفعل ذلك جهلاً لا عناداً وماتوا عليه قبل أن يبلغهم أنه شرك هل يحكم بإسلامهم ويرجىٰ لهم العفو من الله والمغفرة وينفعهم استغفار الأحياء لهم؟ فهذه المسألة أحسن الأجوبة فيها أن يقال الله أعلم بهم، كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قيل لـه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه:٥١-٥٢]»[(٣)].

التبرك قسمان: ممنوع ومشروع:

أولا: التبرك الممنوع:

منه ما هو شرك أكبر إذا عتقد أنها تمنح البركة استقلالاً من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو اعتقد أنها واسطة إلىٰ الله تعالىٰ كما يفعله عباد اللات والعزىٰ ومناة.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وقال أبو صالح: العزىٰ نخلة كانوا يعلقون

(١) كتاب التوحيد مع شرح ابن عثيمين من مجموع الفتاوىٰ ٩/ ١٩٧.

(٢) القول المفيد من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٩٧.

(٣) الرسائل والمسائل القسم الأول من الجزء الأول ص٢٠١.

عليها السيور والعهن رواه عبد بن حميد وابن جرير. فتأمل فعل المشركين مع هذا الوثن، ووازن بينه وبين ما يفعله عباد القبور من دعائها، والذبح عِنْدَها، وتعليق الخيوط وإلقاء الخرق في ضرائح الأموات ونحو ذلك، فالله المستعان»[١].

* ومن هذا القبيل التبرك بالأموات بدعائهم وعبادتهم.

وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن قوم يتبركون بالموتى ويقولون أنهم ما يعبدونهم بل يتبركون بهم فقال رحمه الله: «الاعتبار بالحقائق والمعنى، لا باختلاف الألفاظ، فإذا قالوا: ما نعبدهم وإنما نتبرك بهم، لم ينفعهم ذلك، ما داموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم، وإن لم يسموا ذلك عبادة، بل سموه توسلاً أو تبركاً، فالتعلق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء والصالحين والذبح لهم أو السجود لهم، أو الاستغاثة بهم، كل ذلك عبادة ولو سموها خدمة، أو سموها غير ذلك، لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء كما تقدم[٢].

* فائدة: هناك أمور تحصل فيُظن أنها من بركة فلان الميت، وهذه البركة المزعومة موهومة باطلة يزعمها الدجالون فيمن يعتقدون ولايته وقد يكون للشيطان أثر في هذا الأمر بحيث أنه يخدم هذا الشيخ، فيكون في ذلك فتنة[٣].

* ومن التبرك الممنوع ما هو بدعة دون الشرك الأكبر وقد تدخل بعض صوره في الشرك الأصغر مثل أن يذبح لله في بقعة معينة، أو أن يصلي لله عِنْدَها معتقداً البركة فهذا يعتبر تبرك وسيلة. وضابطه: أن يقصد مكاناً معيناً ليعمل عِنْدَه عملاً لله ومثله أن يتمسح بها كمن يتمسح بأعمدة المسجد الحرام، أو الكعبة تبركاً.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ومع الأسف أن بعض الناس اتخذوا من

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٧٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص٧١١.

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٨٥.

العبادات نوعاً من التبرك فقط مثل ما يشاهد من أن بعض الناس يمسح الركن اليماني من باب التبرك لا التعبد، وهذا جهل، وقد قال عمر في الحجر: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك»»[(١)].

وقال الشيخ رحمه الله: «والقاعدة: «إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً؛ فإنه مشرك شركاً أصغر»»[(٢)].

وقال أيضاً: «وأما التبرك بها: فإن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله عز وجل فهذا شرك في الربوبية مخرج عن الملة، وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون الله فهو ضال غير مصيب، وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة أو غيرها أو قناة جارية أو جبلا أو مغارة وسواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عيناً ولا نوعاً»[(٤)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وفي هذا الوقت أصبح تعليق القرآن لا للاستشفاء، بل لمجرد التبرك والزينة؛ كالقلائد الذهبية، أو الحلي التي يكتب عليها لفظ الجلالة، أو آية الكرسي، أو القرآن كاملاً؛ فهذا كله من البدع»[(٥)].

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٧١. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٧٨.
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٥٧٥. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٩٣.
(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ٢٣١.
(٤) الاقتضاء ٢/ ٦٤٤.
(٥) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٨٠. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٨٨.

وسُئل رحمه الله عن هذه العبارات: «باسم الوطن، باسم الشعب، باسم العروبة»؟.

فأجاب قائلاً: «هذه العبارات إذا كان الإنسان يقصد بذلك أنه يعبر عن العرب أو يعبر عن أهل البلد فهذا لا بأس به، وإن قصد التبرك والاستعانة فهو نوع من الشرك، وقد يكون شركاً أكبر بحسب ما يقوم في قلب صاحبه من التعظيم بما استعان به»(١).

* وتبين من هذا أن الحكم على التبرك الممنوع فيه ما هو شرك أكبر وفيه ما هو منكر دون ذلك والأمر في ذلك يعود إلى الاعتقاد القائم في قلب صاحبه

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «... من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما كبقعة وقبر ونحو ذلك فهو مشرك»(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «تسمية المساجد بأسماء الأنبياء لا ينبغي لأن هذا إنما يتخذ على سبيل التقرب إلى الله عز وجل أو التبرك بأسماء الأنبياء، والتقرب إلى الله بما لم يشرعه، والتبرك بما لم يجعله الله سبباً للبركة لا ينبغي، بل هو نوع من البدع»(٣).

وسئل رحمه الله عن حكم التبرك بالقبور والطواف حولها بقصد قضاء حاجة أو تقرب؟.

فأجاب بقوله: «التبرك بالقبور حرام ونوع من الشرك وذلك لأنه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطاناً ولم يكن من عادة السلف الصالح أن يفعلوا مثل هذا التبرك فيكون من هذه الناحية بدعة أيضاً، وإذا اعتقد المتبرك أن لصاحب القبر تأثيراً أو قدرة على دفع الضرر أو جلب النفع كان ذلك شركاً أكبر إذا دعاه لجلب

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ س رقم ٤٤٥.

(٢) فتح المجيد ص١٥٥.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٤٨.

المنفعة أو دفع المضرة»[١].

وقرر الشيخ صالح الفوزان: «أن من طلب البركة من حجر أو شجر فقد أشرك بالله ﷻ، لأن الحجر والشجر لا يخلق البركة ولا يوجدها، ولا هو سبب في حصولها، وإنما الذي يوجدها هو الله ﷻ... فالاعتماد على الله ﷻ في كل الأمور، وإنما نتخذ الأسباب لأن الله امرنا باتخاذ الأسباب، وأما النتائج فهي عند الله ﷻ، نحن لا نعتمد على الأسباب، وإنما نعتمد على الله، ونحن لا نعطل الأسباب، لأن الله أمرنا بذلك، تعطيل الأسباب عجز وتعطيل للمنافع، التي جعلها الله ﷻ في الأشياء، كما قال بعض العلماء: «الاعتماد على السبب شرك، وترك السبب قدح في الشرع»؛ لأن الشرع أمرك باتخاذ الأسباب «والاعتماد على الأسباب شرك»؛ لأنه اعتماد على غير الله.

فهذه مسألة يجب على طالب العلم أن يفقهها وأن يعرفها، وأن يتأملها جيداً، وأن يوضحها للمسلمين، لإزاحة الشبهات، وإزاحة التضليل الذي يَرُوج عند بعض الناس بسبب الجهل، أو بسبب سوء القصد ... والآن عَبَدة القبور يقولون: هذا ليس بشرك، هذا توسُّل، وهذا محبة للأولياء والصالحين، إن أولياء الله الصالحين لا يرضون بهذا العمل، ولا يرضون أن تُجعل قبورهم أوثاناً تُعبد من دون الله، والنبي ﷺ يقول: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، فدلّ على أن تعظيم القبور والتبرك بها يجعلها أوثاناً تُعبد من دون الله.

فالحاصل؛ أن هذا فيه دليل على أن العبرة في المعاني لا في الألفاظ، فاختلاف الألفاظ لا يؤثر، وإن سّميتموه توسّلاً، أو سّميتموه إظهاراً لشرف الصالحين، أو

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٤٩.

وفاءً بحقهم علينا - كما تقولون -، هذا هو الشرك، سواء بسواء، فالذي يتبرك بالحجر أو بالشجر أو بالقبر قد اتخذه إلهاً، وإن كان يزعم أنه ليس بإله، الأسماء لا تغير الحقائق، إذا سّميت الشرك توسلاً، أو محبة للصالحين، أو وفاءً بحقهم، نقول: الأسماء لا تغير الحقائق»[(١)].

* **فائدة:** بعض الناس قد يتبرك بقبر الرسول ﷺ ومن مظاهر ذلك الدعاء والصلاة عِنْدَه أو يعتقد أن الدعاء عِنْدَ قبره ﷺ مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت أو يعتقد أن الصلاة عِنْدَ القبر أرجىٰ للقبول فيقصد زيارته لذلك. قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ عن هذا الفعل ونحوه: «فهذا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين»[(٢)].

فكل ما عمل عِنْدَه من عبادة أو اعتكاف أو ما شابهه بقصد البركة بقبره فإن هذا من البدع المحدثة في الدين.

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «لو كان للأعمال عِنْدَ القبر فضيلة لفتح للمسلمين باب الحجر فلما منعوا من الوصول إلىٰ القبر وأمروا بالعبادة في المسجد علم أن فضيلة العمل فيه لكونه في مسجده»[(٣)].

ومن المنكرات وضعهم اليد للتبرك علىٰ شباك حجرة النبي ﷺ وحلف البعض بذلك بقوله: وحق الذي وضعت يدك علىٰ شباكه، وقلت الشفاعة يا رسول الله[(٤)].

---

(١) إعانة المستفيد ١/ ٢١٣، ٢٢٣، ٢١٤.

(٢) الرد علىٰ البكري ص: ٥٦.

(٣) الفتاوىٰ ٢٧/ ٢٣٦، ٢٣٧. انظر: التبرك ٣٢٤ وما بعدها.

(٤) حجة النبي ﷺ ص١٣٨.

ومنها ربط الخرق بالمقام والمنبر لقضاء الحاجات[(١)].

ومنها بدعة إلصاق البطن والظهر بجدار القبر ومسحه باليد[(٢)].

ومنها إلقاء المناديل والثياب على القبر؛ بقصد التبرك[(٣)].

وهذا ومثله إن سلم صاحبه من الشرك فإنه لا يسلم من الحرمة لأنه ابتداع في الدين ومخالف لما عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

ومن البدع تخصيص أزمنة معينة ـ لم يخصها الشرع بذلك ـ بنوع من التعظيم والاحتفالات والعبادات، كيوم مولد الرسول ﷺ، ويوم الإسراء والمعراج، ويوم الهجرة، ويوم بدر، وفتح مكة وغير ذلك، فالتبرك بالأزمنة على هذا النحو من البدع.

* وينبغي نزع كل ما يفتن العامة أو يفسد عليهم اعتقادهم من الأنصاب التي يتبرك بها أو يتمسح بها فإن لم يتيسر نزعها وإزالتها فإنهم يمنعون منها ومن الوصول إليها، وقد جاء عن الحافظ أبي شامة: «أن بعض أهل العلم في إفريقية كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية، كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق، فمن تعذر عليه نكاح، أو ولد قال: امضوا بي إلى العافية، فيعرف فيها فتنة، فخرج في السحر فهدمها، وأذن للصبح عليها، ثم قال: «اللهم إني هدمتها لك، فلا ترفع لها رأساً، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن»»[(٤)].

---

(١) حجة النبي ﷺ الألباني ص١٣٤.

(٢) انظر في ذلك المجموع للنووي ٨/ ٢٧٥. الباعث أبو شامة ص٢٨٢. مجموع الفتاوى لابنِ تَيمِيَّةَ ٤/ ٣١٠ ـ ٢٤/ ٣٣١ ـ ٢٧/ ٩١. اقتضاء الصراط المستقيم ص١٧٦. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٤. الدين الخالص ٩/ ٣٣٢، ٣٣٩. أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٣.

(٣) أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٢ رقم ١٨٦.

(٤) انظر قول الحافظ أبي محمد المعروف بأبي شامة في كتابه الحوادث والبدع نقلاً عن إغاثة اللهفان ١/ ٢١١، ٢١٢.

وقال ابن القيم: «وكان بدمشق كثير من الأنصاب، فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، كالعمود المخلق، والنصب الذي كان بمسجد النارنج عِنْدَ المصلي يعبد الجهال، والنصب الذي كان تحت الطاحون، الذي عِنْدَ مقابر النصارى، ينتابه الناس للتبرك به، صورة صنم في نهر القلوط ينذرون له ويتبركون به، وقطع الله سبحانه النصب الذي كان عِنْدَ الرحبة يسرج عِنْدَه، ويتبرك به المشركون. وكان عمودا طويلا على رأسه حجرا كالكرة. وعِنْدَ مسجد درب الحجر نصب قد بنى عليه مسجد صغير، ويعبده المشركون يسر الله كسره»[1].

❖ حكم التبرك بذوات الصالحين وآثارهم:

التبرك بذوات الصالحين وآثارهم من التبرك الباطل فلم يؤثر عن أحد من الناس أنه تبرك بوضوء أبي بكر أو عرقه، أو ثيابه أو ريقه أو غير ذلك، ولا عمر ولا عثمان ولا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وإنما كان الصحابة ﷺ يتبركون بوضوء النبي ﷺ، وجسمه وعرقه، وريقه، وشعره، وملابسه، وهذا خاص بالنبي ﷺ، لا يجوز أن يقاس عليه أحد من الصالحين، ولو كانوا الخلفاء الراشدين، أو العشرة المبشرين فضلا عن غيرهم، لأن التبرك عبادة مبناها على التوقيف والاتباع[2]. وقد حكى الشاطبي رحمه الله الإجماع على عدم التبرك بغير رسول الله ﷺ[3].

قال ابن أبي يعلى في ترجمة علي بن عبد الله الطيالسي: «نقل عن إمامنا أشياء منها

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٢.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣٩. رسالة التبرك المشروع والتبرك الممنوع للعلياني ص٨١.

(٣) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٨٢.

قال: مسحت يدي علىٰ أحمد بن حنبل ثم مسحت يدي علىٰ بني وهو ينظر، فغضب غضباً شديداً، وجعل ينفض نفسه ويقول: عمن أخذتم هذا وأنكره إنكاراً شديداً»[(١)].

قال ابن رجب: «وكذلك التبرك بالآثار، فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم... ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم فدل علىٰ أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ﷺ مثل التبرك بوضوئه، وفضلاته، وشعره، وشرب فضل شرابه وطعامه»[(٢)].

فالصواب أن التبرك بالصالحين وآثارهم بدعة، وبعض أهل العلم يرىٰ أنه من الشرك الأصغر.

أما ما ذهب إليه النووي وابن حجر والشوكاني من جوازه لأن الصحابة تبركوا بالرسول ﷺ فهذا قياس مع الفارق.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: «ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلىٰ أحد منهم ليحنكه بتمرة حتىٰ يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين والتبرك بعرقهم ونحو ذلك، وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي في شرح مسلم في الأحاديث التي فيها الصحابة فعلوا شيئا من ذلك مع النبي ﷺ[(٣)] وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي ﷺ وهذا خطأ صريح لوجوه:

منها عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة ومنها عدم

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٢٨ ونقلها العليمي كما في الطبقات إلا أنه قال: فجعل ينفض يده المنهج ١/ ٤٢٨.

(٢) كتاب الحكم الجدير بالإذاعة من قول الرسول ﷺ: «بُعثت بين يدي الساعة» لابن رجب ٥٥.

(٣) انظر: شرح النووي ١٥/ ٨٦، ٨٧.

تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب وهذا أمر لا يمكن الإطلاع عليه إلا بنص، كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله أو أئمة التابعين، ومن شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك، أما غيرهم فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم.

ومنها أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم لـه بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره.

ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وكذلك التابعون هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس القرني والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم فدل أن ذلك مخصوص بالنبي ﷺ.

ومنها أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم»[(١)].

قال ابن رجب: «وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظِّم والمعظَّم لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة وربما يترقى إلى نوع من الشرك»[(٢)].

قال ابن باز رحمه الله: «لا يجوز التبرك بأحد غير النبي ﷺ لا بوضوئه، ولا بشعره، ولا بعرقه، ولا بشيء من جسده؛ بل هذا كله خاص بالنبي ﷺ لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة.

ولهذا لم يتبرك الصحابة رضي الله عنهم بأحد منهم، لا في حياته ولا بعد وفاته ﷺ لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم. فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاص

(١) تيسير العزيز الحميد ١٨٥، ١٨٦.

(٢) الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ص٥٥. وانظر: كتاب التبرك للجديع ص٢٦٧.

بالنبي ﷺ دون غيره، ولأن ذلك وسيلة إلىٰ الشرك وعبادة غير الله سبحانه»[١].

ثانياً: التبرك المشروع:

وهو أنواع منها:

أ ـ التبرك بالأقوال والأفعال والهيئات التي حث عليها رسول الله ﷺ:

فمن الأقوال: ذكر الله وتلاوة كتابه[٢] فمن بركات الذكر ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر.. وفيه أن الله يقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقىٰ بهم جليسهم»[٣].

ومن بركات القرآن أن الحرف الواحد بعشر حسنات، ومن ذلك أيضا ما رواه أبو أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»[٤].

ومن بركات القرآن أنه شفاء للناس وهدىً ورحمة.

ومن الأفعال التي تكون سبباً للبركة: طلب العلم وتعلمه، فمن بركاته الرفعة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك أداء الصلاة جماعة مع المسلمين فمن بركة ذلك مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات، وكذا بقية أركان الإسلام ففيها بركات

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز ٩٥٦.

(٢) قال تعالىٰ: + وهذا كتاب أنزلناه مبارك' قال الشنقيطي في أضواء البيان (٤/ ٥٨٧): «أي: كثير البركات والخيرات لأن فيه خير الدنيا والآخرة».

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٨).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٤) ومعنىٰ البطلة السحرة.

عظيمة، وكذا الجهاد في سبيل الله، فمن بركاته نيل الشهادة.

ومن الهيئات المباركة الاجتماع على الطعام والأكل من جوانب القصعة، ولعق الأصابع، وكيل الطعام، فقد قال ﷺ: «اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله تعالىٰ عليه يبارك لكم فيه»(١). وقال ﷺ: «إن البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»(٢). وأمر ﷺ بلعق الأصابع، وقال: «فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»(٣). وقال ﷺ: «كيلوا طعامكم يبارك لكم»(٤). فكل قول أو فعل أمر الله به أو رسوله قام به العبد مع الإخلاص والمتابعة، فإنه سبب للبركة.

ب ـ هناك أمكنة مباركة جعلها الله سبباً في زيادة الأجر إذا تحقق في العمل الإخلاص والمتابعة ولكن هذه البركة في الأمكنة لا تتعدىٰ، ومن هذه الأماكن المساجد والتماس البركة فيها إنما يكون بأداء الصلاة فيها، والاعتكاف، وحضور مجالس العلم وغير ذلك مما هو مشروع، ولا يكون بالتمسح بجدرانها أو ترابها مما هو ممنوع.

ومن المساجد ما يكون لها مزية وزيادة في البركة كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصىٰ، فصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفي المسجد النبوي بألف صلاة، وفي المسجد الأقصىٰ بخمسمائة صلاة، وقال ﷺ: «من تطهر في بيته ثم أتىٰ مسجد قباء وصلىٰ فيه صلاة كان له كأجر عمرة»(٥).

ومن الأمكنة المباركة: مكة شرفها الله، والمدينة المنورة، والشام، فإن النبي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤) وابن ماجه (٣٢٨٦) وأحمد (١٦١٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢) وابن ماجه (٣٢٧٧) والترمذي (١٨٠٥) واللفظ له وقال حديث حسن صحيح وأحمد (٢٤٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢١٢٨).

(٥) أخرجه أحمد (١٦٠٧٧) والنسائي (٧٠٠) وابن ماجه (١٤١٢).

ﷺ قال: «إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها، وحرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة»[1]، وقال ﷺ: «ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء»[2]، وقال ﷺ: «طوبى للشام». فقلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها»[3].

فمن سكن مكة أو المدينة أو الشام طلباً لما فيها من البركة التي أخبر عنها النبي ﷺ، فقد وفق إلى خير كثير، بخلاف ما لو طلب التبرك بالتمسح بترابها وجدرانها وأشجارها وغير ذلك مما لم يرد به الشرع فإنه بدعة وكذا المشاعر المقدسة كعرفة ومزدلفة ومنى فهي أماكن مباركة لما في الاقتداء بالرسول ﷺ، بالحصول فيها في الأوقات المشروعة من غفران الذنوب وحصول الأجر الكبير.

ج ـ أزمنة مباركة خصها الشرع بزيادة فضل وبركة مثل شهر رمضان لما في صيامه من غفران الذنوب وزيادة رزق المؤمن، وغير ذلك.

ومن ذلك ليلة القدر، والعشر الأول من شهر ذي الحجة، ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل وغير ذلك من الأزمنة التي خصها الشرع بمزية، ويكون فيها من الخير والفضل والبركة الشيء الكثير، والتماس البركة في هذه الأزمنة يكون باتباع ما أرشد إليه النبي ﷺ.

د ـ ومن الأطعمة المباركة زيت الزيتون فإن النبي ﷺ قال: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٣٦٠).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٦٣).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٩٥٤)، وأحمد (٢١٩٤٢).
(٤) أخرجه الترمذي (١٨٥٢) وأحمد (١٦١٥١).

ومن ذلك اللبن لحديث عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بلبن قال: «كم في البيت بركة أو بركتين»[(١)].

ومن ذلك الحبة السوداء فهي شفاء من كل داء إلا السام[(٢)]، كما أخبر النبي ﷺ[(٣)].

ومن ذلك أيضاً ماء زمزم فإنها مباركة إنها طعام طعم. قال عبدالله ابن أحمد بن حنبل: ورأيت أبي غير مرة يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه[(٤)].

هـ ـ ومن ذلك الخيل فقد قال النبي ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[(٥)].

و ـ ومن ذلك أيضاً النخل فقد قال ﷺ: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم»[(٦)].

فهذه الأشياء تلتمس منها البركة حسب ما جاء عن الشرع ولا يتعدىٰ بها الوجه المشروع والمباح[(٧)].

❖ التبرك بالرسول ﷺ:

ثبت تبرك الصحابة الكرام برسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة ففي صحيح البخاري عن ابن سيرين أنه قال: قلت لعبيدة: عِنْدَنا من شعر النبي ﷺ، أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس. فقال: لأن تكون عِنْدَي شعرة منه أحب إليّ من

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٢١) وأحمد (٢٥٦٣٧).

(٢) السام الموت.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٧).

(٤) مسائل عبد الله ص ٤٤٧. وأخرجه ابن الجوزي بسنده إلىٰ عبد الله. مناقب الإمام أحمد ص٢٤٢. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١١/ ٢١٢ نقلاً عن عبد الله.

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٥٠).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤٤٤).

(٧) انظر: التبرك المشروع والممنوع للعلياني ٣٣ - ٥٠.

الدنيا وما فيها[(١)].

ومن بركاته نبوع الماء من تحت أصابعه وتكثيره الطعام وإبراؤه المرضى وذوي العاهات كبصقة في عيني عليّ ﷺ يوم خيبر فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء ومن بركته إجابة دعائه فقد دعا الله كثيراً فاستجاب له كثيراً ودعا لأنس فكثّر الله ماله وولده، ودعا للاستسقاء فثار السحاب أمثال الجبال.

قال القرطبي: كان ﷺ كلما دعا الله في شيء أجابه وظهرت بركات دعوته على المدعو له وعلى أهله وبنيه[(٢)].

وأعظم بركة تحصل للعبد هي اتباع الرسول ﷺ والسير على نهجه فبها تنال محبة الله ومغفرته قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران:٣١].

وقد كان الصحابة على علم بأن هذه البركة من الله تعالى ولذلك فإن كبارهم لم يطلبوها من النبي ﷺ إلا في الأمور المشروعة كأن يدعو لهم أو يصلي عِنْدَهم فيتخذون مكانه مسجداً ونحو ذلك.

بل كان النبي ﷺ ينبههم على ذلك كما في البخاري لما نبع الماء من بين يديه قال: «حي على أهل الوضوء والبركة من الله»[(٣)].

وذكر الشاطبي حديثاً يفيد أن الأولى ترك التبرك بذات رسول الله ﷺ وآثاره وأن يحرص الإنسان على القيام بالدين، قال: وقد خرج ابن وهب في جامعه من

(١) أخرجه البخاري (١٧٠).

(٢) كتاب الإعلام للقرطبي ٣٦٧ نقلا عن كتاب التبرك ٦٧.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٣٩).قال ابن حجر: «وفي رواية النسفي «حي على الوضوء» بإسقاط لفظ «أهل» وهي أصوب، وقال غيره: «الصواب حي هلا على الوضوء المبارك» الفتح١٠/ ١٠٥، ولاإشكال في ذلك فقد أخرجه البخاري برقم ٣٥٧٩ ونصه: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله».

حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثني رجل من الأنصار أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشربوه ومسحوا به جلودهم، فلما رآهم يصنعون ذلك سألهم: «لم تفعلون هذا؟» قالوا: نلتمس الطهور والبركة بذلك فقال رسول الله ﷺ: «من كان منكم يحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره»[١].

❖ **حكم التبرك بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته:**

جاء في صحيح الإمام مسلم أن أسماء بنت أبي بكر أخرجت جبة طيالسة وقالت هذه كانت عِنْدَ عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، وكان رسول الله ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى لنستشفي بها[٢].

وبهذا الحديث وغيره يثبت جواز التبرك بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته ولا يثبت في هذا الزمان وجود شيء من آثاره من شعر أو عرق أو سيف أو ماشابه ذلك ولكن في اتباع هديه والاقتداء به والسير على منهاجه ظاهراً وباطناً أعظم بركة، أما ما يذكره بعض الناس من وجود ذلك فإنه موقع شك لا يقين.

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: «ونحن نعلم أن آثاره من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين»[٣].

❖ **حكم بعض الألفاظ المتعلقة بالبركة:**

١ ـ كلمة تبارك لا تطلق إلا على الله إذ معناها تعالى وتعاظم وتقدس. قال ابن دريد: «وتبارك لا يوصف به إلا الله تعالى، ولا يُقال تبارك فلان في معنى عظم، هذه

---

(١) الاعتصام ١/ ٤٨٥، وأخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٩٧٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٦٩).

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص١٤٦.

الصفة لا تنبغي إلا لله ﷻ»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «قال العلماء معنى تبارك: أي كثرت بركاته وخيراته، ولهذا يقولون: إن هذا الفعل لا يوصف به إلا الله؛ فلا يُقال: تبارك فلان؛ لأن هذا الوصف خاص بالله.

وقول العامة: «أنت تباركت علينا» لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله ﷻ، وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك ...»[٢].

٢ ـ هذه من بركاتك يا فلان أو بركات فلان هذه جائزة ويدل عليها قول أسيد بن الحضير في البخاري حين نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع منها: ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر، ولأن الله أخبر أن بعض الناس مبارك كالصالحين[٣].

(١) جمهرة أنساب العرب ١/ ٢٢٣ التبرك ٢٩.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١١٠٣. وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢٧٧.

(٣) انظر: للاستزادة مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١١٠٤. وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢٧٨.

٧١. تتبع آثار الأنبياء والصالحين المكانية *

المقصود تتبع قبور الأنبياء والصالحين ومجالسهم ومساكنهم ومواضع صلاتهم للصلاة والدعاء عندها أو التبرك أو غير ذلك وهذا كله من البدع ووسائل الشرك ومثاله ما نقله الشيخ مرعي الحنبلي رحمه الله حين قال: «غار حراء، وجبل ثور، وجبل الرماة، والمساجد السبعة، وغيرها من الآثار لا يشرع زيارتها بالاتفاق»(١).

* الدليل من السنة: روىٰ سعيد بن منصور في سننه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رجع من حجته رأىٰ الناس ابتدروا مسجداً فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلىٰ فيه رسول الله ﷺ فقال: هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبياءهم بيعاً. من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض»(٢).

وقال المعرور بن سويد: صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة صلاة الصبح، فقرأ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل:١] وقوله تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش:١] ثم رأىٰ الناس يذهبون مذاهب فقال: أين

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٣/ ٦٤، ٦٧ ـ ٢/ ٢٨٩، ٢٩٠. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٤، ٦٤٦، ٧٤٢، ٧٤٦، ٧٩٥. مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ١٣٧، ١٤٥، ٥٠٢، ٥٠٤ ـ ٤/ ٣١٠. المجموع ٨/ ٢٧٥. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٤. الحجة البالغة ١/ ١٩٢. تيسير العزيز الحميد ص٣٤١، فتح المجيد ص٢٧٦، مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لابن باز ١/ ٤٠١.نور علىٰ الدرب ٦٨، ٢٨٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ٢١١. وقفات مع زيارة آثار الصالحين لفهد أباحسين. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٥٩٨. الأعياد وأثرها علىٰ المسلمين د. سليمان السحيمي ص٤٥٠. التبرك د: ناصر الجديع ٣٤١، ٣٥٨، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٦، ٤١٩ إلىٰ ٤٦٠.

(١) شفاء الصدور ١١٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم (٢٧٣٤)، وانظر: البدع لابن وضاح ص٤٢، ولعله أشار إلىٰ ابن حجر في فتح الباري ١/ ٥٦٩ إلىٰ أنه ثابت عن عمر رضي الله عنه.

يذهب هؤلاء؟ فقيل: ياأمير المؤمنين مسجد صلىٰ فيه رسول الله ﷺ فهم يصلون فيه، فقال: «إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعا، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها»[(١)].

وروىٰ ابن سعد في الطبقات عن نافع قال: «كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها الرضوان فيصلّون عندها، قال: فبلغ عمر بن الخطاب فأوعدهم وأمر بها فقُطعت»[(٢)].

وفي التيسير «قال ابن وضاح: سمعت عيسىٰ بن يونس يقول: «أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة. قال عيسىٰ بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع[(٣)]: أن الناس كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر رضي الله عنه»[(٤)].

وفي مغازي ابن إسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار، حدثنا أبو العالية قال: «لما فتحنا «تُسْتُر» وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلىٰ عمر، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب، قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة،

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣٧٦ قال ابن تيمية في التوسل والوسيلة ص ٢٠٣ إسناده صحيح، وأشار ابن حجر في فتح الباري إلىٰ أنه ثابت عن عمر رضي الله عنه.
(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢/ ١٠٠، والمصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣٥٧.
(٣) وقد رواه ابن سعد في الطبقات عن نافع. انظر الطبقات ٢/ ١٠٠.
(٤) تيسير العزيز الحميد ص٣٤١.

فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال لـه: دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاث مائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال لا إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لاتبليها الأرض»[١].

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله»[٢].

❖ حكم تتبع آثار النبي ﷺ المكانية:

تتبع آثار النبي ﷺ المكانية إذا كان من باب التبرك فإنه لا يجوز سواء كانت تلك الآثار صحيحة أو غير صحيحة وتتبعه بهذا القصد بدعة.

وأما ابن عمر رضي الله عنهما فقد ثبت عنه أن كان يتحرىٰ أماكن من الطريق فيصلي فيها؛ لأن النبي ﷺ صلّى في تلك الأمكنة[٣].

ولم يكن ابن عمر بتتبعه هذه الأماكن يقصد التبرك بها؛ بل كان فِعلُه لشدة المتابعة والاقتداء اجتهاداً منه، وما فعله النبي ﷺ من باب الجبلة أو وقع منه اتفاقاً لا قصداً هو الذي فعله ابن عمر رضي الله عنهما مريدا التشبه برسول الله ﷺ فيما صلىٰ فيه

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٤٢، وقد صحح إسنادها إلىٰ أبي العالية الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٣٧ وقال: إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح. وقال ابن تيمية: «وهذا قد رويناه في كتاب المغازي لابن إسحاق من رواية يونس بن بكير إلىٰ أبي العالية وذكره البيهقي في كتاب شعب الإيمان وذكره غيره، وهذا من فعل أهل الكتاب لا من فعل المسلمين فليس فيه حجة فلا يحتج به محتج» تلخيص كتاب الاستغاثة ص ٢٩.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٢.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٣) وانظر (٤٨٤-٤٩٢) من صحيح البخاري.

وفيما مشىٰ فيه، وهو وجه آخر يختلف عما يقصده الناس اليوم فإن لهم صوراً مختلفة فبعضهم يقصد الدعاء عندها وبعضهم يقصد التمسح بأعتابها، وبعضهم يقصد الاستشفاء بتربتها. وبعضهم يقصد التبرك وبعضهم يقصد الفرجة والتنزه وبعضهم يريد المصيبة العظمىٰ وهي دعاؤها وعبادتها كما يفعله عباد القبور، وحكم تتبع الأماكن في كل ذلك يختلف بحسب ما يقوم في قلب الزائر من الاعتقادات وبحسب الأفعال المصاحبة له.

ومع أن ابن عمر أراد التشبه برسول الله ﷺ في هذا الفعل إلا أن الصحابة لم يُنقل عن أحدٍ منهم أنه كان يتحرىٰ قصد الأمكنة التي نزلها النبي ﷺ، بل وأنكر ذلك علىٰ ابنِ عمر أبوه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال: إنما هلك أهل الكتاب لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبِيَعاً.

قال الإمام ابن تيمية ﷺ: «لأن ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة، فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا عن غيرهم من المهاجرين والأنصار أن أحداً منهم كان يتحرىٰ قصد الأمكنة التي نزلها النبي ﷺ، والصواب مع جمهور الصحابة؛ لأن متابعة النبي ﷺ تكون بطاعة أمره وتكون في فعله بأن يفعل مثل ما فعل علىٰ الوجه الذي فعله،فإذا قصد النبي ﷺ العبادة في مكان كان قصد العبادة فيه متابعة له كقصد المشاعر والمساجد، وأما إذا نزل في مكان بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت النزول أو غير ذلك مما يعلم أنه لم يتحر ذلك المكان فإنا إذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين لـه فإن الأعمال بالنيات... فأما الأمكنة التي كان النبي ﷺ يقصد الصلاة والدعاء عندها فقصد الصلاة أو الدعاء فيها سنة اقتداء برسول الله ﷺ واتباعاً لـه كما إذا تحرىٰ الصلاة أو الدعاء في وقت من الأوقات فإن قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته وسائر الأفعال التي فعلها علىٰ وجه التقرب، ومثل هذا ما أخرجاه في الصحيحين عن يزيد

بن أبي عبيد قال: كان سلمة بن الأكوع يتحرىٰ الصلاة عند الأسطوانة التي عند المصحف. فقلت له: يا أبا مسلم، أراك تتحرىٰ الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: رأيت النبي ﷺ يتحرىٰ الصلاة عندها وفي رواية لمسلم عن سلمة بن الأكوع أنه كان يتحرىٰ الصلاة في موضع المصحف يسبح فيه، وذكر أن النبي ﷺ كان يتحرىٰ ذلك المكان وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة، وقد ظن بعض المصنفين أن هذا مما اختلف فيه وجعله والقسم الأول سواء وليس بجيد فإنه هنا قد أخبر أن النبي ﷺ كان يتحرىٰ البقعة فكيف لا يكون هذا القصد مستحباً. نعم إيطان بقعة في المسجد لا يصلىٰ إلا فيها منهي عنه كما جاءت به السنة والإيطان ليس هو التحري من غير إيطان، فيجب الفرق بين اتباع النبي ﷺ، والاستنان به فيما فعله وبين ابتداع بدعة لم يسنها لأجل تعلقها به، وقد تنازع العلماء فيما إذا فعل رسول الله ﷺ فعلا من المباحات لسبب وفعلناه نحن تشبها به مع انتفاء ذلك السبب، فمنهم من يستحب ذلك ومنهم من لا يستحبه، وعلىٰ هذا يخرج فعل ابن عمر رضي الله عنهما فإن النبي ﷺ كان يصلي في تلك البقاع التي في طريقه؛ لأنها كانت منزله لم يتحر الصلاة فيها لمعنى في البقعة، فنظير هذا أن يصلي المسافر في منزله وهذا سنة، فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلىٰ فيها اتفاقاً فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلىٰ مكة حُجَّاجاً وعُمَّاراً أو مسافرين ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرىٰ الصلاة في مصليات النبي ﷺ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا إليه أسبق فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وتحرِّي هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين بل هو مما ابتدع وقول الصحابي وفعله إذا خالفه

نظيره ليس بحجة، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟ وأيضاً فإن تحري الصلاة فيها ذريعة إلىٰ اتخاذها مساجد والتشبه بأهل الكتاب مما نهينا عن التشبه بهم فيه وذلك ذريعة إلىٰ الشرك بالله»[1].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «والحق أن عمر رضي الله عنه أراد بالنهي عن تتبع آثار الأنبياء سد الذريعة إلىٰ الشرك، وهو أعلم بهذا الشأن من ابنه رضي الله عنهما، وقد أخذ الجمهور بما رآه عمر وليس في قصة عتبان ما يخالف ذلك؛ لأنه في حديث عتبان قد قصد أن يتأسّىٰ به ﷺ في ذلك، بخلاف آثاره في الطرق ونحوها، فإن التأسي به فيها وتتبعها لذلك غير مشروع، كما دل عليه فعل عمر، وربما أفضىٰ ذلك بمن فعله إلىٰ الغلو والشرك كما فعل أهل الكتاب»[2].

ومن الآثار المكانية التي يكثر الذهاب إليها موقعة بدر، ومكان شجرة بيعة الرضوان وغار حراء و غار ثور فإن هذا كله لا يشرع تتبعه والتقرب إلىٰ الله بالصلاة فيه، وقد قدمنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطع شجرة الرضوان؛ لأن الناس كانوا يأتون إليها ويصلون عندها.

ومثل ذلك زيارة آثار الأنبياء التي تقام بالشام، مثل مغارة الخليل عليه السلام، والآثار الثلاثة التي بجبل قاسيون في غربي الربوة[3].

وفي حديث: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ...» إلخ الحديث[4]. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ويؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم، ومواضع صلاتهم للصلاة، والدعاء عندها، فإن ذلك من

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٣٨، ٧٤٥.
(٢) تعليق سماحته علىٰ فتح الباري ١/ ٥٦٩.
(٣) تفسير سورة الإخلاص (١٦٩)، أحكام الجنائز للألباني ص٢٦٠ رقم ١٥٨.
(٤) تقدم تخريجه.

البدع، أنكره السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم. ولا نعلم أحدا أجازه أو فعله إلا ابن عمر على وجه غير معروف عند عباد القبور، وهو إرادة التشبه برسول الله ﷺ في الصلاة فيما صلى فيه ونحو ذلك. ومع ذلك فلا نعلم أحدا وافقه عليه من الصحابة، بل خالفه أبوه وغيره، لئلا يفضي ذلك إلى اتخاذها أوثانا كما وقع.

قال ابن عبد الباقي في شرح الموطأ روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال: وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرى بذلك.

وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى. انتهى»[(١)].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وأما قول السائل: هل يجوز تعظيم مكان فيه خلوق وزعفران لكون النبي ﷺ رؤي عنده؟

فيقال: بل تعظيم مثل هذه الأمكنة واتخاذها مساجد ومزارات لأجل ذلك هو من أعمال أهل الكتاب، الذين نهينا عن التشبه بهم فيها.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان يصلي في أسفاره في مواضع، وكان المؤمنون يرونه في المنام في مواضع، وما اتخذ السلف شيئاً من ذلك مسجداً ولا مزارات. ولو فتح هذا الباب لصار كثير من ديار المسلمين أو أكثرها مساجد ومزارات، فإنهم لا يزالون يرون النبي ﷺ في المنام وقد جاء إلى بيوتهم... الخ»[(٢)].

وقال أيضاً: «فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، أو بعض الصالحين تبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحاداة لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله»[(٣)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٤٠ ط. المكتب الإسلامي.

(٢) الفتاوى ٢٧/ ١٣٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٣٤. وانظر: إغاثة اللهفان ١/ ١٨٥.

وقال رحمه الله: «إن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو قناة جارية أو جبلا أو مغارة وسواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها أو يتنسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة بها لا عيناً ولا نوعاً وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتُنَوَّر به»[(١)].

وقال: «... مثل من يذهب إلى حراء ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غار ثور ليصلي فيه ويدعو، أو يذهب إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غير هذه الأمكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الأنبياء.. ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة.. ومعلوم أنه لو كان هذا مستحبا يثيب الله عليه لكان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بذلك وأسرعهم إليه، ولكان علم أصحابه بذلك وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة»[(٢)].

وقال أيضاً رحمه الله: «ليس في شريعة الإسلام بقعة تقصد لعبادة الله فيها بالصلاة والدعاء والذكر والقراءة ونحو ذلك إلا مساجد المسلمين ومشاعر الحج»[(٣)].

وفي تفصيل اللجنة الدائمة للإفتاء عن بيان ما تشرع زيارته وما لا تشرع زيارته من مساجد المدينة النبوية أجابت بما يلي:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٤، ٦٨١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٢٤، ٤٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٣٧، ١٣٨. والاقتضاء ٢/ ٨١٦، وكلام شيخ الإسلام كثير في هذا، وهو منثور في المجلد السابع والعشرين من مجموع الفتاوى.

«**أولاً**: باستقراء المساجد الموجودة في مدينة النبي ﷺ المدينة المنورة ـ حرسها الله تعالىٰ ـ تبين أنها علىٰ أنواع هي:

النوع الأول: مسجد في مدينة النبي ﷺ ثبتت لـه فضيلة بخصوصه، وهي مسجدان لا غير: أحدهما مسجد النبي ﷺ، والثاني مسجد قباء.

النوع الثاني: مساجد المسلمين العامة في مدينة النبي ﷺ فهذه لها ما لعموم المساجد، ولا يثبت لها فضل يخصها.

النوع الثالث: مسجد بُني في جهة كان النبي ﷺ صلَّىٰ فيها أو أنه هو عيَّن المكان الذي صلىٰ فيه تلك الصلاة، مثل مسجد بني سالم، ومصلىٰ العيد، فهذه لم يثبت لها فضيلة تخصها، ولم يرد ترغيب في قصدها وصلاة ركعتين فيها.

النوع الرابع: مساجد بدعية محدثة نُسبت إلىٰ عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين، واتخذت مزاراً مثل: المساجد السبعة، ومسجد في جبل أُحُد، وغيرها، فهذه مساجد لا أصل لها في الشرع المطهر، ولا يجوز قصدها لعبادة ولا لغيرها، بل هو بدعة ظاهرة.

ومعلوم أن الهدف من بناء المساجد جمع الناس فيها للعبادة، وهو اجتماع مقصود في الشريعة، ووجود المساجد السبعة في مكان واحد لا يحقق هذا الغرض، بل هو مدعاة للافتراق المنافي لمقاصد الشريعة، وهي لم تُبن للاجتماع؛ لأنها متقاربة جداً، وإنما بنيت للتبرك بالصلاة فيها والدعاء، وهذا ابتداع واضح، أما أصل هذه المساجد بهذه التسمية ـ أي المساجد السبعة ـ فليس له سند تاريخي علىٰ الإطلاق، وإنما ذكر ابن زبالة مسجد الفتح وهو رجل كذاب رماه بذلك أئمة الحديث، مات في آخر المائة الثانية، ثم جاء بعده ابن شبه المؤرخ وذكره، ومعلوم أن المؤرخين لا يهتمون بالسند وصحته، وإنما ينقلون ما يبلغهم ويجعلون العهدة علىٰ من حدثهم، كما قال ذلك الحافظ الإمام ابن جرير في تاريخه، أما الثبوت

الشرعي لهذه التسمية أو لمسجد واحد منها فلم يعرف بسند صحيح.

وقد اعتنى الصحابة بنقل أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، بل نقلوا كل شيء رأو النبي ﷺ يفعله حتى قضاء الحاجة، ونقلوا إتيان النبي ﷺ لمسجد قباء كل أسبوع، وصلاته على شهداء أُحُد قبل وفاته كالمودع لهم، إلى غير ذلك مما امتلأت به كتب السنة، أما هذه المساجد فقد بحث الحفّاظ والمؤرخون عن أصول تسميتها، فقال العلامة السمهودي رحمه الله: لم أقف في ذلك كله على أصل.. وقال بعد كلام آخر: مع أني لم أقف على أصل في هذه التسمية، ولا في نسبة المسجدين المتقدمين في كلام المطري... وذكر شيخ الإسلام أن في المدينة مساجد كثيرة، وأنه ليس في قصدها فضيلة سوى مسجد قباء، وأن ما أُحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار من البدع المحدثة في الإسلام، مِنْ فِعْل من لم يعرف شريعة الإسلام وما بعث الله به محمداً ﷺ من كمال التوحيد وإخلاص الدين لله، وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم. اهـ.

وقال الشاطبي رحمه الله: وسُئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا في المدينة فقال: أثبت ما عندنا قباء.. إلخ. وقد ثبت أن عمر رضي الله عنه قطع الشجرة التي رأى الناس يذهبون للصلاة عندها؛ خوفاً عليهم من الفتنة، وقد ذكر عمر بن شبه في (أخبار المدينة) وبعده العيني في (شرح البخاري) مساجد كثيرة، ولكن لم يذكروا المساجد السبعة بهذا الاسم.

وبهذا العرض الموجز يعلم أنه لم يثبت بالنقل وجود مساجد سبعة، بل ولا ما يسمى بمسجد الفتح والذي اعتنى به أبو الهيجاء وزير العبيديين المعروف مذهبهم، وحيث أن هذه المساجد صارت مقصودة من كثير من الناس؛ لزيارتها، والصلاة فيها، والتبرك بها، ويضلل بسببها كثير من الوافدين لزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فقصدها بدعة ظاهرة، وإبقاؤها يتعارض مع مقاصد

الشريعة، وأوامر المبعوث بإخلاص العبادة لله، وتقضي بإزالتها سنة رسول الله ﷺ حيث قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فتجب إزالتها؛ درءاً للفتنة، وسداً لذريعة الشرك، وحفاظاً على عقيدة المسلمين الصافية، وحماية لجناب التوحيد؛ اقتداءً بالخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قطع شجرة الحديبية لما رأى الناس يذهبون إليها؛ خوفاً عليهم من الفتنة، وبَيَّن أن الأمم السابقة هلكت بتتبعها آثار الأنبياء التي لم يؤمروا بها؛ لأن ذلك تشريع لم يأذن به الله. انتهى.

ثانياً: ومما تقدم يُعلم أن توجه الناس إلى هذه المساجد السبعة، وغيرها من المساجد المحدثة؛ لمعرفة الآثار أو للتعبد والتمسح بجدرانها ومحاريبها، والتبرك بها بدعة، ونوع من أنواع الشرك شبيه بعمل الكفار في الجاهلية الأولى بأصنامهم، فيجب على كل مسلم ناصح لنفسه ترك هذا العمل، ونصح إخوانه المسلمين بتركه.

ثالثاً: وبهذا يعلم أن ما يقوم به بعض ضعفاء النفوس من التغرير بالحجّاج والزوار وحملهم بالأجرة إلى هذه الأماكن البدعية ـ كالمساجد السبعة ـ هو عمل محرم، وما يأخذ في مقابله من المال كسب حرام، فيتعين على فاعله تركه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]. والله الموفق»[(١)].

وقد رد الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله على من طالب بإحياء الآثار النبوية كطريق الهجرة ومكان خيمة أم عبد، ونحو ذلك، وبين أن ذلك يجر إلى تعظيمها أو الدعاء عندها أو الصلاة ونحو ذلك، وهذه من الوسائل المفضية إلى الشرك[(٢)].

(١) باختصار من كتاب بيان ما تشرع زيارته وما لا تشرع زيارته من مساجد المدينة النبوية، من إعداد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله، والفتوى برقم (١٩٧٢٩) وتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٤١٨هـ.

(٢) فتاوى ابن باز ص ٣/ ٣٣٤، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/ ٤٠١.

ثم ذكر سماحة الشيخ ﵀ كلام العلماء في ذلك إلىٰ أن قال: «وكلام أهل العلم في هذا الباب كثير لا نحب أن نطيل علىٰ القارئ بنقله. ولعل فيما نقلناه كفاية ومقنعاً لطالب الحق.. إذا عرفت ما تقدم من الأدلة الشرعية وكلام أهل العلم في هذا الباب علمتَ أن ما دعا إليه الكاتب من تعظيم الآثار الإسلامية كغار ثور، ومحل بيعة الرضوان وأشباهها وتعمير ما تهدم منها، والدعوة إلىٰ تعبيد الطرق إليها، واتخاذ المصاعد للغارين، واتخاذ الجميع مزارات، ووضع لوحات عليها، وتعيين مرشدين للزائرين كل ذلك مخالف للشريعة الإسلامية التي جاءت بتحصيل المصالح، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وسد ذرائع الشرك والبدع. وعرفت أن البدع وذرائع الشرك يجب النهي عنها ولو حسن قصد فاعلها أو الداعي إليها لما تفضي إليه من الفساد العظيم، وتغيير مع الم الدين وإحداث مزارات ومعابد لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]»[١].

وإذا كان المنع في حق الأنبياء عليهم السلام فالمنع في غيرهم من الصالحين من باب أولىٰ، وقد ردّت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﵀ علىٰ أحد الكتاب في جريدة الرياض في هذا الشأن حيث قالت: «الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه أما بعد/ فقد نشرت جريدة الرياض في عددها الصادر في ٢١/ ١٠/ ١٤١٢هـ مقالا تحت عنوان: (ترميم بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحريملاء) وذكر أن الإدارة العامة للآثار والمتاحف أولت اهتماماً بالغا بمنزل مجدد الدعوة السلفية الشيخ: محمد بن عبد الوهاب ﵀ في حي غيلان

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة ١/ ٤٠٧.

بحريملاء حيث تمت صيانته وأعيد ترميمه بمادة طينية تشبه مادة البناء الأصلية... إلى أن قال: وتم تعيين حارس خاصا لهذا البيت... إلخ.

وقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية على المقال المذكور ورأت أن هذا العمل لا يجوز، وأنه وسيلة للغلو في الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأشباهه من علماء الحق، والتبرك بآثارهم والشرك بهم، ورأت أن الواجب هدمه وجعل مكانه توسعة للطريق سدا لذرائع الشرك والغلو، وحسما لوسائل ذلك وطلبت من الجهة المختصة القيام بذلك فوراً، ولإعلان الحقيقة والتحذير من هذا العمل المنكر جرى تحريره، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه»[(١)].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن زيارة مسجد يقال إنه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في اليمن ويأتي الناس لزيارته يوم الجمعة من شهر رجب من كل سنة؟.

فأجاب بقوله: «غير مسنون لأمور:

أولاً: لأنه لم يثبت أن معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن اختط مسجداً له هناك، ثانياً: لو ثبت أنه مسجد معاذ بن جبل فإنه لا يشرع إتيانه وشد الرحل إليه بل شد الرحل لغير المساجد الثلاثة منهي عنه.

ثانياً: لو ثبت أن معاذ بن جبل اختط مسجداً هناك فإنه لا يشرع إتيانه وشد الرَّحل إليه، بل شد الرحل إلى مساجد غير المساجد الثلاثة منهي عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**».

ثالثاً: أن تخصيص هذا العمل بشهر رجب بدعة أيضاً، فإن شهر رجب لم يُخص بشيء من العبادات لا بصوم ولا بصلاة وإنما حكمه حكم الأشهر الحُرُم

(١) فتاوى ابن باز ٧/ ٤٢٥.

الأخرىٰ، والأشهر الحرُم هي: رجب وذو القعدة وذوح الحجة ومحرم. هذه الأشهر التي قال الله تعالىٰ عنها في كتابه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]، ولم يثبت أن شهر رجب خُص من بينها في شيء لا بصيام ولا بقيام، فإذا خَصَّ الإنسانُ هذا الشهر بشيء من العبادات من غير أن يثبت ذلك عن النبي ﷺ كان مبتدعاً لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». فنصيحتي لإخوتي هؤلاء الذين يقومون بهذا العمل في الحضور إلىٰ المسجد الذي يزعم أنه مسجد معاذ في اليمن أن لا يُتعبوا أنفسهم ويتلفوا أموالهم ويضيعوها في هذا الأمر الذي لا يزيدهم من الله إلا بُعْداً، ونصيحتي لهم أن يصرفوا هَمَّهم إلىٰ ما ثبتت مشروعيته في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهذا كافٍ للمؤمن. والله الموفق»[(١)].

فائدة: من أسباب منع تتبع آثار الصالحين أن فيه تشبهاً بطريقة المشركين واليهود والنصارىٰ، فاليهود والنصارىٰ كانوا يتتبعون آثار الصالحين. وهكذا هلكوا كما بين عمر رضي الله عنه. وأما المشركون فقد كانوا يسافرون إلىٰ البقاع المعظمة. وهذا من جنس الحج ولكل أمة حج. فقد كان المشركون يحجون إلىٰ اللات والعزىٰ ومناة وهذه أسماء لرجال صالحين يدعونهم ويستغيثون بهم نسأل الله السلامة والعافية[(٢)].

(١) مجموع الفتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين ٢/ ٢٣٨-٢٣٩ باختصار.
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ٢٧/ ٣٥٣.

٧٢. التحاكم إلى غير ما أنزل الله*

التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واجب ويجب معه الرضا بذلك والتسليم له، ومن اختار التحاكم إلى غير الشريعة الإسلامية فليس بمؤمن وإن ادعى أنه يقصد الإصلاح، ومن تحاكم إلى غير ما أنزل الله فهو متحاكم إلى الطاغوت وإن سماه بأي اسم كالنظام والقانون وغير ذلك.

وها هنا أربع مسائل متصلة ببعضها، وينبغي التفريق بينها:

١ ـ طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله.

٢ ـ المُشرِّع الذي يضع القانون والأحكام

٣ ـ الحكم بغير ما أنزل الله

٤ ـ التحاكم إلى غير ما أنزل الله

فأما المسألة الأولى: فسوف يأتي الكلام عن خطرها وأحكامها في باب (طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله).

وأما المسألة الثانية: فهو المُشرِّع الذي يضاهي حكم الله بما وضع من قوانين وأحكام تخالف حكم الله ورسوله وهذا كافر بالله ﷻ كفراً أكبر.

والمسألة الثالثة: الحكم بغير ما أنزل الله فهو ما يقضي به الحاكم أو القاضي أو

* مجموع الفتاوى ٣/ ٢٦٧. أعلام الموقعين ١/ ٥٠. البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١١٨. تفسير ابن كثير من الآية ص٢٥٦ من سورة النساء تعليق أحمد شاكر. الدرر السنية ١٠/ ٢٥٢، أضواء البيان ٤/ ٩٠، ٩٣. تيسير العزيز الحميد ص٥٦١. فتح المجيد ص٤٦١ حاشية كتاب الوحيد لابن قاسم ص٢٨٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٧٥ ط٢- ٢/ ٣٣٤ ومن المجموع ١٠/ ٧٤٩. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٥٤٤. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٠ شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٧٧. شرح مسائل الجاهلية ص١١١. الحكم بغير ما أنزل الله د: عبد الرحمن المحمود. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٢٩٤ وما بعدها.

من ولي أمرا يحكم فيه فهذا فيه تفصيل يأتي في باب (الحكم بغير ما أنزل الله) .

أما المسألة الرابعة: التحاكم إلى غير ما أنزل الله فهو أن يعمد المرء إلى تحكيم غير شرع الله مريدا به الفصل في قضايا أو قضية معينة مختارا دون عارض كإكراه وله صورسوف نأتي على ذكرها في آخر الباب.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء:٦٢-٦٠].

قال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد عَرف أنه لا يأخُذُ الرّشوة. وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود. لعلمه أنهم يأخذون الرّشوة. فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾[1].

وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ. وقال الآخر إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك، قال: نعم فضربه بالسيف فقتله[2].

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٥/ ١٥٢، ١٥٣، رقم (٩٨٩١،٩٨٩٢،٩٨٩٣) قال ابن حجر: بإسناد صحيح. فتح الباري ٥/ ٣٧.

(٢) أخرجه الثعلبي كما في الدر المنثور والكلبي كما في فتح الباري عن ابن عباس قال ابن حجر: وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً لكن تقوى بطريق مجاهد. وأخرجه الطبري في التفسير (٥/ ١٥٤) رقم (٩٩٠١) بإسناد صحيح. انظر فتح المجيد ص٤٧١

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]. وقال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [النساء:٥٩].

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام:١١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النور:٤٧].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٠].

* **الدليل من السنة:** عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[(١)].

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس: إني قد تركت فيكم، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله

---

(١) قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٩٣. وقال ابن رجب: «تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه ذكرها وتعقبه بعضهم» المصدر السابق ٢/ ٣٩٤. قال الشيخ سليمان بن عبد الله ومعناه صحيح قطعا وإن لم يصح إسناده وأصله في القرآن كثير. تيسير العزيز الحميد ٥٧٤، وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يستدل به كما في كتابه «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه» ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ١٠٠٥.

وسنتي»[١].

❖ أقوال العلماء في التحاكم إلى غير ما أنزل الله:

يتبين حكم التحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله بالنظر إلىٰ سبب نزول الآيات في ذلك، وقد تقدم سبب ذلك وذكر ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قول الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ أن الطاغوت رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الأشرف وكانوا إذا ما دعوا إلىٰ ما أنزل الله وإلىٰ الرسول ليحكم بينهم قالوا بل نحاكمكم إلىٰ كعب فذلك قوله يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت[٢].

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [النساء:٦٥]: «في هذه يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتىٰ يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً»[٣].

ويقول ابن القيم عن هذه الآية: «أقسم الله سبحانه بنفسه المقدسة قسما مؤكدا بالنفي قبله علىٰ عدم إيمان الخلق حتىٰ يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع وأحكام المعاد، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتىٰ ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضا حتىٰ

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٣٩٥) والحاكم ١/ ٩٣، والبيهقي ١٠/ ١١٤.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٥/ ١٥٤).
(٣) تفسير ابن كثير للآية ٦٥ من سورة النساء.

ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضىٰ والتسليم، وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض»[١].

ويقول شيخ الإسلام: «فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً لكن عصىٰ واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة»[٢].

وقال العلامة ابن القيم: «من تحاكم أو حاكم إلىٰ غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليه»[٣].

ونقل الحافظ ابن كثير في تاريخه ـ البداية والنهاية ـ قال: «فمن ترك الشرع المحكم المنزل علىٰ محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلىٰ غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلىٰ الياسا وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين»[٤].

وذكر هذه المسألة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد ضمن باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله؛ حيث ذكر من نصوص الباب قوله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، ولم يكتف بهذا بل عقد لها باباً مستقلاً فقال: «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله» وذكر فيه

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ٢٧٠.
(٢) منهاج السنة٥/ ١٣١.
(٣) أعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٥٠.
(٤) الياسا أوالياسق هو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها ملك التتار من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية، والملة الإسلامية، انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٦٧. البداية والنهاية ١٣/ ١١٨، ١١٩.

بعض الآثار وحديث عدي بن حاتم، ثم عقد باباً بعده فقال: باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٦٠] وذكر آيات وآثار عن السلف.

والذين شرحوا كتاب التوحيد ربطوا بين هذين البابين وقضية التوحيد والإقرار بالشهادتين. قال الشيخ سليمان بن عبد الله في باب من أطاع العلماء والأمراء...: «لما كانت الطاعة من أنواع العبادة، بل هي العبادة، بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام نبه المصنف - رحمه الله تعالىٰ - بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالىٰ بها، وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله، وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً. والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك غير الرسول ﷺ ـ فإنه لا ينطق عن الهوىٰ ـ فهو مشرك كما بينه تعالىٰ في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ أي علماءهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة:٣١] وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام»[(١)].

وقال معلقاً على الباب الثاني: «لما كان التوحيد الذي هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله مشتملاً على الإيمان بالرسول ﷺ مستلزماً له، وذلك هو الشهادتان ولهذا جعلهما النبي ﷺ ركناً واحداً في قوله: «بني الإسلام على خمس» .. نبه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع؛ إذ هذا هو مقتضىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، ولازمها الذي لابد منه لكل مؤمن، فإن من

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٣.

عرف أن لا إله إلا الله فلابد من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ. فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع فقد كذب في شهادته»[(١)].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن: «من تحاكم إلى غير كتاب، وسنة رسوله ﷺ بعد التعريف، فهو كافر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة:٤٤]». ثم ذكر الأدلة[(٢)].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالة تحكيم القوانين: «وقد نفى الله ﷻ الإيمان عن من لم يحكموا النبي ﷺ فيما شجر بينهم، نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء:٦٥]. ولم يكتف الله تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول ﷺ حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾. والحرج: الضيق. بل لا بد من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتف تعالى أيضاً هنا بهذين الأمرين، حتى يضمُّوا إليهما التسليم وهو كمال الانقياد لحكمه ﷺ بحيث يتخلون هاهنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٥٤-٥٥٥.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٤٢٦.

ذلك إلىٰ الحكم الحق أتمَّ تسليم، ولهذا أكد ذلك بالمصدر المؤكد، وهو قوله جل شأنه: ﴿تَسۡلِيمًا ﴾. المبيِّن أنّه لا يُكتفىٰ ها هنا بالتسليم.. بل لابد من التسليم المطلق»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله: «ومن كان منتسباً للإسلام عالماً بأحكامه ثم وضع للناس أحكاماً وهيأ لهم نظماً؛ ليعملوا بها ويتحاكموا إليها؛ وهو يعلم أنها تخالف أحكام الإسلام؛ فهو كافر خارج من ملة الإسلام.

وكذا الحكم فيمن أمر بتشكيل لجنة أو لجان لذلك، ومن أمر الناس بالتحاكم إلىٰ تلك النظم والقوانين أو حملهم علىٰ التحاكم إليها وهو يعلم أنها مخالفة لشريعة الإسلام.

وكذا من يتولَّىٰ الحكم بها وطبقها في القضايا ومن أطاعهم في التحاكم إليها باختياره، مع علمه بمخالفتها للإسلام فجميع هؤلاء شركاء في الإعراض عن حكم الله، لكن بعضهم يضع تشريعاً يضاهي به تشريع الإسلام ويناقضه علىٰ علم منه وبيّنه.

وبعضهم بالأمر بتطبيقه، أو حمل الأمة علىٰ العمل به، أو وَلِيَ الحكم به بين الناس أو نَفَّذ الحكم بمقتضاه.

وبعضهم بطاعة الولاة والرضا بما شرعوا لهم ما لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطاناً. فكلهم قد اتبع هواه بغير هدىً من الله، وصدَّق عليهم إبليسُ ظنَّهُ فاتبعوه، وكانوا شركاء في الزيغ؛ والإلحاد والكفر والطغيان؛ ولا ينفعهم علمهم بشرع الله، واعتقادهم ما فيه، مع إعراضهم عنه، وتجافيهم لأحكامه، بتشريع من عند أنفسهم، وتطبيقه والتحاكم إليه؛ كما لم ينفع إبليس علمه بالحق، واعتقاده إياه مع

---

(١) تحكيم القوانين، ص٥، ٦.

إعراضه عنه، وعدم الاستسلام والانقياد إليه، وبهذا قد اتخذوا هواهم إلهاً؛ فصدق فيهم قولـه تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣][(١)].

وفي قولـه تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: «إن من تولىٰ عن طاعة الرسول، وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وإن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلىٰ غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة، فكيف بالتنقص والسب ونحوه»[(٢)].

وسئل رحمه الله تعالىٰ: «عن رجل تولىٰ حكومة علىٰ جماعة من رماة البندق، ويقول: هذا شرع البندق، وهو ناظر علىٰ مدرسة وفقهاء: فهل إذا تحدث في هذا الحكم والشرع الذي يذكره تسقط عدالته من النظر أم لا؟ وهل يجب علىٰ حاكم المسلمين الذي يثبت عدالته عنده إذا سمع أنه يتحدث في شرع البندق الذي لم يشرعه الله ولا رسوله أن يعزله من النظر أم لا؟

فأجاب: الحمد لله. ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين ولا الكفار ولا الفتيان ولا رماة البندق ولا الجيش ولا الفقراء ولا غير ذلك إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغىٰ غير ذلك تناولـه قولـه تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾، وقولـه تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ

---

(١) شبهات حول السنة ورسالة الحكم بغير ما أنزل الله ص٦٤، ٦٥.

(٢) الصارم المسلول ص ٣٩، ومختصر الصواعق ٢/ ٣٥٣.

لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم، ومن حكم بحكم البندق وشرع البندق، أو غيره مما يخالف شرع الله ورسوله، وحكم الله ورسوله ذلك، وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدِّمون حكم «الياساق» على حكم الله ورسوله، ومن تعمد ذلك فقد قدح في عدالته ودينه، ووجب أن يمنع من النظر في الوقف. والله أعلم»[(١)].

وفي قول الله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾. قال القرطبي: «قال أبو علي: إن من طلب غير حكم الله من حيث لم يرضى به فهو كافر وهذه حالة اليهود»[(٢)]، فالذي لا يريد حكم الله ولا يقبله، ويقبل حكماً آخر غير حكم الله وشرعاً آخر غير شرع الله من أصحاب النفاق الأكبر.

* فالتحاكم إلى غير الله كفر أكبر ولو ادعى صاحبه الإسلام لأن المسلم هو المستسلم للحق المنقاد له.

قال الشيخ السعدي: «فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور. فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله فهو كاذب في ذلك»[(٣)].

وفي حديث: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»[(٢)] وحديث: «من قال حين يسمع النداء: أشهد أن لا إله إلا الله...» [وفيه

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٤٠٧، ٤٠٨.
(٢) تفسير القرطبي ٦/ ١٨٨.
(٣) تفسير السعدي ٢/ ٩٠.
(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا.. ورقمه ٣٤.

«رضيت بالله»[٣] قال ابن القيم: «وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي، وقد تضمنا الرضىٰ بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضىٰ برسوله والانقياد له، والرضىٰ بدينه والتسليم له ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصديق حقاً. وهي سهلة بالدعوىٰ واللسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان..»[٤].

وقال: «وأما الرضىٰ بنبيه رسولاً؛ فيتضمن كمال الانقياد لـه والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولىٰ به من نفسه فلا يتلقىٰ الهدىٰ إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضىٰ بحكم غيره البتة...»[٥].

وقال: «وأما الرضىٰ بدينه؛ فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهىٰ: رضي كل الرضىٰ، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم لـه تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواه، أو قول مقلده وشيخه وطائفته»[١].

ولابد مع الانقياد أن يتبرأ من الشرك والطاغـــوت والمتحاكم إلىٰ غير شرع الله منقاد إلىٰ الطاغوت لا إلىٰ الله.

قال ابن القيم: «أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلىٰ غير ما جاء به الرسول فقد حَكم الطاغوت وتحاكم إليه، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه علىٰ غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله»[٢].

(٣) رواه مسلم: كتاب الصلاة. باب استحباب القول مثل قول المؤذن. ورقمه ٣٨٦.
(٤) مدارج السالكين ٢/ ١٧٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٧٢-١٧٣
(١) مدارج السالكين ٣/ ١٧٣.
(٢) إعلام الموقعين ١/ ٥٠ ط. دار الفكر.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة وذكر منهم: «الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء:٦٠]»[١].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآيات [٦٥-٦٦] قال العماد ابن كثير ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا»[٢].

وقال الشيخ السعدي: «كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما، فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: ﴿ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت كما ذكر في الآية بعدها.. فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه، في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك»[٣].

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب.

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه، وفي

---

(١) الدرر السنية ١/ ١٦١، مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول ـ العقيدة ص٣٣٧.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٠ .
(٣) تفسير ابن سعدي للآية ٥٩، ٦٠ من سورة النساء.

كل الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر.

فمن تحاكم إلىٰ غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربا وقد حاكم إلىٰ الطاغوت»[١].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: «فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلىٰ وحيه، فهو العابد لـه، ومن خضع لغيره، وتحاكم إلىٰ غير شرعه فقد عبد الطاغوت وانقاد له»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما أجمعوا ـ أي العلماء ـ علىٰ أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ أو تحكيم غيرا فهو كافر ضال»[٣].

❖ بعض صور التحاكم:

لهذا التحاكم صور منها: التحاكم إلىٰ شريعة البشر والرضا بما يقضون به

ومن هذا النوع ما يسمىٰ بالقضاء العشائري الذي تجتمع فيه العشيرة علىٰ بعض النظم، وتجعلها عِنْدَ كبيرهم ليقضي بموجبها، وهذا النوع موجود بكثرة [٤].

فهذا كله تحاكم إلىٰ الطاغوت وأفتت اللجنة الدائمة بمثل هذا حيث قالت: «المراد بالطاغوت في الآية كل ما عدل عن كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ إلىٰ التحاكم إليه من نظم وقوانين وضعية أو تقاليد وعادات متوارثة أو رؤساء قبائل ليفصل بينهم بذلك أو بما يراه زعيم الجماعة أو الكاهن ومن ذلك يتبين أن النظم التي وضعت ليتحاكم إليها مضاهاة لتشريع الله داخلة في معنىٰ الطاغوت»[٥].

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ١١٣.

(٢) فتاوىٰ وتنبيهات ونصائح ص١٢٢.

(٣) فتاوىٰ وتنبيهات ونصائح ص١٣٥.

(٤) انظر شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٨٠.

(٥) فتاوىٰ اللجنة الدائمة برئاسة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ١/ ٥٤٢.

وقد كتب شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله رسالة في وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، قال في مقدمتها: «كتبتها لما رأيت وقوع بعض الناس في هذا الزمان في تحكيم غير شرع الله، والتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله من العرّافين والكهان وكبار عشائر البادية ورجال القانون الوضعي وأشباههم جهلاً من بعضهم لحكم عملهم ذلك، ومعاندةً ومحادّة لله ورسوله من آخرين»[(١)].

وقال رحمه الله: «إذا عُلم أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ونحوهم ينافي الإيمان بالله عز وجل وهو كفر وظلم وفسق»[(٢)].

❖ **شبهة وردُّها:** في قولـه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾.

قال بعضهم: الإرادة لا تحصل إلا بالباطن ولا يعلم أحد به؛ لذا فلا يحكم بكفر المتحاكم إلا بتوفر شرط العلم بالإرادة الباطنية وهو غير حاصل.

وأجابت اللجنة الدائمة عن ذلك أن «المراد بالإرادة في قولـه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ ما صحبه فعل أو قرائن وإمارات تدل على القصد والإرادة بدليل ما جاء في الآية التي بعد هذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ ويدل على ذلك أيضاً سبب النزول الذي ذكره ابن كثير وغيره في تفسير هذه الآية وكذلك المتابعة دليل الرضا وبذلك يزول الإشكال القائل إن الإرادة أمر باطن فلا يحكم على المريد إلا بعلمها منه وهو غير حاصل»[(٣)].

---

(١) وجوب تحكيم شرع الله ص٤.
(٢) المصدر السابق ص١١.
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة ابن باز رحمه الله ١/ ٥٤٣.

❖ **مسألة في التحاكم إلى القوانين إذا كان في بلاد الكفر:**

الذين في بلد يحكم فيها بغير شرع الله كالتي يحكم فيها بالقانون فإن علىٰ المسلمين عدم التحاكم إليهم وإنما يُنصِّبون قاضياً مسلماً يتحاكمون إليه أما في حالة الضرورة فقد ورد سؤال إلىٰ الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله هذا نصه:

(ما حكم التحاكم إلىٰ المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية؟).

فأجاب بقوله: «بقدر الإمكان لا يتحاكم إليها، أما إذا كان لا يمكن أن يستخلص حقه إلا عن طريقها فلا حرج عليه»[(١)].

وسئل الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله عن حكم المتحاكم إلىٰ من يحكم بالقوانين الوضعية إذا كانت المحاكم في بلده كلها تحكم بالقوانين الوضعية ولا يستطيع الوصول إلىٰ حقه إلا إذا تحاكم إليها هل يكون كافراً؟

فأجاب: «أفيدك بأنه إذا اضطر إلىٰ ذلك لا يكون كافراً، ولكن ليس له أن يتحاكم إليهم إلا عند الضرورة إذا لم يتيسر له الحصول علىٰ حقه إلا بذلك، وليس له أن يأخذ خلاف ما يحله الشرع المطهر»[(٢)].

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: «وأما إن كان لا يريد التحاكم ولا يرضاه، وإنما أجبر علىٰ ذلك، كما يحصل في البلاد الأخرىٰ، من إلزامه (أي: إلىٰ القانون) بالحضور مع خصمه إلىٰ قانوني أو إلىٰ قاضٍ يحكم بالقانون، أو أنه عَلِمَ أن الحق له في الشرع فرفع الأمر إلىٰ القاضي في القانون لعلمه أنه يوافق حكم الشرع، فهذا الذي رفع أمره في الدعوىٰ علىٰ خصمه إلىٰ قاضٍ قانوني لعلمه أن الشرع يعطيه حقه وأن القانون وافق الشرع في ذلك فهذا الأصح أيضاً ـ عندي ـ أنه جائز.

---

(١) فتاوىٰ الشيخ عبدالرزاق عفيفي ١/ ١٦٦.

(٢) فتاوىٰ الشيخ ابن باز ٢٣/ ٢١٤، وانظر فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢٣/ ٥٠٢، ٥٠٣.

وبعض أهل العلم يقول: يتركه ولو كان الحق له، والله ـ جل وعلا ـ وصف المنافقين بقوله: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور:٤٩] فالذي يرىٰ أن الحق ثبت له في الشرع وما أجاز لنفسه أن يترافع إلىٰ غير الشرع إلا لأنه يأتيه ما جعله الله ـ جل وعلا ـ له مشروعاً فهذا لا يدخل في إرادة التحاكم إلىٰ الطاغوت فهو كاره ولكنه حاكم إلىٰ الشرع فعلم أن الشرع يحكم له فجعل الحكم الذي عند القانوني وسيلة للوصول إلىٰ الحق الذي ثبت له شرعاً»[1].

❖ آثار التحاكم إلى غير الله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «فإن الله ﷻ هو الحَكم الذي يحكم بين عباده والحكم له وحده، وقد أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ليحكم بينهم، فمن أطاع الرسول كان من أوليائه المتقين، وكانت له سعادة الدنيا والآخرة، ومن عصىٰ الرسول كان من أهل الشقاء والعذاب»[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فالشرك والدعوة إلىٰ غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع. والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة. ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك سببه مخالفة رسوله والدعوة إلىٰ غير الله ورسوله»[3].

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٤٣٠، ٤٣١.

(٢) مجموع الفتاوى٣٥/ ٣٦١، ٣٦٣، وانظر٣٧٢، ٣٨٣.

(٣) بدائع الفوائد٣/ ١٧ وقد قال ذلك في معرض ذكره لأقوال المفسرين في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وانظر الفوائد ص ٤٨.

والناظر في حال البلاد التي تتحاكم إلىٰ غير شرع الله يرىٰ أثر التحاكم إلىٰ غير الله علىٰ بلادهم.

ويقول الشيخ أحمد شاكر: «نرىٰ في بعض بلاد المسلمين قوانين ضربت عليها نقلت عن أوربا الوثنية الملحدة، وهي قوانين تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه، وذلك أمر واضح بديهي لا يخالف فيه إلا من يغالط نفسه، ويجهل دينه أو يعاديه من حيث لا يشعر»[(١)].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «...فكان عن هذا أن امتلأت السجون في بلادنا وحدها بمئات الألوف من اللصوص، بما وضعوا في القوانين من عقوبات للسرقة ليست برادعة، ولكن تكون أبداً رادعة ولن تكون أبداً علاجاً لهذا الداء المستشرىٰ... وإنهم جاءوا في التطبيق يلتمسون الأعذار من (علم النفس) لكل لص بحسبه، ثم زاد الأمر شراً أن يكتب اللصوص أنفسهم كلاماً يلتمسون به الأعذار لجرمهم، وقام المدافعون (المحامون) عنهم المقامات التي توردهم النار، يعلمون أن الجريمة ثابتة فلا يحاولون إنكارها، بل يحاولون التهوين من شأنها بدراسة «نفسية المجرم وظروف»...»[(٢)].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ولهذا كان من مقتضىٰ رحمته وحكمته سبحانه وتعالى أن يكون التحاكم بين العباد بشرعه ووحيه، لأنه سبحانه المنزه عما يصيب البشر من الضعف والهوىٰ والعجز الجهل، فهو سبحانه الحكيم العليم اللطيف الخبير، يعلم أحوال العباد وما يصلحهم، وما يصلح لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومن تمام رحمته أن تولىٰ الفصل بينهم في المنازعات والخصومات وشئون الحياة،

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ٣٠٣ ط. دار المعارف.

(٢) عمدة التفاسير ١/ ١٧١، وانظر كلام شيخ الإسلام بالدولة العثمانية الشيخ مصطفى صبري في كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ٤/ ٢٨١، ط الحلبي.

ليتحقق لهم العدل والخير والسعادة، بل والرضا والاطمئنان النفسي والراحة القلبية، ذلك أن العبد إذا علم أن الحكم أصدر في قضية يخاصم فيها، هو حكم الله الخالق العليم الخبير، قبل ورضىٰ وسلم، حتىٰ ولو كان الحكم خلاف ما يهوىٰ ويريد؛ بخلاف ما إذا علم أن الحكم صادر عن أناس بشر مثله، لهم أهواؤهم وشهواتهم، فإنه لا يرضىٰ ويستمر في المطالبة والمخاصمة، ولذلك لا ينقطع النزاع، ويدوم الخلاف.

وإن الله ﷻ إذ يوجب علىٰ العباد التحاكم إلىٰ وحيه، رحمة بهم وإحساناً إليهم، فإنه سبحانه بين الطريق العام لذلك أتم بيان وأوضحه؛ بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾»[1].

٧٣ ـ تحقيق التوحيد

انظر باب (توحيد الألوهية).

٧٤ ـ تحليل الحرام

وبوب لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل الجاهلية بقوله: «التعبد بتحريم الحلال، كما تعبدوا بالشرك».

انظر باب (كفر الاستحلال).

---

(١) فتاوىٰ وتنبيهات ونصائح ص١٢٨.

٧٥. التداوي*

تعريفه: هو من جملة الأسباب المشروعة في طلب العلاج وسبب ذكره هنا لمعرفة علاقته بالتوكل وهل هو ينافيه أولا؟. وسوف يأتي الكلام عن حكمه إن شاء الله.

* **الدليل من السنة:** حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء»[(١)].

وفي رواية عند أحمد زيادة: «عَلِمه من علمه، وجهله من جهله»[(٢)].

وروى جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواءٌ الداءَ برأ بإذن الله تعالى»[(٣)].

وعن أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله؛ نتداوى؟ فقال: «نعم تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد، الهرم»[(٤)].

قال ابن القيم: «فيه تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك

---

* التمهيد لابن عبد البر ٢٤/ ٦٥ـ٦٦، ٢١/ ٢٤٢، ٢/ ٢٢٧، ٥/ ٢٨٣ـ٢٧٣. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣١ـ٦١، الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٣٥ـ٤٥. المحلى بالآثار لابن حزم ٣/ ٩٠. زاد المعاد لابن القيم ٤/ ١٥. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٩٧. الدرر السنية ٥/ ٨٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٢٦ـ١٢٧. تيسر العزيز الحميد ص١١١.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٦٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٨٦٤٥).

الدواء، والتفتيش عليه»[١].

وقال رحمه الله: «فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها»[٢].

* أحكام وفوائد:

١ - حكم التداوي:

حكى بعض العلماء الإجماع على جوازه[٣].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وقد اختلف العلماء في التداوي: هل هو مباح، وتركه أفضل، أو مستحب أو واجب؟.

فالمشهور عن أحمد الأول؛ لهذا الحديث[٤] وما في معناه.

والمشهور عند الشافعية الثاني، حتى ذكر النووي ـ في شرح مسلم ـ أنه مذهبهم، ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف[٥].

واختاره الوزير أبوالمظفر قال: ومذهب أبي حنيفة: أنه مؤكد حتى يُداني به الوجوب، قال: ومذهب مالك أنه يستوي فعله وتركه، فإنه قال: لا بأس بالتداوي، ولا بأس بتركه[٦].

وقال شيخ الإسلام: «ليس بواجب عند جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفةٌ قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد»[٧]»[١].

---

(١) زاد المعاد ٤/ ١٧.

(٢) زاد المعاد ص ٤/ ١٤.

(٣) الطب النبوي للحافظ أبي عبد الله محمد الذهبي ص٢٢٠.

(٤) يقصد حديث السبعين ألفاً.

(٥) المنهاج للنووي ١٤/ ١٩١.

(٦) ينظر: التمهيد لابن عبدالبر ٢٤/ ٦٥.

(٧) مجموع الفتاوىٰ ٢٤/ ٢٦٩. وانظر ٢١/ ٥٦٣-٥٦٤.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «يجوز التداوي اتفاقاً، وللمسلم أن يذهب إلىٰ دكتور أمراض باطنية أو جراحية أو عصبية أو نحو ذلك؛ ليشخِّص لـه مرضه ويعالجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعاً حسب ما يعرفه في علم الطب؛ لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية ولا ينافي التوكل علىٰ الله، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الداء وأنزل معه الدواء عرف ذلك مَنْ عرفه وجهله مَنْ جهله، ولكنه سبحانه لم يجعل شفاء عباده فيما حرَّمه عليهم»[2].

قال العلامة الإمام ابن عثيمين رحمه الله: «والصحيح:

١ـ أن ما علم أو غلب علىٰ الظن نفعه ـ يعني التداوي ـ مع احتمال الهلاك بعدمه فهو واجب.

٢ـ ما غلب علىٰ الظن نفعه، لكن ليس هناك هلاك محقق بتركه فهو أفضل.

٣ـ ما تساوىٰ فيه الأمران، فتركه أفضل»[3].

٢- حكم التداوي قبل وقوع الداء:

سُئل الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله عن حكم التداوي قبل وقوع الداء كالتطعيم؟ فقال: «لا بأس بالتداوي إذا خشي وقوع الداء لوجود وباء أو أسباب أخرىٰ يخشىٰ من وقوع الداء بسببها، فلا بأس بتعاطي الدواء لدفع البلاء الذي يخشىٰ منه، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من تصبح بسبع تمرات من تمر المدينة لم يضره سحر ولا سم». وهذا من باب دفع البلاء قبل وقوعه، فهكذا إذا خشي من مرض وطعم ضد الوباء الواقع في البلد أو في أي مكان لا بأس بذلك من باب الدفاع كما يعالج المرض النازل، يعالج بالدواء المرض الذي يخشىٰ منه، لكن لا يجوز تعليق التمائم والحجب ضد

(١) فتح المجيد ص٩٧.
(٢) حراسة التوحيد ص٧٩.
(٣) الشرح الممتع ٥/ ٣٠١.

المرض أو الجن أو العين لنهي النبي ﷺ عن ذلك. وقد أوضح عليه الصلاة والسلام أن ذلك من الشرك الأصغر، فالواجب الحذر من ذلك»[١].

٣ - علاقة التداوي بالتوكل:

قال ابن القيم رحمه الله: «وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوىٰ من التوكل فإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب علىٰ الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلا للأمر والحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وقد اختلف العلماء هل الأفضل عدم التداوي والاعتماد علىٰ الله عز وجل أو التداوي، والمسألة فيها تفصيل: فإذا كان هذا الدواء مما يرجىٰ نفعه فإن استعماله مطلوب ومندوب إليه، لقوله ﷺ: «تداووا ولا تداووا بحرام»[٣].

وإذا كان مما يتيقن نفعه فإنه يجب، مثل لو أصيب الإنسان بزائدة، ثم قرر الأطباء أنه إذا لم يستأصلها مات، وأن التداوي بفتح بطنه، وقطع هذه الزائدةأمر لا يضره، فإننا نقول في هذه الحال، يجب عليه أن يتداوىٰ بهذه الطريقة.

وأما الشيء المحرم فإننا نعلم أنه لا مصلحة فيه أبداً»[٤].

(١) مجموعة فتاوىٰ ابن باز ص ٤٩٥.
(٢) زاد المعاد ٤/ ١٥.
(٣) سنن أبي داود (٣٨٧٤).
(٤) فتاوىٰ منار الإسلام ص٧٤٨.

فالتداوي من الأسباب المباحة الجائزة فلا يقدح في التوكل مع الاعتماد على الله لا على السبب، وسيأتي مزيد بحث في باب (السبب).

والتداوي يكون بالرقى ويكون بالكي ويكون بالطبيب وبالعلاجات المعروفة، وبعض العلماء كره التداوي بالرقى والكي مستدلين بحديث السبعين ألفاً.

قال ابن حجر رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: «والغرض منه قولـه: «هم الذي لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون» فتمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين سائر الأدوية، وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما»[(١)].

ثم ذكر الحافظ رحمه الله أجوبة العلماء عن ذلك، انظر ص٢١١ وما بعدها.

والاسترقاء والاكتواء من الأسباب المكروهة وهما جائزان، لكنهما ينافيان تمام التوكل على الله.

ومن العلماء من قال: إن المراد بترك الرقى والكي الاعتماد على الله في دفع الداء والرضا بقدره، لا القدح في جواز ذلك؛ لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح لكن مقام الرضى والتسليم أعلى من تعاطي الأسباب، وهذا يفهم من كلام ابن الأثير رحمه الله حيث قال: «وأما الحديث الآخر في صفة أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» فهذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها... ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج من الله بالدعاء كان من جملة الخواص والأولياء، ومن لم يصبر رُخِّص له في الرقية والعلاج والدواء»[(٢)].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢١١.

(٢) النهاية لابن الأثير (ر ق ى).

٧٦- التسخط من قدر الله

قال أبو السعادات: «السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به»[(١)].

* **الدليل من السنة**: قال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[(٢)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ»[(٣)].

وصلة هذا الباب بالتوحيد أن التسخط من قدر الله يتنافى مع كمال التوحيد الواجب.

قال الحافظ بن حجر: «ليس منا: أي من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك، كما يقول الرجل لولده عِنْدَ معاتبته: لست منك ولست مني، أي ما أنت على طريقتي.

وحكىٰ عن سفيان أنه كان يكره الخوض في تأويله ويقول: ينبغي أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر.

وقيل المعنىٰ ليس على ديننا الكامل، أي أنه يخرج من فرع من فروع الدين وإن كان معه أصله، حكاه ابن العربي»[(٤)].

والتسخط له علاقة بالمباحث الآتية:

١ ـ الشكوىٰ. ٢ ـ الندب. ٣ ـ الأنين.

٤ ـ البكاء على الميت. ٥ ـ النياحة.

وللتوسع في ذلك انظر باب الصبر.

---

(١) النهاية (س خ ط).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٧) واللفظ له. ومسلم (١٠٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٥١٨.

٧٧ـ التشبه*

التشبه لغة: التشبه يعني المماثلة والمحاكاة والتقليد. قال الراغب: «الشِّبه والشَّبَه والشبيه حقيقتها في المماثلة»[(١)].

وشرعاً: «هو عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به وعلى هيئته وحليته ونعته وصفته، أو هو عبارة عن تكلف ذلك وتقصده وتعلمه، قد يعبر عن التشبه بالتشكل والتمثل والتزيي والتحلي والتخلق»[(٢)].

وقال المناوي شارحاً معنى من تشبه بقوم: «أي: تزيًّا في ظاهره بزيهم وفي تعرفه بفعلهم وفي تخلقه بخلقهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم أي وكأن التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر والباطن»[(٣)].

وقال عثمان دوكري: «هو تمثل المسلم بالكفار في عقائدهم أو عباداتهم أو أخلاقهم أو فيما يختصون به من عادات أو خضوعه لهم بشكل من الأشكال»[(٤)].

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ١٥. الإبانة لابن بطة العكبري ص١٦٨. شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ١٢/ ١١٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١ / ، ٣٦٢، ٤٢٥. منهاج السنة ٤/ ١٥٥. مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٥٦. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٥٠٤. الدرر السنية ١٥/ ٣٦٣-٣٨٠، ٤١٠. الدين الخالص لصديق حسين القنوجي ٣/ ٤٢. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ١٥٢، ١٧٥، ١٩٣، ١٩٤. مسائل الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ٣٣٧.نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف ص٣٧٦. السنن والآثار في النهي عن التشبه بالكفار لسهيل حسن عبد الغفار. التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي لجميل اللويحق.

(١) المفردات ٢٥٤.

(٢) التنبه لما ورد في التشبه للغزي الشافعي ق ٢/ ٢، نقلا عن كتاب السنن والآثار في النهي عن التشبه بالكفار ص ٣٥.

(٣) فيض القدير ٦/ ١٠٤.

(٤) التدابير الواقية من التشبه بالكفار ١١.

والتشبه يقع في الأمور القلبية من الاعتقادات والإرادات، و يقع في الأمور الخارجية الظاهرة من العبادات والعادات[(١)].

قال ابن القيم: «لما قهر المسلمون أهل الذمة وصاروا تحت قهرهم وحكمهم ألزمهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بترك التشبه بالمسلمين كما أمر النبي بترك التشبه بهم فتضمن هذان الأصلان العظيمان مجانبتهم في الهدي الظاهر والباطن حتى في النعال فأمر النبي الأمة بالصلاة في نعالهم مخالفة لأهل الكتاب ونهاهم عمر رضي الله عنه أن يلبسوا نعال المسلمين»[(٢)].

* **الأدلة من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة:١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [البقرة:١٤٥]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية:١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ

---

(١) فيض القدير ٦/ ١٠٤.

(٢) أحكام أهل الذمة ص١٢٨٧، ١٢٨٨.

﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨].

* **الأدلة من السنة:** عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[(١)].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلاَ بِالنَّصَارَىٰ، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ النَّصَارَىٰ الإِشَارَةُ بِالأَكُفِّ»[(٢)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تبعْتُمُوهُمْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ؟»[(٣)].

وروىٰ الإمام أحمد عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: «لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»[(٤)].

وفي حديث ثوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ...» الحديث[(٥)].

وفي السنن لما قال بعض أصحابه اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد بلفظ أتم من ذلك (٥١١٤). وقال شيخ الإسلام في الحديث: «هذا إسناد جيد» انظر الاقتضاء ١/ ٢٣٦ وصححه الألباني انظر إرواء الغليل ٨/ ٤٩ رقم ٢٣٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)(٧٣٢٠).

(٤) الإمام أحمد (١٧٢٦٥).

(٥) أبو داود (٤٢٥٢)وابن ماجه (٣٩٥٢).

قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر قلتم كما قال أهل الكتاب لموسى ؑ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾» ثم قال الرسول ﷺ: «إنكم ستركبون سنن من كان قبلكم»[(١)].

وقوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم» وقع على سبيل الذم.

وقد وردت أحاديث فيها الأمر بمخالفة اليهود والنصارىٰ في أشياء مخصوصة منها: ما رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ»[(٢)].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقوم في الجنازة حتىٰ توضع في اللحد، فمرَّ به حَبرٌ من اليهود فقال: هكذا نفعل، فجلس النبي ﷺ وقال: «اجلسوا، خالفوهم»[(٣)].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»[(٤)]. وفي رواية عند مسلم: «خَالِفُوا الْمَجُوسَ»[(٥)].

وفي رواية عند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: «أَعْفُوا اللِّحَى وَخُذُوا الشَّوَارِبَ وَغَيِّرُوا شَيْبَكُمْ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ»[(٦)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ. عَجِّلُوا الْفِطْرَ فَإِنَّ الْيَهُودَ يُؤَخِّرُونَ»[(٧)].

قال ابنُ تيمية: «كما أُمرنا بتعجيل الفطر والمغرب؛ مخالفة لأهل الكتاب

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٤٢)، والترمذي (٢١٨٠) والطيالسي في مسنده رقم (١٤٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٩٩). ومسلم (٢١٠٣).

(٣) سنن أبي داود (٣١٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٩٢) واللفظ له. ومسلم (٢٥٩).

(٥) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ (٢٦٠).

(٦) أخرجه أحمد (٨٦٥٧).

(٧) سنن ابن ماجه (١٦٨٨).

وبتأخير السحور، مخالفة لأهل الكتاب وكما أمرنا بالصلاة في النعلين مخالفة لليهود وهذا كثير في العبادات وكذلك في العادات، قال رسول الله ﷺ : «اللحد لنا، والشق لغيرنا»، وسن توجيه قبور المسلمين إلىٰ الكعبة تمييزاً لها عن مقابر الكافرين، فإن أصل الدفن من الأمور المشروعة في الأمور العادية»[(١)].

ونهىٰ النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب معللاً ذلك النهي بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار، ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالىٰ وأكثر الناس قد لا يعلمون[(٢)].

وروىٰ البخاري عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها كَانَتْ تَكْرَهُ أَنْ يَجْعَلَ المصلي يَدَهُ فِي خَاصِرَتِهِ وَتَقُولُ إِنَّ الْيَهُودَ تَفْعَلُهُ[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «من بنىٰ ببلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتىٰ يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام: بعدما ذكر حديث: «من تشبه بقومٍ فهو منهم»: «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «من بنىٰ بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتىٰ يموت حشر معهم يوم القيامة»، فقد يحمل هذا علىٰ التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل علىٰ أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرا أو معصية أو شعارا لها

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٧٨.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٩٠.
(٣) أخرجه البخاري (٣١٩٩).
(٤) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٩/ ٢٣٤.

كان حكمه كذلك»[١].

وقال رحمه الله في أثر عبدالله بن عمر: «من بنى ببلاد الأعاجم...»: «وهذا يقتضي أنه جعله كافرا بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار، وإن كان الأول ظاهر لفظه، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية؛ لأنه لو لم يكن مؤثرا في استحقاق العقوبة لم يجز جعله جزءا من المقتضي إذ المباح لا يعاقب عليه وليس الذم على بعض ذلك مشروطاً ببعض، لأن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم منفرداً، وإنما ذكر ـ والله أعلم ـ من بني ببلادهم لأنهم على عهد عبد الله بن عمرو وغيره من الصحابة كانوا ممنوعين من إظهار أعيادهم بدار الإسلام وما كان أحد من المسلمين يتشبه بهم في عيدهم، وإنما كان يتمكن من ذلك بكونه في أرضهم»[٢].

فوائد:

❖ أنواع التشبه بالكفار:

التشبه بالكفار منه ما هو كفر ومنه ما هو دون ذلك

أ - التشبه المطلق بالكفار:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم»: «فقد يحمل هذا[٣] على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك»[٤].

ب - تعظيم شعيرة من شعائرهم:

وفي الفتاوى الصغرى: «ومن اشترى يوم النيروز شيئاً ولم يكن يشتريه قبل ذلك، إن أراد به تعظيم النيروز كفر، وإن اتفق الشراء ولم يعلم أن هذا اليوم يوم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٥٩، ٤٦٠.
(٣) يعني حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم».
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٨.

النيروز لا يكفر»[(١)].

وفي كتب أصحاب أبي حنيفة من أهدىٰ لهم يوم عيدهم بطيخة بقصد تعظيم العيد فقد كفر[(٢)].

ونقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن العيد فقال: «لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال، ولا إيقاد نيران، ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك ولا يحل فعل وليمةولا الإهداء ولا البيع بما يُستعان به علىٰ ذلك لأجل ذلك، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد ولا إظهار زينة، وبالجملة ليس لهم أن يخصوا عيدهم بشيء من شعائرهم، بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم، وأما إذا أصابه المسلمون قصداً، فقد كره ذلك طوائف من السلف والخلف وأما تخصيصه بما تقدم ذكره فلا نزاع فيه بين العلماء، بل قد ذهب طائفة من العلماء إلىٰ كفر من يفعل هذه الأمور لما فيها من تعظيم شعائر الكفر، وقال طائفة منهم: من ذبح نطيحة يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيراً»[(٣)].

وجاء في فتوىٰ اللجنة الدائمة للافتاء في حكم لبس الصليب ما نصه: «التفصيل في هذا الأمر وأمثاله هو الواجب فإذا بين له حكم لبس الصليب وأنه شعار النصارىٰ، ودليل علىٰ أن لابسه راض بانتسابه إليهم والرضا بما هم عليه وأصر علىٰ ذلك، حكم بكفره لقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر، وفيه إظهار لموافقة

(١) رسالة ألفاظ الكفر ص٤٣، ٤٥، وانظر: البحر الرايق لابن نجيم ٥/ ١٣٣، وشرح الفقه الأكبر لملا علي قاري ص٢٨٢، والفتاوىٰ البزازية ٣/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) أحكام أهل الذمة ٢/ ٧٢٢.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢٥/ ٣٢٩، ٣٣٠.

النصارىٰ علىٰ ما زعموه من قتل عيسىٰ عليه السلام، والله سبحانه قد نفىٰ ذلك وأبطله في كتابه الكريم حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]»[(١)].

❖ وقد ذكر بعض العلماء أنواعًا أخرىٰ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: «فليس للمسلم أن يخص خميسهم الحقير لا بتجديد طعام الرز والعدس والبيض المصبوغ وغير ذلك، ولا بالتجمل بالثياب، ولا بصبغ دواب، ولا بنشر ثياب ولا غير ذلك، ومن فعل ذلك علىٰ وجه العبادة والتقرب به واعتقاد التبرر به فإنه يعّرف دين الإسلام، وأن هذا ليس منه بل هو ضده، ويستتاب فإن تاب وإلا قتل، وليس لأحد أن يجيب دعوة مسلم يعمل في أعيادهم مثل هذه الأطعمة، ولا يحل له أن يأكل من ذلك بل لو ذبحوا هم في أعيادهم شيئاً لأنفسهم ففي جواز أكل المسلم من ذلك نزاع بين العلماء، والأصح: عدم الجواز لكونهم يذبحونها علىٰ وجه القربان، فصار من جنس ما ذبح علىٰ النصب، وما أهلَّ به لغير الله . وأما ذبح المسلم لنفسه في أعيادهم علىٰ وجه القربة فكفر بيّن كالذبح للنصب»[(٢)].

وقال أيضاً: «وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمىٰ بالقمامة أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارىٰ فمنهي عنها فمن زار مكانا من هذه الأمكنة معتقدا أن زيارته مستحبة والعبادة فيه أفضل من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل» [(٣)].

وقال الخرشي: «وكذلك يكون مرتدا إذا شد الزنار [(٣)] في وسطه؛ لأن هذا فعلٌ

(١) فتاوىٰ اللجنة ٢/ ٧٨، ١١٩.
(٢) مختصر الفتاوىٰ المصرية ص٥١١، ٥١٢.
(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ١٤.
(٤) الزنار هو ما يلبسه الذمي يشده علىٰ وسطه. انظر لسان العرب ٤/ ٣٣٠.

يتضمن الكفر ...ومثله فعل شيء مما يختص بزي الكفار، ولا بد أن ينضم إلى ذلك المشي إلى الكنيسة ونحوه، وقيد أيضا بما إذا فعله في بلاد الإسلام»[(١)].

* ٢ - **جاء الإجماع على حرمة التشبه والنهي عنه:** قال ابنُ تَيمِيَّةَ في الاقتضاء: «وإنما الغرض بيان ما اتفق عليه العلماء من كراهة التشبه بغير أهل الإسلام وقد يتردد العلماء في بعض هذه القاعدة لتعارض الأدلة فيها أو لعدم اعتقاد بعضهم اندراجه في هذه القاعدة...»[(٢)].

وقال: «وأما ما في هذا الباب عن سائر أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وسائر الفقهاء فأكثر من أن يمكن ذكر عشره وقد قدمنا في أثناء الحديث كلام بعضهم الذي يدل على كلام الباقين وبدون ما ذكرناه يعلم إجماع الأمة على كراهة التشبه بأهل الكتاب والأعاجم في الجملة ...»[(٣)].

وقال الشيخ أحمد شاكر: «هذا الحديث[(٤)] يدل بالنص الصريح على حرمة التشبه بالكفار في الملبس في الحياة والمظهر ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا أعني حرمة التشبه بالكفار ...»[(٥)].

وقد تقدم قول شيخ الإسلام: بعدما ذكر حديث: «من تشبه بقومٍ فهو منهم»: «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم إلى أن قال: وقد يحمل

---

(١) الخرشي على مختصر خليل ٨/ ٦٣، وهناك نقول أخرى، البحر الرائق ٥/ ١٣٣، وانظر شرح ألفاظ الكفر ص ٢٠٠، ٢٠١، الإعلام بقواطع الإسلام ص ٣٦٣، الشفا للقاضيعياض ٢/ ١٠٧٢، ١٠٧٣، شرح ألفاظ الكفر ص ٢٠٣.

(٢)الاقتضاء ١/ ٣٥٥.

(٣) الاقتضاء ١/ ٣٥٩.

(٤) يعني حديث عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ رأى عليه ثوبين معصفرين قال: «ثياب الكفار، لا تلبسها» أخرجه أحمد في المسند (٦٥١٣).

(٥) تحقيق المسند ١٠/ ١٩.

على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرا أو معصية أو شعارا لها كان حكمه كذلك»[١].

٣ - ضابط التشبه بالكفار:

هناك أمور مشتركة ليست من خصائص الكفرة وليس لهم فيها سمة تخصهم بل يشترك فيها المسلم والكافر ويشترك فيها الناس كلهم كتعلم الصناعات والعلوم الدنيوية التي لا تخل بعقيدة المسلم وكاتخاذ القوة وصناعة السلاح والانتفاع مما أباح الله من زينة الأنعام وأكل الطيبات من الرزق، فهذه الأمور المشتركة قد تكون مباحة وقد يكون الأخذ بها واجب كإعداد القوة للجهاد وهذه الأمور وإن ابتدأ بأخذها أهل الكتاب أو غيرهم فالأخذ بها جائز ومن الأمثلة على ذلك حفر الخندق واستعمال المنجنيق وتدوين الدواوين وقد أقر النبي ﷺ بعض أمور الجاهلية كالقسامة[٢].

ولكن من الأمور المشتركة ما يكون محرما بعد الإباحة؛ لأن الكفار اتخذوه من خصائصهم فصار شعاراً لهم قال الذهبي: «ألا ترى أن العمامة الزرقاء والصفراء كان لباسهما لنا حلالا قبل اليوم وفي عام سبعمائة لما ألزمهم السلطان الناصر بلبسهم حرمت علينا»[٣].

وقال في كشاف القناع: «قال الشيخ: ولما صارت العمامة الصفراء أو الزرقاء من شعارهم حرم لبسها»[٤].

وبهذا يعلم أن الأحكام في النهي عن التشبه بهم منصبة فيما هو من خصائصهم وتقاليدهم فالتشبه منه ما هو كفر أو وسيلة إليه ومنه ما هو محرم ظاهر التحريم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) صحيح مسلم (١٦٦٩)، وانظر السنن والآثار لسهيل ص ٦٥.

(٣) تشبه الخسيس بأهل الخميس ص ٢٥.

(٤) كشاف القناع للبهوتي ١/ ٢٠، وانظر تشبيه الخسيس ص١٩٣.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «لاريب أن ضابط التشبه بهم هو فعل ما هو من خصائصهم»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «مقياس التشبه أن يفعل المتشبه ما يختص به المتشبه به فالتشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئاً من خصائصهم أما ماانتشر بين المسلمين وصار لا يتميز به الكفار فإنه لا يكون تشبهاً فلا يكون حراماً من أجل أنه تشبه إلا أن يكون محرماً من جهة أخرىٰ، وهذا الذي قلناه هو مقتضىٰ مدلول هذه الكلمة وقد صرح بمثله صاحب الفتح»[٢].

وسئل عن الضابط في مسألة التشبه بالكفار فأجاب بقولـه: «التشبه بالكفار يكون في المظهر واللباس والمأكل وغير ذلك لأنها كلمة عامة، ومعناها أن يقوم الإنسان بشيء يختص به الكفار بحيث يدل من رآه أنه من الكفار، وهذا هو الضابط، أما إذا كان الشيء قد شاع بين المسلمين وصار عاماً بين المسلمين والكفار فإن التشبه يجوز وإن كان أصله مأخوذاً من الكفار ما لم يكن محرماً لعينه كلباس الحرير»[٣].

٤ - يجب إنكار التشبه ولا يجوز الإعانة عليه:

قال شيخ الإسلام: «فلا يُعان المسلم المتشبه بهم في ذلك، بل يُنهى عن ذلك.

فمن صنع دعوة مخالفة للعادة في أعيادهم لم تجب دعوته، ومن أهدىٰ من المسلمين هدية في هذه الأعياد مخالفة للعادة في سائر الأوقات لم تُقبل هديته، خصوصاً إن كانت الهدية مما يُستعان به علىٰ التشبه بهم، مثل إهداء الشمع ونحوه في الميلاد، وإهداء البيض واللبن والغنم في الخميس الصغير الذي في آخر صومهم، وهو الخميس الحقير، ولا يبايع المسلم ما يستعين به المسلمون علىٰ

(١) فتاوىٰ محمد بن إبراهيم ٦/ ٢٣١.
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ٤٧.
(٣) مجموع دروس وفتاوىٰ الحرم المكي ٣/ ٣٦٧.

مشابهتهم في العيد من الطعام واللباس والبخور؛ لأن في ذلك إعانة على المنكر»[١].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله في شأن التشبه بالكفار في أعيادهم: «فبئس المربي أنت أيها المسلم إذا لم تَنْهَ أهلك وأولادك عن ذلك، وتُعرِّفهم أن ذلك عند النصارىٰ، لا يحلُّ لنا أن نشاركهم ونشابهم فيه... وكل من علم شيئاً وعمل بخلافه عاقبه الله يوم القيامة، ويجب على وليِّ الأمر القيام في ترك هذا بكل ممكن، فإن في بقائه تجرّياً لأهل الصليب على إظهار شعارهم... فينبغي لكل مسلم أن يجتنب أعيادهم، ويصون نفسه وحريمه وأولاده عن ذلك، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر»[٢].

والإعانة على التشبه والممشاركة فيه تفضي إلى الميل إلى الكفار وموافقتهم واتباعهم ومحبتهم وموالاتهم[٣] والتشبه القليل يفضي إلى الكثير قال الذهبي رحمه الله: «وفعل اليسير من ذلك يجر إلى الكثير»[٤]. قال حذيفة رضي الله عنه: «من تشبه بقوم فهو منهم ولا يشبه الزي الزي حتى يشبه الخُلُقُ الخلق».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يشبه الزيُّ الزيَّ حتى تشبه القلُوبُ القلوبَ»[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن المشاركة في الهدي الظاهر: تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم ـ مثلاً ـ يجد من نفسه نوع انضمام إليهم،

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٥/ ٣١٩، ٣٢٠.
(٢) تشبه الخسيس بأهل الخميس ص٣١، ٣٢.
(٣) الاقتضاء ١/ ٤٨٨.
(٤) تشبه الخسيس بأهل الخميس ص ٣٧.
(٥) تشبه الخسيس بأهل الخميس ص٤٩.

واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً ـ يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ويصير طبعه مقتضيا لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

ومنها أن المخالفة في الهدي الظاهر: توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف إلىٰ أهل الهدىٰ والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارىٰ باطناً وظاهراً أتم وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر: توجب الاختلاط الظاهر حتىٰ يرتفع التميز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين، إلىٰ غير ذلك من الأسباب الحكمية»[(١)].

قال أبو العباس بن تيمية رحمه الله: «وقد رأينا اليهود والنصارىٰ الذين عاشروا المسلمين هم أقلُّ كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارىٰ هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام اهـ.

والمتشبه بالكفار مع ما يجد من قلبه ميلا إليهم وأنسا بهم فإنه يجد نفورا وابتعادا عمن ترك التشبه به كما أن تعظيم الكفار واستحسان هيآتهم وأخلاقهم يدعوهم إلىٰ استحسان كل ما هم عليه وكل ما يتصفون به من معاملات وهيئة وعادات.

قال ابن القيم: «ونهى عن التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلىٰ الموافقة الباطنة فأنه إذا أشبه الهدي الهدي

---

(١) الاقتضاء ١/ ٧٩-٨٠.

أشبه القلب القلب وقد قال خالف هدينا هدي الكفار...»[(١)].

٥- حكم التشبه بهم في أعيادهم وما أحدثوه من العبادات أو العادات:

وقد تقدم بعض النقول في ذلك.

قال ابن تيمية: «بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلىٰ الكفر في الجملة بشروطه، أما مبدؤها فأقل أحواله أن يكون معصية»[(٢)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «الوجه الثالث من الاعتبار يدل أنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك[(٣)] أدىٰ إلىٰ فعل الكثير ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله حتىٰ يصير عادة للناس بل عيدا حتىٰ يضاهىٰ بعيد الله بل قد يزيد عليه حتىٰ يكاد أن يفضي إلىٰ موت الإسلام وحياة الكفر كما قد سوله الشيطان لكثير ممن يدعي الإسلام فيما يفعلونه في آخر صوم النصارىٰ من الهدايا والأفراح والنفقات وكسوة الأولاد وغير ذلك مما يصير به مثل عيد المسلمين بل البلاد المصاقبة[(٤)] للنصارىٰ التي قل علم أهلها وإيمانهم قد صار ذلك أغلب عندهم وأبهىٰ في نفوسهم من عيد الله ورسوله علىٰ ما حدثني به الثقات»[(٥)].

وقال أيضاً: «أما القسم الثالث: وهو ما أحدثوه من العبادات أو العادات، أو

---

(١) اغاثة اللهفان ١/ ٣٦٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٧١، ٤٧٢.

(٣) أي إقامة الأعياد.

(٤) أي: أي الملاصقة والقريبة. قال ابن منظور: مكان صَقَب، وصَقِب: أي قريب، وهذا أصقب من هذا أي أقرب. وفي الحديث: «الجار أحق بصقبه». قال ابن الأنباري: أراد بالصَّقَب الملاصقة والقرب. [لسان العرب: ق رب].

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٧٣، ٤٧٤ .

كليهما فهو أقبح، فإنه لو أحدثه المسلمون لقد كان يكون قبيحاً، فكيف إذا كان مما لم يشرعه نبي قط؟ بل أحدثه الكافرون، فالموافقة فيه ظاهرة القبح. فهذا أصل.

وأصل آخر وهو: أن كل ما يشابهون فيه: من عبادة أو عادة، أو كليهما هو من المحدثات في هذه الأمة ومن البدع، إذ الكلام في ما كان من خصائصهم وأما ما كان مشروعاً لنا، وقد فعله سلفنا السابقون فلا كلام فيه»[(١)].

وأما تقليدهم فيما هو من عاداتهم السيئة وأخلاقهم الذميمة كالتختم بالذهب والتحلي به للرجال وحلق اللحى[(٢)] وغير ذلك وهذا باب واسع، وكله محرم وداخل في قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

٦ـ ينهى عن التشبه ولو لم يقصد:

تقدم قول ابن تيمية رحمه الله: «... فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضاً، ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه ففي كون هذا تشبهاً نظر. ولكن قد ينهى عن هذا لئلا يكون ذريعة إلى التشبه، ولما فيه من المخالفة، كما أمر بصبغ اللحى وإحفاء الشوارب، مع أن قوله ﷺ: «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود». دليل على أن التشبه بهم يحصل بغير قصد منا ولا فعل. بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا، وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية، الاتفاقية»[(٣)].

وقال: «ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله إلى حاجبه الأيمن أو الأيسر ولم يصمد له صمداً، ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة وإن لم يكن العابد يقصد ذلك، ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٢٣.
(٢) انظر رسالة الدكتور ناصر العقل بعنوان «من تشبه بقوم فهو منهم».
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٨.

الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك؛ لما فيه من مشابهة السجود لغير الله، فانظر كيف قطعت الشريعة المشابهة في الجهات وفي الأوقات، وكما لا يصلى إلىٰ القبلة التي يصلون إليها كذلك لا يصلىٰ إلىٰ ما يصلون له بل هذا أشد».

وقال رحمه الله: «وقد تقدم بيان أن ما أمرنا الله ورسوله به من مخالفتهم مشروع سواء كان ذلك الفعل مما قصد فاعله التشبه بهم أو لم يقصد، وكذلك ما نهىٰ عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قُصدت مشابهتهم أو لم تقصد فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها مالا يُتصور قصد المشابهة فيه كبياض الشعر وطول الشارب ونحو ذلك».

وقال الشيخ ابن عثيمين: «... ولهذا لو أن إنساناً لبس لبساً يختص بالكفار ثم قال أنا لا أقصد التشبه بهم نقول التشبه منك بهم حاصل أردته أم لم ترده، وكذلك لو أن أحداً تشبه بامرأة في لباسها أو في شعرها أو ما أشبه ذلك وقال ما أردت التشبه قلنا له حصل التشبه»[(١)].

٧- المقصود الأعظم ترك الأسباب التي تدعو إلىٰ موافقتهم ومشابهتهم باطناً:

قال ابن القيم: «والمقصود الأعظم ترك الأسباب التي تدعو إلىٰ موافقتهم ومشابهتهم باطنا والنبي سن لأمته ترك التشبه بهم بكل طريق»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «والفعل إذا كان يفضي إلا مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهىٰ عنه كما نهىٰ عن الصلاة في الأوقات الثلاثة لما في ذلك من المفسدة الراجحة وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلىٰ الشرك وليس في قصد الصلاة في تلك الأوقات مصلحة راجحة لإمكان التطوع في غير ذلك من الأوقات»[(٣)].

(١) القول المفيد ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤.
(٢) القول المفيد ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤.
(٣) مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٦٤.

٨ - حكم مشابهة الكفار فيما ليس من شرعنا:

قال أبو العباس بن تيمية رحمه الله: «فصل: مشابهتهم فيما ليس من شرعنا قسمان:

أحدهما: مع العلم بأن هذا العمل هو من خصائص دينهم فهذا العمل الذي هو من خصائص دينهم إما أن يفعل لمجرد موافقتهم وهو قليل وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل وإما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا وفي الآخرة وكل هذا لا شك في تحريمه لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر وقد يصير كفراً بحسب الأدلة الشرعية، وإما عمل لم يعلم الفاعل أنه من عملهم فهو نوعان:

أحدهما: ما كان في الأصل مأخوذا عنهم إما على الوجه الذي يفعلونه وإما مع نوع تغيير في الزمان أو المكان أو الفعل ونحو ذلك فهو غالب ما يبتلى به العامة في مثل ما يصنعونه في الخميس الحقير والميلاد ونحوهما فإنهم قد نشئوا على اعتياد ذلك وتلقاه الأبناء عن الآباء وأكثرهم لا يعلمون مبدأ ذلك فهذا يعرف صاحبه حكمه فإن لم ينته وإلا صار من القسم الأول.

النوع الثاني: ما ليس في الأصل مأخوذاً عنهم لكنهم يفعلونه أيضاً، فهذا ليس فيه محذور المشابهة ولكن قد تفوت فيه منفعة المخالفة فتوقف كراهة ذلك وتحريمه على دليل شرعي وراء كونه من مشابهتهم، إذ ليس كوننا تشبهنا بهم بأولى من كونهم تشبهوا بنا، فأما استحباب تركه لمصلحة المخالفة إذا لم يكن في تركه ضرر فظاهر لما تقدم من المخالفة، وهذا قد توجب الشريعة مخالفتهم فيه وقد توجب عليهم مخالفتنا كما في الزي ونحوه وقد يقتصر على الاستحباب كما في صبغ اللحية والصلاة في النعلين والسجود، وقد تبلغ إلى الكراهة كما في تأخير المغرب والفطور بخلاف مشابهتهم فيما كان مأخوذاً عنهم فإن الأصل فيه

التحريم لما قدمنا»[١].

٩- وقوع ما أخبر به النبي ﷺ في قوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم»:

هذا الحديث وقع على سبيل الذم وقد تشبه الناس بهم في عقائدهم وعباداتهم وشركياتهم وعاداتهم كما أخبر النبي ﷺ وأخبر أنه لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات و العزى و حتى تضطرب أليات دوس حول ذي الخلصة صنم كان لهم في الجاهلية وإليك ماسطره العلماء في ذلك:

قال الإمام ابن القيم: «وما أكثر الخلف لهؤلاء في اتخاذ إله مجعول فكل من اتخذ إلها غير الله فقد اتخذ إلها مجعولا وقد ثبت عن النبي أنه كان في بعض غزواته فمروا بشجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم وشاراتهم وثيابهم يسمونها ذات أنواط فقال بعضهم: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: الله أكبر! قلتم كما قال قوم موسى لموسى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ ثم قال: لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركاً عندها وبها والله المستعان ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق

---

(١) الاقتضاء ١/ ٤٩١، ٤٩٢.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ٣٠٠.

وتميت وتحيي وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ودعاء المقبور من أعظم الوسائل إلىٰ ذلك وقد قدم بعض الشيوخِ المشرقَ و تكلم معي في هذا فبينت لـه فساد هذا فقال أليس قد قال النبي ﷺ: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور». فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يروه عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث، و بسبب هذا و أمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة...»»[(٢)].

وقال أيضاً: «وفي الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فمن؟» هذا خبر تصديقه في قولـه تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسري في المتنسبين إلىٰ الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة، فإن كثيرا من أحوال اليهود قد ابتلى به بعض المتنسبين إلىٰ العلم، وكثيرا من أحوال النصارىٰ قد ابتلي به بعض المتنسبين إلىٰ الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ ثم نزله علىٰ أحوال الناس، وإذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربه وكان ميتا فأحياه الله

(١) زاد المعاد ٣/ ٦٠٥.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد علىٰ البكري ٢/ ٥٧٧.

وجعل لـه نوراً يمشي به في الناس لا بد أن يلاحظ أحوال الجاهلية وطريق الأمتين المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارىٰ، فيرىٰ أن قد ابتلي ببعض ذلك فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو اتباع السيئات الحسنات»[(١)].

١٠ـ يمنع الكفار من التشبه بالمسلمين:

قال ابن القيم: «فلما فتح الله على المسلمين أمصار الكفار وملكهم ديارهم وأموالهم وصاروا تحت القهر والذل وجرت عليهم أحكام الإسلام ألزمهم الخليفة الراشد والإمام العدل الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه وأمر رسول الله باتباع سنته عمر بن الخطاب بالغيار ووافقه عليه جميع الصحابة واتبعه الأئمة والخلفاء بعده وإنما قصر في هذا من الملوك من قلت رغبته في نصر الإسلام وإعزاز أهله وإذلال الكفر وأهله، وقد اتفق علماء المسلمين على وجوب إلزامهم بالغيار وأنهم يمنعون من التشبه بالمسلمين في زيهم»[(٢)].

قال ابن القيم: «قالوا: ولا نتكلم بكلامهم،هذا الشرط في أهل الكتاب الذي لغتهم غير لغة العرب كنصارىٰ الشام والجزيرة إذ ذاك وغيرهما من البلاد دون نصارىٰ العرب الذين لم تكن لغتهم غير العربية فمنعهم عمر من التكلم بكلام العرب لئلا يتشبهوا بهم في كلامهم كما منعوا من التشبه بهم في زيهم ولباسهم ومراكبهم وهيئات شعورهم فألزمهم التكلم بلسانهم ليعرفوا حين التكلم أنهم كفار فيكون هذا من كمال التميز مع ما في ذلك من تعظيم كلام العرب ولغتهم حيث لم يسلط عليها الأنجاس والأخابث يتبذلونها ويتكلمون بها كيف وقد أنزل

(١) الزهد ١/ ٨٨ وانظر درء التعارض ٦/ ١٩٧. و الجواب الصحيح ١/ ٩٣.

(٢) أحكام أهل الذمة ٣/ ١٢٩٩.

الله بها أشرف كتبه ومدحه بلسان عربي»[١].

١١ـ أثر التكلم بالعربية وترك الأعجمية:

قال أبو العباس بن تيمية رحمه الله: «واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبوبكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن يزيد قال كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي، وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلموا العربية، فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم. وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله»[٢].

١٢ - ذكر أصناف ينهى عن التشبه بهم:

قال ابن القيم: «وأما زي العجم فلأن المشابهة في الزي الظاهر تدعو إلى الموافقة في الهدي الباطن كما دل عليه الشرع والعقل والحس ولهذا جاءت الشريعة بالمنع من التشبه بالكفار والحيوانات والشياطين والنساء والأعراب وكل ناقص حتى نهى في الصلاة عن التشبه بشبه أنواع من الحيوان يفعلها أو كثيرا منها الجهال، نهى عن نقر كنقر الغراب والتفات كالتفات الثعلب وإقعاء كإقعاء الكلب

(١) أحكام أهل الذمة٣/ ١٣١٣.

(٢) الاقتضاء ١/ ٤٧٠، وانظر ص ٤٦٢ من المصدر نفسه.

وافتراش كافتراش السبع وبروك كبروك الجمل ورفع الأيدي يمينا وشمالا عند السلام كأذناب الخيل، ونهيعن التشبه بالشياطين في الأكل والشرب بالشمال وفي سائر خصال الشيطان، ونهى عن التشبه بالكفار في زيهم وكلامهم وهديهم، حتى نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح، فإن الكفار يسجدون للشمس في هذين الوقتين، ونهى عن التشبه بالأعراب وهم أهل الجفاء والبدو فقال: «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العتمة وإنها العشاء في كتاب الله»، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء»[1].

ويلاحظ في ذكر هذه الأصناف ما سبق من ضابط التشبه عموماً وأنه متعلق بخصائصهم، وللتفصيل نوضح بعض أصناف ما ينهى عن التشبه بهم مع ذكر بعض خصائصهم:

١ - الكفار عموماً، فورد النهي عن التشبه بـ:

أ- المجوس: ومن خصائص المجوس، الصلاة إلى النار وعبادتها، وتقديس الملوك والعظماء، وحلق القفا أي مؤخرة شعر الرأس دون المقدمة، وحلق اللحى، وتطويل الشوارب والزمزمة وهي الصفير واتخاذ آنية الذهب والفضة.

ب- الفرس، والروم: وهذا يشمل أهل الكتاب، والمجوس وغيرهم. فقد نهينا أيضاً عما هو من خصائصهم من عبادات وعادات، وطقوس، مثل تعظيم وتقديس الكبراء والسادة، وطاعة الأحبار والرهبان مع تشريع ما لم يشرعه الله، والتنطع والتشدد في الدين.

ج- الأعاجم غير المسلمين: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك العجم، وهم مَنْ سوى العرب من الفرس والروم والترك والبربر والحبشة وغيرهم

(١) الفروسية ١٢٢.

ينقسمون إلىٰ المؤمن والكافر، والبر والفاجر كانقسام العرب»[1].

والنهي عن التشبه بهم مبني علىٰ قول النبي ﷺ حينما نهىٰ أن يجعل الرجل في أسفل ثيابه حريراً، قال: «مثل الأعاجم أو يجعل علىٰ منكبيه حريراً مثل الأعاجم»[2] ونهىٰ النبي ﷺ أيضاً أن يقوم الناس للرجل تعظيماً لـه. بل إنه نهىٰ أن يقوم المأموم والإمام قاعد لعلة، خشية من أن يفهم أن ذلك علىٰ سبيل التعظيم، فقال: «لا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها»[3] وعند مسلم: «إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون علىٰ ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا»[4] وفي رواية: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً»[5]. وثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه نهىٰ عن زي العجم، وزي المشركين، أشد النهي وقد أشار إلىٰ مثل ذلك كثير من السلف.

٢- الجاهلية وأهلها:

الجاهلية اسم لما كان قبل الإسلام، وقد جاء النهي عن كل ما هو من أعمال الجاهلية التي لم يقرها الإسلام ومن أخلاقها، وعبادتها، وعاداتها، وشعاراتها، مثل السفور، وتبرج النساء، وبروز المُحرِم للشمس بغير ظل، فإن هذا من أعمال الجاهلية، ومن أعمال المشركين، وكذلك التعرَّي، أي إظهار العورة، أو شيء منها، والعصبية القومية، والفخر بالأحساب، والطعن بالأنساب، والنياحة والاستقساء بالنجوم، فقد ألغىٰ النبي ﷺ حينما جاء الإسلام كثيراً من أحوال

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٦٣.

(٢) جاء ذلك في حديث أخرجه أبو داود (٤٠٤٩). وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٣٠٤.

(٣) أخرجه أبو داود (٦٠٢).

(٤) أخرجه مسلم (٤١٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٥٢٣٠).

الجاهلية، وأعرافها، وعاداتها، وتقاليدها، وتشريعاتها.

وكل ما نهى عنه لأنه من أمر الجاهلية فهو مذموم، وفي الحديث: «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع».

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم: «فقوله ﷺ: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع» يدخل فيه كل ما كانوا عليه من العبادات والعادات، ولا يدخل فيه ما كانوا عليه من الجاهلية وأقرَّه الله تعالى في الإسلام كالمناسك والدية والقسامة؛ لأن أمر الجاهلية معناه المفهوم منها ما كانوا عليه مما لا يقره الإسلام فيدخل في ذلك ما كانوا عليه وإن لم ينه في الإسلام عنه بعينه»[١].

وسوف يأتي مزيد بحث عن هذا في باب الجاهلية.

٣- الفساق:

عند شرح حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم»[٢] قال المناوي: «وبأبلغ من ذلك صرح القرطبي فقال لو خُص أهل الفسوق والمجون بلباس منع لبسه لغيرهم فقد يظن به من لا يعرفه أنه منهم فيظن به ظن السوء فيأثم الظان والمظنون فيه بسبب العون فيه»[٣].

وقال الصنعاني: «والحديث دال على أنه من تشبه بالفساق كان منهم أو بالكفار أو بالمبتدعة في أي شيء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة...»[٤].

(١) مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين ٧/ ١٧٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فيض القدير ٦/ ١٠٤.

(٤) السبل ٣/ ٣٣٨.

٤ - الشيطان:

ممن نهينا عن التشبه بهم الشيطان. فقد ذكر النبي ﷺ، وبعض أفعال الشيطان، ونهى عنها، كالأكل والشرب باليد اليسرى، وقد روى مسلم وغيره أن النبي، ﷺ قال: «لا يأكلنّ أحدكم بشماله ولا يشربن بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»[(١)].

قال الإمام ابن تيمية: «ومما يشبه الأمر بمخالفة الكفار الأمر بمخالفة الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»، ثم ذكر ألفاظ الحديث وقال: فإنه علَّل النهي بالأكل والشرب بالشمال بأن الشيطان يفعل ذلك فعلم أن مخالفة الشيطان أمر مقصود مأمور به»[(٢)].

٥ - الأعراب الذين لم يكمل دينهم:

والمقصود كما قال الإمام ابن تيمية: «مخالفة من لم يكمل دينه من الأعراب ونحوهم؛ لأن كمال الدين بالهجرة، فكان من آمن ولم يهاجر من الأعراب ونحوهم ناقصاً»[(٣)].

وقد جاء النهي عن موافقة الأعراب في اسم المغرب والعشاء بالعشاء والعتمة. وليس التشبه بالأعراب كالتشبه بالكفار، قال ابن تيمية: «واعلم أن بين التشبه بالكفار والشياطين، وبين التشبه بالأعراب والأعاجم فرقاً يجب اعتباره، وإجمالاً يحتاج إلى تفسير، وذلك: أن نفس الكفر والتشيطن مذموم في حكم الله ورسوله وعباده المؤمنين، ونفس الأعرابية والأعجمية ليست مذمومة عند الله تعالى وعند

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ابن تيمية ٢/ ١٤١.

(٣) اقتضاء الصراط ١/ ١٤٢.

رسوله وعند عباده المؤمنين، بل الأعراب منقسمون: إلىٰ أهل جفاء، وإلىٰ أهل إيمان وبر.

وقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ ممن وفد عليه ومن غيرهم من الأعراب من هو أفضل من كثير من القرويين، فهذا كتاب الله يحمد بعض الأعراب، ويذم بعضهم، وكذلك فعل بأهل الأمصار»[(١)].

٦- البهائم:

قال ابن تيمية: «التشبه بالبهائم في الأمور المذمومة في الشرع مذموم، منهي عنه: في أصواتها وأفعالها، ونحو ذلك مثل أن ينبح نبيح الكلاب، أو ينهق نهيق الحمير، ونحو ذلك... قررنا في اقتضاء الصراط المستقيم نهي الشارع عن التشبه بالآدميين الذين جنسهم ناقص كالتشبه بالأعراب والعجم وبأهل الكتاب ونحو ذلك في أمور من خصائصهم وبينا أن من أسباب ذلك أن المشابهة تورث مشابهة الأخلاق وذكرنا أن من أكثر عشرة بعض الدواب اكتسب من أخلاقها كالكلابين والجمالين وذكرنا ما في النصوص من ذم أهل الجفاء وقسوة القلوب أهل الإبل ومن مدح أهل الغنم فكيف يكون التشبه بنفس البهائم فيما هي مذمومة، بل هذه القاعدة تقتضي بطريق التنبيه النهي عن التشبه بالبهائم مطلقا فيما هو من خصائصها وإن لم يكن مذموماً بعينه؛ لأن ذلك يدعو إلىٰ فعل ما هو مذموم بعينه، إذ من المعلوم أن كون الشخص أعرابياً أو عجمياً خير من كونه كلباً أو حماراً أو خنزيراً فإذا وقع النهي عن التشبه بهذا الصنف من الآدميين في خصائصه لكون ذلك تشبها فيما يستلزم النقص ويدعو إليه فالتشبه بالبهائم فيما هو من خصائصها أولىٰ أن يكون مذموماً ومنهيا عنه»[(٢)].

---

(١) اقتضاء الصراط ١/ ٣٦٢، ٣٦٣ باختصار.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٣٢/ ٢٥٦، ٢٥٧.

قال ابن القيم: «الثاني: أن النبي ﷺ نهى عن التشبه بالجمل في بروكه، والجمل إذا برك إنما يبدأ بيديه قبل ركبتيه وهذا موافق لنهيه ﷺ عن التشبه بالحيوانات في الصلاة،فنهى عن التشبه بالغراب في النقر والتفات كالتفات ثعلب، وافتراش كافتراش السبع، وإقعاء كإقعاء الكلب ورفع الأيدي في السلام كأذناب الخيل وبروك كبروك البعير»(١).

٧- تشبه الرجال بالنساء و تشبه النساء بالرجال:

أما التشبه بالنساء فملعون فاعله ـ والعياذ بالله ـ وقد جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»(٢). قال الطبري: «المعنى لا يجوز للرجل التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس...»(٣).

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»(٤).

ولا شك أن من فعل شيئاً من ذلك فإنه مستوجب للوعيد وهو اللعن، وضابط التشبه المعتبر في ذلك هو الغالب، فما كان من لباس الرجل وزينته غالباً فتنهى المرأة عنه، وما كان من لباس المرأة وزينتها غالباً فينهى الرجل عنه، فتشبه الرجل بالمرأة في لباسها وزينتها التي تختص بها، وفي كلامها وحركتها وغير ذلك محرم، وكذا تشبه المرأة بالرجل فيما ذكر وكل ما اختص به الرجال شرعاً أو عرفاً منع منه النساء، وكل ما اختصت النساء به شرعاً أو عرفاً منع منه الرجال، وما ورد من دليل

---

(١) حاشية ابن القيم ٣/ ٥٢، زاد المعاد ١/ ٢٢٤.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

(٣) الفتح ١٠/ ٣٤٥.

(٤) أخرجه أبوداود (٤٠٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٩٤).

في اختصاص أحدهما دون الآخر بشيء فهو المعتبر ولا اعتبار للعرف إذا صادم نصاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... ومن هنا يظهر الضابط في نهيه ﷺ عن تشبه الرجال بالنساء وعن تشبه النساء بالرجال، وأن الأصل في ذلك ليس هو راجعاً إلى مجرد ما يختاره الرجال والنساء ويشتهونه ويعتادونه، فإنه لو كان كذلك لكان إذا اصطلح قوم عليأن يلبس الرجال الخُمر التي تغطي الرأس والوجه والعنق، والجلابيب التي تسدل من فوق الرؤوس حتيلا يظهر من لابسها إلا العينان، وأن تلبس النساء العمائم والأقبية المختصرة ونحو ذلك أن يكون هذا سائغاً، وهذا خلاف النص والإجماع»[1].

وكذلك إذا ورد الدليل الشرعي بجوازه للرجل أو المرأة فإنه لا يختص به أحدهما عن الآخر فإن الرسول ﷺ اتخذ خاتماً من فضة وكان فصه منه، ومعلوم أن حلي الفضة من خواص النساء، وفعل الرسول ﷺ ألغى هذه الخصوصية، ومن الأدلة أيضاً جواز خضاب الرجل لشعر رأسه ولحيته بالحناء، وجواز الأعلام اليسيرة من الحرير لورود الدليل بذلك[2].

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ١٤٦، ١٤٧.
(٢) انظر: فتح الباري ١٠/ ٢٨٤.

٧٨.التصوير*

الصور جمع صورة وصوَّره أي جعل له صورة مجسمة وصور الشيء أو الشخص رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما[(١)] فيدخل في التصوير النقش والتجسيم والرسم بالقلم أو بآلة حديد، والتصاوير: التماثيل[(٢)] وقد قسّم العلماء الصور إلى قسمين:

١ ـ **الصور التي لا ظل لها** وهي الرسم فقط أو الصور الشمسية أو ما تسمى بـ (الصور الفوتوغرافية) الموضوعة على الورق أو على الجدار أو على البساط والفراش أو على الأنماط والوسادة، وما إلى ذلك.

٢ ـ **الصور التي لها ظل**، وهي المصنوعة من جبس أو خشب منجورة أو منقوشة أو من نحاس أو من جلد مدبوغ أو غير ذلك من الصور وهي ما تسمى بـ (التماثيل).

---

* التمهيد لابن عبدالبر ١/ ٣٠٠-٣٠٣، شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٢٥، الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٨٠، ٤٨٥، ٥١٩، الدرر السنية ١٠/ ٣٣٨، ١٥/ ٢٩٥-٣٣١، فتح المجيد ص٥٧٧، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٧١، القول السديد لابن سعدي من مجموعه ٣/ ٥١، مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٥٣-٢٨٧، ١٠/ ١٠٢٣. القول المفيد ط١- ٣/ ١٩٩، الدين الخالص ٢/ ٢٢٦-٤٠٨، الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة للسعدي ص٨٥-٨٦، فتاوى اللجنة الدائـمة ١/ ٤٥٤، الجواب المفيد في حكم التصوير لابن باز، مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٨٣٤، ٨٩٥، نور على الدرب ٣٢٥، ٣٣٧، آداب الزفاف للألباني ١٠٣، إعلان النكير على المفتونين بالتصوير للشيخ حمود التويجري، الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام للفوزان ٤٤، عقيدة الإمام ابن عبدالبر للغصن ٢٢٢، ٢٢٩، تحريم التصوير الفوتغرافي لأحمد آل عبدالكريم، التنوير فيما ورد في حكم التصوير لمحمد الغفيلي، أحكام التصوير في الفقه الإسلامي لمحمد بن أحمد علي واصل.

(١) القاموس الفقهي ١/ ٢١٨، المعجم الوسيط ص ٥٢٨.

(٢) مختار الصحاح ص٢٧٨.

قال ابن منظور في لسان العرب: «والتمثال: الصورة، والجمع التماثيل. ومثّل له الشيءَ: صوره حتى كأنه ينظرُ إليه. ومثلتُ له كذا تمثيلاً إذا صورْت لهُ مِثاله بكتابةٍ وغيرها. وظل كل شيءٍ تمثالُهُ، ومثَّل الشيءَ بالشيءِ: سواه وشبَّهَهُ به، وجعله مثله، وعلىٰ مثاله.

والتمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تعالىٰ، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته علىٰ قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به واسم ذلك المُمَثّل تمثال»[١].

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ [الأحزاب:٥٧].

قال عكرمة: «نزلت في المصورين» ذكره البغوي، في تفسيره[٢] وابن كثير[٣]، ورواه أبو نعيم في الحلية.

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً[٤]، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ

(١) لسان العرب لابن منظور (م ث ل)، مادة: مثل. انظر للاستزادة التنوير فيما ورد في حكم التصوير ص١١، ١٢.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٥٤٣، عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٥١٧، عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧].

(٤) الذرة بفتح المعجمة وتشديد الراء واحدة الذر، وهو صغار النمل ويراد بها ما يرىٰ في شعاع الشمس الداخل في النافذة، والمراد بالحبة حبة القمح، بقرينة ذكر الشعير، أو الحبة أعم. والغرض تعجيزهم، تارة بتكليفهم خلق حيوان، وهو أشد، وأخرىٰ بتكليفهم خلق جماد، وهو أهون، ومع ذلك فلا قدرة لهم علىٰ شيء منه. وقد يشكل هذا الحديث فيقال: كيف يجمع بين

شَعِيرَةً»[١].

عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»[٢].

وعَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ﭭ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»[٣]

وروى البخاري عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ وَثَمَنِ الْكَلْبِ، وَكَسْبِ الْبَغِيِّ، وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَالْوَاشِمَةَ، وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالْمُصَوِّرَ[٤].

وعن ابن عباس ﭭ قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّداً ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[٥].

وخرّج مسلم عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ فَأَفْتِنِي فِيهَا. فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ. قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِـمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١].

الجواب من وجهين:

الأول: أن المعنى أنها مشتركة في الأظلمية أي أنها في مستوى واحد في كونها في قمة الظلم.

الثاني: أن الأظلمية نسبية أي أنه لا أحد أظلم من هذا في نوع هذا العمل (ابن عثيمين ص ٢١).

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٩)، (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٦٢).

(٥) أخرجه البخاري (٢٢٢٥) (٥٩٦٣)، ومسلم(٢١١٠).

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْساً فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» وقَالَ: «إِنْ كُنْتَ لاَبُدَّ فَاعِلاً فَاصْنَعْ الشَّجَرَ وَمَا لاَ نَفْسَ لَهُ»[١].

وخرج الترمذي في جامعه، وقال حسن صحيح عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الصورة في البيت ونهى أن يصنع ذلك»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً[٣] لِي بِقِرَامٍ[٤] فِيهِ تَمَاثِيلُ[٥] فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ[٦] بِخَلْقِ اللهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَطَعْنَاهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢١١٠). قال النووي: «وأما قوله في رواية ابن عباس (يَجعل له) فهو بفتح الياء من (يَجعل) والفاعل: هو الله تعالى، أُضمر للعلم به قال القاضي في رواية ابن عباس: يحتمل أن معناها أن الصورة التي صورها هي تعذبه بعد أن يجعل فيها روح وتكون الباء في (بكل) بمعنى (في) قال: ويحتمل أن يجعل له بعدد كل صورة ومكانها شخص يعذبه وتكون «الباء» بمعنى «لام السبب») شرح النووي ١٤/ ٩٠.

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٤٩)، والإمام أحمد (١٤٦٥٠) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) بيت صغير علقت الستر عليه.

(٤) بكسر القاف وتخفيف الراء: ستر فيه رقم ونقش.

(٥) جمع تمثال: وهو الشيء المصور ويكون نقشاً أو دهاناً أو نسجاً في ثوب.

(٦) أي يشابهون. قال الحافظ بن حجر في فتح الباري ١٠/ ٣٢٢: «وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذاباً مع قولـه تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فإنه يقتضي أن يكون المصور أشد عذاباً من آل فرعون وأجاب الطبري: بأن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله وهو عارف بذلك قاصداً له، فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون، وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصياً بتصويره فقط. وأجاب غيره: بأن الرواية بإثبات «من» ثابتة، وبحذفها محمولة عليها، وإذا كان من يفعل التصوير من أشد الناس عذاباً كان مشتركاً مع غيره، وليس في الآية ما يقتضي اختصاص آل فرعون بأشد العذاب، بل هم في العذاب الأشد، فكذلك غيرهم يجوز أن يكون في العذاب الأشد. وقوى الطحاوي ذلك بما أخرجه من وجه آخر عن ابن مسعود رفعه: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبيٌّ، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين» وكذا أخرجه أحمد. وقد وقع بعض هذه الزيادة في رواية ابن أبي عمر التي أشرت =

فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَـادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ[(١)].

وعنها قالت: قَدِمَ النبي ﷺ من سفر وعلقت درنوكاً[(٢)] فيه تماثيل، فأمرني أن أنزعه فنزعته. رواه البخاري[(٣)]. ورواه مسلم بلفظ: «وقد سترت على بابي درنوكاً فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته»[(٤)].

وعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً[(٥)] فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُل فَعَرَفت فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فَقالت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فماذَا أَذْنَبْتُ؟ قَالَ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قالت: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ ويُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» ثم قَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ الْمَلاَئِكَةُ»[(٦)].

زاد مسلم في رواية: قَالَتْ: «فَأَخَذْتُهُ فَجَعَلْتُهُ مِرْفَقَتَيْنِ فَكَانَ يَرْتَفِقُ بِهِمَا فِي الْبَيْتِ».

= إليها، فاقتصر على المصور وعلى من قتله نبي. وأخرج الطحاوي أيضاً من حديث عائشة مرفوعاً: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل هجا رجلاً فهجا القبيلة بأسرها». قال الطحاوي: فكل واحد من هؤلاء يشترك مع الآخر في شدة العذاب).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٧).

(٢) بضم الدال المهملة وسكون الراء بعدها نون مضمومة ثم كاف. ويقال فيه: درموك بالميم بدل النون، قال الخطابي: هو ثوب غليظ له خمل إذا فرش فهو بساط، وإذا علق فهو ستر.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٠٧).

(٥) بفتح النون وسكون الميم وضم الراء بعدها قاف، وقيل: في النون الحركات الثلاثة والراء مضمومة جزماً، والجمع نمارق، وهي: الوسائد التي يصف بعضها إلى بعض، وقيل: الوسادة التي يجلس عليها.

(٦) أخرجه البخاري (٥٩٥٧)، ومسلم (٢١٠٧) واللفظ له.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر ﵄ عن النبي ﷺ: «أن جبريل ﵇ قال: إنَّا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب»[(١)].

وخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي ﵁ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[(٢)].

وخرج أبو داود بسند جيد عن جابر ﵁ أن النبي ﷺ: «أمر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها النبي ﷺ حتى محيت كل صورة فيها»[(٣)].

وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده عن أسامة قال دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة، ورأى صوراً، فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها، ويقول: «قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون»[(٤)].

وخرج البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂ «أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه»[(٥)]. ورواه الكشميهني بلفظ: تصاوير. وترجم عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٠).

(٢) سبق تخريجه. قال الشيخ ابن عثيمين: «ومناسبة ذكر القبر المشرِف مع الصور أن كلاًّ منهما قد يتخذ وسيلة إلى الشرك فإن أصل الشرك في قوم نوح أنهم صوروا صور رجال صالحين فلما طال عليهم الأمد عبدوها وكذلك القبور المشرفة قد يزداد فيها الغلو حتى تجعل أوثاناً تعبد من دون الله وهذا ما وقع في البلاد الإسلامية»، مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٧وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢١٣.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٦٥٠) وأبو داود (٤١٥٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بنحو هذا اللفظ (٢٥٢١٢)، والطيالسي (٦٥٧)، والطبراني (٤٠٧)، والهيثمي ٥/ ١٧٣، والسيوطي في الجامع الصغير ٥٩٩٦، صحيح الجامع ٤٢٩٢، قال الحافظ إسناده جيد.

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٥٢).

البخاري رحمه الله بـ(باب نقض الصور) وساق الحديث.

وفي الصحيحين عن بُسْر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة» قال بسر: ثم اشتكى زيد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله الخولاني ـ ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ ـ: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: «إلا رقماً في ثوب»، وفي رواية لهما من طريق عمرو بن الحارث عن بكير الأشج عن بسر فقلت لعبيد الله الخولاني: ألم يحدثنا في التصاوير؟ قال: إنه قال: إلا رقماً في ثوب، ألم تسمعه؟ قلت: لا. قال: بلى قد ذكر ذلك[(١)].

وعن عبيد الله بن عبد الله أنه دخل على أبي طلحة الأنصاري يعوده، فوجد عنده سهل بن حنيف فأمر أبو طلحة إنساناً ينزع نمطاً[(٢)] تحته، فقال لـه سهل: لم تنزعه؟ فقال: لأنه فيه تصاوير وقد قال فيها رسول الله ﷺ ما قد علمت. قال سهل: ألم يقل: «إلا ماكان رقماً في ثوب؟» فقال بلى ولكنه أطيب لنفسي[(٣)].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال لي: أتيتك البارحة، فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي في البيت يقطع، فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتين توطآن، ومر بالكلب فليخرج ففعل رسول الله ﷺ، وإذا الكلب لحسن أو حسين، كان تحت نضد[(٤)] لهم، فأمر به فأخرج»[(١)]، وعنه رضي الله عنه قال: «استأذن جبريل عليه السلام على النبي

---

(١) أخرجه البخاري، (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦).

(٢) بفتح النون والميم، وجمعه أنماط: وهو ضرب من البسط له خمل.

(٣) أخرجه الترمذي (١٧٥٠) والنسائي (٥٣٥٢) وأحمد (١٦٠٧٥).

(٤) قال أبو داود: «والنضد» شيءٌ توضع عليه الثياب.

ﷺ، فقال: ادخل، فقال: كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير؟ فإما أن تقطع رؤوسها، أو تُجعل بساطاً يوطأ، فإنا معشر الملائكة لا ندخل بيتاً فيه تصاوير»(٢).

❋ أحكام وفوائد:

١- التصوير بداية الشرك في بني آدم:

روىٰ ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح: الآية ٢٣] قال: «كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلىٰ العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يَسقون المطر فعبدوهم»(٣).

❖ علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد:

تتضح علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد من جهتين:

١ـ أن التصوير وسيلة للشرك ويدل عليه أثر ابن عباس السابق.

٢ـ أن المصوِّر يُضاهي الله بفعله لأن الله هو المصور، وهو المتفرد بالخلق والتصوير وهو متعلق بتوحيد الربوبية، وقد بوَّب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد باب ما جاء في المصورين، وقال الشيخ ابن قاسم معلقاً علىٰ هذا الباب: «أي من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد للمضاهاة بخلق الله، بل هو منشأ الوثنية وما دخل علىٰ القرون إنما هو من هذا الباب، لأن صورة المألوف تعظيم، وإذا ارتسمت في الحافظة وبقيَ ذكرها يمرُّ علىٰ البصر الناظرإليها من رسمها لا بد

(١) أخرجه أبو داود (٤١٥٨)، والترمذي (٢٨٠٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٨٠٣٢).
(٢) أخرجه النسائي (٥٣٦٧) وأحمد (٨٠٦٥).
(٣) جامع البيان ٢٩/ ٩٩.

أن تستولي علىٰ قلبه، وتحل فيه حلول التعبد له»[(١)].

وقال الخطابي رحمه الله: «إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله، ولأن النظر إليها يفتن وبعض النفوس إليها تميل»[(٢)].

قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «وإنما كان التصوير من أشد المحرمات الموجبة لما ذكر؛ لأن فيه مضاهاة لفعل الخالق جل جلاله ولهذا سمى الشارع فعلهم خلقاً وسماهم خالقين»[(٣)].

٢- تنبيه:

يحسن التفريق بين قسمين مهمين:

الأول: المصوِّر الذي يصنع الصُّوَر كنحتها أو نقشها.

الثاني: مُقتني الصور ومستعملُها من غير أن يصنعها.

فصانع الصور يختلف حكمه عن المقتني؛ لأن الصانع تتفق فيه الأدلة التي جاء فيها التغليظ و الإيذان بشدة العذاب، ومن ذلك:

١ ـ الآية السابقة في سورة الأحزاب.

٢ـ الأحاديث الآتية:

أ ـ «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبّة وليخلقوا ذرّة».

ب ـ «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضاهون بخلق الله»[(٤)].

ج ـ «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم».

د ـ و«لعن المصور».

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٧١.

(٢) الجواب المفيد ص٢٠.

(٣) انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٢/ ١٠٠، ١٠٨.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٥٩٥٠)، مسلم (٢١٠٩).

هـ- «من صوَّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً».

قال ابن عثيمين: «عقوبة المصور ما يلي:

١. أنه أشد الناس عذاباً أو من أشدهم عذاباً.

٢. أن الله يجعل له في كل صورة نفساً يعذب بها في نار جهنم.

٣. أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.

٤. أنه في النار.

٥. أنه ملعون، كما في حديث أبي جحيفة في «البخاري» وغيره»[(١)].

القسم الثاني:

أما الذي يقتني الصور ويستعملها فقد تبين لك إنكار رسول الله ﷺ على وجود الصور في البيت أو المكان المهيأ للدخول فمرة يمتنع عن الدخول ويخبر أن الملائكة لا يدخلون بسبب الصور وتارةً يأمر بقوله: «أميطي» وتارةً ينهى وتارة يهتك الصورة وتارةً يمحوها ويضربها ويأمر بعدم إبقاء صورة إلا طمست ثم أخيراً يتبع التصاوير في منزله فينقضها وعلى ذلك ينبغي التوضيح أن أحكام التصوير تختلف من جهة صنعه ومن جهة اقتنائه واستعماله فينبغي التفريق بينهما.

٣ - أقسام صناعة التصاوير وحكم كل قسم:

سوف نتكلم عن حكم صناعة التصوير في الأقسام الآتية:

القسم الأول: قال الشيخ ابن عثيمين: «أن يصور الإنسان ما له ظل كما يقولون، أي: ما له جسم على هيكل إنسان أو بعير أو أسد أو ما أشبهها، فهذا أجمع العلماء فيما أعلم على تحريمه، فإن قلت: إذا صور الإنسان لا مضاهاة لخلق الله، ولكن صور عبثاً، يعني: صنع من الطين أو من الخشب أو من الأحجار شيئاً على

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٧. والقول المفيد ط١- ٣/ ٢١٤.

صورة حيوان وليس قصده أن يضاهي خلق الله، بل قصده العبث أو وضعه لصبي ليهدئه به، فهل يدخل في الحديث؟

فالجواب: نعم: يدخل في الحديث، لأنه خلق كخلق الله، ولأن المضاهاة لا يشترط فيها القصد، وهذا هو سر المسألة، فمتى حصلت المضاهاة ثبت حكمها، ولهذا لو أن إنساناً لبس لبساً يختص بالكفار ثم قال: أنا لا أقصد التشبه بهم، نقول: التشبه منك بهم حاصل أردته أم لم ترده، وكذلك، لو أن أحداً تشبه بامرأة في لباسها أو في شعرها أو ما أشبه ذلك وقال: ما أردت التشبه، قلنا له: قد حصل التشبه، سواء أردته أم لم ترده»[1].

القسم الثاني: تصوير ما ليس له ظل مما فيه نفس من الحيوان والإنسان لكن ليس على هيئة جسم أو تمثال بل على هيئة ألوان أو رسم ونقش، والأدلة من السنة واضحة في ذمها وتحريمها.

قال النووي رحمه الله: «وقال بعض السلف إنما ينهى عما كان له ظل ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل. وهذا مذهب باطل فإن الستر الذي أنكر النبي ﷺ الصورة فيه لا يشك أحد أنه مذموم، وليس لصورته ظل مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة»[2].

قال الإمام ابن القيم لما ذكر الكبائر: «ومنها التصوير صورة الحيوان سواءً كان له ظل أو لم يكن»[3].

قال الحافظ ابن حجر: «ويؤيد التعميم فيما له ظل وما لا ظل له ما أخرجه

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٢٦. والقول المفيد ط١- ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) مسلم بشرح النووي ١٤/ ٨١.

(٣) إعلام الموقعين ٤/ ٤٠٣.

أحمد[١] من حديث علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسّره، ولا صورة إلا لطخها» أي: طمسها. الحديث وفيه: «ومن عاد إلى صنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»»[٢].

وفي رسالة من الشيخ عبدالرحمن السعدي إلى شيخنا عبدالله بن عبدالعزيز العقيل ذكر أن الخلاف في حكم الصورة التي لا ظل لها معروف بين أهل العلم، ثم قال: «والصواب: تعميم النهي لأن النصوص عامة»[٣].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: «ومن تأمل الأحاديث المتقدمة تبيّن لـه دلالتها على تعميم التحريم، وعدم الفرق بين ما لـه ظل وغيره كما تقدم توضيح ذلك»[٤].

وهذه المسألة قال عنها الشيخ ابن عثيمين: «اختلف السَّلف فيها، فمنهم من قال: إنها حَرام إن كانت الصُّورة مُجسَّمة؛ بأن يصنع تمثالاً على صورة إنسان أو حيوان، وجائزة إن كانت بالتلوين، أي: غير مجسَّمة.

ومنهم من قال وهم الجمهور - وهو الصَّحيح -: إنها محرَّمة سواء كانت مجسَّمة، أم ملوَّنة، فالذي يخطُّ بيده ويصنع صُورة كالذي يعملها ويصنعها بيده ولا فرق، بل هي من كبائر الذُّنوب؛ لحديث عليٍّ بن أبي طالب أنه قال لأبي الهيَّاج الأسدي: «ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ؛ أنْ لا تَدَعَ صُورةً إلا طَمَسْتَها» وظاهر هذا أنه في الملوَّن، وليس في المجسَّم، لأنه لو كان في المجسَّم لقال: إلا كسرتها أو نحو ذلك.

ومع الأسف؛ أصبح هذا في عصرنا الحاضر فنًّا يُدرَّس ويُقَرُّ ويُمدحُ عليه

(١) أخرجه الطيالسي ص١٦ رقم ٩٦، وأحمد ١/ ٨٧.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٣٨٤.
(٣) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة ص٨٦.
(٤) الجواب المفيد ص٢٣

الإنسانُ، فإذا صَوَّرَ الإنسانُ بقرةً أو بعيراً أو إنساناً، قالوا: ما أَحْذَقَهُ! وما أَقْدَرَه!، وما أشبه ذلك، ولا شَكَّ أن هذا رِضاً بشيءٍ من كبائر الذُّنوبِ»[(١)].

القسم الثالث التصوير بالآلة:

قال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالة ما نصه: «ومن أعظم المنكرات تصوير ذوات الأرواح واتخاذها واستعمالها، ولا فرق بين المجسدة وما في الأوراق مما أخذ بالآلة...»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد زعم بعض مجيزي التصوير الشمسي أنه نظير ظهور الوجه في المرآة ونحوها من الصقيلات، وهذا فاسد فإن ظهور الوجه في المرآة ونحوها شيء غير مستقر، وإنما يرىٰ بشرط بقاء المقابلة، فإذا فقدت المقابلة فقد ظهور الصورة في المرآة ونحوها، بخلاف الصورة الشمسية فإنها باقية في الأوراق ونحوها مستقرة، فإلحاقها بالصورة المنقوشة باليد أظهر وأوضح وأصح من إلحاقها بظهور الصورة في المرآة ونحوها، فإن الصورة الشمسية وبدو الصورة في الأجرام الصقيلة ونحوها يفترقان في أمرين:

أحدهما: الاستقرار والبقاء.

الثاني: حصول الصورة عن عمل ومعالجة.

فلا يطلق لا لغةً ولا عقلاً ولا شرعاً علىٰ مقابل المرآة ونحوها أنه صوّر ذلك، ومصور الصور الشمسية مصور لغةً وعقلاً وشرعاً، فالمسوي بينهما مسوٍ بين ما فرق الله بينه، والمانعون منه قد سووا بين ما سوىٰ الله بينه، وفرّقوا بين ما فرق الله بينه، فكانوا بالصواب أسعد، وعن فتح أبواب المعاصي والفتن أنفر وأبعد، فإن المجيزين لهذه الصور جمعوا بين مخالفة أحاديث رسول الله ﷺ ونفث سموم

---

(١) الشرح الممتع ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩. وانظر مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٢٦.

(٢) عن كتاب الإعلام ببيان أخطاء في كتاب الحلال والحرام للشيخ صالح الفوزان ص٤٣.

الفتنة بين العباد بتصوير النساء الحسان، والعاريات الفتان في عدة أشكال وألوان، وحالات يقشعر لها كل مؤمن صحيح الإيمان، ويطمئن إليها كل فاسق وشيطان»[(١)].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ولقد غلط غلطاً فاحشاً من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير النحتي، وبعبارة أخرىٰ بين التصوير الذي لـه ظل والذي لا ظل لـه، لأن الأحاديث الواردة في هذه المسألة تعم النوعين وتنظمها انتظاماً واحداً، ولأن المضار والمفاسد التي في التصوير النحتي وما لـه ظل مثل المفاسد والأضرار التي في التصوير الشمسي بل التصوير الشمسي أعظم ضرراً وأكثر فساداً من وجوه كثيرة، نسأل الله أن يمن علينا وعلىٰ المسلمين بالعافية من النوعين جميعاً وأن يصلح أحوال الأمة»[(٢)].

وقال الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: «تعليق الصور علىٰ الجدران، سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة، لها ظل، أو لا ظل لها، يدوية أو فوتوغرافية، فإن ذلك كله لا يجوز، ويجب علىٰ المستطيع نزعها إن لم يستطع تمزيقها»[(٣)].

وقال رحمه الله: «ولا فرق في التحريم بين التصوير اليدوي والتصوير الآلي والفوتوغرافي، بل التفريق بينهما جمود وظاهرية عصرية»[(٤)].

* وممن ذهب إلىٰ هذا جماعة من العلماء منهم الشيخ عبد الرزاق عفيفي

---

(١) فتاوىٰ الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٨٧).

(٢) انظر تقديمه لكتاب: إعلان النكير للشيخ حمود التويجري ص٣، ٤، وانظر للاستزادة الجواب المفيد ص ١٨، ١٩.

(٣) انظر: آداب الزفاف ص١٨٥.

(٤) آداب الزفاف ص ١٠٦، ١١٦ ط٢، المكتب الإسلامي. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص١٨.

والشيخ حمود التويجري والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد الرحمن بن عبدالله التويجري[(١)].

ومما قاله الشيخ صالح الفوزان في كتاب (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام): «التصوير بجميع أنواعه تماثيل أو غير تماثيل منقوشاً باليد أو فوتوغرافياً مأخوذاً بالآلة ـ كله حرام وأن كل من حاول إباحة شيء منه فمحاولة باطلة وحجته داحضة ـ والله المستعان»[(٢)].

أما كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في هذه المسألة فإنـه منع من إدخال ناقل الصورة بالآلة في اللعن ولكنه رتب الحكم على المقاصد فإذا قصد به شيئاً محرماً فهو حرام وإن قصد التمتع بالنظر إليها فهذا حرام عملاً بالقاعدة الفقهية «الأمور بمقاصدها»[(٣)].

وقد كثر الكلام حول فتوى الشيخ رحمه الله واضطربت فيها أفهام بعض الناس.

وقد وقفت على فتوى حررها بيده حول ذلك فقال: «من نسب إلينا أن المحرم من الصور هو المجسم وأن غير ذلك غير حرام فقد كذب علينا، ونحن نرى أنه لا يجوز لبس ما فيه صورة سواءً كان من لباس الصغار أو من لباس الكبار، وأنه لا يجوز اقتناء الصور للذكرى أو غيرها إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه مثل التابعية والرخصة»[(٤)].

القسم الرابع: تصوير ما لا ينتج عنه منظر ولا مشهد ثابت كما هو الحال في

---

(١) انظر: تحريم التصوير الفوتوغرافي، أحمد بن عبد الله آل عبدالكريم.

(٢) الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام ص٤٦.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٢٧، ١٠٢٨، القول المفيد ط١-٣/ ٢٠٤، ٢٠٥. والشرح الممتع ٢/ ٢٤١.

(٤) انظر: كتاب التنوير فيما ورد في حكم التصوير لمحمد الغفيلي ص ٨١.

أشرطة الفيديو، وهذا القسم قال عنه الشيخ ابن عثيمين ﵀: «هذا لا حُكم له إطلاقاً، ولا يدخلُ في التَّحريم مطلقاً، ولهذا أجازه أهل العلم الذين يمنعون التَّصوير بالآلة «الفتوغرافيَّة» على الورق، وقالوا: إن هذا لا بأس به، حتى حصل بحثٌ: هل يجوز أن تُصوَّر المحاضرات التي تُلقى في المساجد؟ فكان الرَّأي ترك ذلك؛ لأنه ربما يُشوِّش على المصلِّين، وربما يكون المنظرُ غيرَ لائقٍ، وما أشبه ذلك»[١].

القسم الخامس تصوير ما لا روح فيه:

قال الإمام البغوي: «وأما صورة الأشجار والنبات فلا بأس بها. قال ابن عباس ﵄ لرجل سأله عن الصور: «عليك بهذا الشجر: كل شيء ليس له فيه روح»»[٢].

وقال النووي : «وأما تصوير صورة الشجرة ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام»[٣].

وقال ﵀: «وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به سواء الشجر المثمر وغيره وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهد فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه قال القاضي: لم يقله أحد غير مجاهد واحتج بقوله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي». واحتج الجمهور بقوله ﷺ ويقال لهم: «أحيوا ما خلقتم» ـ أي ـ اجعلوه حيواناً ذا روح كما ضاهيتم. وعليه رواية: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي». ويؤيده حديث ابن عباس ﵄ المذكور في الكتاب: «إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له»»[٤].

(١) الشرح الممتع ٢/ ٢٤٠.
(٢) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٣٤.
(٣) شرح النووي ١٤/ ٨١.
(٤) شرح مسلم للنووي ١٤/ ٩١. وانظر تعليق الشيخ ابن عثيمين على هذه المسألة في كتابه.

٤ - حكم اقتناء الصور واستعمالها واتخاذها:

اقتناء الصور لغير ضرورة حرام وبعضه أشد حرمة من بعض لقوله ﷺ: «فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا صورة إلا لطخها»[(١)].

وفي الرواية الأخرىٰ «أن لاتدع صورة إلا طمستها»[(٢)].

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «صنع التماثيل والصور واقتناؤها من كبائر الذنوب للأحاديث الصحيحة التي توعد الله تعالىٰ، وتوعد رسوله ﷺ من فعل ذلك بالنار والعذاب الأليم»[(٣)].

وعند التفصيل نقول: إن حكم استعمال الصور واقتناؤها ينقسم إلىٰ أقسام:

القسم الأول: أن يقتنيها لتعظيم المصور، لكونه ذا سلطان أو جاه أو علم أو عبادة أو أبوة أو نحو ذلك، فهذا حرام بلا شك، ولا تدخل الملائكة بيتاً فيه هذه الصورة، لأن تعظيم ذوي السلطة باقتناء صورهم ثلم في جانب الربوبية وتعظيم ذوي العبادة باقتناء صورهم ثلم في جانب الألوهية[(٤)].

وقال ابن باز: «ولا فرق في هذا بين الصور المجسمة وغيرها من المنقوش في ستر أو قرطاس أو نحوها، ولا بين صور الآدميين وغيرها من كل ذي روح، ولا بين صور الملوك والعلماء وغيرهم بل التحريم في صور الملوك والعلماء ونحوهم من المعظَّمين أشد، لأن الفتنة بهم أعظم، ونصب صورهم في المجالس ونحوها وتعظيمها من أعظم وسائل الشرك وعبادة أرباب الصور من دون الله كما

(١) الفتح ١٠/ ٣٨٤.
(٢) أخرجه مسلم (٩٦٩).
(٣) الجواب المفيد ص ٤٨.
(٤) انظر: مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٨، وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢١٤.

وقع ذلك لقوم نوح»[(١)].

وقال ابن عثيمين: «أن يستعمله علىٰ سبيل التَّعظيم، فهذا حرام سواء كان مجسَّماً أم ملوَّناً، وسواء كان التَّعظيم تعظيم سلطان، أم تعظيم عبادة، أم تعظيم عِلْمٍ، أم تعظيم قَرابة، أم تعظيم صُحبة، أيًّا كان نوعُ التعظيم. وفي الحقيقة؛ إنه ليس فيه تعظيم، فمثلاً: إذا أراد أن يصوِّر أباه، فإن كان أبوه حيًّا فالتَّعظيم بإعطائه ما يلزمه من البِرِّ القولي والفعلي والمالي والجاهي وغير ذلك، وإن كان ميِّتاً فلا ينتفع بهذا التَّعظيم، بل فيها كسب الإثم وتجديد الأحزان، ولذلك يجب علىٰ مَنْ كان عنده صورة من هذا النوع أن يمزِّقها، أو يحرقها، ولا يجوز لـه إبقاؤها؛ لأن هذا فيه خطورتان:

الخطورة الأولىٰ: تجنّب الملائكة لدخول البيت.

والخطورة الثانية: أن الشيطان قد يدخل علىٰ الإنسان من هذا التعظيم، حتىٰ يستولي تعظيمهم علىٰ قلبه، ويسيطر عليه، ولا سيَّما فيما يَتَعَلَّق بالعِلْم والعبادة، فإن فتنة قوم نوح كانت في الصُّور، وهذا لا فرق فيه بين الملوَّن والمجسَّم، أي: سواء كان صورة علىٰ ورقة، أم علىٰ خِرقة، أم كانت صورة مجسَّمة»[(٢)].

القسم الثاني: اقتناء الصور للتمتع بالنظر إليها أو التلذذ بها، فهذا حرام أيضاً، لما فيه من الفتنة المؤدية إلىٰ سفاسف الأخلاق[(٣)].

القسم الثالث: أن يقتنيها للذكرىٰ حناناً أو تلطفاً كالذين يصورون صغار أولادهم لتذكرهم حال الكبر، فهذا أيضاً حرام للحوق الوعيد به في قوله ﷺ: «إن

(١) الجواب المفيد ص ٢٧.
(٢) الشرح الممتع ٢/ ٢٤٤، وانظر إعلان النكير للشيخ حمود التويجري ص٦٧.
(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٨ وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢١٥.

الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة»[١].

قال الخطابي: «والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه ما يحرم اقتناؤه وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن»[٢].

وقال الحافظ ابن رجب: «وتصوير الصور للتأسي برؤيتها أو للتنزه بذلك والتلهي محرم وهو من الكبائر»[٣].

القسم الرابع: قال ابن باز: «إذا كانت الصورة في بساط يمتهن أو وسادة يرتفق بها فلا حرج في ذلك؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان على موعد من جبرائيل فلما جاء جبرائيل امتنع عن دخول البيت فسأله النبي ﷺ فقال: «إن في البيت تمثالاً وستراً فيه تصاوير وكلباً، فمر برأس التمثال أن يقطع، وبالستر أن يتخذ منه وسادتان منتذتان توطآن، ومر بالكلب أن يخرج». ففعل ذلك النبي ﷺ فدخل جبرائيل عليه السلام ... وقصة جبرائيل هذه تدل أن الصورة في البسط ونحوه لا تمنع من دخول الملائكة، ومثل ذلك ما ثبت في الصحيـح عن عائشة رضي الله عنها.

أنها اتخذت من الستر المذكور وسادة يرتفق بها النبي ﷺ»[٤].

قال الشيخ ابن عثيمين: «أن يتَّخذه على سبيل الإهانة مثل: أن يجعله فراشاً، أو مِخَدَّة، أو وسادة، أو ما أشبه ذلك، فهذا فيه خلاف بين أهل العلم:

فأكثر أهل العلم على الجواز، وأنه لا بأس به؛ لأن الرسول ﷺ اتَّخذ وسادة فيها صورة، ولأن هذا ضِدُّ السبب الذي من أجله حُرِّم استعمال الصُّور؛ لأن هذا إهانة.

وذهب بعضُ أهل العلم إلى التَّحريم، واستدلَّ هؤلاء بأن النبي ﷺ جاء إلى بيته

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٨ وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢١٥.

(٢) الجواب المفيد ص ٢٠.

(٣) الكواكب الدراري ٦٥ / ٨٢/ ٢. نقلاً عن تحذير الساجد للشيخ للألباني ص١٨.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز ص٨٢٥.

ذات يوم فرأىٰ «نُمْرُقَةً» - أي: مِخَدَّة - فيها صُوَر؛ فوقف ولم يدخل، قالت عائشة: فعرفتُ الكراهيةَ في وجهه، فقلت: أتوب إلىٰ الله ورسوله ممَّا صنعتُ؟ فقال: «إنَّ أهل هذه الصُّور يُعذَّبون؛ يُقال لهم: أحْيُوا ما خلقتم». قالوا: فنكرهُهَا؛ لأن الرسول ﷺ كرهها وقال: «إنَّ أهل هذه الصُّور يعذَّبُون»، وقال: «إنَّ الملائكةَ لا تدخل بيتاً فيه صُورة» ويُحمل ما ذُكر عنه أنه اتَّكأ علىٰ مِخَدَّة فيها صورة بأن هذه الصورة قُطِعَ رأسُها، وإذا قُطِعَ رأس الصُّورة فهي جائزة.

ولا شكَّ أن تجنُّبَ هذا أورع وأحوط، فلا تستعمل الصُّور، ولو علىٰ سبيل الامتهان كالفراش والمخدَّة، والسَّلامة أسلم، وشيء كَرِه الرسول ﷺ أن يدخل البيت من أجله، فلا ينبغي لك أن ينشرح صدرُك به، فمن يستطيع أن ينشرح صدرُه في مكان كَرِهَ النبي ﷺ دخوله. لهذا فالقول بالمنع إن لم يكن هو الصَّواب فإنه هو الاحتياط»[(١)].

وهل يلحق بالمهانة لباس ما فيه صورة لأن في ذلك امتهاناً للصورة ولا سيما إن كانت الملابس داخلية؟

يقول الشيخ ابن عثيمين: «لا يلحق بذلك، بل لباس ما فيه الصور محرم علىٰ الصغار والكبار، ولا يلحق بالمفروش ونحوه، لظهور الفرق بينهما، وقد صرح الفقهاء رحمهم الله بتحريم لباس ما فيه صورة، سواء كان قميصاً أو سراويل أم عمامة أم غيرها»[(٢)].

القسم الخامس: أن تؤخذ لا علىٰ سبيل التعظيم ولا الامتهان، قال ابن عثيمين: «ألا يكون في استعمالها تعظيم ولا امتهان، فذهب جمهور أهل العلم إلىٰ تحريم استعمال الصُّور علىٰ هذا الوجه، ونُقل عن بعض السَّلف الإباحة إذا كان ملوَّناً،

(١) الشرح الممتع ٢/ ٢٤٥،٢٤٤.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٩ وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢١٥.

حتىٰ إن بعض السَّلف كان عندهم في بيوتهم السَّتائر يكون فيها صُور الحيوان، ولا يُنكرون ذلك، ولكن لا شَكَّ أن هؤلاء الذين فعلوه من السَّلف كالقاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا شكَّ أنه يُعتَذر عنهم بأنهم تأوَّلوا، ولا يحتجُّ بفعلهم؛ لأن الحُجَّة قولُ الله ورسوله، أو لم يبلغهم الخبر، أو ما أشبه ذلك من الأعذار»[(١)].

قال النووي: «أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً علىٰ حائط أو ثوباً ملبوساً أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يعد ممتهناً فهو حرام، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن، فليس بحرام ولكن هل يمنع دخول ملائكة الرحمة ذلك البيت فيه كلام نذكره قريباً ـ إن شاء الله ـ ولا فرق في هذا كله بين ما لـه ظل وما لا ظل له.

هذا تلخيص مذهبنا في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وهو مذهب الثوري، ومالك، وأبي حنيفة وغيرهم»[(٢)].

أما ما جاء في حديث زيد بن خالد وفيه: «ثم اشتكىٰ زيد فعدناه فإذا علىٰ بابه ستر فيه صورة» وفيه تعليل ذلك باستثناء الرسول ﷺ: «**إلا رقماً في ثوب**» فظاهره يدل علىٰ أن زيداً يرىٰ جواز تعليق الستور التي فيها الصور، وبسببه جوز بعض العلماء ما كان رقماً في ثوب سواء امتهن أم لا، وسواء علق في حائط أو لا كما هو معروف من مذهب القاسم بن محمد[(٣)]. والجمهور علىٰ أن الصور يراد بها صورة الشجر ومالا روح فيه ذكر ذلك النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «قوله «**إلا رقماً في ثوب**» هذا يحتج به من يقول بإباحة ما كان رقماً مطلقاً كما سبق وجواب الجمهور عنه أنه محمول علىٰ رقم علىٰ صورة الشجر وغيره مما ليس بحيوان وقد قدمنا أن هذا

(١) الشرح الممتع ٢/ ٢٤٦.
(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٤/ ٨١.
(٣) النووي ١٤/ ٨٢.

جائز عندنا»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «أما تعلق من خالف في ذلك بحديث «إلا رقماً في ثوب» فهو شذوذ عن ما كان عليه السلف والأئمة، وتقديم للمتشابه على المحكم، إذ أنه يحتمل أن المراد باستثناء الرقم في الثوب ما كانت الصورة فيه من غير ذوات الأرواح كصورة الشجر ونحوه، كما ذكره الإمام أبوزكريا النووي وغيره. واللفظ إذا كان محتملاً فلا يتعين حمله على المعنى المشكل، بل ينبغي أن يحمل عليما يوافق الأحاديث الظاهرة في المنع التي لا تحتمل التأويل»[(٢)].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله مجيباً على هذه المسألة: «أن أحاديث عائشة المتقدمة وما جاء في معناها دالة على تحريم تعليق الستور التي فيها الصور، وعلى وجوب هتكها، وعلى أنها تمنع دخول الملائكة، ولعل زيداً رضي الله عنه لم يعلم الصورة التي في الستر المذكور أو علمها لكن استجازه لأنه لم تبلغه الأحاديث الدالة على تحريم تعليق الستور التي فيها الصور، فأخذ بظاهر قول النبي ﷺ: «إلا رقماً في ثوب» فيكون معذوراً لعدم علمه بها. وأما من علم الأحاديث الصحيحة الدالة على تحريم نصب الستور التي فيها الصور فلا عذر لـه في مخالفتها»[(٣)].

وكذلك من حمل قوله: «إلا رقماً في ثوب» على جواز تعليق الصور وجواز اتخاذها مع عدم التفريق بين الضرورة وغير الضرورة فقد أخطأ وجانب الصواب لا سيما إذا نظرنا للأحاديث الأخرى: «لا تدع صورة إلا طمستها»، ولم يدخل النبي ﷺ الكعبة حتى محيت كل صورة فيها وكذلك غضبه عليه السلام حين ذكرت له الصور الموجودة في الكنائس في أرض الحبشة فقال: «أولئكِ شرار الخلق عند الله

(١) النووي ١٤/ ٨٥.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٨٥، ١٨٦.

(٣) الجواب المفيد ص ٢٥.

يوم القيامة»[١].

القسم السادس ما دعت الضرورة إلىٰ استبقائه. قال العلامة ابن باز رحمه الله: «لا يجوز الاحتفاظ بالصور ولو غير معلقة علىٰ الجدران أو غيرها، إلا في تابعية أو جواز سفر أو نقود أو نحو ذلك مما تدعو الحاجة إليه»[٢].

قال ابن عثيمين: «كالصور التي تكون في بطاقة إثبات الشخصية والشهادات والدراهم فلا إثم فيه لعدم إمكان التحرز منه، وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]»[٣].

القسم السابع: ما عمت به البلوىٰ الآن وقد عرفها الشيخ ابن عثيمين بقولـه: «أن يقتني الصور لا لرغبة فيها إطلاقاً، ولكنها تأتي تبعاً لغيرها كالتي تكون في المجلات والصحف ولا يقصدها المقتني، وإنما يقصد ما في هذه المجلات والصحف من الأخبار والبحوث العلمية ونحو ذلك، فالظاهر أن هذا لا بأس به؛ لأن الصور فيها غير مقصودة، لكن إن أمكن طمسها بلا حرج ولا مشقة فهو أولىٰ»[٤].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «ولكن الأشياء الضرورية التي دخلت علىٰ الناس، وعمَّت بها البلوىٰ كالصور التي في النقود والكبريت ونحوها، وكذلك الجوازات؛ فالذي يظهر لي ان هذا من باب الاضطرار، وأحوال الضرورات وعموم البلوىٰ يُرجىٰ فيه عفو الله، ويَسهُل الأمر فيه»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجلة الدعوة عدد ٨٤٩ في ١٥/ ٨/ ١٤٠٢ هـ. وانظر: فتوىٰ أخرىٰ في عدد ٨٤٧، الجواب المفيد ص ٤٣، ٤٦.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٩ وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢١٦.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٩ وانظر القول المفيد ط١- ٣ / ٢١٥، وانظر الشرح الممتع ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٥) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة ص٨٦.

وقال ابن باز: «المجلات والجرائد التي بها أخبار مهمة ومسائل علمية نافعة وبها صور لذوات الأرواح يجوز شراؤها، والانتفاع بها من علم مفيد، وأخبار مهمة لأن المقصود منها ما فيها من العلم والأخبار، والصور تابعة، والحكم يتبع الأصل المقصود إليه دون التابع، ويجوز وضعها في المصلىٰ مع إخفاء ما فيها من الصور بأي شكل لينتفع بما فيها من مقالات، أو طمس رؤوس الصور بما يذهب بمعالمها»[(١)].

٥ - اللُّعب المصورة للبنات وتنقسم إلى قسمين:

الأول: ما يوضع علىٰ هيئة لعبة ليس فيها أثر للصورة والتجسيم فهذا لا بأس فيه.

الثاني: ما وضع علىٰ صورة شيء من ذوات الأرواح.

قال النووي: «قوله: عن عائشة ﵂ قالت: كانت لنا تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبلته فقال لي رسول الله ﷺ: **«حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا»** هذا محمول علىٰ أنه كان قبل تحريم اتخاذ ما فيه صورة فلهذا كان رسول الله ﷺ يدخل ويراه ولا ينكره قبل هذه المرة الأخيرة»[(٢)].

وحديث عائشة ﵂ قالت: قَدِمَ رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبَّت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَبٍ، فقال: «ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأىٰ بينهنَّ فرساً لـه جناحان من رقاعٍ، فقال: ما هذا الذي أرىٰ وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس لـه جناحان! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه»[(٣)].

---

(١) الجواب المفيد ص ٤١.

(٢) النووي ١٤/ ٨٧.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٣٢)، والنسائي في الكبرىٰ (٨٩٥٠).

قال النووي رحمه الله: «وأجمعوا على منع ما كان له ظل ووجوب تغييره قال القاضي إلا ما ورد في اللعب بالبنات لصغار البنات والرخصة في ذلك لكن كره مالك شراء الرجل ذلك لابنته، وادعى بعضهم أن إباحة اللعب لهن بالبنات منسوخ بهذه الأحاديث ـ والله أعلم ـ»[١].

قال ابن باز: «وأما اللُّعب المصورة على صورة شيء من ذوات الأرواح فقد اختلف العلماء في جواز اتخاذها للبنات وعدمه.

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة، قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيُسَرِّبُهُن إليَّ يلعبن معي»[٢].

قال الحافظ في الفتح: استدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض، ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع لعب البنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن. قال: وذهب بعضهم إلى أنه منسوخ، وإليه مال ابن بطال، وحكى عن أبي زيد عن مالك: أنه كره أن يشتري الرجل لبنته الصور، ومن ثم رجح الداودي أنه منسوخ.

وقد ترجم ابن حبان: «الإباحة لصغار النساء اللعب باللُّعب»[٣] وترجم له النسائي: «إباحة الرجل لزوجته اللعب بالبنات». فلم يقيد بالصغر وفيه نظر.

قال البيهقي: ثبت النهي عن اتخاذ الصور، فيحمل على أن الرخصة لعائشة في ذلك كانت قبل التحريم، وبه جزم ابن الجوزي ـ إلى أن قال ـ وأخرج أبو داود

(١) النووي ١٤/ ٨٢.
(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٠) ومسلم (٢٤٤٠).
(٣) انظر: صحيح ابن حبان ٧/ ٥٤٣.

والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ـ فذكر الحديث في هتكه الستر الذي نصبته على بابها ـ قالت: فكشف ناحية الستر على بنات لعب لعائشة، فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي. قالت: ورأى فيها فرساً مربوطاً له جناحان، فقال: «ما هذا؟». قلت: فرس له جناحان. قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة؟ فضحك ـ إلى أن قال ـ قال الخطابي في هذا الحديث: أن اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد، وإنما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغة.

قلت[١]: وفي الجزم به نظر، لكنه محتمل لأن عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة، إما أكملتها أو جاوزتها أو قاربتها. وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعاً، فيترجح رواية من قال: خيبر وجمع بما قال الخطابي، لأن ذلك أولى من التعارض[٢].

إذا عرفت[٣] ما ذكره «الحافظ» فالأحوط ترك اتخاذ اللعب المصورة لأن في حلها شك لاحتمال أن يكون إقرار النبي ﷺ لعائشة على اتخاذ اللعب المصورة قبل الأمر بطمس الصور فيكون ذلك منسوخاً بالأحاديث التي فيها الأمر بمحو الصور وطمسها إلا ما قطع رأسه، أو كان ممتهناً كما ذهب إليه البيهقي وابن الجوزي، ومال إليه ابن بطال.

ويحتمل أنها مخصوصة من النهي كما قاله الجمهور لمصلحة التمرين، ولأن في لعب البنات بها نوع امتهان، ومع الاحتمال المذكور والشك في حلها الأحوط تركها، وتمرين البنات بلعب غير مصورة حسماً لمادة بقاء الصور المجسدة،

(١) القائل هو الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ.
(٢) انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٢٧.
(٣) لازال النقل موصولاً من الجواب المفيد للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

وعملاً بقولـه ﷺ: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك»[(١)][(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «الصُّور التي يلعب بها الأطفال، وهذه تنقسم إلىٰ قسمين:

الأول: قسم من الخِرَق والعِهْن وما أشبه ذلك، فهذه لا بأس بها؛ لأنَّ عائشة كانت تلعبُ بالبنات علىٰ عَهْد النبي ﷺ ولم يُنكر عليها[(٣)].

الثاني: قسم من «البلاستيك» وتكون علىٰ صورة الإنسان الطبيعي إلا أنها صغيرة، وقد يكون لها حركة، وقد يكون لها صوت، فقد يقول القائل: إنها حرام؛ لأنها دقيقة التَّصوير، وعلىٰ صورة الإنسان تماماً، أي: ليست صورة إجماليَّة ولكن صورة تفصيليَّة، ولها أعين تتحرَّك، وقد نقول: إنها مباحة؛ لأن عائشة كانت تلعب بالبنات، ولم يُنكر عليها النبي ﷺ.

ولكن قد يقول القائل: إن الصُّور التي عند عائشة ليست كهذه الصُّور الموجودة الآن، فبينهما فرقٌ عظيم، فمن نظر إلىٰ عموم الرُّخصة وأنَّه قد يُرخَّص للصِّغار ما لا يُرخَّص للكبار، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في باب السَّبْق، لما ذكر بعض آلات اللهو قال: «إنه يُرخَّصُ للصِّغار ما لا يُرخَّصُ للكبار»[(٤)]، لأن طبيعة الصِّغار اللهو، ولهذا تجد هذه الصُّور عند البنات الصِّغار كالبنات حقيقة، كأنها ولدتها، وربما تكون وسيلة لها لتربِّي أولادها في المستقبل، وتجدها تُسمِّيها أيضاً هذه فلانة وهذه فلانة، فقد يقول قائل: إنه يُرَخَّصُ لها فيها. فأنا أتوقَّفُ في تحريمها، لكن يمكن التخلُّص من الشُّبهة بأن يُطمس وجهها»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٨) والنسائي (٥٧١٤)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٣/ ١٦٩ رقم ١٧٢٣ إسناده صحيح

(٢) الجواب المفيد ص٣٣.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٠)، ومسلم (٢٤٤٠).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٣٠/ ٢١٦)، الاختيارات ص ١٦٠.

(٥) الشرح الممتع ٢ / ٢٤٨، ٢٤٩.

والذي يظهر مما سبق إباحة اللعب للبنات ولكن كما قرره المنذري والحليمي من عدم وجود تفاصيل الصورة. قال الحليمي: «إن كانت صورة كالوثن لم يجز وإلا جاز»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «ومن زعم أن لعب عائشة صور حقيقية لذوات الأرواح فعليه إقامة الدليل، ولن يجد إلى ذلك سبيلاً فإنها ليست منقوشة ولا منحوتة ولا مطبوعة من المعادن المنطبعة ولا نحو ذلك، بل الظاهر أنها من عهن أو قطن أو خرق أو قصبة أو عظم مربوط في عرضه عوداً معترضاً بشكل يشبه الموجود في اللعب في أيدي البنات الآن في البلدان العربية البعيدة عن التمدن والحضارة مما لا تشبه الصورة المحرمة إلا بنسبة بعيدة جداً»[(٢)].

وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: «وأما تسمية اللعب بنات كما في حديث عائشة رضي الله عنها فلا يلزم منه أنها كانت صوراً حقيقية كما قد يظن ذلك من قصُر فهمه بل الظاهر والله أعلم أنها كانت على نحو لعب بنات العرب في زماننا فإنهن يأخذن عوداً أو قصبةً أو خرقةً ملفوفةً أو نحو ذلك فيضعن قريباً من أعلاه عوداً معترضاً ثم يلبسنه ثياباً ويضعن على أعلاه خمار المرأة وربما جعلنه على هيئة الصبي في المهد ثم يلعبن بهذه اللعب ويسمينهن بنات لهن على وفق ما هو مروي عن عائشة وصواحباتها ـ رضي الله عنهن ـ.

وقد رأينا البنات يتوارثن اللعب بهذه اللعب اللاتي وصفنا زمانا بعد زمان ولا يبعد أن يكون هذا التوارث قديماً ومستمراً في بنات العرب من زمن الجاهلية إلى زماننا هذه ـ والله أعلم ـ»[(٣)].

(١) فتح الباري ١٠/ ٥٢٧.
(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٨٢).
(٣) إعلان النكير ص ٩٩.

وقال رحمه الله: «فأما اللعب اللاتي على ما وصفنا فلا بأس بعملهن واتخاذهن واللعب بهن لأنهن لسن بصور حقيقية. وأما اللعب اللاتي على صور البنات وأنواع الحيوانات فصناعتهن حرام وبيعهن حرام وشراؤهن واتخاذهن حرام والتلهي بهن حرام وإتلافهن واجب على من قدر على ذلك لأنهن من الأصنام وقد أمر رسول الله ﷺ بطمس الأصنام كما تقدم في حديث علي رضي الله عنه. والقول في الفرس الذي كان مع لعب عائشة رضي الله عنها كالقول في لعبها سواء. ومن ادعى أنها كانت صورة حقيقية لها رأس ووجه فعليه إقامة الدليل على ذلك ولن يجد إليه سبيلاً»[(١)].

حكم المحنّط وهذا ليس تصويراً بل يلحق بالتصوير لأنه وسيلة وسبب للتساهل في أمر التصوير ولذلك حذر العلماء من اقتنائه وقد سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز يذكر ثلاثة أسباب لتحريم اقتناء المحنّط منها أن شراءَه إسراف وتبذير ومنها أنه سبب مفضٍ إلى التساهل في أمر التصوير الذي جاء الوعيد والنكير في حقه.

٦ - الصورة الرأس:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «التصوير النصفي لا إشكال عندي في أنه محرم، وإن كان ذهب نزر قليل إلى القول بعدم التحريم، وربما يكون أخف من الكامل لأجل هذا القول، وأما أنا فلا إشكال عندي فيه؛ لأن الوجه هو المقصود»[(٢)].

وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: «والأصل في هذا قول جبريل للنبي ﷺ مر بالرأس فليقطع فيصير كهيئة الشجرة.

فدل على أن المحذور كله في تصوير الرأس.

---

(١) إعلان النكير على المفتونين بالتصوير ص ١٠٠.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٩٠.

ودلّ علىٰ أن قطع غيره لا يقوم مقامه ولا يكفي في التغيير ولو كان المقطوع مما لا تبقىٰ الحياة بعد ذهابه كصدره أو بطنه.

وعلىٰ هذا فتحريم التصوير والاتخاذ متعلق بوجود الرأس.

وكذلك وجوب الطمس متعلق بوجود الرأس - والله أعلم -

وأما قياس قطع الصدر أو البطن علىٰ قطع الرأس فهو قياس مع وجود الفارق لأنها وإن شاركاه في ذهاب الحياة بذهابهما فقد اختص هو دونهما ودون سائر الأعضاء بشيئين.

أحدهما: أنه إذا قطع صار باقي الجسم كهيئة الشجرة وخرج عن شكل ذوات الأرواح.

الثاني: أنه مشتمل علىٰ الوجه الذي هو أشرف الأعضاء، ومجمع المحاسن، وأعظم فارق بين الحيوان وبين غيره من النباتات والجمادات، وبطمسه تذهب بهجة الصورة ورونقها، وتعود إلىٰ مشابهة النباتات والجمادات؛ ولهذا قال جبريل للنبي ﷺ: مر برأس التمثال فليقطع فيصير كهيئة الشجرة.

وبهذا يعرف أن غير الرأس لا يساويه وإن من قاس شيئاً من الأعضاء علىٰ الرأس فقياسه غير صحيح فلا يعتد به - والله أعلم -»[(١)].

وعلّق الشيخ الألباني رحمه الله علىٰ قول جبريل عليه السلام: «فمر برأس التمثال الذي في البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة» فقال: رحمه الله: «هذا نص صريح في أن التغيير الذي يحل به استعمال الصورة إنما هو الذي يأتي علىٰ معالم الصورة فيغيرها بحيث أنه يجعلها في هيئة أخرىٰ وقد عبر بعض الفقهاء عن هذا التغيير بقوله: «إذا كانت بحيث لا تعيش جاز استعمالها»، وهذا تعبير قاصر كما لا يخفىٰ ولهذا كان عمدة

(١) إعلان النكير ص ٧٣، ٧٤.

لبعض المحتالين على النصوص، الذين يحاولون الخلاص منها بتأويلها أو بتحكيم آراء الرجال فيها وأصدق مثال على ذلك مقال طويل لبعضهم كنت قرأته منذ سنين في «مجلة نور الإسلام» التي سميت فيما بعد «مجلة الأزهر» خلاصته أنه يجوز للمسلم الفنان! أن ينحت صنماً كاملاً على أن يحفر حفرة في الرأس تصل إلى الدماغ بحيث أنه لا يعيش لو كان حياً، ثم تفنن حضرة الشيخ فذكر أنه لكي لا يظهر عيب الصنم من الناحية الفنية للناظرين فإنه بإمكان الفنان أن يضع الشعر المستعار على الرأس المحفور وبذلك تنستر الفجوة ويبدو تمثالاً كاملاً لا عيب فيه يرضي الفنانين! وفي الوقت نفسه يكون قد أرضى الشارع بزعمه! فهل رأيت أيها المسلم تلاعباً بالشريعة ونصوصها ما يشابه هذا التحريف المنشور في مجلة محترمة! تا الله إن هذا لأشبه شيء بعمل من ضربت عليهم الذلة والمسكنة الذين قال الله فيهم: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف:١٦٣]. وقال فيهم رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم شحومها جملوه ـ أي ذوبوه ـ ثم باعوه وأكلوا ثمنه»[1]، ولهذا حذرنا ﷺ من اتباع سننهم فقال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» رواه ابن بطة: «جزء إبطال الحيل» ص٢٤ بسند جيد كما قال ابن تيمية وابن كثير، ولكن ذلك كله ما أغنى شيئاً بعض هؤلاء المتشبهين بهم، لهوى في نفوسهم»[2].

وقال الشيخ ابن باز: «ويستدل بالحديث المذكور أيضاً على أن قطع غير الرأس

(١) متفق عليه، البخاري (٤٦٣٣)، ومسلم (١٥٨١).

(٢) آداب الزفاف ص١٠٣، ١٠٤.

من الصورة كقطع نصفها الأسفل ونحوه لا يكفي ولا يبيح استعمالها، ولا يزول به المانع من دخول الملائكة، لأن النبي ﷺ أمر بهتك الصور ومحوها، وأخبر أنها تمنع من دخول الملائكة إلا ما امتهن منها، أو قطع رأسه، فمن ادعى مسوغاً لبقاء الصورة في البيت غير هذين الأمرين فعليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ولأن النبي ﷺ أخبر أن الصورة إذا قطع رأسها كان باقيها كهيئة الشجرة. وذلك يدل على أن المسوغ لبقائها: خروجها عن شكل ذوات الأرواح ومشابهتها للجمادات. والصورة إذا قطع أسفلها وبقي رأسها لم تكن بهذه المثابة لبقاء الوجه وفيه من بديع الخلقة والتصوير ما ليس في بقية البدن، فلا يجوز قياس غيره عليه عند من عقل عن الله ورسوله مراده.

وبذلك يتبيّن لطالب الحق أن تصوير الرأس وما يليه من الحيوان داخل في التحريم والمنع لأن الأحاديث الصحيحة المتقدمة تعمه، وليس لأحد أن يستثني من عمومها إلا ما استثناه الشارع»[(١)].

٧ - سبب امتناع الملائكة دخول بيت فيه صورة:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالىٰ وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالىٰ وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمىٰ شيطاناً كما جاء به الحديث والملائكة ضد الشياطين ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها

(١) الجواب المفيد ص ٢٦، ٢٧.

أذىٰ الشيطان وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون باحصاء أعمالهم وكتابتها قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزراعة والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه وأشار القاضي إلىٰ نحو ما قاله الخطابي والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث ولأن الجرو الذي كان في بيت النبي ﷺ تحت السرير كان لـه فيه عذر ظاهر فإنه لم يعلم به ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت وعلل بالجرو فلو كان العذر في وجود الصورة والكلب لا يمنعهم لم يمتنع جبريل ـ والله أعلم ـ»[(١)].

فأما القرطبي فقال في المفهم: «إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة لأن متخذها قد تشبه بالكفار لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجراً له لذلك»[(٢)].

٧٩ـ التطير

انظر باب (الطيرة).

(١) المجموع ١٤/ ٨٤.

(٢) انظر: إعلان النكير ص ٤٠، ٤١.

٨٠ـ تعظيم الله*

الإطراء ـ الغلو ـ حماية التوحيد ـ السجود – الذبح للسلطان

التعظيم من حيث هو عبادة حق الله وحده فلا يجوز أن يعظم مخلوقا كتعظيم الله أو يعطى من التعظيم ما لا يستحقه إلا الله ﷻ وكل طريق يفضي إلىٰ ذلك فحرام وقد جاءت الشريعة بالنهي عن كل ما يفضي إلىٰ الغلو في المخلوق سواء أكان نبياً من الأنبياء أو مَلَكاً من الملائكة أو قبراً أو غيره.

والقرآن والسنة دالتان ومبينتان لعظمة الله وكماله وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسول الله ﷺ، وعلىٰ كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له، دون كل ما سواه. وهذا باب عظيم واسع وسوف نختصر جهدنا والله المستعان.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال العماد بن كثير رحمه الله: «يقول تعالىٰ: ما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر علىٰ كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته»[(١)].

* التمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٢٨ ـ ١٩٥. تيسير العزيز الحميد ٦٦٦،٧٥٣. فتح المجيد ٥٤٢،٦١٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٤٦، ٣٩٦. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١١١١، وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢٨٥ ط٢- ٣/ ٣٦٠. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٥٣. فتاوىٰ الجنة الدائمة ١/ ١٤٥.

(١) تفسير ابن كثير للآية رقم (٦٧) من سورة الزمر.

* **الدليل من السنة:** عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧][(١)].

وفي رواية لمسلم: «وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ»[(٢)].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ[(٣)] ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[(٤)].

وروي عن ابن عباس قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٦).

(٣) قال البيهقي: «ذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكر فيه الشمال» الأسماء والصفات ٢/ ٥٥.

قلت: وفي الأحاديث الأخرى يذكر في مقابلها (بيده الأخرى) فالأخرى يعني اليد الثانية ولم يأت لها وصف في هذا الحديث هل هي يمين أو شمال. وجاء في أحاديث أخر أن (كلتا يديه يمين).

قال ابن عثيمين: «وعلى كلٍّ فإن يديه ـ سبحانه ـ اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، إذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنى، بل كلتا يديه يمين» [القول المفيد ٣/ ٢٩٧].

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٨٨).

الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»[١].

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس».

قال: وقال أبو ذر ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»[٢].

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء. والله فوق العرش؛ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»[٣].

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة. وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»[٤].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ٢٥) واحتج به شيخ الإسلام، انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٣٩.

(٢) تفسير ابن جرير ٣/ ١٢ قال القرطبي: أخرجه الآجري وأبوحاتم البستي في صحيح مسنده. والبيهقي وذكر أنه صحيح.

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي ص١٠٥، وفي الرد على الجهمية ص٢١، وابن خزيمة في التوحيد ص١٠٥، ١٠٦، والطبراني في المعجم ٩/ ٢٢٨ رقم (٨٩٨٧)، وأبوالشيخ في العظمة (٢٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٦: رجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٧٠)، وأبوداود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٤) رقم (١٤٤).

قال في التيسير بعد أن ذكر هذه الأحاديث: «وهذه الأحاديث وما في معناها تدل علىٰ عظمة الله، وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته، وقد تعرف ﷻ إلىٰ عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته، وكلها تدل علىٰ كماله، وأنه هو المعبود وحده، لا شريك لـه في ربوبيته وإلهيته، وتدل علىٰ إثبات الصفات له علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفىٰ أثرهم علىٰ الإسلام والإيمان»[(١)].

وأنواع تعظيم غير الله والأسباب المفضية إليه كثيرة فإن التعظيم قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل.

أما التعظيم بالقول فمن مظاهره:

١ ـ المساواة بالله بالواو العاطفة في المشيئة. فقد قال قائل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت فقال: أجعلتني والله عدلاً بل ما شاء الله وحده»[(٢)]. وقال ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد»[(٣)].

٢ ـ الإطراء فقد قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله»[(٤)].

وفي حديث جويرية رضي الله عنها لما قالت: وفينا نبيٌّ يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: «دعي هذه وقولي بالذي كنتِ تقولين»[(٥)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٧٥٩.
(٢) أخرجه أحمد (١٨٣٩) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٨٢٥).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٢٠٩٧٠)، والدارمي (٢٧٤١) واللفظ له من حديث الطفيل بن سخبره.
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).
(٥) أخرجه البخاري (٥١٤٧).

٣ـ قال ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي»[(١)] وقس على ذلك.

❖ أما التعظيم بالفعل فمن مظاهره:

١ـ لما خرج الرسول ﷺ متوكئاً على عصا قام الناس إليه فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً»[(٢)].

٢ـ السجود لغير الله فقد ثبت أن معاذ بن جبل لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ. قال: «ما هذا يا معاذ؟» قال: أتيتُ الشامَ فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددتُ في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»»[(٣)].

٣ـ فعل هيئة لا تصلح إلا لله كالركوع والانحناء وحلق الرأس للشيخ، وقد عدَّ ابنُ القيمِ من أنواع الشرك السجودُ لغير الله والركوعُ والانحناءُ، ثم قال: «ومن أنواعه: حلق الرأس للشيخ. فإنه تعبد لغير الله، ولا يتعبد بحلق الرأس إلا في النسك لله خاصة»[(٤)].

٤ ـ الذبح للسلطان. (انظر باب الذبح).

وكل تعظيم لغير الله إذا كان على وجه العبادة فهو شرك كالحلف والنذر والذبح والطواف بالقبر والعكوف عنده فإن التعظيم حق الله ﷻ كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٣٠)، وأحمد (٢٢٥٣٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣).

(٤) مدارج السالكين ١/ ٣٧٤.

حكم الإحداد على الزعماء والوجهاء:

ورد سؤال على اللجنة الدائمة هذا نصه:

* **السؤال:** يذكر لنا أنه حصل في خبر الإذاعات أن هيئة الأمم المتحدة لما علمت بخبر موت رئيس دولة عضو في هيئة الأمم ظلّوا واقفين ساعة كاملة حزنا على المقتول، وفوق هذا أن جميع الدول الإسلامية سكَّرت أسواقها ونكست أعلامها مدة ثلاثة أيام. أما الدول المعنية فمدتها أربعون يوماً، وهذا مما يجب محاولة إزالته إذا كان الحديث ورد بالنهي عن النياحة على هذا الميت، فهذا مما هو شرّ منه، وهذا ليس حزناً وإنما تعظيم. وإن كان حزناً فليس بمشروع، وأنتم أعلم منا بذلك، كذلك هذه سنة اليهود؟

* **الجواب:** «ما يفعله بعض الناس من الوقوف زمناً مع الصمت تحية للشهداء أو الوجهاء، أو تشريفاً أو تكريماً لأرواحهم من المنكرات والبدع المحدثة التي لم تكن في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أصحابه ولا السلف الصالح، ولا تتفق مع آداب التوحيد ولا إخلاص التعظيم لله، بل اتبع فيها بعض جهلة المسلمين بدينهم من ابتدعها من الكفار وقلدوهم في عاداتهم القبيحة وغلوّهم في رؤسائهم ووجهائهم أحياء وأمواتا، وقد نهى النبي ﷺ عن مشابهتهم. والذي عُرف في الإسلام من حقوق أهله الدعاء لأموات المسلمين، والصدقة عنهم، وذكر محاسنهم والكفّ عن مساويهم ... إلى كثير من الآداب التي بينها الإسلام وحث المسلم على مراعاتها مع إخوانه أحياءً وأمواتاً، وليس منها الوقوف حداداً مع الصمت تحية للشهداء والوجهاء، بل هذا مما تأباه أصول الإسلام»(١).

وقد صدرت فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في حكم الإحداد على

(١) مستفاد من كتاب فتاوى إسلامية. جمع محمد المسند الجزء الثاني ص٤٩، ٥٠.

الملوك والزعماء. فقال ﵀: «وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ تنهى عن الإحداد وتحذر منه إلا في حق الزوجة، فإنها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً كما جاءت الرخصة عنه ﷺ للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل، أما ما سوى ذلك من الإحداد فهو ممنوع شرعاً، وليس في الشريعة الكاملة ما يجيزه على ملك أو زعيم أو غيرهما، وقد مات في حياة النبي ﷺ ابنه إبراهيم وبناته الثلاث وأعيان آخرون فلم يحدّ عليهم ﷺ. وقتل في زمانه أمراء جيش مؤتة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ابن رواحة ﷺ فلم يحد عليهم، ثم توفي النبي ﷺ وهو أشرف الخلق وأفضل الأنبياء وسيد ولد آدم، والمصيبة بموته أعظم المصائب، ولم يحدّ عليه الصحابة ﷺ، ثم مات أبو بكر الصديق ﵁ وهو أفضل الصحابة وأشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحدوا عليه، ثم قتل عمر وعثمان وعلي ﷺ وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء وبعد أبي بكر الصديق فلم يحدوا عليهم.

وهكذا مات الصحابة جميعاً فلم يحد عليهم التابعون، وهكذا مات أئمة الإسلام وأئمة الهدىٰ من علماء التابعين ومن بعدهم؛ كسعيد بن المسيب وعلي ابن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي وعمر بن عبد العزيز والزهري والإمام أبي حنيفة، وصاحبيه، والإمام مالك بن أنس والأوزاعي والثوري والإمام الشافعي والأمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة العلم والهدىٰ فلم يحد عليهم المسلمون. ولو كان خيراً لكان السلف الصالح إليه أسبق، والخير كله في اتباعهم والشر كله في مخالفتهم.

وقد دلت سنة رسول الله ﷺ التي أسلفنا ذكرها على أن ما فعله سلفنا الصالح من ترك الإحداد على غير الأزواج هو الحق والصواب، وأن ما يفعله الناس اليوم من الإحداد على الملوك والزعماء أمر مخالف للشريعة المطهرة مع ما يترتب عليه

من الأضرار الكثيرة وتعطيل المصالح والتشبه بأعداء الإسلام. وبذلك يعلم أن الواجب على قادة المسلمين وأعيانهم ترك هذا الإحداد والسير على نهج سلفنا الصالح من الصحابة ومن سلك سبيلهم، والواجب على أهل العلم تنبيه الناس على ذلك وإعلامهم به أداء لواجب النصيحة وتعاوناً على البر والتقوى.

ولما أوجب الله سبحانه من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة. وأسأل الله ﷻ أن يوفق قادة المسلمين وعامتهم لكل ما فيه رضاه والتمسك بشريعته والحذر مما خالفها، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً إنه سميع الدعاء قريب الإجابة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه»[1].

❖ التحذير من التعظيم المحرم:

حذر العلماء من الغلو في الرسول ﷺ أو الأنبياء والملائكة أو القبور. **ومن التعظيم المحرم الغلو** في حق المخلوق كرفع النبي ﷺ فوق منزلته التي أنزله الله إياه ومن هذا قول البوصيري:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من جود محمد ﷺ وادعى له علم الغيب الذي استأثر الله به سبحانه وهو علم اللوح والقلم. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وكل ذلك كفر صريح. ومن العجب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه ومتابعته، هذا شأن اللعين لا بد وأن يمزج الحق بالباطل ليروج على أشباه الأنعام اتباع كل ناعق، الذين لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن

(١) مجلة البحوث العدد الرابع من المجلد الأول عام ١٣٩٨ ص٣١٠، ٣١١. فتاوى ابن باز ص ٧٣٩.

وثيق، لأن هذا ليس بتعظيم، فإن التعظيم محله القلب واللسان والجوارح وهم أبعد الناس منه، فإن التعظيم بالقلب: ما يتبع اعتقاد كونه عبدا رسولا، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين»[(١)].

ومما هو كفر صريح نداء الرسول ﷺ ودعاؤه والاستغاثة به قول البرعي:

يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... يا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني

هبني بجاهك ما قدمت من زلل ... جودا ورجح بفضل منك ميزاني

واسمع دعائي واكشف ما يساورني ... من الخطوب ونَفِّس كل أحزاني

فأنت أقرب من ترجى عواطفه ... عندي وإن بعدت داري وأوطاني

إني دعوتك من «نيابتي برع» ... وأنت أسمع من يدعوه ذو شأن

فامنع جنابي وأكرمني وصل نسبي ... برحمة وكرامات وغفران[(٢)]

ومن مظاهر التعظيم الشركي تعظيم القبور والقباب والمشاهد قال الشيخ سليمان ابن عبد الله: «... فكثير منهم إذا رأوا القباب التي يقصدونها كشفوا الرؤوس فنزلوا عن الاكوار، فإذا أتوها طافوا بها واستلموا أركانها، وتمسحوا بها، وصلوا عندها ركعتين، وحلقوا عندها الرؤوس ووقفوا باكين متذللين متضرعين سائلين مطالبهم، وهذا هو الحج، وكثير منهم يسجدون لها إذا رأوها، ويعفرون وجوههم في التراب تعظيما لها، وخضوعا لمن فيها، فإن كان للإنسان منهم حاجة من شفاء مريض أو غير ذلك، نادى صاحب القبر، يا سيدي فلان جئتك قاصداً من مكان بعيد، لا تخيبني، وكذلك إذا قحط المطر، أو عقرت المرأة عن الولد، أو دهمهم عدو أو جراد، فزعوا إلى صاحب القبر، وبكوا عنده فإن جرى المقدور بحصول شيء مما يريدون،

(١) تيسير العزيز الحميد ٣١٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٢٢٧.

استبشروا وفرحوا ونسبوا ذلك إلى صاحب القبر، فإن لم يتيسر شيء من ذلك اعتذروا عن صاحب القبر بأنه إما غائب في مكان آخر، أو ساخط لبعض أعمالهم، أو أن اعتقادهم في الولي ضعيف، أو أنهم لم يعطوه نذره ونحو هذه الخرافات. ومن بعض أشعار المادحين لسيد المرسلين ﷺ قول البوصيري:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به — سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي — إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي — محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادي آخذا بيدي — فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم»[١]

وهذا غلو ظاهر ومن التعظيم أيضاً الوقوف مع الصمت تحية للشهداء والرؤساء فهذا زيادة على أنه تشبه بأعداء الإسلام فهو تعظيم لغير الله وقيام لغيره وهذا كما قال ابن باز «أمر مخالف للشريعة المطهرة»[٢].

٨١. تقبيل القبور والأعتاب للتبرك

انظر باب (التمسح وتقبيل القبور وغيره).

٨٢. التكذيب ببعض ما جاء به الرسول ﷺ

انظر باب (كفر الجحود والتكذيب).

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٢٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص٧٣٦.

٨٣.التكفير*

[الكفر – عارض الجهل – الردة – النواقض]

التكفير من الكفر قال الراغب: «يقال كفر فلان إذا اعتقد الكفر ويقال ذلك إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد ولذلك قال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]... ويقال: أكفره إكفارا إذا حكم بكفره»[(١)].

والمراد بالتكفير الحكم عليه بالكفر. وهذا الباب مرتبط بأبواب أخرى كباب (الردة)، وباب (عارض الجهل) فلتراجع في هذا الكتاب. وسوف نتناول في هذا الباب:

١ـ النصوص الواردة في التحذير من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم.

٢ـ وجوب التفريق بين الإطلاق والتعيين.

٣ـ معرفة المخالفة فقد تكون صريحة في الكفر فيحكم بكفره، وقد تكون غير صريحة.

* التمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٣٧-٢٤٠، ١٧/ ٢٢. الإبانة لابن بطة العكبري ص ٦٦٩، ٦٨٢، ٧٣١. أحكام القرآن القرطبي ٧/ ١٤١. الطحاوية ص٢٦٢ طبعة أحمد شاكر. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٠٣، ٤٣٠. الدرر السنية ١/ ١٠٠-٢٣٤، ٣٠٧، ٩/ ٢٩٠، ٤٠٤، ٤٢١، ٤٤٥، ١٠/ ٨، ٦٣، ٧٥، ٩٣، ١٢٩، ٣٥١-٣٦٨، ٤٠١، ٤١٥، ١٢/ ٧٣، ١٧٦، ٣٠٣. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢/ ٨٩. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٥٥٢. الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة للسعدي ص١٢٠. مجموع الفتاوىٰ لابن بـاز ٢/ ٥٠٣. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ١٢١ـ ٧/ ٤٢، ٤٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٣٨١ ـ ٥/ ٣٦٣. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ص ٥٠٢، ٥١٠، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٥٥٩، ٥٣٠. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٤٨٥، ٥٤٧. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٣٢، ٧١، ١٦٧-١٩٤.

(١) المفردات ص ٤٣٥.

٤ـ وجوب معرفة موانع التكفير ومنها:

أ ـ العذر بالجهل.   ب ـ الإكراه.   ج ـ الخطأ.   د ـ التأويل   هـ ـ العجز.

ثم نذكر بعض التنبيهات المهمة ومنها:

التنبيه الأول: معرفة العلاقة بين الظاهر والباطن.

التنبيه الثاني: اختلاف الحكم بين الدنيا والآخرة.

التنبيه الثالث: تكفير أهل القبلة لا يكون بالمعاصي.

وفيها مسألتان:

١ ـ تعريف الكبيرة.   ٢ ـ حكم تكفير الجميع.

التنبيه الرابع: لا يلزم من قتال فئة من المسلمين تكفيرهم.

التنبيه الخامس: أن من يحكم في هذه الأمور هم العلماء والقضاة.

التنبيه السادس: الامتناع عن التكفير بإطلاق تعطيل للأحكام وإغلاق لباب الردة.

التنبيه السابع: التكفير ليس سببه التكذيب أو الجحود فقط.

١. النصوص الواردة في التحذير من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم:

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل كفر رجلا فأحدهما كافر»[٢].

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل لصاحبه: يا كافر، فإنها تجب على أحدهما، فإن كان الذي قيل له كافراً فهو كافر، وإلا رجع إليه ما قال»[٣].

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٢٦٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٠٣٥) (٥٨٢٤).

وعن أبي ذر ﵁ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»[(١)].

ولما أورد القاضي عياض فصلاً عن المكفرات القولية، قال في مطلع هذا الفصل: «اعلم أن تحقيق هذا الفصل، وكشف اللبس فيه، مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ﵀: «إن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل. فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً، كما أن المؤمن من جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلماً، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها ... والحلال ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع. وأما الأمور التي يستقل بها العقل فمثل الأمور الطبيعية، مثل كون هذا المرض ينفع فيه الدواء الفلاني، فإن مثل هذا يعلم بالتجربة والقياس وتقليد الأطباء الذين علموا ذلك بقياس أو تجربة»[(٣)].

ويقول ابن الوزير: «إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه»[(٤)].

ويقول أيضاً: «وأن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعيا قطعيا، ولا نزاع في ذلك»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٥)

(٢) الشفا ٢/ ١٠٦٥.

(٣) منهاج السنة ٥/ ٩٢، ٩٣.

(٤) العواصم من القواصم ٤/ ١٧٨.

(٥) العواصم من القواصم ٤ / ١٧٩.

ويقول أبو حامد الغزالي: «الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا، إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس علىٰ منصوص»[(١)].

قال شيخ الإسلام: «هذا مع أني دائماً، ومن جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلىٰ تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرىٰ، وعاصيا أخرىٰ. وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وما زال يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم علىٰ أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية»[(٢)].

قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد علىٰ معين أن الله لا يغفر لـه ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت».

ثم قال: «ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون لـه إيمان عظيم، وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم ذروني ثم غفر الله له لخشيته»[(٣)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «الكفر حق الله ورسوله فلا

---

(١) فيصل التفرقة ص ١٢٨، وانظر: ص ١٤٦، ١٥٨.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٢٢٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٧، ٣٥٨.

كافر إلا من كفره الله ورسوله»[١].

وفي فتاوىٰ اللجنة ما نصه: «والواجب التثبت في هذه الأمور وعدم التعجل بالتكفير حتىٰ يتضح الدليل»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا هو المحذور الثاني أعني عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئاً منه، وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به؛ لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجبا بعمله محتقرا لغيره فيكون جامعا بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلىٰ حبوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله تعالىٰ في النار كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»»[٣].

فينبغي أن يُتنبه إلىٰ عدم تكفير الأعيان إلا بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع وهذه يقيمها من يصلح لإقامتها من أهل القضاء أو الفتيا. لا يقال في ذلك بالرأي ولا بالهوىٰ وإنما يقال بعلم، فمن كفّر بغير علم يلحقه الوعيد المذكور ومن قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما وفيه أيضا مشابهة الخوارج لأن الخوارج كفروا بغير علم وفيه تعدي علىٰ الدليل من القرآن والسنة لأن إثبات الإيمان جاء بدليل فنفي الإيمان عن المعين لا بد فيه من دليل وإلا كان قولاً علىٰ الله بغير علم، فالغلو في التكفير أمره خطير والواجب علىٰ العبد أن يحترز من فلتات اللسان ويخاف من ذلك أشد الخوف فرب كلمة قالها العبد لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفا.

---

(١) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب ص ١٩٨.

(٢) اللجنة الدائمة فتوىٰ رقم (٤٤٤٦)

(٣) شرح كشف الشبهات من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٧/ ٤٢، وانظر أيضاً ٢/ ١٣٤.

٢. وجوب التفريق بين الإطلاق والتعيين:

التكفير المطلق: هو الحكم بالكفر على القول أو الفعل أو الاعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه، وعلى فاعليها على سبيل الإطلاق، بدون تحديد أحد بعينه، فيقال من قال كذا أو فعل كذا فهو كافر. فالتكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه[١].

أما تكفير المعين: فهو الحكم على المعين بالكفر؛ لإتيانه بأمر يناقض الإسلام بعد اجتماع شروط التكفير فيه، وانتفاء موانعه.

وهذا أصل عظيم وضابط مهم فإذا كان الفعل أو القول كفرا يطلق الكفر دون تعيين فيقال من فعل كذا فهو كافر ومن قال كذا فهو كافر وعليه فيقال: القول بخلق القرآن كفر، ولا يقال: نكفر كل من قال به، ويقال: إنكار الأسماء والصفات كفر، ولا يقال: نكفر كل من أنكر شيئاً من الأسماء والصفات؛ فقد يكون عند من قال بهذ القول تأويلٌ أو شبهة، فالتكفير إخراج من الدين، والإخراج من الدين لا بد أن يبنى على اليقين، ولو كان تكفير المعين سائغاً دون النظر في الشروط والموانع لما نجا من الكفر إلا النزر اليسير من الأمة وهذا لم يعمله أحد من أئمة الإسلام فلا بد في حق المعين من رد الشبهة وتوضيح الأدلة. ولا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

قال الهروي: «سئل الأزهري عمن يقول بخلق القرآن: أتسميه كافراً؟ فقال: الذي يقوله كفر، فأعيد عليه السؤال ثلاثاً ويقول مثل ما قال، ثم قال في الآخر: قد يقول المسلم كفراً»[٢].

قال ابن تيمية: «إن التكفير لـه شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٩٧، ٤٩٨.
(٢) النهاية في غريب الحديث (ك ف ر).

تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»[(١)].

ويسوق ابن تيمية بعضاً من الأعذار الواردة على المعين، فيقول: «وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده، ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية، أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ، وجماهير أئمة الإسلام»[(٢)].

وقال رحمه الله مبينا مذهب الإمام أحمد رحمه الله: «وإنما كان يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينه ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق، وكان قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة أمرهم، وأنه يدور على التعطيل، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة. لكن ما كان يكفر أعيانهم، فإن الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقول به، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية «إن القرآن مخلوق، وإن الله لا يُرى في الآخرة وغير ذلك»، ويدعون الناس إلى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم، ويكفرون من لم يجبهم ... ومع هذا فالإمام أحمد ترحم عليهم، واستغفر لهم، لعلمه بأنهم لم يُبَيَّن لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا

(١) مجموع الفتاوى الكيلانية ١٢/ ٤٨٧، ٤٨٨. انظر لمزيد من التفصيل: مجموع الفتاوى ٣/ ٣٥٤، ١٢/ ٤٩٨، ٢٨/ ٥٠٠، ٣٥/ ١٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٣٤٦. وانظر أيضاً ٣/ ٢٣١.

جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطئوا، وقلدوا من قال لهم ذلك»[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالىٰ فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال»[(٢)].

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولا يكون القول به كفرا، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا نحكم بكفره حتىٰ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقد يكون الفعل أو المقالة كفرا ويطلق القول بتكفير من قال المقالة، أو فعل ذلك الفعل، ويقال: من قال كذا، فهو كافر، أو من فعل ذلك، فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول أو فعل ذلك الفعل لا يحكم بكفره حتىٰ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا الأمر مطرد في نصوص الوعيد عند أهل السنة والجماعة، فلا يشهد علىٰ معين من أهل القبلة بأنه من أهل النار، لجواز أن لا يلحقه، لفوات شرط أو لثبوت مانع»[(٤)].

وسئلت اللجنة الدائمة:

هل من حق العلماء أن يقولوا علىٰ شخص ما إنه كافر ويتهموه بالكفر؟

فأجابت بأن: «تكفير غير المعين مشروع بأن يقال: من استغاث بغير الله فيما دفْعُه من اختصاص الله كافر، كمن استغاث بنبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أن يشفيه أو يشفي ولده مثلاً.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٣/ ٣٤٨، ٣٤٩.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد علىٰ البكري ٢/ ٤٩٤.

(٣) الدرر السنية ٨/ ٢٤٤.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ١٦٥.

وتكفير المعين إذا أنكر معلوماً من الدين بالضرورة كالصلاة أو الزكاة أو الصوم بعد البلاغ واجب، وينصح، فإن تاب وإلا وجب علىٰ ولي الأمر قتله كفرا، ولو لم يشرع تكفيره المعين عندما يوجد منه ما يوجب كفره ما أقيم حد علىٰ مرتد عن الإسلام»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وبهذا علم أن المقالة، أو الفعلة قد تكون كفرا، أو فسقا، ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافرا أو فاسقا، إما لانتفاء شرط التكفير، أو التفسيق، أو وجود مانع شرعي يمنع منه»[٢].

وهذا يختص به أهل القبلة أما المعين من اليهود والنصارىٰ ومات علىٰ ذلك وقد سمع بالإسلام ولم يدخل فيه فيحكم عليه بالتعيين أنه من أهل النار.

* **تنبيه:** في الفرق بين تكفير المعين ولعنه. انظر باب (لعن الكافر المعين).

٣. قبل الحكم بالتكفير يشترط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت كفره، كما أن مخالفته قد تكون صريحة في الكفر وقد تكون غير صريحة فيجب التحقق قبل تكفيره. أما إذا كان لازم مخالفته الكفر فرده وأنكره فإنه لا يُكَفَّر.

قال الشيخ ابن عثيمين: «فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

الأمر الأول: دلالة الكتاب والسنة علىٰ أن هذا مكفر لئلا يفتري علىٰ الله الكذب.

الثاني: انطباق الحكم علىٰ الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالما بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله تعالىٰ:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ

(١) اللجنة الدائمة، السؤال الثاني من الفتوىٰ رقم (٦١٠٩) برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

(٢) القواعد المثلىٰ للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٩٢.

وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة للرسول من بعد أن يتبين الهدىٰ له»[(١)].

٤. يجب معرفة موانع التكفير ومنها:

١ ـ العذر بالجهل وقد أفردنا لـه باباً خاصاً تكلمنا فيه عن قيام الحجة وأن عدمها مانع من تكفير المعين، كما أوضحنا المراد من بلوغ الحجة وفهم الحجة وأن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص كما ذكرنا أقوال أهل العلم في التفريق بين المسائل الواضحة والمسائل الدقيقة وأن الجهل لا يكون فيما هو معلوم من الدين بالضرورة فلتراجع هناك[(٢)].

٢ـ الإكراه: ومعناه في **اللغة**: «حمل الإنسان علىٰ أمر هو له كاره»[(٣)]، والكره بالضم: المشقة تحتملها من غير أن تكلَّفها[(٤)].

وفي **الاصطلاح** قال ابن حزم: «هو كل ماسمي في اللغة إكراها، وعرف بالحس أنه إكراه، كالوعيد بالقتل ممن لايؤمن منه إنفاذ ما توعد به، والوعيد بالضرب كذلك»[(٥)].

وقال ابن عثيمين: «ومن الموانع من التكفير أن يكره على المكفّر لقولـه تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]»[(٦)].

(١) شرح كتاب الشبهات من مجموع الفتاوىٰ ص٤٢٥. وانظر أيضاً ٢/ ١٣٤من مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين.

(٢) انظر باب العذر بالجهل في المكفرات.

(٣) المفردات (ك ر هـ)، لسان العرب (ك ر هـ).

(٤) لسان العرب (ك ر هـ).

(٥) المحلى لابن حزم ٨/ ٣٣.

(٦) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٤٣.

وقال الشنقيطي رحمه الله: «وأما لهذه الأمة فقد صرح الله تعالىٰ بعذرهم بالإكراه في قولـه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾»[١].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد أن ذكر النواقض العشرة: «ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطرا وأكثر ما يكون وقوعا فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه»[٢].

قال في الكافي: «ولا تصح الردة من المكره لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾»[٣].

فإذا كان مكرها علىٰ الكفر فإنه يمتنع التكفير في هذه الحالة ومن كان في حال الإكراه منشرح الصدر للكفر فهو كافر لأن انشراح الصدر بالكفر بعض أنواع الكفر.

* تنبيه:

اعلم أن انشراح الصدر بالكفر بعض أنواع الكفر وليست هي قاعدة الكفر إذ الكفر يكون بالعمل ويكون بالترك ويكون بالقول ويكون بالاعتقاد[٤] دون انشراح الصدر به حال اختيار الكفر علىٰ الإيمان.

* تنبيه آخر:

ورد عن النبي ﷺ أنه أوصىٰ طائفة من أصحابه وقال: «لا تشركوا بالله وإن قُطِّعتم وحُرِّقتم»[٥]، وإن صحَّ فالمراد منه الشرك بالقلوب كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٧٣.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٩٣.

(٣) الكافي لابن قدامة ٤/ ١٥٦.

(٤) انظر: تفصيل ذلك في باب: «الردة».

(٥) وهذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه (٤٠٣٤) من حديث أبي الدرداء =

مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[النحل:١٠٦]، ولا خلاف بين العلماء في أن أفعال القلوب كالحب والبغض لا مجال للإكراه فيها، ولكن محل الإكراه أقوال وأفعال الجوارح(١) .

* شروط الإكراه:

يكون الإكراه عذرا إذا تحققت المشقة وحُمِل على مالايرضاه كأن يكون المكره عاجزا عن الدفع عن نفسه بالهرب أو الاستغاثة أو المقاومة ونحو ذلك و يغلب على ظنه وقوع الوعيد إن لم يفعل ما طلب منه أو يكون مما يستضر به ضررا شديدا كالقتل والضرب الشديد والقيد والحبس الطويلين، فأما الشتم والسب فليس بإكراه رواية واحدة، وكذلك أخذ المال اليسير، وهناك من يفرِّق بين الإكراه بالقول والإكراه بالفعل، والصواب أنه لا فرق بينهما ما دام أن الإكراه ملجئ لا اختيار له فيه(٢).

فتبين مما ذكرنا في مسائل الإكراه:

١- جواز قول كلمة الكفر والشرك للمكره.

٢ ـ جواز فعل الكفر والشرك للمكره.

وهذا على القول الراجح وهو عدم التفريق بين الأقوال والأفعال.

ولكن الأفضل الصبر على الابتلاء كما نقل ابن بطال الإجماع على ذلك حتى لو

= والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ٤/ ٢١٦، ٢١٧ وفي سنده شهر بن حوشب وفيه ضعف وبعضهم حسن حديثه. وجاء من حديث عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأميمة مولاة النبي ﷺ وكل هذه الشواهد فيها كلام وعلة العموم الحديث بمجموع الشواهد قد يحسن.

(١) للاستزادة انظر: الدرر السنية ١٠/ ٤٢٠.

(٢) للاستزادة انظر: أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر للشيخ عبدالعزيز الراجحي ص٤٦.

أكره على القتل[١].

وقال ابن العربي رحمه الله: «إن الكفر وإن كان بالإكراه جائزاً عند العلماء فإن مَنْ صبر على البلاء ولم يُفتتن حتى قُتل فإنه شهيد، ولا خلاف في ذلك، وعليه تدل آثار الشريعة»[٢].

ويتأكد الصبر في حق من يقتدىٰ به كحال الإمام أحمد وقد سئل أحمد عن العالم وهل يأخذ بالتقية قال: «إذا أجاب العالم تقية، والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق»[٣].

٣ ـ الخطأ:

قال ابن رجب رحمه الله: «الخطأ هو أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده»[٤].

وقال الجرجاني: «الخطأ وهو ما ليس للإنسان فيه قصد.. كما إذا رمى شخصاً ظنه صيدا أو حربيا فإذا هو مسلم...»[٥].

قال الراغب: «وجملة الأمر أن من أراد شيئا فاتفق منه غيره يقال: أخطأ، وإن وقع منه كما أراده يقال: أصاب، وقد يقال لمن فعل فعلاً لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل: إنه أخطأ»[٦].

ومن الأدلة قولـه تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٣١٧.
(٢) أحكام القرآن ٣/ ١١٧٩.
(٣) انظر نواقض الإيمان للوهيبي ٢/ ١٩.
(٤) جامع العلوم والحكم ٣٥٢.
(٥) التعريفات ١٠٠.
(٦) المفردات (خ ط أ)

وثبت في الحديث الصحيح أن الله سبحانه استجاب لهذا الدعاء فقال: «قد فعلت»(١).

قال ابن عثيمين: «ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف ونحو ذلك، لقولـه تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥]»(٢).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(٣).

ومن الأحاديث في العذر بالخطأ حديث ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(٤).

وذكر العلماء من الأدلة على الخطأ حديث الرجل من بني إسرائيل الذي شك في قدرة الله وسيأتي في باب «العذر بالجهل» ويستدل به هنا في العذر بالخطأ كما يستدل به في العذر بالجهل.

قال ابن الوزير: «وهذا أرجىٰ حديث لأهل الخطأ في التأويل»(٥).

* **والضابط في ذلك** ماقاله شيخ الإسلام: «فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٦).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ١٣٥.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥).

(٥) إيثار الحق ص٤٣٦.

من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ من هذا الرجل فيغفر الله خطأه، أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه، وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك، فعظيم...»[(١)].

وقال رحمه الله: «وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ، وقصد الحق فأخطأ، لم يكفر بل يغفر له خطأه ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر. ومن اتبع هواه، وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقا، وقد تكون لـه حسنات ترجح على سيئاته»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كل من قال قولا أخطأ فيه أنه يكفر بذلك، وإن كان قوله مخالفا للسنة، فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع»[(٣)].

* **تنبيه**: يلاحظ ارتباط الخطأ بالجهل و التأويل لأن من جهل أو تأول أوقعه ذلك في الخطأ قال شيخ الإسلام: «فالخطأ والنسيان هو من باب العلم يكون إما مع تعذر العلم عليه أو تعسره عليه»[(٤)].

٤ ـ التأويل:

العذر بالتأويل داخل ضمن أقسام الخطأ لأنه عارض يطرأ في موانع التكفير.

قال ابن عثيمين: «ومن الموانع أيضا أن يكون لـه شبهة تأويل في الكفر بحيث يظن أنه على حق؛ لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ

---

(١) الاستقامة ١/ ١٦٤، ١٦٥، وانظر: ٣/ ٢٣١ ـ ١٢/ ٤٩٠، وغيرها.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٨٠، وانظر ١٩/ ١٩٠، ١٩٢، ٣/ ٤٢٠.

(٣) مجموع الفتاوى٧/ ٦٨٥ وانظر ٢٠/ ٢٧، ٢٨ ومنهاج السنة ٥/ ٩٨.

(٤) الاستقامة ١/ ٢٨. انظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ٢٠/ ١٩، ٢٤، فتح الباري ١٣/ ٣١٩.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلا في قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»[(١)].

ومن الأدلة في ذلك حديث حاطب بن أبي بلتعة ﷺ عندما أرسل برسالة مع الظعينة لأهل مكة قبل الفتح يخبرهم بتجهيز المسلمين إليهم، فلم يكفره النبي ﷺ، وقد أنزل الله ﷻ فيه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]. قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب ماجاء في المتأولين»[(٢)] وذكر الحديث.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في حاطب ابن أبي بلتعة، وقصة الرسالة مع الظعينة لأهل مكة قبل الفتح بإخبارهم بتجهيز المسلمين إليهم»[(٣)].

قال ابن قدامة في مسألة العذر بالتأويل: «وإن كان بتأويل كالخوارج، فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم وفعلهم لذلك متقربين إلى الله تعالى»[(٤)]، ثم قال: «وكذلك يخرج في كل محرم استحل بتأويل مثل هذا»[(٥)].

وقال: «وقد رُوي أن قدامة بن مظعون شرب الخمر مستحلا لها، فأقام عمر عليه الحد ولم يكفره، وكذلك أبو جندل بن سهيل، وجماعة معه، شربوا الخمر بالشام مستحلين لها، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ١٣٦.
(٢) صحيح البخاري حديث رقم (٦٩٣٦).
(٣) أضواء البيان ٨/ ١٣٠.
(٤) المغني ٩/ ٢١.
(٥) المصدر نفسه.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ [المائدة: ٩٣]، فلم يكفروا، وعرفوا تحريمها فتابوا، وأقيم عليهم الحد، فيخرج فيمن كان مثلهم مثل حكمهم»[(١)].

وذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمثلةً على وقوع الخطأ في التأويل فقال: «وذلك كالمتأولين في تناول المسكر من صالحي أهل الكوفة ومن اتبعهم على ذلك، وإن كان المشروب خمرا لا يشك في ذلك من اطلع على أقوال النبي ﷺ وأقوال الصحابة،وكذلك المتأولون للمتعة والصرف من أهل مكة،متبعين لما كان يقوله ابن عباس ـ وإن كان قد رجع عن ذلك، أو زادوا عليه ـ إذ لايشك في ذلك، وأنه من أنواع الربا المحرم والنكاح المحرم، من اطَّلع على نصوص النبي ﷺ وكذلك المتأولون في بعض الأطعمة والحشوش من أهل المدينة، وإن كان لا يشك في تحريم ذلك من اطلع على نصوص النبي ﷺ وأصحابه، وكذلك ما دخل من السابقين والتابعين من القتال في الفتنة والبغي بالتأويل، مع ما عُلِم في ذلك من نصوص الكتاب والسنة من ترك القتال،والصلح.فما تأول فيه قوم من ذوي العلم والدين من مطعوم أو مشروب أو منكوح، أو مملوك،أو مما قد علم أن الله قد حرمه ورسوله لم يجز اتباعهم في ذلك ـ مغفورا لهم ـ وإن كانو خيار المسلمين، والله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان، كما دل عليه الكتاب والسنة، وهو سبحانه يمحو السيئات بالحسنات، ويقبل التوبه عن عباده، ويعفو عن السيئات»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: «ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر،ولا بفسق، ولا معصية كما أنكر شريح قراءة من قرأ ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴾. وقال: إن الله لايعجب،فبلغ ذلك إبراهيم النخعي

(١) المغني ٩/ ٢٢.
(٢) الاستقامة ١/ ٢٩٨، ٢٩٩.

فقال إنما شريح شاعر يعجبه علمه. كان عبد الله أعلم منه، وكان يقرأ ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾. وكما نازعت عائشة وغيرها من الصحابة في رؤية محمد ﷺ ربه. وقالت: من زعم أن محمد قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، ومع هذا لا نقول لابن عباس ونحوه من المنازعين لها: أنه مفتر على الله. وكما نازعت في سماع الميت كلام الحي، وفي تعذيب الميت ببكاء أهله، وغير ذلك. وقد آل الشر بين السلف إلى الاقتتال مع اتفاق أهل السنة على أن الطائفتين جميعاً مؤمنتان؛ وأن الاقتتال لايمنع العدالة الثابتة لهم؛ لأن المقاتل وإن كان باغيا، فهو متأول، والتأويل يمنع الفسوق»[(١)].

❖ أما التأويل عند أهل البدع:

فقال شيخ الإسلام في معرض كلامه عن أهل البدع: «وإن كان هؤلاء لهم من الإيمان نصيب وافر من اتباع السنة، لكن فيهم من النفاق بحسب ما تقدموا فيه بين يدي الله ورسوله، وخالفوا الله ورسوله، ثم إن لم يعلموا أن ذلك يخالف الرسول، ولو علموا لما قالوه لم يكونوا منافقين، بل ناقصي الإيمان مبتدعين، وخطؤهم مغفور لهم لا يعاقبون عليه وإن نقصوا به»[(٢)].

وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب»[(٣)].

وقال: «فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم.. وصاروا يتابعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٢٩، ٢٣٠.
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٦٣.
(٣) مجموع الفتاوى١٣/ ٣٠.

غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة الجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا كان المسلم متأولا في القتال، أو التكفير لم يكفر بذلك»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمتأول والجاهل والمعذور ليس حكمه حكم المعاند والفاجر بل قد جعل الله لكل شيء قدرًا»[(٣)].

ومن هذا يتبين أن المسألة إذا كانت من المسائل التي لا مجال فيها للتأويل فهو لا يعذر فيها لظهور الأدلة فيها لكن إذا كانت مسألة قابلة وموارد اللغة فيها قد تشتبه فهو معذور.

٥ ـ العجز:

وهو داخل في قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق:٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء:٩٨-٩٩]، وهذا يصدق في كل عاجز عن أداء ما أوجبه الله عليه فهو معذور لعجزه وقد قرر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن العاجزين عن إقامة الدين يسقط عنهم ما عجزوا عنه فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان بمكة جماعة من المؤمنين يستخفون بإيمانهم وهم عاجزون عن الهجرة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ

---

(١) مجموع الفتاوى١٣/ ٢١٠.
(٢) مجموع الفتاوى٣/ ٢٨٣.
(٣) مجموع الفتاوى٣/ ٢٨٨.

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ فعذر سبحانه المستضعف العاجز عن الهجرة وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥] فأولئك كانوا عاجزين عن إقامة دينهم فقد سقط عنهم ما عجزوا عنه فإذا كان هذا فيمن كان مشركاً وآمن فما الظن بمن كان من أهل الكتاب وآمن»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه إما لعدم تمكنه من العلم مثل أن لا تبلغه الرسالة أو لعدم تمكنه من العمل لم يكن مأمورا بما يعجز عنه ولم يكن ذلك من الإيمان والدين الواجب في حقه وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل بمنزلة صلاة المريض والخائف والمستحاضة وسائر أهل الأعذار الذين يعجزون عن إتمام الصلاة فإن صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه وبه أمروا إذ ذاك وإن كانت صلاة القادر على الإتمام أكمل وأفضل كما قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» رواه مسلم عن أبي هريرة في حديث حسن السياق، وقوله ﷺ: «صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد»، ولو أمكنه العلم به دون العمل لوجب الايمان به علما واعتقادا دون العمل»[(٢)].

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال:

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ٢٢٢.
(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٧٨،٤٧٩.

«وكذلك الكفار من بلغته دعوة النبي ﷺ في دار الكفر وعلم أنه رسول الله فآمن به وآمن بما أنزل عليه واتقى الله ما استطاع كما فعل النجاشي وغيره ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام، ولا التزام جميع شرائع الإسلام لكونه ممنوعاً من الهجرة وممنوعاً من إظهار دينه، وليس عنده من يعلِّمه جميع شرائع الإسلام فهذا مؤمن من أهل الجنة كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وكما كانت امرأة فرعون، بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر، فإنهم كانوا كفاراً ولم يكن يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر:٣٤]، وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام بل إنما دخل معه نفر منهم، ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه فصلى عليه النبي ﷺ بالمدينة خرج بالمسلمين إلى المصلى فصفهم صفوفاً وصلى عليه وأخبرهم بموته يوم مات وقال: «إن أخا لكم صالحًا من أهل الحبشة مات» وكثير من شرائع الإسلام أو أكثرها لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت، بل قد روي أنه لم يكن يصلي الصلوات الخمس ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤدي الزكاة الشرعية لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه، وهو لا يمكنه مخالفتهم... فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران:١٩٩] وهذه الآية قد قال طائفة من السلف إنها نزلت في النجاشي ويروى هذا عن جابر وابن عباس وأنس ومنهم من قال فيه وفي أصحابه كما قال الحسن وقتادة»[(١)].

* تنبيهات:

التنبيه الأول: معرفة العلاقة بين الظاهر والباطن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فهذا أصل ينبغي معرفته فإنه مهم في هذا الباب، فإن كثيراً ممن تكلم في «مسائل الإيمان والكفر» ـ لتكفير أهل الأهواء ـ لم يلحظوا هذا الباب، ولم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن، مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة، والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ومن تدبر هذا علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع قد يكون مؤمناً مخطئاً جاهلاً ضالاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ، وقد يكون منافقاً يظهر خلاف ما يبطن»[(٢)].

ومذهب أهل السنة في الحكم على الناس مبني على الظاهر، هذا هو الأصل، وقد يكون بين الظاهر والباطن تلازم فيحكم عليه بالكفر ظاهراً وباطناً، وقد يكون كافراً في الظاهر دون الباطن كحال المكرَه، وقد يكون مؤمناً ظاهراً وكافراً باطناً، وتفصيل ذلك فيما يلي:

١- الكفر الباطن دون الظاهر كحال المنافق، وهذا يعامل على الظاهر كسائر المسلمين إلا إذا أظهر نفاقه، قال الإمام ابن تيمية: «إذا أظهر المنافق من ترك الواجبات وفعل المحرمات ما يستحق عليه العقوبة عُوقب على الظاهر ولا يعاقب

---

(١) منهاج السنة النبوية٥/ ١١٢ـ١١٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٤٧١.

على ما يعلم من باطنه بلا حجة ظاهرة»[(١)].

ومن أدلة الحكم على الظاهر قول الرسول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[(٢)]، وآخر الحديث هو وجه الشاهد حيث قال: «وحسابهم على الله».

قال ابن رجب: «وأما في الآخرة فحسابه على الله ﷻ، فإن كان صادقاً أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذباً فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار»[(٣)].

وقال الحافظ في الفتح: «أي أمر سرائرهم.. وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر»[(٤)].

وقال الإمام البغوي: «وفي الحديث دليل على أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضا إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون فيما بين قتلى غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلد المسلمين حكم بإسلامه»[(٥)].

ومن الأدلة على أن الحكم متعلق بالظاهر قصة أسامة ﷺ حيث قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبَّحنا الحُرُقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله. فطعنتُه، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح قال:

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٢٠.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٨٣.

(٤) فتح الباري ١/ ٧٧، وانظر شرح النووي ١/ ٢١٢، وجامع العلوم والحكم ٨٣.

(٥) شرح السنة ١/ ٧٠.

«أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟»، فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» الفاعل في قوله أقالها هو القلب، ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان، وقال أفلا شققت عن قلبه لتنظر، هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت على اللسان فحسب، يعني وأنت لست بقادر على هذا فاقتصر على اللسان فحسب ولا تطلب غيره»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على قوله ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه؟»: «وفيه دليل على القاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام فيها بالظاهر والله يتولى السرائر»[(٣)].

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادَّعى الإسلام لسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبيَّن منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾[النساء:٩٤] أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبيت معنى، إلى أن يقول: وإن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦) واللفظ له.

(٢) مسلم بشرح النووي ٢/ ١٠٤.

(٣) مسلم بشرح النووي ٢/ ١٠٧.

(٤) كشف الشبهات ص٤٩.

ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموما، فإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظاهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظاهر على ما جرت عليه. لا يقال: إنما كان ذلك من قبيل ما قال: «خوفاً من أن يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه» فالعلة أمر آخر لا ما زعمت، فإذا عدم ما علل به فلا حرج. لأنا نقول: هذا أدل الدليل على ما تقرر، لأن فتح هذا الباب يؤدي إلى أن لا يحفظ ترتيب الظواهر فإن من وجب عليه القتل بسبب ظاهر، فالعذر فيه ظاهر واضح، ومن طلب قتله بغير سبب ظاهر بل بمجرد أمر غيبي ربما شوش الخواطر وران على الظواهر، وقد فهم من الشرع سد هذا الباب جملة ألا ترى إلى باب الدعاوي المستند إلى أن: (البينة على المدعي واليمين على من أنكر)، ولم يستثن من ذلك أحدا حتى أن رسول الله ﷺ احتاج في ذلك إلى البينة، فقال من يشهد لي؟ حتى شهد لـه خزيمة بن ثابت فجعلها الله شهادتين فما ظنك بآحاد الأمة، فلو ادعى أكذب الناس على أصلح الناس لكانت البينة على المدعي، واليمين على من أنكر وهذا من ذلك والنمط واحد، فالاعتبارات الغيبية مهملة بحسب الأوامر والنواهي الشرعية»[(١)].

ومن الأحاديث في هذا الباب حديث جارية معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله ﷺ: أفلا أعتقها؟ قال: «إئتني بها»، فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟». قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[(٢)].

قال شيخ الإسلام في تعليقه على هذا الحديث «... فإن الإيمان الذي علقت به أحكام الدنيا، هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام، فالمسمى واحد في الأحكام

---

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) أخرجه مسلم كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة رقم ٥٣٧.

الظاهرة، ولهذا لما ذكر الأثرم لأحمد احتجاج المرجئة بقول النبي ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة». أجابه بأن المراد حكمها في الدنيا حكم المؤمنة، لم يرد أنها مؤمنة عند الله تسنحق دخول الجنة بلا نار إذا لقيته بمجرد هذا الإقرار»[(١)]؛ لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الإنكار إنما يقع على ما أنكرته الشريعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إني لم أُومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أن أشق بطونهم». وقد قال عمر بن الخطاب رض: «من أظهر لنا خيراً أحببناه وواليناه عليه وإن كانت سريرته بخلاف ذلك، ومن أظهر لنا شراً أبغضناه عليه وإن زعم أن سريرته صالحة»»[(٣)].

وقال رحمه الله: «فإن كون الرجل مسلماً في الظاهر لا يمنع أن يكون منافقاً في الباطن، فإن المنافقين كلهم مسلمون في الظاهر، والقرآن قد بيَّن صفاتهم وأحكامهم، وإذا كانوا موجودين على عهد رسول الله ﷺ وفي عزة الإسلام مع ظهور أعلام النبوة ونور الرسالة فهم مع بعدهم عنهما أشد وجوداً لا سيما وسبب النفاق هو سبب الكفر وهو المعارض لما جاءت به الرسل»[(٤)].

وقال أيضاً: «يجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيهاالناس في الدنيا، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب، فالمؤمن المستحق للجنة لابد أن يكون مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة»[(٥)].

---

(١) الإيمان ص٣٩٨، وانظر ص٢٠١، ٢٠٢، ٢٤٣.
(٢) نفس المصدر ص ١٩٧.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٣/ ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦.
(٤) مجموع الفتاوى٢/ ٢٠١.
(٥) الإيمان ص٢٠٣.

٢- **الكفر ظاهراً وباطناً** ومن ذلك سابُّ الله والرسول فإنه كافر ظاهراً وباطناً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سبَّ الله أو سبَّ رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً لـه، أو كان ذاهلاص عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء، وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل»[(١)].

ويقول الشيخ عبدالعزيز الراجحي حفظه الله: «من عمل كفراً وحكم عليه بالكفر فإنه يُكفَّر ظاهراً وباطناً ويحكم عليه بالخلود في النار، ولكن لابد من قيام الحجة عليه.

وهذا الكلام لا نقوله من كيسنا وإنما هو من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، من كفّره الله وكفّره رسوله كفراً أكبر فهو كافر وهومخلّد في النار؛ لأن الله حكم على الكافرين بالخلود في النار، فالله تعالى هو الذي كفّرهم وهو الذي حكم عليهم بالخلود»[(٢)].

٣- **قد يكون الفعل كفراً لكن صاحبه يجهل أو يخطئ في التأويل** فلا يكون كافراً إلا بثبوت الشروط وانتفاء الموانع، فلابد من قيام الحجة عليه، وذكر العلماء من الأدلةعلى الخطأ حديث الرجل من بني إسرائيل الذي شك في قدرة الله، وسيأتي في باب «العذر بالجهل» ويستدل به هنا في الفعل الذي هو كفر لكن لا يكون القصد بالفعل مطابقاً للفعل.

قال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على حديث: «إذا أنا مِتُّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذرُّوني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً». قال: «... وإنما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله والمعاد ولذلك خاف العقاب، وأما جهله بقدرة الله تعالى على ما ظنه محالاً فلا يكون كفراً إلا لو علم أن الأنبياء جاءوا

(١) الصارم المسلول ص٥١٢. تحقيق محيي الدين عبدالحميد.

(٢) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر ص٥٤.

بذلك وأنه ممكن مقدور ثم كذبهم أو أحداً منهم لقولـه تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وهذا أرجى لأهل الخطأ في التأويل»[١].

قال شيخ الإسلام: «فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالاً من هذا الرجل فيغفر الله خطأه، أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق علىٰ قدر دينه، وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك، فعظيم...»[٢].

وقال رحمه الله: «وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين علىٰ أنه ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك، وإن كان قولـه مخالفاً للسنة، فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع»[٣].

وقد علق شيخ الإسلام علىٰ الحديث السابق بقوله: «فهذا رجلٌ شك في قدرة الله تعالىٰ، وفي إعادته إذا ذرِّي، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك»[٤].

وقال أيضاً: «فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد من إنكار قدرة الله تعالىٰ، وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلاً بذلك، ضالاً في هذا الظن مخطئاً، فغفر الله له ذلك، والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شاكًّا في المعاد، وذلك

(١) إيثار الحق ص٤٣٥، ٤٣٦.
(٢) الاستقامة ١/ ١٦٥.
(٣) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦٨٥، ٢٠/ ٢٧، ٢٨، ومنهاج السنة ٥/ ٩٨.
(٤) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٢٣١.

كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره..»[(١)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن حكم من جحد فرضاً من فرائض الإسلام: «... وأما من جحد ذلك جهلاً، أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهلَه أن يحرقوه ويذرّوه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً وتكذيباً»[(٢)].

ومن الأدلة قول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ وكذلك سؤال الحواريين لعيسى بقولهم: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٢] هو داخل في هذا الباب ودل عليه قولهم: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣].

وقد تقدم في أول الباب جملة من كلام العلماء في العذر بالتأويل قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما بعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الائمةعليأن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول، ولهذا جاء في الحديث: «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صوماً ولا حجاً

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٩، وهناك نصوص أخرى مماثلة لشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٧/ ٦١٩، ١٢/ ٤٩٠، ٢٣/ ٣٤٨، ٢٨/ ٥٠١. والرد على البكري ص٢٥٩.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٧.

إلا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، يقول: أدركنا آباءنا وهم يقولون: لا إله إلا الله، وهم لا يدرون صلاة ولا زكاة ولا حجاً، فقال: ولا صوم ينجيهم من النار»»[(١)].

* **فائدة:** الكافر الأصلي أو المشرك أو الكافر اليهودي والنصراني هذا كفره أصلي يستصحب الأصل الذي كان عليه.

*** التنبيه الثاني: تكفير أهل القبلة لا يكون بالمعاصي:**

قال الشيخ ابن عثيمين: «أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها، لا يكفرون بفعل الكبائر، ولا يخرجون من الإسلام بذلك، ولا يخلدون في النار لقولـه تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٠]. فأثبت الاخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفرا لانتفت الاخوة الإيمانية.

وقال النبي ﷺ يقول الله تعالىٰ: «من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه»[(٢)] يعني من النار.

وخالف في هذا طائفتان:

الأولىٰ: الخوارج قالوا: فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

الثانية: المعتزلة قالوا: فاعل الكبيرة[(٣)] خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر في منزلة بين المنزلتين وهو خالد في النار»[(٤)].

❖ مسألة في بطلان القول بتكفير الجميع:

ثبت أن رسول الله ﷺ قال : «لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة لا

(١) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٤٠٧، ٤٠٨.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٣) انظر تعريف الكبيرة في باب الفسق.

(٤) لمعة الاعتقاد من مجموع الفتاوىٰ ٥/ ٨٢.

يضرهم من خذلهم».. الحديث. والقول بأن كل المجتمع كافر أو أن كل من على الأرض كافر قول باطل وخطير ومصادم للنصوص الدالة على ثبات الحق وبقاء أهله إلى قيام الساعة ومن النصوص الدالة على ذلك أيضاً ما ورد في وصف الغرباء جاء في رواية قيل: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس». وفي لفظ آخر: «الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي»[1].

قال الشيخ ابن باز: «وهكذا في آخر الزمان هم الذين يستقيمون على دين الله عندما يتأخر الناس عن دين الله وعندما يكفر الناس وعندما تكثر معاصيهم وشرورهم يستقيم هؤلاء الغرباء على طاعة الله ودينه فلهم الجنة والسعادة ولهم العاقبة الحميدة في الدنيا وفي الآخرة»[2].

ومن الافتراءات الباطلة ما زعمه بعض المفترين من أن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله يكفر المسلمين عموما وهذا والله استطالة في عرض الشيخ وبهتان نبرأ إلى الله منه وهذه كتبه مجموعة كاملة بين أيدينا ليس فيها شيء من ذلك إنما فيها تكفير من ثبت كفره بعمله أو معتقده وقامت عليه الحجة وانتفت عنه الموانع.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «وزعموا أن الشيخ رحمه الله يكفر المسلمين وحاشاه ذلك؛ بل لا يكفر إلا من عمل مكفرًا وقامت عليه الحجة، فأجابهم المصنف بهذا الكتاب[3]، وكشف شبههم بما تطمئن به الألباب»[4].

* **التنبيه الثالث:** لا يلزم من قتال فئة من المسلمين تكفيرهم لأن القتل أو

---

(١) سيأتي تخريج هذه الأحاديث في (الغرباء).

(٢) نور على الدرب ص ١٦.

(٣) يعني كتاب كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب.

(٤) من شرح كتاب كشف الشبهات ص ١٣.

القتال قد يوجد من غير ردة كقتال البغاة والمحاربين وعلي ﷺ قاتل الخوارج ولم يحكم بكفرهم ومعلوم اختلاف العلماء في الخوارج وأنهم ليسوا كفارا وبعض العلماء يكفرهم وفي ذلك خلاف يطول التفصيل فيه، والراجح عدم كفرهم وهو قول علي ﷺ حين سئل: أكفّار هُم؟ فقال: «من الكفر فروا»[١].

ومعلوم من أقوال الأئمة قتال مانعي الزكاة وقتال تاركي شعائر الإسلام الظاهرة، قال الإمام ابن قدامة المقدسي ﷺ: «الأذان مشروع للصلوات الخمس دون غيرها، وهو من فروض الكفاية لأنه من شعائر الإسلام الظاهرة فلم يجز تعطيله كالجهاد، فإن اتفق أهل بلد على تركه قُوتلوا عليه»[٢].

وقال عن صلاة العيدين بعدما ذكر أنها فرض كفاية: «فإن اتفق أهل بلد على تركها قاتلهم الإمام لتركهم شعائر الإسلام الظاهرة فأشبه تركهم الأذان»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك مانعوا الزكاة؛ فإن الصدِّيق والصحابة ابتدؤوا قتالهم، قال الصديق: والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، وهم يقاتلون إذا امتنعوا من أداء الواجبات وإن أقروا بالوجوب، ثم تنازع الفقهاء في كفر من منعها وقاتل الإمام عليها مع إقراره بالوجوب؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد، كالروايتين عنه في تكفير الخوارج، وأما أهل البغي المجرد فلا يكفرون باتفاق أئمة الدين؛ فإن القرآن قد نص على إيمانهم وإخوتهم مع وجود الاقتتال والبغي»[٤].

ويحسن بنا أن نتناول كلام الأئمة في قتال الطائفة الممتنعة فقد قرر ابن تيمية

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣/ ٣٨٢،٧/ ٢١٧، ٢١٨ـ ٢٨، ٥٠٠، ٥١٨.
(٢) الكافي ١/ ١٢٧.
(٣) الكافي ١/ ٣٨٤.
(٤) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٥٧.

اتفاق العلماء على وجوب قتال الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، وإن كانت مقرة بتلك الشريعة، فيقول: «كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة ... فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة ﭫ مانعي الزكاة ... فاتفق الصحابة ﭫ على القتال على حقوق الإسلام عملاً بالكتاب والسنة... إلى أن قال: فأيما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، والأموال والخمر، والزنا، والميسر، أو عن نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته، التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها، التي يكفر الجاحد لوجوبها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ﭬ أيضاً: «وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان، وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة؛ فلهذا كانوا مرتدين، وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله...»[(٢)].

وقد سئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله عن ذلك بما يأتي:

هل تكفير شيخ الإسلام ابن تيمية ﭬ للطائفة الممتنعة من أداء شعيرة الزكاة حين فعل هذا من فعله من العرب لأجل جحدهم للوجوب أو لأجل مجرد المنع وعدم الالتزام بالأداء؟

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٠٢، وانظر: الفتاوى ٢٨/ ٥١٩.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥١٩. وانظر أيضاً: ٢٨/ ٥٣٠، ٥٣١.

فأجاب بقولـه: «هذا فصل فيه أهل العلم، قالوا: إن مانع الزكاة إن كان يجحد وجوبها فهذا كافر ويقاتل قتال ردة، وأما إن كان منعه لها من أجل بخل وهو يعتقد وجوبها فهذا يقاتل لأجل أخذ الزكاة منه؛ لأنه حق واجب عليه لغيره وامتنع من أدائه، وهو شعيرة ظاهرة من شعائر الإسلام، حتىٰ يخضع لأداء الزكاة فلا يحكم بكفره، فيقاتل لمنعه الزكاة إذا كان له شوكة تدافع عنه حتى تُؤخذ منه.

وأما ما نسب إلىٰ الشيخ تقي الدين ابن تيمية أنه كفّرهم مطلقاً فأنا لم أطلع علىٰ هذا الكلام. لكن العلماء قالوا: يقاتل من امتنع من شعيرة ظاهرة من شعائر الإسلام مثل الأذان والإقامة وليس من لازم ذلك أنه يكفر، بل يُقاتَل لأجل إقامة الشعيرة الظاهرة»[(١)].

وسئل الشيخ عبدالعزيز الراجحي عن هذه المسألة، فأجاب حفظه الله بقولـه: «أهل الردة الذين ارتدوا بعد موت النبي ﷺ أقسام:

منهم من رجع إلىٰ الأصنام والأوثان فعبدها.

ومنهم من أنكر نبوة النبي ﷺ وقال: لو كان نبياً ما مات، وهؤلاء كفار لا إشكال فيهم.

ومنهم من منع الزكاة. والصحابة قاتلوهم جميعاً ولم يفرّقوا بينهم وسموهم المرتـدين، والذي منع الزكـاة قال العلماء: إنما كفر؛ لأنه إذا منعها وقاتل عليها دل علىٰ جحوده إياها؛ لأنه فعل أمرين: منعها، وقاتل عليها.

أما إذا منعها ولم يقاتل عليها فإنها تُؤخذ منه ويؤدَّب ولا يكفر، ولكن إن منعها وقاتل عليها فإنه يكفر؛ لأن هذا دليل علىٰ جحوده، والمرتدون الذين منعوا الزكاة منعوها وقاتلوا عليها فدل علىٰ أنهم جحدوها، ولهذا عاملهم الصحابة معاملة

---

(١) مسائل في الإيمان ص٣٢، ٣٣.

المرتدين وسموهم مرتدين كلهم وقاتلوهم، لا فرق بين من أنكر نبوة محمد ﷺ أو عبد الأصنام، أو من جحد الزكاة؛ لأنه جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة»[(١)].

* **التنبيه الرابع**: أن من يحكم في هذه الأمور هم العلماء والقضاة:

فسلب أصل الإيمان والحكم بعدم الإيمان إنما هو لأهل العلم ليس لكل أحد؛ لأن تحقيق اتصاف المسلم بمكفر من المكفرات يُخرجه من دينه مسألة تحتاج إلىٰ نظر عالم مجتهد فقيه يعرف الشروط والموانع ويعرف ما يُعذر به المرء وما لا يعذر به، وكذلك فإن ترتيب آثار الكفر من طلاق زوجته والإرث وما شابه ذلك يكون من الحاكم.

* **التنبيه الخامس**: الامتناع عن التكفير بإطلاق تعطيلٌ للأحكام وإغلاق لباب الردة[(٢)].

وقد أُلفت في ذلك (أعني الردة وأحكامها) كتب ورسائل وخصها الفقهاء في كتب الفقه بأحكام المرتد.

قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: «التكفير للمرتدين ليس من تشريع الخوارج ولا غيرهم، وليس هو فكراً، وإنما هو حكم شرعي، حَكَمَ به الله ورسوله علىٰ من يستحقه، بارتكاب ناقص من نواقض الإسلام القولية أو الاعتقادية أو الفعلية، والتي بيّنها العلماءُ في باب «أحكام المرتد»، وهي مأخوذة من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، فالله قد حَكَم بالكفر علىٰ أناس بعد إيمانهم،

(١) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر ص٣١، ٣٢.

(٢) انظر: للاستزادة رسالة مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب مجموعة مؤلفات الشيخ ١/ ٢٧٩، ٣٢٩، وفتاوىٰ محمد بن إبراهيم ١/ ٧٣، ٧٤، ورسالة حكم تكفير المعين للشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ.

بارتكابهم ناقضاً من نواقض الإيمان قال تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]»[١].

* **التنبيه السادس:** التكفير ليس سببه التكذيب أو الجحود فقط بل يكون بالاعتقاد وبالعمل وبالقول وبالشك وبالترك وعليه، فإن المسلم إذا أتىٰ بناقض من نواقض الإسلام واجتمعت الشروط وانتفت الموانع فإنه يخرج من الإسلام ولا يلزم من ذلك التكذيب لأن المرجئة ضلّوا في هذا الباب فظنوا أن كل من نطق بالشهادتين ودخل في الإسلام فلا يخرج منه أبدا إلا بالتكذيب ويلزم من قولهم أنهم لا يحكمون علىٰ عابد القبر والساجد للصنم بالكفر حتىٰ يعتقد أن صاحب القبر أو الولي مستقل بالخلق فتكفيرهم له سببه الاعتقاد لا العمل أو يقولون أن العمل كفر لدلالته علىٰ التكذيب فيثبتون كفر التكذيب وينفون كفر العمل وهذا غلط بيّن.

يقول ابن القيم رحمه الله: «وهذان القسمان ـ يعني كفر الجحود والعناد، وكفر الإعراض المحض ـ أكثر المتكلمين ينكرونهما، ولا يثبتون من الكفر إلا الأول ـ يعني كفر الجهل ـ ويجعلون الثاني والثالث ـ يعني كفر الجحود والعناد، وكفر الإعراض المحض ـ كفرا لدلالته علىٰ الأول لا لأنه في ذاته كفر، فليس عندهم الكفر إلا مجرد الجهل، ومن تأمل القرآن والسنة، وسير الأنبياء في أممهم، ودعوتهم لهم، وما جرىٰ لهم معهم، جزم بخطأ أهل الكلام فيما قالوه، وعلم أن عامة كفر

(١) التحذير من الإرجاء ص٣٢.

الأمم عن تيقن وعلم، ومعرفة بصدق أنبيائهم وصحة دعواهم وما جاؤا به»[١].

ويلزم من قولهم كذلك أن من نذر للشمس والقمر أو ذبح للجن أنه ليس بمشرك حتى يعتقد، ويلزم من قولهم أيضًا: أن من رفض شريعة الله واستبدل بها القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله فإنه لا يكفر حتى يجحد أو يستحل وكل هذا ناتج عن قولهم أن الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد فقط والصحيح أن الكفر يكون بالقول باللسان أو بأعمال القلوب أو بأفعال الجوارح.

يقول ابن الوزير في الرد على من اشترط الاعتقاد في قول الكفر: «.. وعلى هذا لا يكون شيء من الأفعال والأقوال كفرا، إلا مع الاعتقاد، حتى قتل الأنبياء، والاعتقاد من السرائر المحجوبة، فلا يتحقق كفر كافر قط إلا بالنص الخاص في شخص شخص»[٢].

وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٥-٢٨].

قال ابن حزم: «فجعلهم مرتدين كفاراً بعد علمهم بالحق، وبعد أن تبين لهم الهدى، بقولهم للكفار ما قالوا فقط وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم، ولم يقل تعالى أنهم جحدوا، بل قد صح أن في سرهم التصديق؛ لأن الهدى قد تبين لهم، ومن تبين له شيء، فلا يمكن ألبته أن يجحده بقلبه أصلاً»[٣].

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤.

(٢) إيثار الحق على الخلق ص٤١٩.

(٣) الفصل ٣/ ٢٦٢، ٢٥٩.

وقال الشيخ أبا بطين: «والعلماء يذكرون أن من أنكر وجوب عبادة من العبادات الخمس، أو قال في واحدة منها إنها سنة لا واجبة، أو جحد حِلّ الخبز ونحوه، أو جحد تحريم الخمر أو نحوه، أو شك في ذلك ومثله لا يجهله كفر، وإن كان مثله يجهله عُرِّف ذلك، فإن أصر بعد التعريف كفر وقتل، ولم يقولوا فإذا تبين لـه الحق وعاند كفر. وأيضا، فنحن لا نعرف أنه معاند حتى يقول أنا أعلم أن ذلك حق ولا ألتزمه، أو لا أقوله، وهذا لا يكاد يوجد.

وقد ذكر العلماء من أهل كل مذهب أشياء كثيرة لا يمكن حصرها من الأقوال والأفعال والاعتقادات أنه يكفر صاحبها، ولم يقيدوا ذلك بالمعاند.

فالمدعي أن مرتكب الكفر متأولاً، أو مجتهداً مخطئاً، أو مقلداً أو جاهلاً معذور. مخالف للكتاب والسنة والإجماع بلا شك، مع أنه لا بد أن ينقص أصله فلو طرد أصله كفر بلا ريب، كما لو توقف في تكفير من شك في رسالة محمد ﷺ ونحو ذلك»[1].

وسيأتي ذكر أقسام الكفر في باب (الردة).

---

(١) الانتصار لحزب الله الأبرار ص٤٦.

٨٤. تكفير من لم يكفر الكافر*

يجب تكفير المشركين والكفار على اختلاف أنواعهم، ومنهم اليهود والنصارىٰ، فكفرهم معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وعدم تكفيرهم، أو الشك فيه كفرهم شكٌّ فيما جاء به الرسول ﷺ، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [إبراهيم: ٩] فهو تكذيب للقرآن، وأعظم من ذلك تصحيح مذهبهم.

* **الأدلة من الكتاب:** دلت الآيات من كتاب الله تعالىٰ على كفر اليهود والنصارىٰ وعبَدَة الأوثان، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [المائدة:١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ [المائدة:٧٢-٧٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ

---

* نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وانظر شروح النواقض للشيخ ابن باز وغيره. وانظر مراجع بابي (التكفير) و(الردة).

مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[(١)].

أقوال العلماء في كفر من لم يكفّر الكافر أو شك في كفره:

قال القاضي عياض رحمه الله: «ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحّح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك»[(٢)].

وقال أيضاً: «وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفّر أحداً من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك»[(٣)].

وذكر شيخ الإسلام حكم من لم يكفر المشرك الكافر سواء كان كافراً أصلياً كاليهود والنصارى، أو من ثبت كفره يقيناً كالباطنية، أو من يعتقد حلول الله في بعض البشر، أو إلهية بعض البشر، فقال عنهم: «من شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين»[(٤)].

وقال رحمه الله: «وهذا كما أن الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من القرامطة والاتحادية ونحوهم يجوز عندهم يتدين الرجل بدين المسلمين واليهود والنصارى، ومعلوم أن هذا كله كفر باتفاق المسلمين، فمن لم يقر باطناً وظاهراً

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

(٢) الشفا ٢/ ١٠٧١.

(٣) الشفا ٢/ ٢٨١.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٨.

بأن الله لا يقبل ديناً سوىٰ الإسلام فليس بمسلم، ومن لم يقر بأن بعد مبعث محمد ﷺ لن يكون مسلماً إلا من آمن به واتبعه باطناً وظاهراً فليس بمسلم، ومن لم يحرم التدين بعد مبعثه ﷺ بدين اليهود والنصارىٰ، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم باتفاق المسلمين»[(١)].

أما كفر من صحح ما هم عليه من الشرك، أو أمر به، فيقول شيخ الإسلام رحمه الله فيه: «لكن لا نزاع بين المسلمين أن الأمر بالشرك كفر وردة إذا كان من مسلم، وأن مدحه والثناء عليه والترغيب فيه كفر وردة إذا كان من مسلم» [(٢)].

ونقل القرطبي قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩] قال: هو الشرك مثلهم لأن من رضي بالشرك فهو مشرك[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: «الواجب علىٰ العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله تبارك وتعالىٰ لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلىٰ علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية علىٰ ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم»[(٤)].

ويقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين: «وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم، ووصف النصارىٰ بالجهل مع أنه لا يشك مسلم في كفرهم، ونقطع أن أكثر اليهود والنصارىٰ اليوم جهال مقلدون، فنعتقد

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٤٦٣، ٤٦٤.
(٢) انظر منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ص١٤٨، ١٤٩.
(٣) أحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٩٤.
(٤) طريق الهجرتين ص٤١١.

كفرهم، وكفر من شك في كفرهم»[١].

قال ابن القيم في طبقة المقلدين وجهال الكفرة من أتباعهم: «اتفقت الأمة على أن هذه الطبقات كفار وإن جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم إلا ما يحكى إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار، وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين، لا الصحابة ولا التابعين، ولا من بعدهم، وإنما يعرف عن بعضها أهل الكلام المحدث في الإسلام، وقد صح رسول ﷺ أنه قال: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة» وهذا المقلد ليس بمسلم، وهو عاقل مكلف، والعاقل المكلف لا يخرج عن الإسلام أو الكفر»[٢].

وقال بعد ذلك: «والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك لـه، والإيمان بالله وبرسوله وأتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً»[٣].

فيجب أن يُقطع الشك في حكم من دان بغير الإسلام ويستيقن أنهم كفار ومن شك في كفرهم فهو مكذب للقرآن الذي قطع بكفرهم في أكثر من موضع، وتقدم ذكر أدلة على ذلك من الكتاب والسنة قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نواقض الإسلام العشرة: «الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً»[٤].

قال الشيخ ابن عثيمين: «وذلك لأن اليهود والنصارى كفّرهم الله ﷻ في كتابه،

---

(١) الدرر السنية ٨/ ٢١٣.

(٢) طريق الهجرتين ص٤١١.

(٣) طريق الهجرتين ص٤١١.

(٤) مجموعة الشيخ، الرسائل الشخصية ص٢١٣.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣٠-٣١] فدل ذلك علىٰ أنهم مشركون، وبيَّن الله تعالىٰ في آيات أخرىٰ ما هو صريح في كفرهم فقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣].

فمن أنكر كفر اليهود والنصارىٰ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وكذبوه، فقد كذب الله ﷻ، وتكذيب الله كفر، ومن شك في كفرهم فلا شك في كفره هو»[1].

وقال الشيخ عبدالعزيز الراجحي: «فمن قال: إن اليهود والنصارىٰ علىٰ دين سماوي وكذلك المسلمون علىٰ دين سماوي وكلهم عليحق، فهذا كافر؛ لأنه لم يكفّر المشركين، فلابد أن يعتقد أن اليهود والنصارىٰ كلهم علىٰ باطل، وأنهم كفار فإن شك أو توقف كان هذا الشك أو التوقف منه ناقضاً من نواقض الإسلام ويكون كافراً بالله، وكذلك لو صحح مذهبهم وقال: النصارىٰ علىٰ حق واليهود علىٰ حق، ومن أحب أن يتدين باليهودية أو بالنصرانية أو بالإسلام فله ذلك فهذا كافر؛ لأنه صحح مذهبهم»[2].

وقال الشيخ عبدالله بن جبرين عن اليهود والنصارىٰ: «ولا شك أن تكذيبهم لمحمد ﷺ وما جاء به هو أعظم الكفر. وهم المرادون بقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ

(١) فتاوىٰ وأحكام الداخلين في الإسلام ص٤٢.
(٢) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر ص٤١، ٤٢.

مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ [المائدة:٦٠].

فتأمل هذه الآيات وما بعدها وما يشابهها في سورة النساء تجد أن جميع من كذب محمداً ﷺ أو خرج عن شرعه أو أنكر رسالته أو ادعىٰ أنه رسول العرب أو نصب العداوة للمسلمين أتباع هذه الشريعة المحمدية، أنه كافر مستحق لغضب الله ولعنته وعذابه، ولا ينفعه انتماؤه إلىٰ الأديان السابقة والمنسوخة المحرفة»[(١)].

❖ **تنبيه مهم:**

الذين وقع الخلاف في كفرهم كتارك الصلاة تهاوناً لا نحكم بكفر من لم يكفرهم أو بكفر من توقف في تكفيرهم إنما المراد بالباب من ثبت كفره يقيناً سواء كان كافراً أصلياً أو ارتد بعد إسلام وهناك قيد مهم حتىٰ يُحكَم بكُفرِه: وهو أنه لابد أن يتبيَّن له كفرُهم بالدليل.

(١) الإعلام بكفر من ابتغىٰ غير الإسلام ص٢٤.

٨٥- التمسح بالقبر وتقبيله وغيره *

التمسح من تمسح شيء: إذا مسح جسمه به، ومنه التمسح بالقبور، والتمسح يقصد به وضع اليد على الشيء عبادة أو طلبا للبركة وقد يتعداه إلى إلصاق البطن أو الظهر أو التقبيل وهذا لا يشرع إلا فيما شرعه الله ورسوله ﷺ.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر الآية: ٧].

* **الدليل من السنة:** ثبت في الصحيحين أن عمر ﷺ قال: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[(١)].

والمشروع في الحجر الأسود تقبيله حال الطواف هذا هو السنة فإن لم يستطع لزحام ونحوه استلمه بيده وقبل يده فإن لم يستطع فبمحجنه أو عصاه ويقبلها فإن لم يستطع أشار إليه إشارة بيد واحدة لا بيدين اثنتين يشير باليمنى ولا يقبلها وهذا كله إن لم يفعله فلا حرج عليه بل هو أمر مسنون أما الركن اليماني فقد قال ابن باز: «لم

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٠/ ٥١ ـ٥٣، ٢٤/ ٤١٦. المجموع للنووي ٨/ ٢٧٥. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٠٠. مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٣١ ـ ٢٧/ ٩١، ٩٢. الاعتصام للشاطبي ٢/ ١٣٤، ١٤٠. الرخصة في تقبيل اليد للحافظ ابن المقرئ. الباعث لأبي شامة ٢٨٢. إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ١٩٤. شفاء الصدور لمرعي الحنبلي ٣٢، ٣٩. الدرر السنية٧/ ٢٣٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٣٠، ٣١. أحكام الجنائز للألباني ٢٦٦. نور على الدرب ١٦٦، ٢٩٠، ٢٩٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٣١٨، ٣٢٠. شرح رياض لصالحين لابن عثيمين ٣/ ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١. التبرك د: ناصر الجديع ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٩٨، ٤٢٦، ٤٢٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ٤٤٩. الجهل بمسائل الاعتقاد ٤١٣.

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

يرد فيما نعلم ما يدل على الإشارة إليه وإنما يستلمه بيمينه إذا استطاع من دون مشقة ولا يقبله»[١] .

أما حكم التمسح بغير الركنين اليمانيين فقد قال ابن تيمية: «اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الإستلام ولا التقبيل إلا للركنيين اليمانيين، فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم، وقد قيل أنه يقبل وهو ضعيف.

وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله، كجوانب البيت، والركنين الشاميين، ومقام إبراهيم، والصخرة، والحجرة النبوية، وسائر قبور الأنبياء والصالحين»، وقال أيضاً: «ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود وقد ثبت في الصحيحين أن عمر ﷺ قال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[٢].

قال ابن تيمية: «وقد اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين أنه لا يتمسح به ولا يقبله»[٣] .

❖ حكم تقبيل القبور والأعتاب والتمسح بها:

قال الإمام ابن القيم: «ليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني»[٤].

وقال رحمه الله: «ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقي في كتاب تاريخ مكة عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. قال إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم

---

(١) انظر فتاوى الحج ص٧٧، ٧٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٥٢١. والحديث تقدم تخريجه.

(٣) الاقتضاء ص٣٦٨

(٤) زاد المعاد ١/ ٤٨.

يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها ذكر لنا من رأىٰ أثره وأصابعه، فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخْلَوْلَق»[١].

قال ابن تيمية: «وأما التمسح بالقبر أي قبر كان وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هذا من الشرك»[٢].

أما سبب كراهة العلماء التمسح بقبر رسول الله ﷺ فيقول ابن تيمية رحمه الله: «لأنهم علموا ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين»[٣].

وقال أيضا: «لأن التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله الحرام فلا يشبّه بيت المخلوقات ببيت الخالق»[٤].

قال ابن تيمية: «وأما القبور التي في المشاهد وغيره فالسنة لمن زارها أن يسلم علىٰ الميت ويدعو لـه بمنزلة الصلاة علىٰ الجنائز ......وأما التمسح بالقبر أو الصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره أو النذر لـه ونحو ذلك فليس هذا من دين المسلمين، بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك والله أعلم وأحكم»[٥].

أما التمسح بجدار القبر أو حلق الباب أو السواري أو المقام مقام إبراهيم أو غير ذلك مما قد وقع فيه بعض الجهلة فإن هذا من البدع المحدثة.

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٢.
(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٩٢.
(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٨٠.
(٤) الرسائل الكبرىٰ لابن تيمية ١/ ٢٩٨.
(٥) مجموع الفتاوىٰ ٢٤/ ٣٢١.

يقول النووي عن قبر الرسول ﷺ: «يكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه. وينبغي ألا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله ما معناه: اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيمن وافق الشرع وأقوال العلماء وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»[(١)].

وقد غلا الجهال في ذلك حتى صاروا يتبركون برؤية القبر ويقصدونه لاعتقاد أن الدعاء عنده له مزية على غيره فكل هذا من تزيين الشيطان وزخرفته ليعيد للناس أسباب الشرك الأولى التي هوى فيها قوم نوح ـ والعياذ بالله ـ.

❖ مسألة عن الوقوف في الملتزم ووضع الخد على البيت:

قال ابن القيم: «... وقوفه في الملتزم، فالذي رُوي عنه، أنه فعله يوم الفتح، ففي سنن أبي داود، عن عبد الرحمن بن أبي صفوان، قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة، انطلقت، فرأيت رسول الله ﷺ قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا الركن من الباب إلى الحطيم، ووضعوا خدودهم على البيت، ورسول الله ﷺ وسطهم»[(٢)].

وروى أبو داود أيضاً من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «طفت مع عبد الله فلما حاذى دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟ قال: نعوذ بالله من النار. ثم مضى حتى استلم الحجر فقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه

(١) الإيضاح في المناسك للنووي ص ١٦١.

(٢) أخرجه أبو داود (١٨٩٨) في المناسك باب الملتزم وفي سنده يزيد بن أبي الهاشمي وهو ضعيف وباقي رجاله ثقات ويشهد لـه ما بعده فيتقوى. انظر: تحقيق زاد المعاد ٢/ ٢٩٨.

هكذا وبسطهما بسطاً وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله»[(١)].

فهذا يحتمل أن يكون في وقت الوداع، وأن يكون في غيره، ولكن قال مجاهد والشافعي بعده وغيرهما: «إنه يستحب أن يقف في الملتزم بعد طواف الوداع ويدعو».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يلتزم ما بين الركن والباب، وكان يقول: «لا يلتزم ما بينهما أحد يسأل الله تعالىٰ شيئاً إلا أعطاه إياه ـ والله أعلم ـ»»[(٢)].

ولم يكن يتعلق بها تبركا بجدرانها بل استجارة بالله وخضوع له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولما كانت الكعبة بيت الله الذي يدعىٰ ويذكر عنده؛ فإنه سبحانه يُستجار به ويُستغاث به هناك... إلخ»[(٣)].

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: «أما التعلُّق بأستار الكعبة رجاءَ البركة: فهذا من وسائل الشرك، ويكون من الشرك الأصغر إذا اعتقد أن ذلك التبرك سببٌ لتحقيق مطلوبه، أما إذا اعتقد أن الكعبة ترفع أمره إلىٰ الله، أو أنه إذا فعل ذلك عظم قدره عند الله، وأن الكعبة يكون لها شفاعة عند الله، أو نحو تلك الاعتقادات التي فيها اتخاذ الوسائل إلىٰ الله ـ جل وعلا ـ، فإنَّ هذا التبرك ـ علىٰ هذا النحو ـ يكون شركاً أكبر؛ ولهذا يقول كثير من أهل العلم: إن التمسح بحيطان المسجد الحرام، أو بالكعبة، أو بمقام إبراهيم ونحوها؛ رجاء بركتها، هو من وسائل الشرك الأكبر، بل هو من الشرك الأصغر، كما قرر ذلك الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٩٩)، وابن ماجه (٢٩٦٢) وفي سنده المثنى بن الصبَّاح وهو ضعيف لكنه ينجبر بما قبله انظر زاد المعاد ص٢٩٨.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٢٩٨.

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة ٢/ ٥٤٨.

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٦١٠.

٨٦.التميمة*

جاء في مختار الصحاح: «التميمة عوذة تعلق على الإنسان»[(١)].

قال الخلخالي: «التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين»[(٢)].

وكذلك قال أبو السعادات[(٣)]، والمنذري إلا أن المنذري عللها بقوله: «يرون أنها تدفع عنهم الآفات»[(٤)].

والتميمة قد تعلق بدون كتابة كالخرزات وأشباهها بخلاف الرقية التي تستخدم بالكتابة وبالقراءة، وقد تجتمع الكتابة في الرقى والتمائم فتصبح في الرقى عزائم

* التمهيد لابن عبد البر ٥/٢٦٨، ١٧/ ١٦٢ ـ ١٦٥. الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٢٠، ٣٢. الإبانة لابن بطة العكبري ص٧٤٤. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٥٨. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٦٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦. تيسير العزيز الحميد ١٦٣. فتح المجيد ١٤٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٨٣. القول المفيد ط١ - ١/ ١٧٥ ط٢ - ١/ ٢٢٤ ومن المجموع ٩ / ١٦٨. معارج القبول ١/ ٣٨٤. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٩. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ١٩٦. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٧٥. نور على الدرب ٥٦ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٢ ـ ٦٤. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١٠٦. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١١٨. التبرك د: ناصر الجديع ص٢٣٦. منهج الإمام مالك في العقيدة ص ٤٠٨. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١١٢٦. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢٧٨. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص ١٥٧. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبدالرحمن العلوي ص ٢٧٧.

(١) مختار الصحاح مادة (ت م م).

(٢) نقلا عن فتح المجيد ص١٤٨، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ١٦٧.

(٣) النهاية مادة (ت م م).

(٤) نقلاً عن تيسير العزيز الحميد ص ١٦٠.

وتصبح في المعلق تميمة.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «ويسمي بعض الناس التميمة حرزاً ويسميها بعضهم الجامعة وتسمى الرقى المعلقة»[(١)].

وفي التيسير قال: «وظاهره أن ما علق لدفع العين وغيرها فهو تميمة من أي شيء كان»[(٢)]، وفسرت التميمة في القواميس بالعوذة وفسرت بالخرز وفسرت بقلادة يجعل فيها سيور وعوذ وكل هذا لنفي النفس والعين والمرض.

وقال ابن حجر رحمه الله: «والتمائم جمع تميمة وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات»[(٣)].

أما أسباب استخدامها فإنها تستعمل لدفع الشر المتوقع وهذا ظاهر فيما يعلق على الصبيان والفرس والمساكن لاتقاء مرض أو عين قبل أن يحصل.

والثاني: لرفع الشر بعد وقوعه، وهذا ظاهر في تعلق المرضى بالواهنة وأشباهها، وكل ما عُلِّق واتخذ لدفع الشر قبل أو بعد وقوعه من الأسباب التي لم تتخذ لا شرعا ولا قدرا أو حسا فإنه شرك[(٤)] يتبعه الأحكام الجارية عليه في آخر الباب ولا يلتفت إلى تغيير الأسماء فالعبرة بالحقائق وإن تبدلت الأسماء.

ونقل ابن مفلح عن ابن الأثير أنه قال: «وحديث «من علق تميمة» كأنهم كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء[(٥)] وإنما جعلها شركا لأنهم أرادوا دفع المقادير

---

(١) مجموعة مقالات متنوعة ٢/ ٣٨٣.

(٢) التيسير ص١٦٨.

(٣) الفتح ١٠/ ١٦٦.

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٥٥، وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٦٣.

(٥) قال الشيخ ابن جبرين: وسميت تميمة لزعمهم أن بها ما يتم حفظ من علقت عليه من دابة أو إنسان أو غير ذلك.

المكتوبة عليهم فطلبوا دفع الأذىٰ من غير الله الذي هو دافعه»[(١)].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾ [الأنعام:١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤ ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤].

و قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

* **الدليل من السنة:** عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ قَالَتْ كَانَ عَبْدُ اللهِ إذا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ الْبَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَىٰ شَيْءٍ يَكْرَهُهُ قَالَتْ: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ، قَالَتْ: وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنْ الْحُمْرَةِ فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِي، فَرَأَىٰ فِي عُنُقِي خَيْطًا قَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ. قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ لأَغْنِيَاءُ عَنْ الشِّرْكِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا وَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَىٰ فُلاَنٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِيهَا وَكَانَ إِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ؟ قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَيْتِهَا كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً»[(٢)].

وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً «من تعلق شيئاً وُكِل إليه»[(٣)].

(١) انظر للاستزادة الآداب الشرعية ٣/ ٦٤ وما بعدها، النهاية لابن الأثير باب (ت م م).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٦١٥)، وأبوداود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٧٢).

وروى أحمد عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»(١).

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا قال: «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: «من تَعَلّق تميمة فقد أشرك»(٢).

وعن عقبة بن عامر قال: «وضع التميمة شرك»(٣).

وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة»(٤)، وعلق عليه الشيخ سليمان بن عبد الله فقال: «وهذا عند أهل العلم له حكم الرفع، في مثل ذلك لا يقال بالرأي»(٥). ولا شك أنه أعتقه من الشرك الأصغر وهو أعظم من الرق.

* أحكام وفوائد:

١ - حكم تعليق التميمة:

قال ابن سعدي: «التمائم منها ما هو شرك أكبر كالتي تشمل على الاستغاثة

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٣٩)، والحاكم ٤/ ٤١٧، وقال المنذري: في الترغيب والترهيب ٤/ ٣٠٦: إسناده جيد.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٥٨) بإسناد حسن، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: رواه الحاكم بنحوه ورواته ثقات. انظر التيسير ص ١٥٩.

وقال ابن عبد البر: «إذا اعتقد الذي علقها أنها ترد العين، فقد ظن أنها ترد القدر، واعتقاد ذلك شرك، وقال أبو السعادات: إنما جعلها شركًا، لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه». التيسير ص١٦٠.

(٣) قال ابن مفلح: «رواه وكيع بإسناده عن عقبة بن عامر». الآداب ٣/ ٦٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٤).

(٥) التيسير ص١٧٣.

بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين ...ومنها ما هو محرم كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها لأنها تجر إلى الشرك وأما التعاليق التي فيها القرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها لعدم ورودها عن الشـارع، ولكونها يتوسّـل بها إلى غيرها من المحـرم، ولأن الغالب على متعلقها أنه لايحترمها ويدخل فيها المواضع القذرة»[(١)].

٢ - مسألة: حكم تعليق التمائم من القرآن:

عن إبراهيم بن يزيد النخعي أنه قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن»[(٢)].

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «التمائم ما علق قبل نزول البلاء وأما ما علق بعد نزول البلاء فليس بتميمة»[(٣)].

وفسر ذلك بأنها تقصد ما علق من القرآن فأجازه بعض السلف كابن المسيب وعطاء وحجتهم في هذا أن القرآن شفاء وقول عائشة السابق وفعل عبد الله بن عمرو حيث كان يعلق على أولاده الذين لم يبلغوا دعاء الفزع وهو: «بسم الله أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»[(٤)]، وقد منعها بعض أهل العلم[(٥)] وبينوا حرمتها وردوا أقوال المجيزين فقالوا: إن الآية مجملة وأما قول عائشة فمجمل أيضا لم تذكر فيه تعليق القرآن وأما فعل عبد الله بن عمرو فإنها رواية ضعيفة ثم استدلوا على التحريم

(١) القول السديد ص٣٨. وما بعدها فقد فصل فيها
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥١٨).
(٣) البيهقي ٩/ ٣٥١، والمستدرك ٤/ ٢١٧.
(٤) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٩٦).
(٥) انظر تيسير العزيز الحميد ص١٢٨، فتح المجيد ص١٤٩، والسلسلة الصحيحة ١/ ٥٨٥.

بعموم النهي الوارد في التمائم ولأنه قد يدخل به أشياء تنافي قدسيته كدخول بيت الخلاء ولأنه أيضاً يستغني بالمعلَّق عن القراءة المشروعة باللسان ولأن المنع فيه سد الذرائع فلو سمح للتميمة المعلقة بالقرآن لم تُنكر التميمة الشركية[1].

وقد لخص الشيخ سليمان بن عبد الله هذه المسألة بقوله: «اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته.

فقالت طائفة: بجواز ذلك وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال: أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية. وحملوا الحديث على التمائم الشركية، أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته فكالرقية بذلك.

قلت ـ أي الشيخ سليمان ـ: وهو ظاهر اختيار ابن القيم.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم ﭬ وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه فإن ظاهره العموم لم يفرق بين التي في القرآن وغيرها بخلاف الرقى فقد فرق فيها، ويؤيد ذلك أن الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم كما تقدم عن ابن مسعود ... وأما القياس على الرقية بذلك فقد يقال بالفرق، فكيف يقاس التعليق الذي لابد فيه ورق أو جلود ونحوهما على ما لا يوجد ذلك فيه فهذا إلى الرقى المركبة من حق وباطل أقرب.

هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته فما ظنك بما حدث بعدهم من الرقى بأسماء الشياطين وغيرهم وتعليقها؟ بل والتعلق بهم،

---

(١) انظر الرقى للعلياني ص٤٣، ٥١.

والاستعاذة بهم والذبح بها وسؤالهم كشف الضر، وجلب الخير مما هو شرك محض، وهو غالب على كثير من الناس إلا من سلم الله»[(١)].

٣ - ما يلحق بالتمائم:

التمائم يندرج تحتها كثير مما يعلق ويتخذ لدفع الآفات ومما ينطوي تحتها ويأخذ حكمها الودعة وسن الثعلب وذيله وسن الهرة والخرزات والحجب المعلقة وكعب الأرنب والوتر على الدابة والحذاء في السيارة والنعل في مقدمة أو مؤخرة السيارة ونعل الفرس في واجهة الدار والدكان وأشباهها ولا يفرد لكل منها بحث بل كل منها يجري مجرى التميمة في معناها وإن اختلفت أشكالها وفي حكمها وفي نهي الشارع عنها إذ أن سبب التحريم فيها الاعتماد على غير الله والركون والالتفات إلى غيره وعدم التوكل عليه بل وثوق في غيره وهذا شرك.

وينبغي لنا في هذا المقام أن نوضح معنى بعض الأسماء التي تطلق على التمائم:

١ـ الودعة:[(٢)] وجمعها (الودعات) وفي مختار الصحاح هي خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر والكبر.

قال في النهاية: «والوَدَع بالفتح والسكون جمع وَدَعَه وهو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم وإنما نهى عنها لأنهم كانوا يُعلِّقونها مخافة العين»[(٣)].

وفي حديث عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٦٧، ١٦٨.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص١٥٩ ـ ١٦٠. فتح المجيد ص١٤١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٧٩. معارج القبول ١/ ٣٧٢. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٦١. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٦٨ ط٢- ١/ ٢١٥.

(٣) النهاية ٥/ ١٦٧.

ودعة فلا ودع الله له»[١].

وقال ابن مفلح: «إنما نهى عنها لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين وقوله «لا ودع الله له» أي لا جعله في دعة وسكون وقيل: هو لفظ مبني من الودعة أي: لا خفف الله عنه ما يخافه[٢]»[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وهذا دعاء عليه فيه وعيد شديد لمن فعل ذلك فإنه مع كونه شركاً فقد دعا عليه رسول الله ﷺ بنقيض مقصوده»[٤].

٢ـ **الحجب**: جمع حجاب وهو ما يكتب فيه أحيانا طلاسم وكلام غير مفهوم مرة بالعربية ومرة بغيرها ويصنع من الجلد غالبا ويأخذ أشكالا مختلفة وسمي حجابا للاعتقاد بأنه يحجب العين والآفات عن المعلق عليه[٥].

وهي داخلة في التمائم قال ابن باز: «والتمائم كذلك ممنوعة وهي الحجب وتسمى الجوامع وتسمى الحروز لأن رسول الله ﷺ زجر عنها ولم يستثن منها شيئاً وسماها شركاً ودعا على من تعلقها»[٦].

وقال رحمه الله: «وأما الحجب وهي ما يعلق من أوراق أو جلود أو غيرها على المريض، يكتب فيها آيات أو دعوات تعلق على المريض ضد السلاح، أو ضد الجن فهذا لا يجوز، وقد أجاز بعض أهل العلم تعليق ما كان من القرآن خاصة ولكنه قول ضعيف، والصواب منع تعليق جميع الحجب لعموم قول النبي ﷺ: «من تعلق تميمة

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٣٩).
(٢) انظر هذا المعنى عند ابن الأثير في النهاية ٥/ ١٦٨.
(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٦٦.
(٤) تيسير العزيز الحميد ص١٦٠.
(٥) انظر للاستزادة رسالة في أحكام الرقى والتمائم بمراجعة ابن جبرين ص٦، وانظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٦٨ والقول المفيد ط١ - ١/ ١٧٥.
(٦) انظر الفتاوى ص ٩٦٥.

فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله لـه، ومن تعلق تميمة فقد أشرك»، والمراد بالشرك هنا الشرك الأصغر. ولأن في ذلك سد الذريعة إلىٰ تعليق غيرها.

وسد الذرائع المفضية إلىٰ الشرك أو المعاصي من أعظم مقاصد الشريعة وواجباتها.

أما تعليق الحجب من غير الآيات كالعظام والودع والطلاسم والأسماء المجهولة، فهذه لا تجوز بغير خلاف بين أهل العلم؛ لأن الرسول ﷺ قال: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، ومن تعلق تميمة فقد أشرك» كما تقدم؛ ولأنها من أعمال الجاهلية؛ ولأنها تصد القلوب عن الله وتعلقها بغيره، والقلوب يجب أن تتعلق بالله ﷻ وتعتمد عليه، فتعليق هذه التمائم يجعل القلوب تميل إليها وتتعلق بها وترتاح لها، وهذا خطأ عظيم، فلا يجوز تعليق التمائم، وهي الحجب ولها أسماء أخرىٰ عند الناس»[(١)].

وقال الألباني: «وهل يدخل في التمائم الحجب التي يعلقها بعض الناس علىٰ أولادهم أو علىٰ أنفسهم إذا كانت من القرآن أو الأدعية الثابتة عن النبي ﷺ للسلف في ذلك قولان: أرجحها عندي المنع»[(٢)].

٣ـ **الحرز:** وهو الذي يتحرز به عن الحمىٰ وغيره وهي كالودعة والحلقة والخيط.

وقد جاء سؤال عن الحجاب «الحرز» الذي يجتمع فيه شيء من القرآن مع توسل بالأولياء مع كلام غير مفهوم فأجابت اللجنة الدائمة بأنه: «لا يجوز تعليقه علىٰ شخص أو وضعه في ثياب أو فراش أو بيت جلبا لمنفعة أو دفعا لضرر وهو من جنس التمائم واتخاذها شرك لعموم قوله ﷺ: «إن الرقىٰ والتمائم والتولة

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب ص٥٧-٦٥ مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ١٠٦.
(٢) انظر السلسلة الصحيحة ١/ ٥٨٥.

شرك»[١]، وقولـه ﷺ: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[٢]»[٣].

٤ ـ لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه[٤]:

الحلقة: طوق من نحاس أصفر أو غيره كان المشركون يجعلونها في عضدهم ويزعمون أنها تحفظهم من أذى العين والجن ونحوهما.

والخيط في الأصل ما يخاط به، كان المشركون يعقدون الخيوط على أيديهم ورقابهم يزعمون أنها تدفع الحمى فنهي عنه لما فيه من شائبة الشرك.

قال الشيخ ابن باز: «وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى».

وحكم لبس الخيط لذلك شرك أكبر إذا اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها، أو اعتقد أن ما لُبس قادر على رفع الضر، أما إذا اعتقد أنها سبب لرفع البلاء، وأن النافع الضار هو الله فهو شرك أصغر قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر ٣٨].

وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ أبصر على عضُد رجل حلقة ـ أراه قال: من صفر ـ فقال: ويحك، ما هذه؟ قال: من الواهنة. قال: أما إنها لا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٥٨).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٠٩.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص١٥٣. فتح المجيد ص١٣٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٧٤. القول المفيد ط١- ١/ ١٥٩ ط٢- ١/ ٢٠٤ ومن المجموع ٩/ ١٥٤. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٨. نور على الدرب لابن باز ص٦١، ٦٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١١٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٣٠. معارج القبول ١/ ٣٧٢. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٩٠.

تزيدك إلا وهناً، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»[(١)].

وروىٰ ابن أبي حاتم عن حذيفة ﵁ أنه رأىٰ رجلا في يده خيط من الحمىٰ فقطعه وتلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦][(٢)].

وروىٰ وكيع عن حذيفة: «أنه دخل علىٰ مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط؟ فقال: ما هذا؟ قال شيء رُقِيَ لي فيه فقطعه وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك»[(٣)].

قال ابن باز: «فيه إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالىٰ ورسوله مع عدم الاعتماد عليها».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالالتفات إلىٰ الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع فعلىٰ العبد أن يكون قلبه معتمدا علىٰ الله لا علىٰ سبب من الأسباب والله ييسر لـه من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة»[(٤)].

قاعدة: قال ابن سعدي في الحلقة والخيط: «هذا الباب يتوقف فهمه علىٰ معرفة أحكام الأسباب، وتفصيل القول فيها أنه يجب علىٰ العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن لا يجعل منها سبباً إلا ما ثبت إنه سبب شرعاً وقدراً.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٢٤٢).

(٢) وذكره ابن كثير في تفسير الآية ٢٩٨ من سورةيوسف قال: روىٰ حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة، وذكره في تفسير ابن كثير ٤/ ٤١٨.

(٣) انظر: الآداب الشرعية ٣/ ٦٧، ٦٨، تيسير العزيز الحميد ١٦١.

(٤) انظر في بحث الأسباب مجموع الفتاوىٰ ٨/ ٥٢٦، ٥٣٩، مدارج السالكين ٣/ ٤٩٥. وانظر للاستزادة باب (السبب).

ثانيها: أن لا يعتمد العبد عليها بل يعتمد على مسببها، ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه... إذا عُلم ذلك فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصداً بذلك رفع البلاء بعد نزوله أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك؛ لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر.

وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير.

وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعاً ورجاء لنفعه.

وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببا يستدفع بها البلاء فقد جعل ما ليس سببا شرعياً ولا قدرياً سبباً، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشد النهي. وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود ولا من الأدوية المباحة النافعة. وكذلك هو من جملة وسائل الشرك فإنه لا بد أن يتعلق قلب متعلّقها بها وذلك نوع شرك ووسيلة إليه»[(١)].

❖ تنبيه:

قال ابن عثيمين: «ظهر في الأسواق في الآونة الأخيرة حلقة من النحاس يقولون: إنها تنفع من الروماتيزم، يزعمون أن الإنسان إذا وضعها على عضده وفيه روماتيزم نفعته من هذا الروماتيزم، ولا ندري هل هذا صحيح أم لا؟ لكن الأصل أنه ليس بصحيح لأنه ليس عندنا دليل شرعي ولا حسي يدل على ذلك، وهي لا تؤثر على الجسم؛ فليس فيها مادة دهنية حتى نقول: إن الجسم يشرب هذه المادة

(١) القول السديد ٣٤-٣٦. وانظر للاستزادة باب (السبب).

و ينتفع بها؛ فالأصل أنها ممنوعة حتىٰ يثبت لنا بدليل صحيح صريح واضح أن لها اتصالا مباشرا بهذا الروماتيزم حتىٰ ينتفع بها»[١]. وهذه مسألة لها تعلق بالأسباب. وقد فصلنا الكلام عنه في باب «السبب».

٥ـ الواهنة: [٢] قال ابن الأثير في النهاية: «الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيُرقىٰ منها. وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وربما عُلِّق عليها جنس من الخَرَز يقال لها خرز الواهنة، وهي تأخذ الرجالَ دون النساء. وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها علىٰ أنها تعصمه من الألم، فكان عنده في معنىٰ التمائم المنهي عنها»[٣]، وقد تقدم حديث عمران بن حصين في الفقرة السابقة الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه وفيه فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً».

قال الشيخ سليمان في شرح الحديث: «فإن قيل: كيف قال ﷺ: «لا تزيدك إلا وهنا» وهي ليس لها تأثير؟ قيل: هذا ـ والله أعلم ـ يكون عقوبة له علىٰ شركه لأنه وضعها لدفع الواهنة فعوقب بنقيض مقصوده»[٤].

وقوله: «ما أفلحت أبداً» هذا قد يكون لا يفلح الفلاح المطلق إذا اعتقد أنها سبب، وقد يكون لا يفلح حتىٰ مطلق الفلاح إذا اعتقد أنها تنفع أو تضر استقلالا بحسب ما يقوم في قلبه.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٨٩ وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٨٩.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣٥. لوامع الأنوار للسفاريني ص٥٠. تيسير العزيز الحميد ١٥٧. فتح المجيد ص١٣٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٧٦. القول المفيد ط١- ١/ ١٦٦ ومن المجموع ٩/ ١٥٨.

(٣) النهاية (و هـ ن).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٥٨.

٦ـ الـوتـر:[١] كانوا في الجاهلية إذا عتق وتر القوس أخذوه وعلقوه يزعمون أنه يحمي من العين ويعلق على الدواب وقد يكون من عصب الحيوانات[٢].

قال ابن الأثير: «كانوا يزعمون أن التقلد بالأوتار يرد العين ويدفع عنهم المكاره فنهوا عن ذلك»[٣].

روى الإمام أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً ﷺ منه بريء»[٤]، وفي رواية: «فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ»[٥].

وروى الإمامان البخاري ومسلم من حديث قيس بن عبيد أن النبي ﷺ أرسل رسولا وقال: «لا تبقينّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت»[٦].

وفي الحديث: «وارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها وقلّدوها ولا تقلدوها الأوتار»[٧] وجاء في معناها ثلاثة أقوال ذكرها ابن الأثير في النهاية فقال: «هو الدم وطلب الثأر يريد جعلوا ذلك لازما لها في أعناقها لزوم القلائد للأعناق. وقيل: أراد بالأوتار: جمع وتر القوس أي لا تجعلوا في أعناقها الأوتار فتختنق، لأن الخيل ربما رعت الأشجار فَنشِبَت الأوتار ببعض شعبها فخنقتها. وقيل: إنما

(١) التمهيد لابن عبد البر ١٧/ ١٥٩، ١٦١. تيسير العزيز الحميد ص١٦٤. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ١٣٩. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٤٠. فتح المجيد ص١٤٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قدامة ٨٢. معارج القبول ١/ ٣٧٣. القول المفيد ط١- ١/ ١٨٥، ط٢- ١/ ٢٢٥ ومن المجموع ٩/ ١٨٦.

(٢) انظر معارج القبول ١/ ٣٧٣.

(٣) النهاية (و ت ر).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٢١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٢٠).

(٦) البخاري (٣٠٠٥)، مسلم (٢١١٥).

(٧) أخرجه أبوداود(٢٥٥٣)، والنسائي(٣٥٩٥).

نهاهم عنها لأنهم يعتقدون أن تقليد الخيل بالأوتار يدفع عنها العين والأذىٰ فتكون كالعوذة لها فنهاهم وأعلمهم أنها لا تدفع ضررا ولا تصرف حذراً»[١].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «أرىٰ ذلك من أجل العين. وقال: غيره إنما أمر بقطعها لأنهم كانوا يعلقون في القلائد الأجراس»[٢].

وقال البغوي في شرح السنة: «تأول مالك أمره ﷺ بقطع القلائد علىٰ أنه من أجل العين وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون أنها تعصم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئاً. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: كانوا يعلقون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها إعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئاً. وكذلك قال ابن الجوزي وغيره وفي رواية محمد بن الربيع: «أو تقلد وتراً» يريد تميمة فهذا يدل علىٰ أنهم كانوا يتقلدون الأوتار من أجل العين. إذ فسره بالتميمة وهي تجعل لذلك»[٣].

فائدة: قال ابن الأثير فيمن عقد لحيته قيل: «هو معالجتها حتىٰ تنعقد وتتجعد وقيل كانوا يعقدونها في الحروب فأمرهم بإرسالها كانوا يفعلون ذلك تكبرا وعجباً»[٤].

وذكر الخطابي المعنىٰ الثاني لعقد اللحية وهو معالجة الشعر ليتعقد ويتجمد وذلك من فعل أهل التوضيع والتأنيث[٥].

(١) النهاية (ق ل د).
(٢) الآداب ٣/ ١٤٠.
(٣) التيسير ص ١٦٤.
(٤) النهاية (ع ق د).
(٥) التيسير ص١٧٢.

٨٧. التنجيم *

التنجيم لغة: مأخوذ من النجم وهو الكوكب، وهو اسم علم على الثريا[(١)].

قال ابن الأثير: «النجم في الأصل: اسم لكل واحد من كواكب السماء وجمعه نجوم»[(٢)].

التنجيم اصطلاحاً: صاحب القاموس: «المنجم والمتنجّم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها»[(٣)]. وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

قال ابن تيمية: «وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية

---

* التمهيد لابن عبد البر ٣/ ١٢٣، ١٦/ ٢٨٩. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٢٣٩. معالم السنن للخطابي ٤/ ٢٢٩. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٢. أحكام القرآن القرطبي ٧/ ٣. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤١٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٣٦. تيسير العزيز الحميد ص ٤٠٣، ٤٤٧. فتح المجيد ص٣٢٧ ـ ٣٦١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٩٧ ـ ٢٢٣. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٨٤، وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ١٠٢،٣٤ ط٢- ٢/ ٤٣. معارج القبول ١/ ٤٢٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٤٢٣. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٠٠. نور على الدرب لابن باز ص ٢٣٣. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٨٧. التنجيم والمنجمون لعبدالمجيد المشعبي. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٦٩. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١١٠٤. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٧٤. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ١/ ١٩٤. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٥١٨ ـ ٥٢٢.

(١) مختار الصحاح (ن ج م).

(٢) النهاية (ن ج م).

(٣) القاموس المحيط ٤/ ١٧٨.

والقوابل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل»[(١)].

وعرَّفه الخطابي ونقله البغوي في شرح السنة فقال: «والمنهي من علم النجوم ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن أو الحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغيّر الأسعار وما كان في معانيها من الأمور يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها ويَدَّعون لها تأثيراً في السفليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه»[(٢)].

* الدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

* الدليل من السنة: روى البخاري تعليقا أن قتادة قال: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: «خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء[(٣)]، ورجوما للشياطين[(٤)] وعلامات يهتدى[(٥)] بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه

(١) مجموع الفتاوى، لسان العرب (ن ج م).
(٢) معالم السنن ٥/ ٣٧١ السنة للبغوي ١٢/ ١٨٣.
(٣) كما في قوله تعالى + ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح'.
(٤) كما في قوله تعالى + وجعلناها رجوماً للشياطين'.
(٥) كما في قوله تعالى + وعلامات وبالنجم هم يهتدون'.

وتكلف ما لا علم له به»[١].

وعن أَبِي مُوسَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنًا لِلْخَمْرِ سَقَاهُ اللهُ ﷻ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ» قِيلَ وَمَا نَهْرُ الْغُوطَةِ قَالَ: «نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِمْ»[٢].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن «قوله: «ومصدق بالسحر»: أي مطلقاً، ومنه التنجيم»[٣].

أقوال بعض السلف:

عن عبد الله بن محيريز التابعي الجليل أن سليمان بن عبد الملك دعاه فقال: «لو علمت علم النجوم فازددت إلىٰ علمك فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف علىٰ أمتي ثلاث: حيف الأئمة، وتكذيب بالقدر، وإيمان بالنجوم»»[٤].

وقال ابن تيمية: «وهكذا قد اعترف رؤساء المنجمين من الأولين والآخرين أن أهل الإيمان أهل العبادات والدعوات يرفع الله عنهم ببركة عباداتهم ودعاءهم وتوكلهم علىٰ الله ما يزعم المنجمون أن الأفلاك توجبه ويعترفون أيضا بأن أهل العبادات والدعوات ذوي التوكل علىٰ الله يعطون من ثواب الدنيا والآخرة ما ليس في قوىٰ الأفلاك أن تجلبه فالحمد لله الذي جعل خير الدنيا والآخرة في اتباع المرسلين»[٥].

---

(١) البخاري كتاب بدأ الخلق باب في النجوم الفتح (٦/ ٢٩٥).
(٢) أخرجه الإمام أحمد، رقم (١٩٧٩٨).
(٣) فتح المجيد ص٣٦٦.
(٤) الدر المنثور ٨/ ٣١.
(٥) الفتاوىٰ ٣٥/ ١٩٦.

* أحكام وفوائد:

١ - علم النجوم ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: علم التسيير كالاستدلال من انتقال الشمس في البروج الفلكية علىٰ الفصول كالحر والبرد والاعتدال. قال الشيخ السعدي مبينا علم التسيير: «وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب علىٰ القبلة والأوقات والجهات»[(١)].

قال البغوي: «فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال جل ذكره: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦].

ويدخل في هذا القسم معرفة مواقيت الصلاة وساعات الليل بظهورها وأفولها ومعرفة أوان الزرع وتخير العرب الأزمان لنتاج مواشيهم ولضراب الفحول ومعرفتهم بالأمطار علىٰ اختلافها ومعرفة أسماء الكواكب والنجوم ومناظرها ومطالعها ومساقطها وسيرها والاهتداء بها»[(٢)].

القسم الثاني: علم التأثير ويطلق عليه الوهميات وهو ما يزعمه المنجمون من أن النجوم والأفلاك لها تأثير علىٰ الكون بنفسها أو أنها السبب في حدوث الحوادث من مصائب وفقر وحروب وغيرها[(٣)].

قال ابن رجب: «والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم قليله وكثيره. وأما علم التسيير، فتعلم ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة،

(١) القول السديد ٩١.
(٢) انظر فضل علم السلف علىٰ الخلف ص ١٣٤.
(٣) انظر التنجيم والمنجمون للمشعبي ص ٣٢ وما بعدها.

والطرق جائز عند الجمهور، وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه، وربما أدىٰ تدقيق النظر فيه إلىٰ إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما وقع ذلك كثيرا من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك يفضي الى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار وهو باطل»[(١)].

٢- **حكم التنجيم:** فصَّل الشيخ سليمان بن عبد الله في حكم التنجيم فقال رحمه الله: «واعلم أن التنجيم علىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: ما هو كفر بإجماع المسلمين، وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة علىٰ تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين، وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيما يسجدون لها ويتذللون لها ويسبحونها تسابيح معروفة في كتبهم، ويدعونها دعوات لا تنبغي إلا لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له[(٢)].

الثاني: الاستدلال علىٰ الحوداث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك، ويقول: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، فلا ريب في تحريم ذلك، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك. وينبغي أن يقطع بكفره، لأنها دعوىٰ لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالىٰ بعلمه بما لا يدل عليه.

الثالث: ما ذكره المصنف في تعلم المنازل»[(٣)].

---

(١) فضل علم السلف علىٰ علم الخلف لابن رجب ص٣٤. وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٤. والقول السديد ص٩١، ومجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ١٨٧-١٩١.

(٢) وحكم هذا أن صاحبه يقتل بالإجماع مرتدا لأنه اعتقد أن هناك مدبر غير الله وأن أحدا يتصرف في ملكه بغير مشيئته وتقديره سبحانه وتعالىٰ، وذهب أكثر العلماء إلىٰ أنه يستتاب ثلاثا قبل قتله.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

ويقصد بالمصنف الإمام الشيخَ محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب التوحيدحين ذكر أقوال السلف في تعلم المنازل فقال: «وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص فيه ابن عيينة، ذكره حرب عنهما ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحق»[(١)].

وروىٰ ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرىٰ بأسا أن يتعلم الرجل منازل القمر[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والصحيح عدم الكراهة»[(٣)].

٣ - بعض شبه المنجمين:

استدل بعض المنجمين بآيات من كتاب الله علىٰ صحة علم التنجيم منها قولـه: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل:١٦].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «والجواب أنه ليس المراد بهذه الآية أن النجوم علامات على الغيب يهتدي بها الناس في علم الغيب، وإنما المعنى ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾، أي: دلالات علىٰ قدرة الله وتوحيده. وعن قتادة ومجاهد أن من النجوم ما يكون علامة لا يهتدىٰ إلا بها، وقيل: إن هذا من تمام الكلام الأول وهو قولـه: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ [النحل: ١٥ ـ ١٦].أي: وألقىٰ لكم معالم يعلم بها الطريق والأراضي من الجبال الكبار والصغار يستدل بها المسافرون في طرقهم. وقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال ابن عباس في الآية: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ يعني: معالم الطرق بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال: «يهتدون به في البحر في أسفارهم» رواه ابن جرير و

---

(١) فتح المجيد ص ٣٦٤.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي كما في الدر المنثور ٣/ ٣٢٩.

(٣) فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ١٨٩.

ابن أبي حاتم.

فهذا القول ونحوه هو معنى الآية، فالاستدلال بها علىٰ صحة علم التنجيم استدلال علىٰ ما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام بما لا يدل عليه لا نصاً ولا ظاهراً، وذلك أفسد أنواع الاستدلال، فإن الأحاديث جاءت عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم وذمه»[(١)].

وقال: «فإن قلت: إن المنجمين قد يصدقون بعض الأحيان.

قيل: صدقهم كصدق الكهان يصدقون مرة ويكذبون مئة مرة، وليس في صدقهم مرة ما يدل علىٰ أن ذلك علم صحيح كالكهان»[(٢)].

ومن شُبه المنجمين: قوله تعالىٰ عن إبراهيم ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩]. وليس في هذا ما يدل علىٰ صحة علم أحكام النجوم فإن إبراهيم عليه السلام إنما بعث إلىٰ الصابئة المنجمين مبطلا لقولهم مناظرا لهم علىٰ ذلك.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «فإن قيل علىٰ هذا: فما فائدة نظرته في النجوم؟ قيل: نظرته في النجوم من معارض الأفعال ليتوصل به إلىٰ غرضه من كسر الأصنام كما كان قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣]. فمن ظن أن نظرته في النجوم ليستنبط منها علم الأحكام، وعلم أن طالعه يقضي عليه بالنحس، فقد ضل ضلالاً بعيداً. ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح أنه عليه السلام يقول: «لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن» وعدها العلماء قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٩.

كَبِيرُهُمْ﴾ وقوله لسارة: هي أختي[(١)].

فلو كان قولـه: إني سقيم أخذه من علم النجوم لم يعتذر من ذلك، وإنما هي من معاريض الأفعال، فلهذا اعتذر منها كما اعتذر من قوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ذكر ذلك ابن القيم»[(٢)].

٤- **أما صناعة التنجيم وتعلمه والعمل به** فقد أجاب عن حكمه شيخ الإسلام بقوله: «بل ذلك محرم بإجماع المسلمين وأخذ الأجرة على ذلك ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات ومنع الناس أن يُكروهم والقيام في ذلك من أفضل الجهاد في سبيل الله»[(٣)].

وقد تقدم في الأدلة حديث: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»[(٤)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قوله «ومصدق بالسحر»: مطلقا ويدخل فيه التنجيم لحديث: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس علما من السحر» وهذا وجه مطابقة الحديث للباب»[(٥)].

قال الذهبي في الكبائر: «ويدخل فيه تعلم السيمياء وعملها، وهو محض السحر، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباه

---

(١) هذا مأخوذ من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وذكر باقي الحديث وفيه أنه قال عن سارة أختي ـ أي: هي أختي ـ» أخرجه البخاري (٣٣٥٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٧.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٢.

ذلك بكلمات مجهولة قال: وكثير من الكبائر بل عامتها إلا الأقل يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه، فهذا الضرب فيهم تفصيل، فينبغي للعالم أن لا يجهل على الجاهل، بل يرفق به ويعلمه سيما إذا قرب عهده بجهله كمن أسر وجلب إلى أرض الإسلام وهو تركي فبالجهد أن يتلفظ بالشهادتين فلا يأثم أحد إلا بعد العلم بحاله وقيام الحجة عليه»[(١)].

٥ - **أما حكم إتيان المنجمين** فالكلام عنه كالكلام عن حكم إتيان الكهان وقد ذكر ابن تيمية حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله: إن قوما منا يأتون الكهان قال: «فلا تأتوهم»، قال شيخ الإسلام: «فنهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان، والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وحكي ذلك عن العرب وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوء حالا منه فلحق به من جهة المعنى»[(٢)].

وفي الحديث: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[(٣)].

والأجرة حرام على آخذها وهو المنجم ودافعها وهو الآتي إليه[(٤)].

٦ - فـائـدة:

وهناك أمور يظن أنها من التنجيم وليست منه ومن ذلك توقع حدوث الكسوف والخسوف وذلك أنه يمكن معرفتها بالحساب كما يعرف أوقات الزوال والغروب، ومنها توقع أحوال الجو بأسباب معروفة كالرياح ومعرفة مسارها

---

(١) الكبائر للذهبي ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى ص ٣٥/ ١٩٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٩٥٣٢)، وأبوداود (٣٩٠٤).

(٤) انظر الفتاوى ٣٥/ ١٩٤، ١٩٥.

ورؤية السحب واتجاهها ومكان قدومها[١].

٧- التصديق بالبروج:

أخرج الخطيب عن قتادة أنه قال: «وإن أناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا ويولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والذميم، وما عِلْمُ هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحدا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء».

وقال الشيخ صالح الفوزان: «ومن الخرافات الباطلة ما يروجه الدجالون في بعض الصحف والمجلات من ذكر البخت والنحوس والسعود، ويعلقون ذلك بحسابات البروج والنجوم ويصدق به بعض السذج»[٢].

والتفصيل في حكم البروج والتعلق بها والنظر في الغيب بواسطتها كالتفصيل في حكم سؤال الكهان سواء بسواء.

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله: «ومما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح ـ مع غفلة الناس عنه ـ ما يكثر في المجلات مما يسمونه البروج، فيخصصون صفحة أو أقل منها في الجرائد، ويجعلون عليها رسم بروج السنة، برج الأسد، والعقرب، والثور، إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه، فإذا كان الرجل أو المرأة مولوداً في ذلك البرج يقول: سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا، وهذا هو التنجيم الذي هو التأثير، والاستدلال بالنجوم والبروج على التأثير في الأرض وعلى ما سيحصل في الأرض، وهو نوع من

(١) انظر باب الكهانة.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٩٠

الكهانة، ووجوده في المجلات والجرائد عليذلك النحو وجود للكهان فيها، فهذا يجب إنكاره إنكاراً للشركيات ولدعاء معرفة الغيب وللسحر وللتنجيم؛ لأن التنجيم من السحر كما ذكرنا، ويجب إنكاره علىٰ كل صعيد، ويجب أيضاً علىٰ كل مسلم أن لا يدخله بيته، وأن لا يقرأه، ولا يطلع عليه؛ لأن الاطلاع علىٰ تلك البروج وما فيها ـ ولو لمجرد المعرفة ـ يدخل في النهي من جهة أنه أتىٰ الكاهن غير منكِرٍ عليه.

وإذا قرأ هذه الصفحة وهو يعلم برجه الذي وُلد فيه، أو يعلم البرج الذي يناسبه، وقرأ ما فيه، فكأنه سأل كاهناً، فلا تقبل لـه صلاة أربعين يوماً، فإن صدق بما في تلك البروج فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد، وهذا يدلك علىٰ غربة التوحيد بين أهله، وغربة فهم حقيقة هذا الكتاب ـ كتاب التوحيد ـ حتىٰ عند أهل الفطرة وأهل هذه الدعوة، فإنه يجب إنكار ذلك علىٰ كل صعيد وأن لا يؤثم المرء نفسه، ولا من في بيته بإدخال شيء من هذه الجرائد التي فيها ذلك في البيوت؛ لأن هذا معناه إدخال للكهنة إلىٰ البيوت، وهذا ـ والعياذ بالله ـ من الكبائر، فواجب إنكار ذلك وتمزيقه والسعي فيه بكل سبيل حتىٰ يُدحَر أولئك، لأن أهل التنجيم وأهل البروج هم من الكهنة، والتنجيم لـه معاهد معمورة في لبنان وفي غيرها، يتعلم فيها الناس حركة النجوم، وما سيحصل بحسابات معروفة، وجداول معينة، ويخبرون بأنه من كان من أهل البرج الفلاني فإنه سيحصل لـه كذا وكذا، عن طريق تعلم وهمي يغرهم به رؤوسهم وكهانهم، فالواجب علىٰ طلبة العلم أن يسعوا في تبصير الناس بحقيقة ذلك في كلماتهم، وبعد الصلوات، وفي خطب الجمع؛ لأن هذا مما كثر البلاء به، والإنكار فيه قليل، والتنبيه عليه ضعيف. والله المستعان»[(١)].

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٣٤٨-٣٤٩.

٨٨. التنطع*

[الإطراء ـ الغلو]

قال الخطابي: «المتنطع، المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم»[(١)].

* الدليل من السنة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلاثاً»[(٢)].

ومن التنطع: «الامتناع عن المباح مطلقاً، والامتناع عن المباح تديناً تنطع وغلو كالذي يمتنع من أكل الخبز واللحم ولبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أنه من الزهد المستحب»[(٣)].

قال شيخ الإسلام تقي الدين: «والزهد إنما يُراد لأنه زهد فيما يضر أو زهد فيما لا ينفع، فأما الزهد في النافع فجهلٌ وضلال»[(٤)].

وفي الحديث النهي عن التعمق في الأشياء والغلو فيها؛ لأنه من أسباب الهلاك ومن الأسباب التي تفضي إلى الشرك والعياذ بالله[(٥)].

قال النووي رحمه الله: في شرح الحديث: «أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم... وفيه كراهة التقعّر في الكلام بالتشدد وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم»[(٦)].

---

* الإبانة لابن بطة العكبري ص٣٩٦. تيسير العزيز الحميد ص٣١٨. فتح المجيد ص٢٥٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٥٢. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٣٧١. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٣٨٢، ط٢- ١/ ٤٨٥. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٢٦٠، ٢٢٨.

(١) معالم السنن ٧/ ١٣.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).
(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٣١٨.
(٤) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥١١.
(٥) انظر باب (الغلو).
(٦) رياض الصالحين ص٥٩٠.

٨٩.التوبة*

[الاستغفار]

التوبة: الرجوع عن الذنب[(١)]، وفي الحديث: «التوبة ندم».

والتوبُ: مثله. قال الأخفش: «التوب جمع توبة مثل: عزمة وعزم. وتاب إلى الله يتوب توبا وتوبة ومتاباً»[(٢)].

وقال في المفردات: «التوب: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو يقول: فعلت وأسأت وقد أقلعت. ولا رابع لذلك وهذا الأخير هو التوبة»[(٣)].

والتوبة في الشرع: «ترك الذنب بقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمل شرط التوبة»[(٤)].

قال الجرجاني: «التوبة: الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام

* التمهيد لابن عبد البر ١٥/ ١١. التحفة العراقية لابن تيمية ص١٠٧. أحكام القرآن القرطبي ٣/ ٣٤٠، ٤/ ١٣، ١١/ ١٩٩، ٢٠٠. فتح الباري لابن رجب ١/ ١٥٨. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٣٧٤. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٨٥، ١١٤، ١٣٧، ١٥١. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٦٢١ -٦٤٠. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧٧٣. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٣٠٠، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٧٣، ٣/ ١٥٦. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٥٩٦.

(١) مختار الصحاح (ت و ب).

(٢) لسان العرب: «ت و ب».

(٣) مفردات القرآن: «ت و ب».

(٤) انظر: كتاب مفردات القرآن. وانظر: أيضا مدارج السالكين ١/ ١٨١.

بكل حقوق الرب»[١].

وقيل: «التوبة: الإعراض والندم والإقلاع».

قال ابن عثيمين رحمه الله: «التوبة شرعاً: الرجوع من معصية الله تعالىٰ إلىٰ طاعته، وأعظمها وأوجبها التوبة من الكفر إلىٰ الإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨]، ثم يليها التوبة من كبائر الذنوب. ثم المرتبة الثالثة: التوبة من صغائر الذنوب. والواجب علىٰ المرء أن يتوب إلىٰ الله سبحانه وتعالى من كل ذنب»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «والتوبة لا ينبغي أن تكون لأحد إلا لله وحده»[٣].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

* **الدليل من السنة:** عن أبي بردة عن الأغر عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «يأيها الناس توبوا إلىٰ الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»[٤].

وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع

(١) التعريفات ص ٩٥، ٩٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ٧٤.

(٣) أحكام أهل الذمة ٣/ ٢٩٢.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

الشمس من مغربها»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[٢].

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الندم توبة»[٤].

فائدة في التوبة النصوح: قال الجرجاني: «والتوبة النصوح: هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله، قال ابن عباس، ﷺ: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود»[٥].

قال عمر ﷺ هي: «أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع».

وقال الحسن البصري: «هي أن يكون العبد نادما على ما مضى، مجمعا على ألا يعود فيه».

وقيل: التوبة النصوح: «ألا يبقي على عمله أثراً من المعصية سرا وجهراً».

وقيل: «هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلاً وآجلاً»[٦].

قال سعيد بن جبير في التوبة النصوح: «هي التوبة المقبولة، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط: خوف ألا تقبل، ورجاء أن تقبل، وإدمان الطاعات»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).
(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وابن حبان (٦١٢)، والحاكم في المستدرك (٧٦٨٦).
(٥) التعريفات ص ٩٥، ٩٦.
(٦) التعريفات ٩٥، ٩٦.
(٧) تفسير القرطبي للآية الثامنة من سورة التحريم.

والتوبة تتحقق بالآتي:

١ـ الندم على الذنب.

٢ـ وترك المعصية.

٣ـ العزم على عدم الرجوع إليها.

٤ـ هجر مكان المعصية.

٥ـ رد المظالم إلى أهلها إن كان في حق آدمي.

❖ وجوب التوبة إلى الله:

التوبة إلى الله حكمها الوجوب بإجماع أئمة الإسلام

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي؛ فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم لا يعود إليها أبداً.

فإن فُقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة، هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكَّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحلَّه منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحّت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي»[(١)].

وقال القرطبي: «واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين»[(٢)].

وقال ابن قدامة المقدسي: «الإجماع منعقد على وجوب التوبة»[(٣)].

---

(١) رياض الصالحين ص٢٤، ٢٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٩٠.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص٣٢٢. وانظر: رياض الصالحين بتحقيق الأرنؤوط ص١٠، ١١.

❖ حكم التوبة لغير الله:

التوبة للمخلوقات شرك بالله ﷻ قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «وفي الآية ـ يعني قولـه تعالىٰ: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠] دليل علىٰ أن التوكل عبادة، وعلىٰ أن التوبة عبادة، وإذا كان كذلك فالتوبة إلىٰ غيره شرك. ولما قال سارق وقد قطعت يده للنبي ﷺ: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلىٰ محمد قال النبي ﷺ: «عرف الحق لأهله» رواه أحمد»[(١)].

قال ابن القيم في كلام له عن الشرك: «ومن أنواعه: التوبة للشيخ، فإنها شرك عظيم. فإن التوبة لا تكون إلا لله. كالصلاة والصيام، والحج، والنسك. فهي خالصُ حق الله.

وفي المسند: أن رسول الله ﷺ أُتي بأسير فقال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلىٰ محمد. فقال رسول الله ﷺ: «عرف الحق لأهله»[(٢)].

فالتوبة عبادة لا تنبغي إلا لله. كالسجود والصيام»[(٣)].

وهذا الحكم متعلق بالتوبة من حيث كونها عبادة فإنه يجب صرفها لله وحده.

قال ابن عثيمين: «وأما التوبة التي بمعنىٰ الرجوع، فإنها تكون لـه ولغيره، ومنه قول عائشة حين جاء النبي ﷺ: فوجد نمرقة فيها صور، فوقف بالباب ولم يدخل، وقالت: أتوب إلىٰ الله ورسوله ﷺ ولا لغيره من الخلق بل لله وحده، ولكن هذه توبة رجوع، ومن ذلك أيضاً حين يضرب الإنسان ابنه لسوء أدبه يقول الابن أتوب»[(٤)].

❖ الفرق بين التوبة والاستغفار:

انظر باب (الاستغفار).

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٨٢.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٥٦٧٢).
(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٧٤.
(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٧٧٤. وانظر القول المفيد ط١ - ٢/ ٣٠٠.

٩٠. التوحيد وأقسامه*

قال ابن فارس: «الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد»[(١)].

وقال الجوهري: «وتوحَّد برأيه: تفرد به»[(٢)].

وقال الفيروزآبادي: «وُحِد كعُلِم وكُرم يحدُ ـ فيهما ـ وحادةً، ووحودةً ووحُوداً، ووحْداً، وَوُحْدَة، وَحِدَةً: بَقي مُفرداً كتوحَّد، ووحَّده توحيداً جعله واحداً»[(٣)].

وفي الشرع: قال ابن عثيمين هو: «إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به»[(٤)].

* مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/ ٣٣١. منهاج السنة النبوية ٣/ ٣١٣. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٤٤. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٠، ٣٠٨، ٣٠٩. مدارج السالكين ١/ ٤٨، ٥١. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٥٧. الدرر السنية ١/ ٦٥، ٦٧، ٨٣، ٢/ ٤٣، ٥٤، ٦٧، ٧٢، ٧٦، ١٠٠، ١٢٥، ٨/ ٨٦، ٢٢٤، ١٢/ ٤٧٢. تيسير العزيز الحميد ص٣٣، ٣٦. فتح المجيد ص٣٨. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١١/ ٥، ط٢- ١/ ١١ ومن المجموع ٩/ ١. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٢٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٥٦. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٩. معارج القبول ١/ ٢٨٥. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦١. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٣٧٥، ٣٩٢، ٢١١. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ١٥ ـ ٧/ ١٥. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٣، ٢٠. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ١٠/ ٦٩. منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الاشاعرة في توحيد الله ١/ ١٦. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٢٩. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص١٣٧ إلىٰ ١٤٨. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٨١. منهج ابن حجر في العقيدة ص٢٠٥ إلىٰ ٢٤٤. علم التوحيد د: الربيعة ص٢٩. تجريد التوحيد للمقريزي ص٤٥.

(١) معجم مقاييس اللغة (وحد). وانظر الصحاح للجوهري ٢/ ٥٤٧.

(٢) الصحاح (وح د).

(٣) القاموس المحيط (وح د).

(٤) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٣٣.

وقال أيضاً: «إفراد الله ـ سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات»[(١)].

والمعنى اعتقاد أنه إله واحد لا شريك لـه ولا نظير ولا ند ولا مثل مع التوجه إليه وحده بالعبادة سبحانة؛ لأنه المنفرد بما له من ذات وصفات لا يشاركه فيها أحد سواه. فهو واحد في إلاهيته لا إله غيره. واحد في ربوبيته لا رب سواه. وواحد في كل ما ثبت له من صفـات الكمال التي لا تنبغي إلا له.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وسمي دين الإسلام توحيدا، لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير لـه، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند لـه، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله»[(٢)].

وقال السفاريني هو: «إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالاً»[(٣)].

والمعبود هو الله وحده، فالإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده: في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته[(٤)].

وقد استوفيت الأدلة على التوحيد في أول الكتاب باب (لا إله إلا الله).

❖ بم يكون التوحيد؟

التوحيد لايكون باللسان فقط. قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «بل إجماع بين أهل العلم أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فلا بد من الثلاثة؛ لا بد أن يكون هو المعتقد في قلبه، ولا بد أن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولا بد أن يكون

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣٢، ٣٣.
(٣) لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٥٧.
(٤) شرح الطحاوية ص٧٦، تيسير العزيز الحميد ص٧، الروضة ص٩، ودعوة التوحيد ص١٠.

هو الذي تعمل به جوارحه فلو وحد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحد بأركانه دون الباقي لم يكن الرجل مسلماً هذا إجماع أن الإنسان لا بد أن يكون موحدا باعتقاده ولسانه وعمله»[١].

وينقسم التوحيد إلىٰ ثلاثة أنواع معروفة مشهورة[٢]:

النوع الأول: توحيد الربوبية هو الاقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور، وهذا النوع من التوحيد أقر به المشركون ولم يدخلهم إقرارهم به في الإسلام.

النوع الثاني: توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة وهذا النوع هو الذي فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال الجرجاني: «وهو ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالىٰ بالربوبية، والإقرار بالواحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة»[٣].

وبعض العلماء أعاد هذه الأنواع الثلاثة إلىٰ نوعين:

النوع الأول: في العلم والاعتقاد ويدخل فيه توحيد الله في الربوبية وتوحيده في الأسماء والصفات. ويسمىٰ التوحيد العلمي لتعلقه بالأخبار والمعرفة[٤].

النوع الثاني: في الإرادة والقصد وهو توحيد الله في ألوهيته سبحانه[٥].

فهذان نوعان فيهما الثلاثة الأول ودل علىٰ هذا التقسيم الاستقراء والتتبع إذ أن

---

(١) شرح كشف الشبهات ص١٢٦.

(٢) وقد أفردت لكل منها باباً فليراجع.

(٣) التعريفات ص٩٦.

(٤) انظر باب (توحيد المعرفة والإثبات).

(٥) انظر باب (توحيد القصد والطلب).

جميع أنواع التوحيد تدور على هذه الأقسام الثلاثة[(١)].

قال العلامة ابن القيم: «وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله، وهو نوعان: ـ توحيد في المعرفة والإثبات ـ وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوه فوق سماواته على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه. وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح. كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وأخر سورة الحشر، وأول سورة تنزيل السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها وأول سورة يونس ووسطها وآخرها وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولا كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ

(١) انظر كتاب القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد لعبد الرزاق العباد حفظه الله.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ توحيد، ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ توحيد، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ توحيد، ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ توحيد، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ توحيد، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ توحيد، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ توحيد، متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، الذين أنعم الله عليهم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين فارقوا التوحيد»[(١)].

وقال الإمام ابن بطة العكبري المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ما نصه: «وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

الثالث: أن يعتقد موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحا في توحيده.

ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها.

فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأن الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه لهما»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) الإبانة لابن بطة ص٦٩٣، ٦٩٤ من النسخة الخطية عن القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد لعبدالرزاق العباد ١/ ٢٩، ٣٠.

قال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين ـ رحم الله الجميع ـ، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»[1].

❖ التلازم بين أنواع التوحيد:

قال القاضي ابن أبي العز رحمه الله: «فعُلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية.. والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه، وضرب الأمثال له، ومن ذلك أنه يقرِّر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يُعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يُسلِّمون الأول وينازعون في الثاني، فيبيّن لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلم تعبدون غيره وتجعلوه معه آلهة أخرى؟! كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ الآيات [النمل: ٥٩-٦٠].

يقول الله تعالى في آخر كل آية: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفيَ ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى استفهام: هل مع الله إله؟ كما ظنه بعضهم؛

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص٢٩، ٣٠.

لأن هذا المعنىٰ لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ [الأنعام:١٩] وكانوا يقولون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص:٥]، لكنهم ما كانوا يقولون: إن معه إلهاً ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل:٦١]، بل هم مُقرُّون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات ....

وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر علىٰ أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً قال تعالىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف:١٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:١٧].

فإن قلت: كيف يُستدل بأسمائه وصفاته، فإن الاستدلال بذلك لا يُعهد في الاصطلاح؟

فالجواب: أن الله تعالىٰ قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسُلُه، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه.

ومن كماله المقدَّس شهادته علىٰ كل شيء واطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماوات ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليقُ بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهاً آخر؟»[(١)].

وقال الشيخ صالح الفوزان في بيان علاقة توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية:

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٢-٥٢. بتصرف.

«علاقة أحد النوعين بالآخر أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية والقيام به، فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك لـه، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً فلابد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢].

والربوبية والألوهية تارة يذكران معاً فيفترقان في المعنى ويكون أحدهما قسيماً للآخر، كما في قولـه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ فيكون معنى الرب هو المالك المتصرف في الخلق ويكون معنى الإله أنه المعبود بحق المستحق للعبادة وحده، وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى، كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ ومعناه من إلهك وخالقك، وكما في قولـه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، قولـه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾. والربوبية في هذه الآيات هي الإلهية، والذي دعت إليه الرسل من النوعين هو توحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية يُقرّ به جمهور الأمم ولم ينكره إلا شواذ من الخليقة أنكروه في الظاهر فقط»[1].

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص٢٣-٢٤.

وقال العلاَّمة محمد خليل هراس: «وأما توحيد الإلهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية، ومعنى كونه متضمناً لـه أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد الإلهية، فإن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً لابد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه ومالكه الذي لا رب له غيره ولا مالك له سواه، فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، وأن كل ما يدعي من دونه فهو لا يملك لعابديه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٦-١٧].

وأما توحيد الأسماء والصفات فإنه شامل للنوعين السابقين، فهو يقوم على إفراده سبحانه بكل ما لـه من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له، ومن جملتها كونه رباً واحداً لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلهاً واحداً لا شريك له في إلهيته»[(١)].

❖ فضل التوحيد:

فضائل التوحيد[(٢)] عظيمة وجليلة وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة في بيان فضله منها قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ

---

(١) دعوة التوحيد ص٧٠-٧١. وللاستزادة انظر: منهاج السنة ٣/ ٣١٣، درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٩١، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤١ وما بعدها.

(٢) شرح السنة للبغوي ١/ ٩٢. التمهيد لابن عبد البر ٦/ ٤٣، ٩/ ٢٤٢، ١٠/ ١٤٩، ٢٣/ ٢٩٦. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٦٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٧٣. تيسير العزيز الحميد ٧١. حاشية كتاب لاين قاسم ٢٣. فتح المجيد ٦١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١١. القول المفيد ط١- ١/ ٥٥. ومن المجموع ٩/ ٤٨. نهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٧٣. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣ / ١٠٨، ٢٢١، ٢٦٨. معارج القبول ١/ ٢٩٤،١١. نواقض الإيمان القولية والعملية ٧/ ٢١١. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٣٨٩. علم التوحيد د: الربيعة ص٣١.

ﭐلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢] الآية. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال يا موسى: لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»(١).

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها.. الحديث وفيه: ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة»(٢).

وعن أنس ﷺ قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك...» الحديث وفيه: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»(٣).

قال ابن رجب: «من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله ﷻ، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها ثم يدخل الجنة، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند

---

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه. وفي هذا الحديث وغيره رد على من زعم أن الذكر بالاسم المفرد (الله الله) أفضل من الذكر بالجملة المركبة، كقوله سبحان الله وسبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وزعمهم هذا فاسد، فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلا ولا مفيد شيئا ولا هو كلام، ولا يدل على مدح ولاتعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل الذاكر به في عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر (الله، الله) طول عمره لم يصر بذلك مسلما فضلا أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار، إلى آخر ما ذكره ابن القيم ؒ في كتابه: سفر الهجرتين. انظر التنبيهات السنية للرشيد ص ٨.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٧).

(٣) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (٣٥٤٠).

الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوىٰ الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة وخشية وتوكلا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع منه ذرة علىٰ جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات»[(١)].

وقد تنوعت عبارات السلف في بيان فضل التوحيد إذ هو أشرف الغايات وعلمه أشرف العلوم.

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «و أعظم ما دعا الله الخلق إليه في كتابه و دعت الرسل هو التوحيد و أعظم ما نهىٰ عنه الشرك وهو أصل دعوة الرسل و أساسها و رأسها و أكمل ما فيها و به بعث الله جميع الرسل كما قد صرح به القرآن في أكثره فهو مملوء به وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه أول ما دعا المشركين إلىٰ كلمة التوحيد و أن بالإقرار بها يصير الرجل مسلما و بالامتناع عنها يصير كافرا... فلا يصير الرجل مسلماً حتىٰ يشهد هذه الشهادة فإنها رأس الإسلام فهي واجبة في كل خطابة فكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذمىٰ و لهذا وجبت في التحيات و سميت التحيات تشهدا باسم التشهد الذي فيها و بها ختمت التحيات... و عليها شرع الجهاد الذي هو سنام العمل... وأهل هذه الكلمة هم السعداء... وهذا باب واسع فلا يعرف في دين الأنبياء و المرسلين و أتباعهم من الأولين والآخرين، ولا كتب رب العالمين أمراً أعظم من التوحيد وهو أول الكلمات العشر التي في التوراة و نظيرها الوصايا العشر التي في آخر الأنعام و أهل التوحيد هم المستحقون للشفاعة يوم القيامة...»[(٢)].

(١) كلمة الإخلاص لابن رجب ص٢١، وانظر: تيسير العزيز الحميد ص٩٦.
(٢) الرد علىٰ البكري ص٢٩٠-٢٩٦.

وقال الإمام المقريزي: «واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدرا توحيد الله تعالىٰ»[(١)].

ويدخل في فضل التوحيد حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب[(٢)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في معرض كلامه عن توحيد الألوهية: «وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنىٰ قول: لا إله إلا الله. فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلىٰ مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] فهذا أول أمر في القرآن. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣]. وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف، لا النظر ولا القصد إلىٰ النظر ولا الشك في الله، كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسول الله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[(٣)]. وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله»[(٤)]»[(٥)].

---

(١) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ٦.

(٢) أخرجه البخاري مختصراً ومطولاً (٣٤١٠) (٥٧٠٥)، وأخرجه مسلم (٢٢٠). وسيأتي في باب (الرقىٰ).

(٣) أخرجه أبوداود (٣١١٦).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٣٧.

قال الشيخ ابن عثيمين: «وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلىٰ الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به»(١).

وذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله شيئاً من فضائل التوحيد فقال: «(وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ههنا استقصاؤها؛ فلنذكر بعض ما ورد فيها:

* فهي كلمة التقوىٰ.
* وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق ودعوة الحق وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر.
* ولأجلها خُلِق الخلق.
* ولأجلها أُرسلت الرسل وأنزلت الكتب.
* ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب في الآخرة.
* ولأجلها أُمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم في ماله ودَمِه، ومن أباها فماله ودمُه هدر.
* وهي مفتاح دعوة الرسل، وبها كلَّم اللهُ موسى كفاحاً.
* وهي مفتاح الجنة، وهي ثمن الجنة.
* وهي نجاة من النار.
* وهي توجب المغفرة.
* وهي أحسن الحسنات.
* وهي تمحو الذنوب والخطايا.
* وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب.
* وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن، فلو وُزنت بالسموات والأرض رجحت بهن كذلك ترجح بصحائف الذنوب.
* وهي التي تخرق الحُجُب حتىٰ تصل إلىٰ الله عز وجل.

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٣٥.

* وهي التي ينظر الله إلى قائلها، ويجيب دعاه.
* وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها.
* وهي أفضل ما قاله النبيون.
* وهي أفضل الذكر.
* وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفا، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر.
* وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من القبور.
* ومن فضائلها أنها تُفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.
* ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها»[(١)].

وقد استدل لكل هذا بأدلة من الكتاب وأحاديث وآثار ولكنني اختصرت في ذكر الفضائل فقط.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «من فضائل التوحيد:

* أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.
* ومن فضائله أنه يكفر الذنوب.
* ومن أجل فوائده: أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.
* ومنها: أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والأمن التام في الدنيا والآخرة.
* ومنها: أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.
* ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ص٢٤٣-٢٥٣ من الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب، تحقيق محمد العمري.

قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

* ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات ويسليه عند المصيبات. فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه.

* ومنها أن: التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين.

* ومنها: أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

* ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألها متعبداً لله لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

* ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض، وعمارها من جميع خلق الله ...الخ»[(١)].

---

(١) القول السديد ص١٦ وما بعدها.

٩١. توحيد الأسماء والصفات*

هو أن يُسمى الله ويوصف بما سمَّى به نفسه ووصف في كتابه، وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل كما جاء عن السلف الصالح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان عقيدة السلف الصالح في ذلك: «أنهم يصفون الله ـ تعالى ـ بما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولاتمثيل»[(١)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»[(٢)].

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله: «هو أن يسمى الله ويوصف بما سمى ووصف به نفسه أو سماه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تأويل ومن

* لوامع الأنوارللسفاريني ١/ ١٢٨. تيسير العزيز الحميد ص٣٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٢ ط٢- ١/ ١٨ ومن المجموع ٩/ ٦. فتاوى اللجنة الدائمة ٣/ ١١١. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٨٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٠. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٢. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٢٣. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص١٥. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص١٨٧ـ٢١٢. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٩٩. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٥١. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٣. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص١١١. منهج ابن حجر في العقيدة ص٤٨٤. علم التوحيد د: الربيعة ص٧٦. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٣٩٥.

(١) الصفدية ١/ ١٠٣، وانظر: منهاج السنة ٢/ ١١١، ٥٢٣، الجواب الصحيح ٢/ ١٦٣، مجموع الفتاوى ٥/ ١٩٥، ٦/ ٣٨، ٨/ ٤٣ ٢، ١١/ ٢٥٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٨٢.

غير تكييف ولا تمثيل»[(١)].

وقال ابن عثيمين: هو: «إفراد الله ﷻ بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل»[(٢)].

* **الدليل من الكتاب:** ومن أدلة توحيد الأسماء والصفات قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾، وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾، وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وآخر سورة الحشر.

وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «توحيد الأسماء والصفات مبني على أصلين:

الأول: تنزيه الله ﷻ عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾.

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ أو وصف به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله؛ كما قال بعد قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾

---

(١) مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي ص ٢٣.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٤.

مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث قال الإمام أحمد ﷺ: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاج، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد، والله سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية، وله أفعال حقيقية فكذلك له صفات حقيقية وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم، ولافتقار المحدث إلى محدث، ولوجوب وجوده بنفسه ﷻ. ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل. فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه

(١) أضواء البيان ٣/ ٤١٠، ٤١١.

ويلحدوا في أسماء الله وآياته ... الخ»[١].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله: «وهذا أيضا لا يكفي في حصول الإسلام بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والإلهية والكفار يقرون بجنس هذا النوع وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلاً وإما عناداً كما قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة فأنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾»[٢].

❖ **مسائل تتعلق بالأسماء والصفات:**

الأولى: وجوب احترام أسماء الله؛ لأن احترامها احترام لله عز وجل، ومن تَعْظيم الله ألاّ يُسمى أحد باسم هو مختص به عز وجل كاسم (الله) و(الرحمن) و(القدوس) فهذه أسماء مختصة بالله ذي الجلال والإكرام فلا يتسمى بها أحد.

وأخرج أبو داود والنسائي عنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ عَنْ أَبِيهِ هَانِئٍ أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وسَمِعَهم وَهُمْ يَكْنُونَ هَانِئًا أَبَا الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فَلِمَ تُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ؟» قَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلا الْفَرِيقَيْنِ، قَالَ: «مَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا فَمَا لَكَ مِنْ الْوَلْدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَعَبْدُ اللهِ وَمُسْلِمٌ. قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قَالَ: شُرَيْحٌ. قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» فَدَعَا لَهُ وَلِوَلَدِهِ[٣].

وهذا الحديث يدل على المنع من التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به أو التكني بذلك لأنه ينافي كمال التوحيد الواجب.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «فهو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٦، ٢٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨١١)، وصححه الألباني في الإرواء ٨/ ٢٣٨.

بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزل على أنبيائه ورسوله»[(١)].

فلا ينبغي أن يستعمل لفظاً هو يليق بشأن الله تعالى في حق مَنْ هو مخلوق له ومحكوم عليه منه. ذكره الشيخ محمد صديق القنوجي ثم قال موضحاً ذلك: «أي كقولهم: مالك يوم الدين، وأقضى القضاة، وأرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وأبي القضاء والقدر، وأبي الحكم والأمر، وما في معنى ذلك، كالرزاق، والرب، والمعبود، والغنى المطلق»[(٢)].

الثانية في حكم التسمي بأسماء الله:

قال الشيخ ابن عثيمين: «التسمي بأسماء الله مثل: كريم، وعزيز ونحوها على وجهين:

*** الوجه الأول: على قسمين:**

القسم الأول: أن يحلّى بـ(أل) ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله كما لو سمَّيت أحداً بالعزيز، والسيد، والحكيم، وما أشبه ذلك فإن هذا لا يسمى به غير الله؛ لأن (أل) هذه تدل على لمح الأصل وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم.

القسم الثاني: إذا قصدتم بالاسم معنى الصفة وليس محلى بـ (أل) فإنه لا يسمى به ولهذا غيَّر النبي كنية أبي الحكم التي تكنى بها؛ لأن أصحابه يتحاكمون إليه فقال النبي ﷺ: «إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكْم» ثم كناه بأكبر أولاده شريح، فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظاً بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يُمنع لأن هذه التسمية تكون مطابقة تماما لأسماء الله، فإن أسماء الله أعلام وأوصاف لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم.

*** الوجه الثاني:** أن يتسمى بالاسم غير محلى بـ (أل) وليس المقصود به معنى

(١) فتح المجيد ٥٠٩، ٥١٠.

(٢) الدين الخالص لصديق حسن ٢/ ١٩٦.

الصفة فهذا لا بأس به مثل حكيم، ومن أسماء بعض الصحابة حكيم بن حزام الذي قال له النبي ﷺ: «لا تبع ما ليس عِنْدَك» وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا بأس به»[(١)].

وقال رحمه الله: «وأسماء الله تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما لا يصح إلا لله فهذا لا يُسمىٰ به غيره، وإن سُمي وجب تغييره مثل: الله، الرحمن، رب العالمين، وما أشبه ذلك.

الثاني: ما يصح أن يوصف به غير الله مثل: الرحيم، والسميع، والبصير، فإن لوحظت الصفة منع من التسمي به، وإن لم تلاحظ الصفة جاز التسمي به على أنه علم محض»[(٢)].

الثالث: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لا يصح أن نقول: «شاءت قدرة الله»؛ لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة لمن يشاء، ولكننا نقول اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع: هذا قدرة الله أي مقدوره كما تقول: هذا خلق الله أي مخلوقه، وأما أن نضيف أمراً يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز.

ومثل ذلك قولهم «شاء القدر كذا وكذا» وهذا لا يجوز؛ لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدِّر. والله أعلم»[(٣)].

الرابعة: دعاء الصفة لا يجوز كأن يقول: يا رحمة الله ارحميني، أما الدعاء بالصفة، والاستعاذة بالصفة، والحلف بالصفة والاستغاثة بالصفة فكل ذلك جائز.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ٩٤.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٨٤٤، ٨٤٥.وانظر القول المفيد ط١-٣/ ١٩.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١١٤. وانظر معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبوزيد ص٣٣٣.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وفي الدعاء المأثور «يا حى يا قيوم لا إله الا أنت برحمتك أستغيث، أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا الى أحد من خلقك»، والاستغاثة برحمته استغاثة به فى الحقيقة كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذةٌ به فى الحقيقة، وكما أن القسم بصفاته قَسَم به فى الحقيقة ففى الحديث: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق»، وفيه: «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»؛ ولهذا استدل الأئمة فيما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقوله: «أعوذ بكلمات الله التامة» قالوا: والإستعاذة لا تصلح بالمخلوق، وكذلك القسم قد ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» وفى لفظ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». رواه الترمذى وصححه، ثم قد ثبت فى الصحيح الحلف «بعزة الله» و«لعمر الله» ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من الحلف بغير الله الذى نهى عنه»[1].

وقد ورد إلى الشيخ ابن باز رحمه الله سؤال يطلب فيه السائل التوفيق بين النهي عن الاستغاثة بصفة من صفات الله وبين حديث: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين» نرجو من سماحتكم توضيح هذا الإبهام؟ والله ولي التوفيق.

فأجاب رحمه الله بقوله: «لا يجوز سؤال الصفات، وإنما يوجه السؤال إلى الله سبحانه كما قال ﷻ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة، أما الصفات فلا يجوز سؤالها، ولا يجوز الاستغاثة بها، فلا يجوز أن يقال: «يا علم الله انصرني، أو ارحمني، أو يا رحمة الله

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١١١، ١١٢.

ارحميني، أو يا حلم الله اغفر لي، ولا يا وجه الله ارحمني، وما أشبه ذلك».

وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذا الأمر حرام بإجماع المسلمين، أما الحديث المذكور في السؤال وهو «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث..» فمعناه: برحمتك أستغيث وليس معناه الاستغاثة بالرحمة، وإنما هو توسل بالرحمة وهكذا يجوز أن يقول الإنسان: «يا رب ارحمني برحمتك، يا رب انصرني بقدرتك، وما أشبه ذلك» لأن ذلك توسل إلىٰ الله بصفاه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ فدل ذلك علىٰ أن الصفات لا تُدعىٰ وإنما يُدعىٰ الله ﷻ، ويُسأل بأسمائه وصفات»[١].

وسُئل أيضاً الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ عن عبارة مكتوبة علىٰ بعض السيارات «يا رضا الله ورضا الوالدين» فما حكم تلك العبارة؟.

الجواب: قولـه: «يا رضا الله ورضا الوالدين» غلطٌ من جهتين:

الجهة الأولىٰ: أنه نادىٰ رضا الله، ومناداة صفات الله ـ جل وعلا ـ بـ«ياء النداء» لا تجوز؛ لأ، الصفة غير الذات في مقام النداء، ولهذا: إنما يُنادىٰ الله ـ جل وعلا ـ المتصف بالصفات، وقد نصَّ شيخ الإسلام ابن تيمية في ردِّه علىٰ البكري، وغيره من أهل العلم: علىٰ أن منادة الصفة محرّم بالإجماع، فإذا كانت الصفة هي الكلمة ـ كلمة الله ـ جل وعلا ـ كان كفراً بالإجماع؛ لأن من نادىٰ الكلمة يعني بها عيسىٰ ؈، فيكون تأليهاً لغير الله ـ جل وعلا ـ؛ ورضا الله ـ جل وعلا ـ صفة من صفاته، فلا يجوز نداء الصفة.

والمؤاخذة الثانية في تلك الكلمة: أنه جعل رضا الوالدين مقروناً برضا الله ـ جل وعلا ـ بـ«الواو»، والأنسب هنا أن يكون العطف بـ «ثم» فيقول ـ مثلاً ـ: أسأل

---

(١) فتاوىٰ ابن باز، سلسلة كتاب الدعوة ٣/ ٢٩.

الله رضاه ثم رضا الوالدين، وإن كان استعمال الواو في مثل هذا السياق لا بأس به؛ لأن الله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، ولأن «الواو» هنا تقتضي تشريكاً في أصل الرضا؛ وهذا الرضا يمكن أن يكون من الوالدين ـ أيضاً ـ فيكون التشريك في أصل المعنىٰ لا في المرتبة»[(١)].

الخامسة: حكم تسمية ضيف الله، وجار الله، ونعمة الله:

قال الشيخ ابن جبرين حفظه الله في الفوائد علىٰ شرح كتاب التوحيد: إن هذه الأسماء يجوز إطلاقها علىٰ المخلوق لأنها إضافة تشريف.

السادسة: حكم قول: أخي العزيز هذه جائزة؛ لأن هذا وصف وليس تسمية فينبغي التفريق بين الاسم والصفة؛ لأن الاسم المختص بالله تعالىٰ لا يطلق علىٰ غيره من باب التسمية أما الوصف فجائز ومنه قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

السابعة: يقول الحافظ ابن القيم: «يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل وجدها مطابقة لذلك».. وقال أيضاً: «يأتي السائل بالاسم الذي يقتضيه المطلوب؛ كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ولا يَحسُن أن تقول: إنك أنت السميع البصير»[(٢)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «كل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٦١٤.
(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٦٠، ١٦٤.

فليتوسل إليه باسم مناسب لـه من أسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم، العفو الغفور التواب، ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته ودعاء العبادة. وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف. فمثلاً: أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب تعظيماً لله وإجلالاً له. وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقاً له وحمداً وشكراً له، وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكساراً بين يديه، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلبَ مراقبةً لله في الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات، وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إليه، والتفاتاً إليه كل وقت، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته وتعَبُّدِه بها لله لا يُحَصِّلُ العبدُ في الدنيا أجلَّ ولا أفضلَ ولا أكملَ منها، وهي أفضلُ العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد ورَوْحُه، ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكُمَّل من الموحدين»[(١)].

وضد توحيد الأسماء والصفات الإلحاد:

ومعنى الإلحاد في أسماء الله: الميل بها عما تدل عليه من المعاني الحقيقية

(١) القول السديد ص١٣٣، ١٣٤، وانظر للاستزادة في هذا أحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٨١٥، والقواعد المثلى لابن عثيمين ص١٨.

العظيمة إلىٰ معان باطلة لا تدل عليها كما يفعله الذين يُؤولونها عن معانيها إلىٰ معان اخترعوها. ويدخل في الإلحاد التعطيل والتمثيل والتفويض والتكييف والتحريف فكل من مال عن معنىٰ حقيقة الصفة إلىٰ غيرها فقد ألحد فيها فمستقل ومستكثر نسأل الله تعظيم أسمائه وصفاته[(١)].

حكم جحود شيء من الأسماء والصفات من غير تأويل:

روىٰ عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأىٰ رجلا انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكارا لذلك فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقّة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه»[(٢)]. اهـ.

ويفهم من أثر ابن عباس أن من رد شيئاً من نصوص الصفات أو استنكره بعد صحته فهو من الهالكين.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله: «ونكفّر الجهمية بكفر مشهور، وهو تكذيبهم بنص الكتاب، أخبر الله تبارك وتعالىٰ أن القرآن كلامه، وادعت الجهمية أنه خلقه، وأخبر الله تبارك وتعالىٰ أنه كلم موسىٰ تكليماً، وقال هؤلاء لم يكلمه الله بنفسه ولم يسمع موسىٰ نفس كلام الله إنما سمع كلاماً خرج إليه من مخلوق...، وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال هؤلاء الجهمية: ليس لله يد، وما خلق آدم بيده، وإنما يداه نعمتاه ورزقاه، فادعوا في يدي الله أوحش مما ادعته اليهود؛ قالت اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾، وقالت الجهمية يد الله مخلوقة؛ لأن النعم والأرزاق مخلوقة لا شك فيها، وذلك محال في كلام العرب، فضلا أن يكون كفراً؛ لأنه يستحيل أن يقال خلق آدم بنعمته..»[(٣)].

(١) للاستزادة انظر باب (الإلحاد).

(٢) المصنف (٢٠٨٩٥)، والسنة لابن أبي عاصم (٤٨٥) (١/ ١٢).

(٣) الرد علىٰ الجهمية، ص ٢٠٠-٢٠١.

وقال أبو العباس السراج: «من لم يقر ويؤمن بأن الله تعالىٰ يعجب، ويضحك، وينزل كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا فيقول: «من يسألني فأعطيه» فهو زنديق كافر، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يصلىٰ عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين»(١).

وقال الذهبي ـ معلقاً ـ: «إنما يكفر بعد علمه بأن الرسول ﷺ قال ذلك، ثم إنه جحد ذلك ولم يؤمن به»(٢).

وأَخْرَجَ اِبْنُ أَبِي حَاتِم فِي مَنَاقِب الشَّافِعِيّ عَنْ يُونُس بْن عَبْد الأَعْلَىٰ سَمِعْت الشَّافِعِيّ يَقُول: «لِلَّهِ أَسْمَاء وَصِفَات لا يَسَعُ أَحَدًا رَدُّهَا، وَمَنْ خَالَفَ بَعْد ثُبُوت الْحُجَّة عَلَيْهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَأَمَّا قَبْل قِيَام الْحُجَّة فَإِنَّهُ يُعْذَر بِالْجَهْلِ، لأَنَّ عِلْم ذَلِكَ لا يُدْرَك بِالْعَقْلِ وَلا الرُّؤْيَة وَالْفِكْر، فَنُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَات وَنَنْفِي عَنْهُ التَّشْبِيه كَمَا نَفَىٰ عَنْ نَفْسه، فَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ.١١]»(٣).

وقال الآجري: «وكان مما بينه ﷺ لأمته أنه أعلمهم في غير حديث: «إنكم ترون ربكم ﷻ» ورواه جماعة من صحابته ﷺ، وقبلها العلماء عنهم أحسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الأخبار أن المؤمنين يرون الله ﷻ، لا يشكون في ذلك، ثم قالوا: من رد هذه الأخبار فقد كفر»(٤).

ويقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله في معرض كلامه عن الاستواء: «والجحود به

(١) مختصر العلو ص ٢٣٢، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٩٦.
(٢) المصدر السابق ص٢٣٢.
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٩٤، فتح الباري ١٣/ ٤١٨ باب قوله وكان عرشه علىٰ الماء عند شرح الحديث رقم (٧٤٢٦).
(٤) الشريعة ٢٢٧.

كفر لأنه ردٌّ لخبر الله، وكفر بكلام الله، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر، فكيف بمن كفر بسبع آيات، ورد خبر الله تعالىٰ في سبعة مواضع من كتابه»[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «فمن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة، والجهمية والمعتزلة ونحوهم، فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم أو الصفة، فإن الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كانوا يقرون بجنس الأسماء والصفات فعند التحقيق لا يقرون بشيء، لأن الأسماء عندهم أعلام محضة، لا تدل علىٰ صفات قائمة بالرب تبارك وتعالىٰ وهذا نصف كفر الذين جحدوا اسم الرحمن»[(٢)].

وقال الشيخ السعدي: «فمن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته فقد أتىٰ بما يناقض التوحيد وينافيه، وذلك من شعب الكفر»[(٣)].

❖ **وهذه المسألة فيها تفصيل:**

فمن أنكر شيئاً من أسماء الله وصفاته أو آية من كتابه مع علمه بها فهو كافر والعياذ بالله.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الجحد: الإنكار، والإنكار نوعان:

الأول: إنكار تكذيب وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدا أنكر اسما من أسماء الله أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة مثل أن يقول ليس لله يد، أو أن الله لم يستو علىٰ عرشه أو ليس له عين فهو كافر بإجماع المسلمين، لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة بالإجماع.

الثاني: إنكار تأويل وهو أن لا يذكرها ولكن يتأولها إلىٰ معنى يخالف ظاهرها

---

(١) ذم التأويل ص ٢٦ تحقيق البدر.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٨٢.

(٣) القول السديد ص١١٦.

وهذا نوعان:

الأول: أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: أن لا يكون لـه مسوغ في اللغة العربية، فهذا حكمه الكفر؛ لأنه إذا لم يكن لـه مسوغ صار في الحقيقة تكذيباً، مثل أن يقول: المراد بقولـه تعالىٰ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] تجري بأراضينا، فهذا كافر؛ لأنه نفاها نفياً مطلقاً، فهو مُكذِّب، ولو قال في قولـه تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة.٦٤] المراد بيديه: السموات والأرض؛ فهو كفر أيضاً لأنه لا مسوغ له في اللغة العربية، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية؛ فهو مُنكر ومكذِّب، لكن إن قال: المراد باليد النعمة أو القوة، فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة، قال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تُحدِّثُ أن المانوية تكذبُ»[١]

قال الإمام ابن تيمية: «من قال إن الله لم يكلم موسىٰ تكليما، فهذا إن كان لم يسمع القرآن، فإنه يعرف أن هذا نص القرآن، فإن أنكره بعد ذلك استتيب، فإن تاب وإلا قتل، ولا يقبل منه إن كان كلامه بعد أن يجحد نص القرآن، بل لو قال إن معنى كلامي إنه خلق صوتا في الهواء فأسمعه موسىٰ كان كلامه أيضاً كفراً، وهو قول الجهمية الذين كفّرهم السلف، وقالوا يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا، ولكن من كان مؤمنا بالله ورسوله مطلقاً، ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب، فإنه لا يحكم بكفره حتىٰ تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر، إذ كثير من الناس يخطئ فيما يتأوله من القرآن، ويجهل كثيرا مما يرد من معاني الكتاب والسنة، والخطأ والنسيان مرفوعاً عن هذه الأمة، والكفر لا يكون إلا بعد البيان»[٢].

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٧٦٥. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٩١.
(٢) مجموع الفتاوىٰ ص ١٢/ ٥٢٣، ٥٢٤.

٩٢. توحيد الألوهية *

الأولوهية مأخوذة من «إله» فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب بمعنى مكتوب، فالإله فعال بمعنى مفعول، وكُلُّ ما اتُّخذ معبوداً إلهٌ عند مُتخِذه[١].

وتوحيد الألوهية في الشرع: هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد هو إفراد الله بالعبادة»[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو إفراد الله بالعبادة الباطنة والظاهرة»[٣].

وهذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل ـ عليهم السلام ـ من أولهم إلى آخرهم.

---

* اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٤٦. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٢٨. الدرر السنية ١/ ٥١٧، ٢/ ٣١، ٣٠١. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٥٩، ٦٢، ١٩٠. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص٣٤. تيسير العزيز الحميد ص٣٦. فتح المجيد ص٣٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ١١. القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ١/ ٩ ط٢ - ١/ ١٦ ومن المجموع ٩/ ٤. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٦. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٢٦٧. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٢٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ٣٤٩. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٤٨. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٢٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٢٨. مباحث العقيدة في سورة الزمر ١٧٧. نواقض الإيمان القولية والعملية ١٣١. منهج ابن حجر في العقيدة ص٩٩٥. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٦٩. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٢٩٧. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٢١. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٢٧. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٣٧٨.

(١) تاج العروس، القاموس المحيط، مختار الصحاح مادة: «أ ل ه»، وقد تقدم شيء من ذلك في الباب الأول (لا إله إلا الله).

(٢) ثلاثة الأصول ص٣٢.

(٣) قرة عيون الموحدين ص١١، وانظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٤، ٥.

وهو أول ما يُؤمر به من يريد الدخول في الإسلام النطق بالشهادتين، فتبين من هذا أن توحيد الإلهية هو مقصود دعوة الرسل. وسمي بذلك لأن الألوهية وصف الله تعالى الدال عليه اسمه تعالى (الله) فالله: ذو الألوهية.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ويسمى هذا النوع توحيد الإلهية لأنه مبني على إخلاص التأله وهذا أشد المحبة لله وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة»(١).

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «توحيد الألوهية هو إخلاص العبادة لله وحده بجميع أفراد العبادة»(٢).

وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تألُّه القلب لله بالحب والخضوع والانقياد لـه وحده لا شريك لـه، فيجب إفرادُ الله تعالى بها، كالدعاء والخوف والمحبة، والتوكل والإنابة، والتوبة، والذبح، والنذر، والسجود، وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله، فهو مشرك ولو نطق بـ «لا إله إلا الله»، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص(٣).

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكل رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الإلهية كما قال نوح وهود وصالح

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٨.

(٢) حاشية الأصول الثلاثة ص٣٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٧٥، حاشية الأصول الثلاثة ص٤٦.

وشعيب: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]، وقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ [العنكبوت:١٦]. وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزمر:١١]. وقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ ﴾ [محمد:١٩]. وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦]، وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام:١٥١].

قال ابن مسعود ﷺ: من سرَّه أن ينظر إلىٰ الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣][(١)].

* **الدليل من السنة:** عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ»؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»[(٢)].

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلىٰ اليمن قال له: «إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٦٧) (٦٢٦٧) (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٢) (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

وعن طارق بن أشيم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه، حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[(١)].

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»[(٢)].

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[(٣)].

❖ فوائــــــد:

١ - فائدة:

يقال لتوحيد الألوهية توحيد العبادة باعتبار أن العبودية وصف العبد حيث إنه يجب عليه أن يعبد الله مخلصا في ذلك لحاجته إلى ربه وفقره إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «واعلم أن فقر العبد إلى أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس لـه نظير فيقاس به لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب وبينهما فروق كثيرة فإن حقيقة العبد قلبه وروحه وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو. فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره. ولو حصل للعبد لذات وسرور بغير الله فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص ـ وأما إلهه فلا بد منه في كل حال وكل وقت وأينما كان فهو معه»[(٤)].

٢ - فطرية التوحيد وأن الشرك طارئ على البشر:

خلق الله الناس حنفاء على عقيدة واحدة وهي عقيدة التوحيد ثم عرضت لهذه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ٢٤.

العقيدة انحرافات فمال الناس وانحرفوا إلى الوثنية والشرك بالله وهذا القول هو القول الحق، الذي لا شك فيه والذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة، ولا يعرف أحد من العلماء المعتبرين قال بخلافه. قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [يونس:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة:٢١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠].

وفي الحديث القدسي قال الله تعالىٰ: «إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»[1].

وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[2].

فالأصل في الناس التوحيد والشرك طارئ وحادث فيهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولم يكن الشرك أصلاً في الآدميين، بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله؛ لاتباعهم النبوة قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، فبتركهم اتباع شريعة الأنبياء وقعوا في الشرك، لا بوقوعهم في الشرك خرجوا عن شريعة الإسلام، فإن آدم أمرهم بما أمره الله به، حيث قال له: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩]،

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

وقال في الآية الأخرى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦]»[1].

٣ - ما يضاد التوحيد ويناقضه:

يضاد التوحيد نواقض قولية واعتقادية وعملية. وسيأتي ذكر ذلك في باب نواقض الإسلام ولكن نذكر شيئاً عنها لمناسبة الباب.

والنواقض على نوعين:

النوع الأول: ما ينقض أصل التوحيد، كالشرك الأكبر، والنفاق الاعتقادي، وترك الصلاة عمداً أو تهاوناً على الصحيح من قولي العلماء.

النوع الثاني: نواقض كمال التوحيد، مع بقاء أصله، كالشرك الأصغر بصوره، والنفاق العملي وكذلك كبائر الذنوب فإنها لا تزيل التوحيد والإيمان وإنما تؤثر على كماله وتمامه.

قال الحافظ ابن رجب: «فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحا في إخلاصه في قوله: لا إله إلا الله، ونقصا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وهذا كله من فروع الشرك.

ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله، أو خوفه، أو رجائه، أو التوكل عليه، أو العمل لأجله. كما ورد إطلاق الشرك على الرياء، وعلى الحلف بغير الله، وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٠٦.

عليه، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة.

مثل أن يقول ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوحيد، وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقي المكروهة، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من هوى النفس أنها كفر وشرك، كقتال المسلم، ومن أتى حائضا أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه من الملة بالكلية. ولهذا قال السلف، كفر دون كفر، وشرك دون شرك»[(١)].

٤ - تحقيق التوحيد[(٢)]:

ويقصد بتحقق التوحيد تخليصه وتصفيته من الشرك والبدع والمعاصي.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «تحقيق التوحيد: هو معرفته، والاطلاع على حقيقته، والقيام بها علما وعملا، وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفاً، وإنابة وتوكلاً، ودعاء وإخلاصاً وإجلالاً وهيبة، وتعظيما وعبادة. وبالجملة فلا يكون في قلبه شيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله؟ وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود.

وما أحسن ما قال ابن القيم:

فلواحدٍ كـن واحـداً في واحـدٍ ... أعنـي سـبيلَ الحـقِّ والإيمـانِ

وذلك هو حقيقة الشهادتين، فمن قام بها على هذا الوجه فهو من السبعين ألفا

---

(١) تحقيق كلمة الإخلاص ص١٧، ١٨، انظر كتاب منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة ٣٨٥، ٣٨٧

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٣٠. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧ / ٢٢٠. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٣. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٧٩. والقول المفيد ط١ - ١/ ٨٥.

الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب»[(١)].

وفي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل:١٢٠]، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله: «وصف الله إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بهذه الصفات الجليلة التي هي أعلى درجات تحقيق التوحيد، ترغيبا في اتباعه في التوحيد، وتحقيق العبودية فاتباع الأوامر، وترك النواهي، فمن اتبعه في ذلك، فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب كما يدخلها إبراهيم عليه السلام»[(٢)].

والصفات التي جمعت له في هذه الآية هي:

١ ـ أنه كان أمة قدوة وإماماً معلماً للخير وإماماً يقتدى.

٢ ـ أنه كان قانتاً لله أي خاشعاً مطيعاً مداوماً للطاعة.

٣ ـ أنه كان حنيفاً أي مائلاً قصداً عن الشرك.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الكلام على هذه الآية: «﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ لا للملوك ولا للتجار المترفين، ﴿حَنِيفًا ﴾ لا يميل يمينا ولا شمالا كفعل العلماء المفتونين، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ خلافاً لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه هو الذي جعله الله إماما لمن بعده من الناس، فلا يوجد قط مؤمن ولا منافق يظهر الإيمان إلا وهو معظم لإبراهيم، وإن كان فيهم من يكذب بكثير مما كان عليه إبراهيم. وقد جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فالأنبياء بعده من ذريته، فلا

(١) تيسير العزيز الحميد ص٩٩.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٩٩.

(٣) فتح المجيد ص٨٨.

يوجد من يؤمن بالأنبياء إلا وهو مؤمن بإبراهيم، ولا من يدعو إلىٰ عبادة الله في الجملة وينهىٰ عن الشرك إلا وهو معظم لإبراهيم»[(١)].

وشرط تحقيق التوحيد تخليصه من كل نواقضه المخرجة من الدين والملة فالشرك الأكبر مناقض لأصل التوحيد. والأصغر مناف لكماله. والبدع والمعاصي تكدر وتشوب التوحيد، وتمنع تحقيقه.

قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ﵀: «ولا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه؛ وتحقيق التوحيد قدر زائد علىٰ ماهية التوحيد، وتحقيقه من وجهين، واجب ومندوب، فالواجب تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي. فالشرك ينافيه بالكلية، والبدع تنافي كماله الواجب، والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققا للتوحيد حتىٰ يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي، والمندوب تحقيق المقربين، تركوا ما لا بأس به حذرا مما به بأس، وحقيقته هو انجذاب الروح إلىٰ الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام»[(٢)].

قال ابن سعدي ﵀: «إن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ومن البدع القولية والاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره»[(٣)].

---

(١) تفسير آيات أشكلت علىٰ كثير من العلماء ١/ ٤٠٦.

(٢) حاشية كتاب التوحيد ٣٧.

(٣) القول السديد ص٢٠، ٢١.

٩٣. توحيد الربوبية*

قال ابن منظور: «الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربِّي والقيِّم والمنعِم»[١].

وقال الراغب: «الربوبية مصدر يقال في الله ﷻ والرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات وبالإضافة يقال: «رب الدار»»[٢].

قال ابن عثيمين: «فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٤٩-٥٠] فكل أحد من العالمين قد رباه الله ﷻ بنعمته»[٣].

* لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٢٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٦١. تيسير العزيز الحميد ٣٣. فتح المجيد ص ٣٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١١. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٥ ط٢- ١/ ١١ القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٠. معارج القبول ١/ ٧٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٤. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١ / ٦٥. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص٢٨. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٦٦، ١٩١. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٩٨٢، ١٠٢١. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص ٣٠٣. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١١٣. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٤٨. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص١٥٥-١٧٠. منهج ابن حجر في العقيدة ص٢٤٤ -٢٥٩. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٣٧٠. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٩٦. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٥٩-٦٤.

(١) لسان العرب (ر ب ب).

(٢) المفردات في غريب القرآن ٦/ ٤٠.

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى ٦/ ٤٠ .

التعريف الشرعي: توحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك، فالله جل وعلا هو الخالق لجميع المخلوقات المالك المدبرلها.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «توحيد الربوبية والملك، وهو الإقرار بأن الله تعالىٰ رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي لـه الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر علىٰ مايشاء، ليس لـه في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر»[(١)].

وهذا التوحيد أقر به الكفار علىٰ زمن رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم.

*** الدليل من الكتاب**: قولـه تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

*** الدليل من السنة**: الأحاديث كثيرة في ذلك منها حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. قال: ومن قالها من النهار مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٣.

قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[(١)].

ومن ذلك قوله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوىٰ ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»[(٢)]. ومن ذلك دعاء الاستفتاح في قيام الليل: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم»[(٣)].

❖ توحيد الربوبية لا يكفي العبد في حصول الإسلام:

يقول الإمام المقريزي: «توحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وطائفة ظنوا أن التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية، وأن الله خالق كل شيء، وهو الذي يسمونه: توحيد الأفعال ... إلىٰ أن قال: وهذا التوحيد هو من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به كل الواجب ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين والعبادة، فلا يعبد إلا إياه، ولا يعبده إلا بما شرع فيكون دينه لله»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٣)، (٦٣٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٠)، وأبوداود (٧٦٧).

(٤) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ٦.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٤٥، ٨٤٦ وانظر شرح العقيدة الطحاوية ٨٣ ـ ٩٦ ط. المكتب الإسلامي.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ صفة إشراكهم أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام والصالحين؛ مثل عيسى، وأمه، والملائكة؛ يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ وهم يقرون: أن الله سبحانه، هو: النافع، الضار، المدبر؛ كما ذكر الله عنهم في قولـه تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ [يونس:٣١]»[1].

وقد أفنى البعض عمره في إثبات هذا النوع مع أن النفوس قد فُطرت على الإقرار والإيمان به، وإنما تُنزل الكتب وتُرسل الرسل ويشرع الجهاد وتسير الكتائب من أجل توحيد الله بأفعال العباد وهو توحيد الألوهية.

ولذلك نجد أن أهل السنة والجماعة لم يعنوا كثيراً في إيضاح توحيد الربوبية بل عنوا بتوحيد الألوهية، وبيانه، والدعوة إليه، والرد على من غلط فيه.

وإذا كان المشركون يقرون: أن الله سبحانه، هو: النافع، الضار، المدبر فإن كفر من أشرك مع الله غيره في الربوبية يعتبر أشد كفراً من المشركين الذين أشركوا مع الله غيره في الألوهية .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد دل القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]. وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قولـه ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢٣]. تجاهل من عرف أنه عبد مربوب، بدليل قولـه تعالى ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ

(١) الدرر السنية ١/ ٧٧.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] الآية، وقوله ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]. وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[يوسف:١٠٦] والآيات الدالة على ذلك كثير جدا»[1].

وكذلك من ينكر الرب اليوم من الشيوعيين إنما ينكرونه في الظاهر مكابرة وإلا فهم في الباطن لابد أن يعترفوا بأن هناك رباً يفتقر العباد إليه، وما من موجود إلا وله مُوجِد، وما من مخلوق إلا وله خالق وما من أثر إلا وله مؤثر قال الله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور:٣٥-٣٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد، فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث: وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: لا إله إلا الله، حتى قد يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع. ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بُعث إليهم محمد ﷺ أولا ـ لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى إنهم كانوا مقرين بالقدر أيضا، وهم مع هذا مشركون.

وقد تبين أن ليس في العالم من ينازع في أصل هذا الشرك ولكن غاية ما يقال: إن

(١) تفسير الشنقيطي أضواء البيان ٣/ ٤١٠، ٤١٤.

من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله، كالقدرية وغيرهم، لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا: إنهم خالقوا أفعالهم.

وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور، فهم مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة، لا يقولون إنها غنية عن الخالق، مشاركة له في الخلق.

فأما من أنكر الصانع فذلك جاحد معطل للصانع، كالقول الذي أظهره فرعون، والكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده»[(١)].

❖ استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية:

إن من أقر بتوحيد الربوبية لله واعترف بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله عز وجل لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه وهذا هو توحيد الألوهية فإن الألوهية هي العبادة فالإله معناه المعبود فلا يدعى إلا الله ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تصرف جميع أنواع العبادة إلا له فتوحيد الربوبية دليل لوجوب توحيد الالهية ولهذا كثيرا ما يحتج الله سبحانه على المنكرين لتوحيد الالهية بما أقروا به من توحيد الربوبية مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:١٠٢].

وظاهر دلالة الآية الكريمة أن من أفرد الله بالربوبية استحق أن يفرده بالعبادة قال الشيخ سليمان بن عبد الله بعد أن ذكر أقسام التوحيد الثلاثة: «وهي متلازمة،

---

(١) التدمرية ص ١٧٩ ـ ١٨١.

كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب... وهذا التوحيد ـ يعني توحيد الربوبية ـ لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لابد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية، لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ الأدلة من القرآن على ذلك واستشهد بأشعارهم التي يقرون فيها بتوحيد الربوبية وختم ذلك بقوله: فوجب على كل من عقل عن الله تعالى أن ينظر ويبحث عن السبب الذي أوجب سفك دمائهم، وسبي نسائهم، وإباحة أموالهم، مع هذا الإقرار والمعرفة، وما ذاك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلا الله»[١].

٩٤ـ توحيد القصد والطلب

[توحيد الألوهية]

ويسمى التوحيد الفعلي وهو المسمى بتوحيد الألوهية، وسمي فعليا لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، فأفعال القلوب كالرجاء والخوف والمحبة، والجوارح كالصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك، فهو إفراد الله بأفعال العبيد.

كما يسمى هذا النوع بالتوحيد الإرادي الطلبي لتعلقه بالقصد والإرادة لأن الواجب على الموحد فيه أن يوجه إرادته وقصده وطلبه إلى الله تعالى وحده لا شريك له.

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٣ـ٣٤. وانظر للاستزادة مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ٣٤٨.

٩٥. توحيد المعرفة والإثبات

[توحيد الربوبية – توحيد الأسماء والصفات]

ويسمى التوحيد العلمي الخبري لتعلقه بالأخبار والمعرفة وهو يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لأن الواجب على الموحد فيهما أن يعلم تفرد الله تعالى بالربوبية والأسماء والصفات ويثبت ذلك كما ورد في الكتاب والسنة.

كما يطلق عليه: التوحيد القولي الاعتقادي لاشتماله على أقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها، وعلى أقوال اللسان.

❖ **والتوحيد القولي ينقسم إلى قسمين:**

الأول: النفي.

الثاني: الإثبات.

فالنفي ينقسم إلى قسمين:

أ- نفي النقائص والعيوب عن الله.

ب- نفي التشبيه والتعطيل عن أسمائه وصفاته.

الثاني: الإثبات وهو إثبات صفات الكمال لله، ثم السلب أيضا ينقسم إلى قسمين:

١ - سلب متصل.

٢ - سلب منفصل.

أ- نفي ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من كل ما يضاد الصفات الكاملة من النقائص والعيوب كالموت والإعياء والنوم والنعاس والجهل والعجز ونحو ذلك.

ب- سلب منفصل وهو تنزيهه سبحانه عن أن يشاركه في خصائصه التي لا تكون لغيره كالشريك والظهير والشفيع بغير إذنه، ونفي الزوجة والولد ونحو ذلك.

٩٦. التوسل*

التوسل في اللغة: مأخوذ من الوسيلة وهي المنزلة عند الملك، والوسيلة: الدرجة[١]، ومن ذلك قوله ﷺ: «ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو..»[٢].

وتطلق الوسيلة ويراد بها القربة، وهذا مأثور عن ابن عباس وعطاء ومجاهد والفراء[٣]، ويقال وسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه، قال أبو

---

* قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٧. الاستغاثة لابن تيمية ص٣٣٦. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٧٢، ٧٧٤، ٧٨٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ٢٩٠. إغاثة اللهفان١/ ٢٠١،٢١٧.فتح الباري١٣/ ٣٥٠. الدرر السنية ١/ ٢٣٢، ٢/ ١٨٥، ١٩٣، ٣/ ٣٦١، ١٠/ ٢٢٣، ٢٦٧، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لابن الألوسي السيد نعمان خير الدين. صيانة الإنسان للسهسواني ص٢٠٥. الدين الخالص لصديق حسن ٢/ ١٧٩، ٤/ ٢٢، ٥١. قطف الثمر صديق حسن ص١٠٨، ١١٢. التوصل إلى حقيقة التوسل محمد نسيب الرفاعي. التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. تيسير العزيز الحميد ص٦٤٥. فتح المجيد ص٥٢٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٣٧. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١١٠٠. وانظر القول المفيد ط٢-٣/ ٩٠. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٣٠. مجموع الفتاوى لابن باز ٣/ ٩٤٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٣٣٥. ٥/ ٢٧٧، ٢٨٨. ٧/ ٢١٢. نور على الدرب لابن باز ٣٨، ١٨٣، ١٩٥. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٢٢٨. نور على الدرب ص٣٨، ١٨٣، ١٩٥. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٦٩. هذه مفاهيمنا للشيخ صالح آل الشيخ ص١١، منهج الإمام مالك في العقيدة ص٣١٤. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ٢/ ١٨٥. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٤٤٣. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٤٣٧،١١٢٣، ١٤٥٥، ١٤٥٩، ١٤٦٩. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٧٦. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٩٥ الفوائد الجلية لسيد غباشي. دعاوى المناوئين للشيخ عبدالعزيز آل عبداللطيف.

(١) لسان العرب (و س ل).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٣) زاد المسير (٢/ ٣٤٨)، تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥.

عبيدة: يقال توسلت إليه أي تقربت إليه وأنشد:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا ... وعاد التصافي بيننا والوسـائل

والواسل: «الراغب إلى الله»[(١)].

قال في النهاية: «الوسيلة هي في الأصل ما يتوصل به إلى شيء ويتقرب به وجمعها وسائل يقال وسل إليه وسيلة وتَوَسَّل والمراد به في الحديث القُربُ من الله تعالى. وقيل: هي الشفاعة يوم القيامة وقيل هي منزلة من منازل الجنة كما جاء في الحديث»[(٢)].

التوسل شرعاً: «هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته وباتباع رسوله، وبكل عمل يحبه ويرضاه»[(٣)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله»[(٤)].

وقال صاحب القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي: «اعلم أن التوسل المشروع الذي شرعه الله على لسان نبيه المتبوع إنما هو بالتقرب إلى الله تعالى بما شرعه على لسان نبيه ﷺ من علم أو عمل قلبي أو بدني أو ترك وكف عن عمل محظور فيدخل فيه جميع الطاعات وترك جميع المعاصي امتثالاً لأمر الشارع»[(٥)].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: «الوسيلة: التقرب إلى الله بأنواع القرب والطاعات وأعلاها إخلاص الدين لـه والتقرب إليه بمحبته ومحبة رسوله ومحبة دينه ومحبة

(١) انظر: لسان العرب، القاموس المحيط (و س ل)، زاد المسير (٢/ ٣٤٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث (و س ل).

(٣) انظر التوصل إلى حقيقة التوسل ص٢٠.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٢٤٧.

(٥) القول الجلي تأليف محمد بن أحمد بن محمد عبد السلام خضر ص ٢٨.

من شَرَع حبه، بهذا يجمع ما قاله السلف، وقولهم من اختلاف التنوع»[(١)].

* **الدليل من الكتاب:** قولـه تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة: ٣٥]. وقولـه تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧]. وقد تقدم عن جمع من السلف تفسير الوسيلة بالقربة.

وقال قتادة وعطاء والسدي وغيرهم في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ أي: «تقربوا إلىٰ الله بطاعته والعمل بما يرضيه»[(٢)].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغي إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواءً كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً...»[(٣)].

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي: «اعلم أن جمهور العلماء علىٰ أن المراد بالوسيلة هنا[(٤)] هو القربة إلىٰ الله تعالىٰ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه علىٰ وفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاص في ذلك لله تعالىٰ، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلىٰ رضا

---

(١) هذه مفاهيمنا (ص١٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٦/ ١٥٩، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٥٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٩٩.

(٤) يعني قولـه تعالىٰ: +وابتغوا إليه الوسيلة.

الله تعالىٰ ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة»(١).

قال السعدي: «وذلك يشمل التقرب إلىٰ الله بالواجبات والمستحبات وكذلك التقرب إليه بترك المحرمات والمكروهات»(٢).

أقسام التوسل: التوسل قسمان:

١ـ توسل مشروع. ٢ـ توسل ممنوع.

١ - أما التوسل المشروع: فهو كل توسل دل علىٰ مشروعيته نص من الكتاب أو السنة، وهو أنواع أربعة:

النوع الأول: توسل بالله تعالىٰ: وهو إما توسل بأسمائه الحسنىٰ، وإما بصفاته العلىٰ.

ودليله من القرآن قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

قال أبو يوسف عن الإمام أبي حنيفة ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به»(٣).

قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «والمعروف كتاباً وسنةً أن نسأل الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته، وهذا هو أحد التأويلين في قولـه تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [لأعراف:١٨٠]»(٤).

ودليله من السنة: ما روىٰ عبد الله بن بريدة رضي الله عنه عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد

(١) أضواء البيان: ٢/ ٨٦.
(٢) الفتاوىٰ السعدية: ص٢٣.
(٣) شرح الفقه الأكبر علىٰ علي قاري: ص ١٩٨. ومجموع الفتاوىٰ ١/ ٢٠٢. وإغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٢١٦.
(٤) الإنصاف في حقيقة الأولياء ص٤٩.

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»[(١)].

قال الألباني: «فهذه الأحاديث وما شابهها تُبيّن مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، وأن ذلك مما يحبه الله ويرضاه»[(٢)].

النوع الثاني: توسل المؤمن إلى الله تعالى بأعماله الصالحة.

ودليله من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٨]. وقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران:١٦].

ودليله من السنة: قصة أصحاب الكهف الثلاثة الذين توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة الخالصة لوجهه الكريم ففرج الله عنهم الصخرة.

ومن الأدلة أيضاً ما روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق ﵁ أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[(٣)].

وهذا فيه الاعتراف بالذنب والندم عليه وهو داخل في العمل الصالح الذي يتقرب به إلى الله تعالى.

النوع الثالث: توسل المؤمن إلى الله تعالى بدعاء النبيين أو الصالحين وسائر المؤمنين وذلك في حياتهم: سواء طلب من أخيه الدعاء له كأن يقول مثلا: ادع الله

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٣) وابن ماجه (٣٨٥٧).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه ص٣٢.

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٤) (٦٣٢٦)، ومسلم (٢٧٠٥).

لي أن يعافيني أو يقضي حاجتي وما أشبه ذلك أو دعا المؤمن لأخيه دونما طلب منه كأن يراه مثلا في ضيق فيدعو الله أن يفرج عنه سواء في حضوره أو في ظهر الغيب أو كصلاة الجنازة والدعاء عند زيارة القبور لأهل القبور. فالمسلمون كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء نبيهم عليه الصلاة والسلام في حياته في الاستسقاء وغيره فكان يدعو لهم فتستجاب دعوته. قال الألوسي: «وطلب الدعاء من المخلوق لاشك في جوازه إن كان المطلوب منه حياً، ولا يتوقف على أفضليته من الطالب، بل قد يطلب الفاضل من المفضول، فقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمر ﷺ لما استأذنه في العمرة: «لا تنسنا يا أخي من دعائك» وأمره أيضاً أن يطلب من أويس القرني رحمة الله تعالى عليه أن يستغفر له. وأمر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب الوسيلة له، وبأن يصلوا عليه»[(١)].

ونقل الشيخ ابن باز رحمه الله إجماع أهل العلم على جواز طلب الدعاء من الأحياء[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته، وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته ﷺ»[(٣)].

والدليل من الكتاب على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

فاستغفار الرسول ﷺ لهم توسل بدعاء المؤمن لأخيه ويجب التنبه إلى أن استغفار الرسول ﷺ إنما كان في حياته لا بعد موته فلا يجوز لأحد بعد وفاته

(١) جلاء العينين للألوسي ص ٥٦٥.
(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص ٦٤٨.
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٤.

وانتقاله إلى الرفيق الأعلى أن يأتي قبره ﷺ ويسأله أن يستغفر الله له لأن استغفار الرسول ﷺ انقطع بوفاته عليه الصلاة والسلام.

❖ **ودليله من السنة:**

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والضراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»[(١)].

ومن ذلك فعل عمر مع العباس بن عبد المطلب وكذلك فعل معاوية ابن أبي سفيان مع يزيد بن الأسود الجرشي، حيث ذكر الذهبي في السير «أن معاوية رضي الله عنه خرج يستسقي، فلما قعد على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود؟ فناداه الناس فأقبل يتخطاهم. فأمره معاوية، فصعد المنبر، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد ابن الأسود، يا يزيد، ارفع يديك إلى الله. فرفع يديه ورفع الناس فما كان بأوشكَ مِنْ أنْ ثارت سحابةٌ كالتُّرس، وهبَّت ريح، فسقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣) (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٧، وانظر الطبقات لابن سعد: ٧/ ٤٤٤.

❖ تنبيه:

ليس المراد من التوسل بدعاء أخيه المؤمن أن يتوسل بذاته ومن قال ذلك ليتوصل إلىٰ دعاء الموتىٰ والاستغاثة بهم باسم التوسل ويجعلهم واسطة بينه وبين الله فإنه دعا إلىٰ الشرك الأكبر المخرج من الملة كما بينه أئمة الإسلام وهو أكثر من أن يذكر يقول الشنقيطي رحمه الله: «وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه أنه تخبط في الجهل والعمىٰ، وضلال مبين وتلاعب بكتاب الله تعالىٰ. واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار كما صرح به تعالىٰ في قوله عنهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]»[(١)].

واعلم أن أهل البدع لا يفرقون بين التوسل بدعاء الصالحين والاستغاثة بهم فيسمون الاستغاثة بالصالحين توسلاً بالصالحين وهذا خطأ محض لأن الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر مخرج من الإسلام وسيأتي مزيد بيان لذلك.

النوع الرابع: التوسل بحال الداعي:

قال الشيخ ابن عثيمين: «أي أن يتوسل الداعي إلىٰ الله بحاله ولا يذكر شيئا، مثل أن يقول: «اللهم إني أنا الفقير إليك، اللهم إني أنا الأسير بين يديك» وما أشبه ذلك، والدليل علىٰ ذلك: قول موسىٰ عليه الصلاة والسلام حين سقىٰ للمرأتين ثم تولىٰ إلىٰ الظل: فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤] ولم يذكر شيئاً.

ووجه هذه الآية أن حال الداعي إذا وصفها الإنسان فإنها تقتضي الرحمة واللطف والإحسان لا سيما إذا كانت بين يدي أرحم الراحمين»[(٢)].

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٩٨).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٨٣. وانظر: ٢/ ٣٤٢.

٢- **التوسل الممنوع**: وهو تقرب العبد إلىٰ الله تعالىٰ بعمل مخالف لكتابه ولسنة نبيه ﷺ: كالتوسل إلىٰ الله بذوات المخلوقات من الملائكة والنبيين والصالحين وغيرهم، وبالأمكنة الفاضلة: كالكعبة، والمشعر الحرام، وبالأزمنة الفاضلة: كشهر رمضان، وليلة القدر، وأشهر الحج، والأشهر الحرم، وكذلك التوسل بحق الأنبياء وجـاه الأولياء والصالحين.

وسنجمل التوسل الممنوع في ثلاثة أوجه هي:

١ـ التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بذوات المخلوقات كذات النبي ﷺ وذوات الصالحين وغيرهم كأن يقول المُتَوسِل: اللهم إني أتوسل إليك بذات فلان. قال القدوري: «المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للمخلوق علىٰ الخالق فلا يجوز»[(١)].

فالله ﷻ لم يجعل ذوات الأنبياء والصالحين وسيلة إليه ولا سبباً يُتقرب بها إليه سبحانه بل الوسيلة تصديقهم واتباعهم.

قال الشنقيطي رحمه الله: «فيجب علىٰ كل مكلف أن يعلم أن الطريقة الموصلة إلىٰ رضا الله وجنته ورحمته هي اتباع الرسول ﷺ ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل»[(٢)].

فالمشروع التوسل إلىٰ الله والتوصل إليه بدعائه وليس علىٰ الله شيء أكرم من الدعاء وأما التوسل بالذوات فإنه بدعة محدثة في الدين ليست من فعل الصحابة ولا التابعين بل هو مردود غير مقبول لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(٣)]، بل إن الصحابة فهموا أن المراد من التوسل التوسلَ بالدعاء لا بالذوات ولذلك توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدعاء العباس عم النبي ﷺ ومعاوية

---

(١) نقله شيخ الإسلام في كتابه: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٨٧.

(٢) أضواء البيان (٢/ ٩٨).

(٣) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

بن أبي سفيان توسل بدعاء يزيد بن الأسود ولو كان التوسل بالذوات جائزاً وسائغاً عندهم لتوجهوا إلى قبر النبي ﷺ وتوسلوا بذاته ولكنهم تركوا ذلك وعدلوا عنه فاستسقوا بالعباس بن عبد المطلب كما روى أنس ﷺ أن عمر ﷺ كان إذا أقحطوا استستقى بالعباس فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا قال فيسقون»[١].

وكان من دعائه: «اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنب ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القومُ بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا عليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة؛ فاسقنا الغيث». فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس[٢].

قال الإمام الصنعاني: «إن عمر إنما جعل العباس إماماً يدعو بهم، ويستسقى ويسأل الله، لاعتقاد عمر أنه مجاب الدعوة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا أنه توسَّل به كما يتوسل القبوريون بالأموات، ولا قال عمر: أسألك بحق العباس، بل هو مثل طلب الصحابة النبي صلى الله عليه آله وسلم أن يستسقي لهم فهذا غير محل النزاع»[٣].

قال الشهاب الألوسي في كلامه عن هذه القضيه: «وحاشاهم – أي الصحابة – أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس وهم يجدون أدنى مساغ لذلك.

فعدولهم مع أنهم السابقون الأولون، وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله ﷺ، وبحقوق الله تعالى، ورسوله عليه الصلاة والسلام، وما يشرع من الدعاء وما لا

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠).
(٢) فتح الباري: ٢/ ٥٧٧.
(٣) الإنصاف في حقيقة الأولياء ص ٤٧.

يشرع، وهم في وقت ضرورة ومخمصة، يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير وإنزال الغيث بكل طريق: دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره»[(١)].

❖ **تنبيه:**

ينبغي أن يفرق بين التوسل بذوات الصالحين وسؤالهم وهذا ينبني على فهم معنى التوسل وإطلاقه عند أهل العلم وعند عباد القبور قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن «إن لفظ التوسل صار مشتركاً فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ودعائه رغباً ورهباً، والذبح والنذر، والتعظيم بما لم يشرع في حقّ مخلوق.

وأهل العلم يطلقونه على المتابعة والأخذ بالسنة فيتوسلون إلى الله بما شرعه لهم من العبادات، وبما جاء به عبده ورسوله محمد ﷺ وهذا هو التوسل في عرف القرآن والسنة ... ومنهم من يطلقه على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه أو بحق عبده الصالح. أو بعباده الصالحين، وهذا هو الغالب عند الإطلاق في كلام المتأخرين كالسبكي والقسطلاني وابن حجر – أي الهيثمي -»[(٢)].

فالتوسل بذوات الصالحين معناه سؤال الله بذواتهم كأن يقول: اللهم إني أسألك بنبيك أو أسألك بعبادك الصالحين وهو يقصد التوسل بالذات فهذا يُنهى عنه لعدم وروده ولا يصل تحريمه إلى الشرك الأكبر وسيأتي كلام العلماء عنه.

أما سؤال الصالحين فمعناه التوجه إليهم ودعاؤهم وطلب الحاجات منهم وهذا هو الشرك الأكبر الذي أنكره أئمة الدين وعلماء الإسلام وإياه عنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين قال «ولكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يطلب منه تفريج الكربات، وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو

---

(١) روح المعاني (٦/ ١١٣).

(٢) منهاج التأسيس ص ٢٦٧. وانظر الصواعق المرسلة لابن سحمان ص١٣، والأسنة الحداد ص٢٣١.

مع الله أحداً، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك، أو بالمرسلين، أو بعبادك الصالحين، أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين»[(١)].

❖ **حكم التوسل إلى الله بذوات المخلوقين:**

التوسل بذوات المخلوقين أمر محدث لا يدل على جوازه دليل من الكتاب ولا من السنة ولم يقل بجوازه أحد من السلف والأئمة والعلماء فهو من البدع المحدثة كما حكاه ابن القيم إجماعاً[(٢)] والأحاديث التي يستدل بها في جوازه غير ثابتة.

قال السهسواني «وقد عرفت فيما سلف أن كل حديث ورد في هذا الباب لا يخلو من مقال ووهن، فالأحوط ترك هذه الألفاظ، وقد جعل الله في الأمر سعة، وعلمنا النبي ﷺ التوسل المشروع على هيئات متعددة ـ كما تقدم ـ فلا ملجيء إلى الوقوع في مضيق الشبهات»[(٣)].

وقال الصنعاني: «لكن التوسل إليه بالمخلوقين شيء لم يأذن به الله لعباده، فهو بدعة، وهو تهجمٌ على الجناب العلي بما لم يأت به شرعٌ، بل طريقة عُبَّاد الأوثان، القائلين إنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى»[(٤)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ولو كان الأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى فلا يقتضي ذلك جواز التوسل بذواتهم وجاههم، لأن الذي لهم من الجاه والدرجات أمر يعود نفعه إليهم، ولا ننتفع من ذلك بشيء إلا باتباعنا لهم ومحبتنا لهم»[(٥)].

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ (٣/ ٦٨).
(٢) الدرر السنية ٩/ ٢٣٢.
(٣) صيانة الإنسان ص ٢٠١.
(٤) الإنصاف في حقيقة الأولياء ص٤٧.
(٥) الدرر السنية (٩/ ٢٣٢).

وقال الإمام السعدي: «التوسل إلى الله بذوات المخلوقين وجاههم فهذا الصواب أنه لا يحل، لأنه لا يتقرب إلى الله إلا بما شرع، وهذا ليس بمشروع، وأيضاً فذوات المخلوقين وإن كان لهم عند الله مقام وقدر وجاه، فهذا ليس لغيرهم وليس التوسل بهم سبباً لشفاعتهم للمتوسل عند الله ولم يجعله الله من الأمور المقربة إليه، وليس ذلك إلا توسلاً بما منّ الله على المتوسل فتعين أنه لا يجوز»[(١)].

٢- التوسل إلى الله بجاه فلان أو حقه[(٢)]، أو حرمته أو بركته كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك أو بحقه عليك أو بحرمته أو بركته أن تقضي حاجتي... وكره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك؛ إذ ليس لأحد على الله حق نقل ذلك شارح الإحياء[(٣)] وغيره.

ونقل المنع عن جمع من علماء الحنفية السهسواني الهندي في صيانة الإنسان[(٤)] واتفق أئمة الدعوة السلفية على أنه بدعة محرمة مذمومة.

ونقل الشيخ سليمان بن عبد الله عن ابن القيم ـ رحمهما الله ـ أن قول: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد ونحو ذلك أن هذا بدعة إجماعًا»[(٥)].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «التوسل بالجاه والبركة والحرمة والحق ليس بجائز عند جمهور أهل العلم لأن التوسلات توقيفية لا يجوز منها إلا ما أجازه الشرع، ولم

(١) الفتاوى السعدية، ص ٢٤.

(٢) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في السؤال بحق فلان فقد فصل فيه في الفتاوى ١/ ٢١٣،١/ ٢٢٠.

(٣) إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٨٥.

(٤) صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان ص ٢٠٥ .

(٥) الدرر السنية (٢/ ١٠٣)، وقد نص على بدعيته أيضا الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الدرر السنية ١/ ١٥٤ والشيخ ابن عثيمين في كتاب التوسل ص٤٦.

يرد في الشرع ما يدل على هذه التوسلات. فلا يقول الإنسان: اللهم اغفر لي بحق فلان، أو بحق محمد، أو بحق الصالحين، أو بحق الأنبياء، أو بجاه الأنبياء، أو بحرمة الأنبياء، أو ببركة الأنبياء أو ببركة الصالحين، أو ببركة علي، أو ببركة الصديق، أو ببركة عمر، أو بحق الصحابة، أو حق فلان، كل هذا لا يجوز، هذا خلاف المشروع وبدعة، وهو ليس بشرك لكنه بدعة، لم يرد في الأسئلة التي دعا بها النبي ﷺ، وكذلك أصحابه ﭫ»[(١)].

وقال ـ قدس الله روحه ـ: «التوسل بجاه الأنبياء، أو بجاه الصحابة، بدعة لا يجوز، أما بجاه الله معناه بعظمة الله فلا يضر، لكن بجاه النبي أو جاه أصحاب النبي ﷺ، أو بجاه الأنبياء، أو بجاه الصالحين، أو بحق الأنبياء، أو بحق الصالحين. هذا بدعة على الأصح عند جمهور أهل العلم»[(٢)].

ومما يذكر هنا أن هناك فرق بين الجاه، والحرمة من ناحية اللفظ والمعنى لا من ناحية الحكم الشرعي ـ والله أعلم ـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين: «التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع هذا محرم وهو نوع من الشرك مثل أن يتوسل بجاه شخص ذي جاه عند الله فيقول: أسألك بجاه نبيك، فلا يجوز ذلك لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع، ولأن جاه ذي الجاه ليس لـه أثر في قبول الدعاء؛ لأنه لا يتعلق بالداعي ولا بالمدعو وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده، فليس بنافع لك في حصول مطلوبك أو دفع مكروبك، ووسيلة الشيء ما كان موصلاً إليه، والتوسل بالشيء إلى ما لا يوصل إليه نوع من العبث، فلا يليق أن تتخذه فيما بينك وبين ربك. والله الموفق»[(٣)].

---

(١) انظر فتاوى ابن باز ٣/ ٣٢٢. وانظر: ص٩٥٢.
(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٥٦٤).
(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٣٤٣.

٣ ـ الإقسام على الله بالمتوسل به: كأن يقول أقسمت عليك يا الله بفلان أن تقضي لي حاجتي فهذه بدعة لم ينقل منه شيء عن السلف وقد كثر عند المتأخرين هذا المعنى فصار التوسل عندهم بمعنى الإقسام على الله بنبيه وهذا كالتوسل بالجاه والحرمة قال في جلاء العينين «فلا يقال: أقسمت عليك يا رب بملائكتك ولا بكعبتك، كما لا يجوز أن يقسم الإنسان بهذه الأشياء»[(١)] فهو ممنوع مطلقاً كما قرر ذلك تقي الدين ابن تيمية ونقله عن الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من العلماء الأعلام[(٢)].

❖ مسائل مهمة:

١- كلمة «أسألك بمعاقد العز من عرشك». قال ابن تيمية: «وأما إذا قال: «أسألك بمعاقد العز من عرشك» فهذا فيه نزاع، ورخص فيه غير واحد لمجيء الأثر به. ونقل عن أبي حنيفة كراهته، قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول «بمعقد العز من عرشك، أو بحق خلقك». قال أبو يوسف: «بمعقد العز من عرشك» هو الله فلا أكره هذا. وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، أو بحق البيت والمشعر الحرام، بهذا الحق يكره».

قالوا جميعاً: «المسألة بخلقه لا تجوز»؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق، فلا يجوز أن يسأل الله بما ليس مستحقا، ولكن معقد العز من عرشك هل هو سؤال بمخلوق أو بخالق؟ فيه نزاع فلذلك تنازعوا فيه. وأبو يوسف بلغه الأثر فيه: «أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجدك الأعلى وكلماتك التامة» فجوّزه لذلك»[(٣)].

---

(١) جلاء العينين ص ٥٥٠

(٢) جلاء العينين ص٥٦٧.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٨٢. وانظر كتاب: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص ١٨٧.

٢ ـ **السؤال بحق الرحم:** وهذا جائز، كقول الرجل «أسألك بالرحم أن تفعل كذا» وذلك لوجود سبب صحيح يقتضي السؤال به، وهو حق الرحم عليك، فالرحم لها حق عليك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن قيل: قد يقول الرجل لغيره «بحق الرحم» قيل: الرحم توجب على صاحبها حقاً لذي الرحم كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]. وقد رُوي عن علي أنه كان إذا سأله ابن أخيه بحق جعفر أبيه. أعطاه لحق جعفر على علي»[١].

ولا بد أن يعلم أن سؤال الرجل لغيره بالرحم هذا توسل إليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما. يقول ابن تيمية رحمه الله: «وأما قول الناس «أسألك بالله وبالرحم» وقراءة من قرأ ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ فهو من باب التسبب بها، فإن الرحم توجب الصلة، وتقتضي أن يصل الإنسان قرابته، فسؤال السائل بالرحم لغيره يتوسل إليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ليس هو من باب الإقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب. بل هو توسل بما يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم»[٢].

ومن هذا الباب ما يروى عن عبد الله بن جعفر أنه قال: «كنت إذا أحل سألت علياً رضي الله عنه شيئاً، فلم يعطنيه قلت له: بحق جعفر إلا ما أعطيتنيه. فيعطينيه»[٣].

فإن بعض الناس ظن أن هذا من باب الإقسام عليه بجعفر، أو من باب قولهم «أسألك بحق أنبيائك» ونحو ذلك وليس كذلك. بل جعفر هو أخو علي. وعبد الله

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٢٢١.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٠١.
(٣) المعجم الكبير ٢/ ١٠٩، سير أعلام النبلاء ١/ ٢٠٨، الإصابة ١/ ٤٨٦.

هو ابنه، وله عليه حق الصلة، فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر كما في الحديث: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي»[(١)].

وحين سأل رجل من بني سلمة الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما. قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما»[(٢)].

❖ حكم التوسل بالأموات:

التوسل بالأموات من أنبياء وصالحين وغيرهم بمعنى التقرب إليهم لاتخاذهم وسطاء وشفعاء شرك أكبر وهذا ما يريده عباد القبور بلفظ التوسل يعنون به النذر للقبور ودعاءهم وطلب الحاجات منهم والاستغاثة بهم والاستعانة بهم وإنزال الحاجات بين أيديهم وخشيتهم والخوف منهم فهذا حكمه شركٌ أكبرٌ ينقلُ عن ملة الإسلام إلى ملة الكفر قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

فمن فعل من ذلك شيء فقد سلك مسلك المشركين الأوائل الذين يزعمون أنهم يتقربون إلى الله بشركهم فإن قال قائل:إنما نتوسط بأصحاب القبور لنحصل على النفع من الله والنافع الضارهو الله قلنا هذه هي حجة المشركين الأولين حين قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، وقد يراد بالتوسل بالأموات إحدىٰ المعاني المتقدمة كالتوسل بجاهه أو بذاته.

فالتوسل المشروع شيء والتوسل البدعي شيء آخر أما التوسل بهذا المعنىٰ المقتضي صرف العبادة لغير الله فإنه شرك أكبر كما هو مشاهد عند عباد القبور.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢) وأبو داود (٥١٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤).

❖ **حكم التوسل بسيد الأنبياء:**

قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: «التوسل بالنبي ﷺ فيه تفصيل، فإن كان ذلك باتباعه ومحبته وطاعة أوامره وترك نواهيه والإخلاص لله في العبادة فهذا هو الإسلام وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، وهو الواجب على كل مكلف، وهو الوسيلة للسعادة في الدنيا والآخرة. أما التوسل بدعائه والاستغاثة به وطلبه النصر على الأعداء والشفاء للمرضى فهذا هو الشرك الأكبر، وهو دين أبي جهل وأشباهه من عبدة الأوثان، وهكذا فِعلُ ذلك مع غيره من الأنبياء والأولياء أو الجن أو الملائكة أو الأشجار أو الأحجار أو الأصنام.

وهناك نوع ثالث يسمى التوسل وهو التوسل بجاهه ﷺ أو بحقه أو بذاته مثل أن يقول الإنسان: أسألك يا الله بنبيك أو جاه نبيك أو حق نبيك أو جاه الأنبياء أو حق الأنبياء أو جاه الأولياء والصالحين وأمثال ذلك، فهذا بدعة ومن وسائل الشرك، ولا يجوز فعله معه ﷺ ولا مع غيره؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يشرع ذلك. والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما دل عليه الشرع المطهر، وأما توسل الأعمى به في حياته ﷺ فهو توسل به ﷺ ليدعو له ويشفع له إلى الله في إعادة بصره إليه، وليس توسلاً بالذات أو الجاه أو الحق كما يعلم ذلك من سياق الحديث وكما أوضح ذلك علماء السنة في شرح الحديث.

وقد بسط الكلام في ذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في كتبه الكثيرة المفيدة، ومنها كتابه المسمى [القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة] وهو كتاب مفيد جدير بالاطلاع عليه والاستفادة منه.

وهذا الحكم جائز مع غيره ﷺ من الأحياء كأن تقول لأخيك أو أبيك أو من تظن فيه الخير: ادع الله لي أن يشفيني من مرضي أو يرد عليّ بصري أو يرزقني الذرية الصالحة أو نحو ذلك بإجماع أهل العلم. والله ولي التوفيق»[(١)].

(١) مجموع فتاوى ابن باز ص٩٤٨.

❖ دفع توهم:

قال الشيخ الألباني رحمه الله: «إننا حينما ننفي التوسل بجاه النبي ﷺ، وجاه غيره من الأنبياء والصالحين فليس ذلك لأننا ننكر أن يكون لهم جاه، أو قدر أو مكانة عند الله، كما أنه ليس لأننا نبغضهم، وننكر قدرهم ومنزلتهم عند الله، ولا تشعر أفئدتنا بمحبتهم... إن كل مخلص ومنصف ليعلم علم اليقين بأننا ـ والحمد لله ـ من أشد الناس حباً لرسول الله ﷺ، ومن أعرفهم لقدره وحقه وفضله ﷺ، وبأنه أفضل النبيين، وسيد المرسلين، وخاتمهم وخيرهم، وصاحب اللواء المحمود، والحوض المورود والشفاعة العظمىٰ، والوسيلة والفضيلة، والمعجزات الباهرات، وبأن الله تعالىٰ نسخ بدينه كل دين، وأنزل عليه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، إلىٰ آخر ما هنالك من فضائله ﷺ ومناقبه التي تبين قدره العظيم، وجاهه المنيف صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أقول: إننا ـ والحمد لله ـ من أول الناس اعترافاً بذلك كله، ولعلّ منزلته ﷺ عندنا محفوظة أكثر بكثير مما هي محفوظة لدىٰ الآخرين، الذين يدعون محبته، ويتظاهرون بمعرفة قدره، لأن العبرة في ذلك كله إنما هي في الاتباع له ﷺ، وأمثال أوامره، واجتناب نواهيه، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران:٣١]»(١).

* شبهات في التوسل الممنوع:

الشبهة الأولى:

من شُبَه المجيزين للتوسل الممنوع حديث الأعمى الذي أخرجه الترمذي رحمه الله: «أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت دعوت

(١) التوسل للألباني: ٧٧ – ٨٠.

وإن شئت صبرت فهو خير لك قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه فيّ» فعاد وقد أبصر»[١].

واستدلالهم هذا باطل إذ القصة يفهم منها أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له وذلك في قوله: «ادع الله أن يعافيني» ولذلك قال ﷺ: «وإن شئت صبرت فهو خير لك» فقال الأعمى: «فادع» وهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له. وجاءت رواية أخرى فيها أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له[٢] فدل على أنه توجه بدعاء النبي ﷺ وفي الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه قال: «اللهم فشفعه فيّ» أي: اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيّ أي اقبل دعاءه في أن ترد عليّ بصري وهذا لا يمكن حمله على التوسل البدعي كالتوسل بالجاه ونحوه.

وجاء في الحديث «وشفعني فيه» وصححها الألباني رحمه الله وقال: «وهذه الجملة وحدها حجة قاطعة على أن حمل الحديث على التوسل بالذات باطل»[٣].

وجملة «وشفعني فيه» معناها: اقبل شفاعتي، أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ أي دعاءه في أن ترد عليَّ بصري هذا الذي لا يمكن أن يُفهم من هذه الجملة سواه[٤].

---

(١) سنن الترمذي: «٣٥٧٨»، كتاب الدعوات، والحديث قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (١٣٨٥). و المستدرك للحاكم: ١/ ٣١٣ كتاب صلاة التطوع، دعاء رد البصر، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، وضعفه بعض العلماء كالشيخ سليمان بن عبد الله في التيسير ص٢٤٤ والسهسواني في صيانة الإنسان ص١٢٥، ٢٠٤، وقد صححه الألباني في صحيحي سنن الترمذي وابن ماجه.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٤٥ ط المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: التوسل للألباني ص٧٤

(٤) انظر: التوسل للألباني ص٧٤.

وجاءت زيادة «وشفعني في نفسي» ومعناها اقبل دعائي في نفسي واقبل دعاء النبي ﷺ فيَّ وأما مافهمه البعض من هذا الحديث من جواز التوسل بذوات الصالحين فإنه خطأ بل هو توسل بشفاعته لا بذاته[(١)] كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء كما توسل عمر بن الخطاب ﷺ بدعاء العباس عم النبي ﷺ وقد تقدم، وكذلك معاوية بن أبي سفيان توسل بدعاء يزيد بن الأسود ولو كان التوسل بالذوات جائزاً وسائغاً عندهم لتوجهوا للنبي في قبره.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وفي بعض الروايات «يا محمد إني أتوجه» إلى آخره. وهذه اللفظة هي التي تعلق بها المشركون وليست عند هؤلاء الأئمة.... فقولـه: يا محمد إني أتوجه الخ لم تثبت في أكثر الروايات. وبتقدير ثبوتها لا يدل على جواز دعاء غير الله، لأن هذا خطاب لحاضر معين يراه ويسمع كلامه، ولا إنكار في ذلك، فإن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه ما يقدر عليه، فأين هذا من دعاء الغائب والميت لو كان أهل البدع والشرك يعلمون»[(٢)].

ومن هنا يتبين أن الحديث ليس فيه ما يدل على جواز دعاء الموتى بل هو دعاء الله تعالى بتوجهه بالنبي ﷺ في حياته كما دعى الله تعالى أن يشفع فيه النبي ﷺ لتقضى حاجته[(٣)].

ثم نقول أخيراً أن هذه الحادثة يذكرها العلماء ضمن معجزات النبي ﷺ في استجابة الله لدعاء نبيه ﷺ ولا يذكرونها في جواز التوسل بالجاه والذات.

---

(١) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري: ص ٣٩٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) راجع قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٨٥ وما بعدها، والصواعق المرسلة الشهابية تأليف سليمان بن سحمان ١٦٣ وما بعدها، التوسل للمحدث محمد ناصر الألباني ص٦٩ وما بعدها، وهذه مفاهيمنا ص ٣٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات؛ فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمىٰ أعاد الله عليه بصره»[(١)].

وقال الألباني رحمه الله: «وثَمَّة أمر آخر جدير بالذكر، وهو أنه لو حُمِل حديث الضرير علىٰ ظاهره، وهو التوسل بالذات لكان معطلاً لقولـه فيما بعد: «اللهم فشفعه فيّ، وشفعني فيه» وهذا لا يجوز كما لا يخفىٰ، فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها. وليس ذلك إلا علىٰ ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء، فثبت المراد، وبطل الاستدلال به علىٰ التوسل بالذات، والحمد لله»[(٢)].

الشبهه الثانية:

استدلالهم بحديث «أسألك بحق السائلين»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «وهذا الحديث هو من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد، وهو ضعيف بإجماع أهل العلم، وقد روي من طريق آخر وهو ضعيف أيضاً، ولفظه لا حجة فيه؛ فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين أن يثيبهم، وهو حق أحقه الله تعالىٰ علىٰ نفسه الكريمة بوعده الصادق باتفاق أهل العلم، وبإيجابه علىٰ نفسه في أحد أقوالهم، وقد تقدم بسط الكلام علىٰ ذلك، وهذا بمنزلة الثلاثة الذين سألوه في الغار بأعمالهم»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١/ ٢٦٦، وانظر قاعدة جلية ص ١٨٦، ١٩٨.

(٢) التوسل، ص ٧٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١١١٧٣)، وابن ماجه (٧٧٨). ونصه: عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته إلىٰ الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليه فأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف مَلَك».

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢١٥، ٢١٦.

قال السهسواني: «ففي سنده عطية العوفي، وهو وإن كان ممن اختلف في الاحتجاج به لكن الراجح والمحقَّق أنه ضعيف». ثم ساق أقول أهل العلم فيه، وقال: «والراجح في عطية الضعف فإن جارحيه أكثر من معدِّليه»[(١)].

قال العلامة الألباني: «ضعّف الحديث غير واحد من الحفاظ كالمنذري في الترغيب ٢/ ٢٦٥. والنووي... وكذا البوصيري»[(٢)].

ولو صح فله معنى صحيح غير ما يريده هؤلاء قال الشيخ عبد اللطيف ابن عبد الرحمن: «وأما ما ورد في السنن «بحق السائلين وبحق ممشى الذاهب إلى المسجد» ونحو ذلك، فالله ﷻ جعل على نفسه حقاً تفضلاً منه وإحساناً إلى عباده، فهو توسل إليه بوعده، وإحسانه، وما جعله لعباده المؤمنين على نفسه حقاً تفضلاً منه، وإحساناً إلى عباده، فليس هذا من الباب أعني باب مسألة الله بخلقه، وقد منعه فقهاء الحنفية ... ويشهد لهذا ما يروى أن داود قال: «اللهم إني أسألك بحق آبائي عليك، فأوحى الله إليه: أي حق لآبائك علي» أو نحو هذا»[(٣)].

الشبهة الثالثة:

حديث «توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم» أو«إذا سألتم الله، فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم» وهذا حديث مكذوب مفترى على رسول الله ﷺ، وليس له أصل قطعاً في كتاب من الكتب المعتمدة[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل

(١) صيانة الإنسان ص٩٧، ١٠٤.
(٢) التوسل: ص ٩٨.
(٣) مصباح الظلام ص ١٧٩-١٨٠.
(٤) انظر: القول الجلي في حكم التوسل بالنبي ص ٥٧.

العلم بالحديث، مع أن جاهه عند الله ـ تعالىٰ ـ أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين»[(١)].

الشبهة الرابعة:

الحديث الذي فيه توسل آدم ﷺ في تربته بمحمد ﷺ فقد جاء في المستدرك عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إياك، فقال: غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»[(٢)]. أخرجه الحاكم وقال فيه: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: «بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ، وعبد الله بن أسلم الفهري لا أدري من ذا»[(٣)].

وقد قال ببطلان هذا الخبر جماعة من الحفاظ كابن تيمية وابن عبدالهادي.

قال الإمام ابن تيمية: «ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أُنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب [المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم]: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روىٰ عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

قلت ـ القائل ابن تيمية ـ: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً، ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم، وقال أبو حاتم بن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك من

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٦٨.
(٢) المستدرك: ٢/ ٦١٥.
(٣) التلخيص للحافظ الذهبي حاشية على المستدرك على الصحيحين ٢/ ٦١٥.

روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقف فاستحق الترك.

وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث»[(١)].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي: «إنه حديث غير صحيح ولا ثابت، بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع»[(٢)].

وقال الشيخ الألباني: «ومما يؤيد ما ذهب إليه العلماء من وضع هذا الحديث وبطلانه أنه يخالف القرآن الكريم في موضعين منه:

الأول: أنه تضمن أن الله تعالى غفر لآدم بسبب توسله به ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧]. وقد جاء تفسير هذه الكلمات عن ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما بما يخالف هذا الحديث، فأخرج الحاكم (٣/ ٥٤٥) عنه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ...﴾ قال: أي رب! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلىٰ. قال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلىٰ. قال: أي رب! ألم تسكنّي جنتك؟ قال: بلىٰ. قال: ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلىٰ. قال أرأيت إن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلىٰ الجنة؟ قال: بلىٰ. قال: فهو قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

وقد قيل في تفسير هذه الكلمات: إنها ما في الآية الأخرىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف:٢٣]. وبهذا جزم السيد رشيد رضا في تفسيره (١/ ٢٧٩). لكن أشار ابن كثير (١/ ٨١) إلىٰ تضعيفه، ولا

(١) مجموع الفتاوىٰ: ١/ ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٢) الصارم المنكي ص٦٠، ٦١. ط. إدارة البحوث العلمية والإفتاء..

منافاة عندي بين القولين، بل أحدهما يتمم الآخر، فحديث ابن عباس لم يتعرض لبيان ما قاله آدم ﷺ بعد أن تلقى من ربه تلك الكلمات، وهذا القول يبين ذلك، فلا منافاة والحمد لله، وثبت مخالفة الحديث للقرآن، فكان باطلاً.

الموضع الثاني: قولـه في آخره: «ولولا محمد ما خلقتك» فإن هذا أمر عظيم يتعلق بالعقائد التي لا تثبت إلا بنص متواتر اتفاقاً، أو صحيح عند آخرين، ولو كان ذلك صحيحاً لورد في الكتاب أو السنة الصحيحة، وأيضاً فإن الله تبارك وتعالىٰ قد أخبرنا عن الحكمة التي من أجلها خلق آدم وذريته، فقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذريات:٥٦]، فكل ما خالف هذه الحكمة أو زاد عليها لا يقبل إلا بنص صحيح عن المعصوم ﷺ كمخالفة هذا الحديث الباطل. ومثله ما اشتهر علىٰ ألسنة الناس «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك» فإنه موضوع كما قال الصنعاني ووافقه الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»[(١)].

وأخيراً.. فإن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «الأحاديث التي تروىٰ في هذا الباب ـ وهو السؤال بنفس المخلوقين ـ هي من الأحاديث الضعيفة الواهية بل الموضوعة، ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها ولا اعتمد عليها»[(٢)].

الشبهة الخامسة:

قولهم: إن رسول الله ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين.

فيرىٰ المخالفون أن هذا الحديث يفيد أن النبي ﷺ كان يطلب من الله تعالىٰ أن ينصره، ويفتح عليه بالضعفاء المساكين من المهاجـــرين، وهذا ـ بزعمهم ـ هو

(١) التوسل للألباني ص ١١٤ – ١١٦.
(٢) مجموع الفتاوىٰ ١/ ٢٥٢.

التوسل المختلف فيه نفسه.

قال الألباني رحمه الله: «والجواب من وجهين:

الأول: ضعف الحديث...

الثاني: أن الحديث لو صح فلا يدل إلا على مثل ما دلّ عليه حديث عمر، وحديث الأعمى من التوسل بدعاء الصالحين. قال المناوي في فيض القدير: «كان يستفتح» أي يفتتح القتال، من قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩] ذكره الزمخشري (ويستنصر) أي بطلب النصرة (بصعاليك المسلمين) أي بدعاء فقرائهم الذين لا مال لهم».

قلت[١]: وقد جاء هذا التفسير من حديثه ﷺ، أخرجه النسائي (٢/ ١٥) بلفظ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» وسنده صحيح، وأصله في صحيح البخاري (٦/ ٦٧)، فقد بين الحديث أن الاستنصار إنما يكون بدعاء الصالحين، لا بذواتهم وجاههم.

ومما يؤكد ذلك أن الحديث ورد في رواية قيس بن الربيع المتقدمة بلفظ: «كان يستفتح ويستنصر..» فقد علمنا بهذا أن الاستنصار بالصالحين يكون بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم وهكذا الاستفتاح، وبهذا يكون هذا الحديث ـ إن صح ـ دليلاً على التوسل المشروع، وحجة على التوسل المبتدع والحمد لله»[٢].

الشبهة السادسة:

حديث ابن مسعود مرفوعاً «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر

---

(١) القائل هو الألباني رحمه الله.

(٢) التوسل للألباني: ص١٠٣ ـ ١٠٥.

استغفرت الله لكم» وهذا الحديث ضعيف كما ذكر أهل العلم انظر على سبيل المثال السلسلة الضعيفة للألباني[(١)].

الشبهة السابعة:

ومن شبههم حديث «إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأهل القبور» أو «فاستغيثوا بأهل القبور» وهو حديث موضوع مختلق لم يروه أحد من العلماء، ولم يوجد في شيء من كتب الدين الصحيحة، كما قاله شيخا الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم في غير موضع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «فهذا الحديث كذب مفترىً علىٰ النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة»[(٢)].

وقال: «وما يرويه بعض الناس أنه قال: «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور» أو نحو هذا، فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء، والذي يبين ذلك أمور:

أحدها: أنه قد تبين أن العلة التي نهىٰ النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عندها، إنما هو لئلا تكون ذريعة إلىٰ نوع من الشرك بالعكوف عليها، وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة.

ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة، فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء، أو لرفع شر كالاستنصار، حاله في افتتانه بالقبور إذا رجا الإجابة عندها، أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية، فإن أكثر المصلين في حال العافية لا تكاد قلوبهم تفتتن بذلك إلا قليلاً، أما الداعون المضطرون،

(١) رقم ٩٧٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٢٩٣.

ففتنتهم بذلك عظيمة جداً.

فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة عندها متحققة في حال هؤلاء، كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد، وهذا واضح لمن فقه في دين الله وتبين له ما جاءت به الحنيفية من الدين لله، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشك بكل الطرق.

الثاني: أن قصد القبور للدعاء عندها، ورجاء الإجابة بالدعاء هنالك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء إلى غير ذلك الموطن، أمر لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا ذكره أحد من العلماء، ولا الصالحين المتقدمين، بل أكثر ما نقل من ذلك عن بعض المتأخرين بعد المائة الثانية.

وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب غير ذلك، فهلا جاءوا فاستسقوا عند قبر النبي ﷺ بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به، ولم يستسق عند قبر النبي ﷺ...»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومنها أحاديث مكذوبة مختلفة، وضعها أشباه عباد الأصنام: من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه وما جاء به، كحديث «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» وحديث «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه» وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضه لدين الإسلام، وضعها المشركون، وراجت على أشباههم من الجهال والضلال»[(٢)].

الشبهة الثامنة:

قال شيخ الإسلام: «وما رُوي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده، وإنما نقل ذلك من هو

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٧ – ٦٧٩.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٤٣.

معروف بالكذب، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقياً كما كان علىٰ عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد.

ولم تزل الحجرة كذلك حتىٰ زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في أمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ ومن حينئذٍ دخلت الحجرة النبوية في المسجد ثم إنه بنىٰ حول حجرة عائشة التي فيها قبر جدار عالٍ، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلىٰ ذلك لأجل كنس أو تنظيف وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بيِّن، ولو صح ذلك لكان حجة ودليلاً علىٰ أن القوم لم يكونوا يقسمون علىٰ الله بمخلوق ولا يتوسلون في دعائهم بميت، ولا يسألون الله به وإنما فتحوا القبر لتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه»[1].

الشبهة التاسعة:

روىٰ ابن أبي شيبة عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار، وكان خازن عمر علىٰ الطعام، قال:

«أصاب الناس قحطٌ في زمن عمر؛ فجاء رجل إلىٰ قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا؛ فأتي الرجل في المنام، فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيّون، وقل له: عليك الكيس! عليك الكيس! فأتىٰ عمر فأخبره فبكىٰ عمر، ثم قال: يا رب لا آلوا إلا ما عجزت عنه»[2].

وذكر الحافظ في الفتح هذا الأثر وقال ما نصه: «روىٰ ابن أبي شيبة بإسناد

(١) مختصر الرد علىٰ البكري ٦٨ – ٧٤. وانظر الاقتضاء ٢/ ٦٨٤ – ٦٨٦.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٣١.

صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار وذكر القصة»[(١)].

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: «هذا الأثر على فرض صحته ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته؛ لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة ﵃ على خلافه، وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعلم أن ذلك هو الحق وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك، وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكور «بلال بن الحارث» ففي صحة ذلك نظر، وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه؛ لأن عمل كبار الصحابة يخالفه، وهم أعلم بالرسول ﷺ وشرعه من غيرهم، والله أعلم»[(٢)].

وأجاب الألباني رحمه الله عن تصحيح ابن حجر لإسناده بوجوه:

«**الأول**: عدم التسليم بصحة هذه القصة، لأن مالك الدار غير معروف العدالة والضبط، وهذان شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح، وقد أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١ـ٢١٣) ولم يذكر راوياً عنه غير أبي صالح هذا، ففيه إشعار بأنه مجهول، ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه ـ مع سعة حفظه واطلاعه ـ لم يحك فيه توثيقاً فبقي على الجهالة، ولا ينافي هذا القول الحافظ: «بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان...» لأننا نقول: إنه ليس نصاً في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط، ولولا ذلك لما ابتدأ هو الإسناد من عند أبي صالح، ولقال رأساً: «عن مالك الدار... وإسناده صحيح»

---

(١) الفتح ٢/ ٥٧٥. وقد تكلم السهسواني على تصحيح ابن حجر وبيَّن مواطن ضعفه في صيانة الإنسان ص١٢٨.

(٢) تعليقات الشيخ ابن باز على فتح الباري ٢/ ٥٧٥.

ولكنه تعمد ذلك، ليلفت النظر إلىٰ أن هاهنا شيئاً ينبغي النظر فيه، والعلماء إنما يفعلون ذلك لأسباب منها: أنهم قد لا يحضرهم ترجمة بعض الرواة، فلا يستجيزون لأنفسهم حذف السند كله، لما فيه من إيهام صحته لاسيما عند الاستدلال به، بل يوردون منه ما فيه موضع للنظر فيه، وهذا هو الذي صنعه الحافظ رحمه الله هنا، وكأنه يشير إلىٰ تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار كما سبق نقله عن ابن أبي حاتم، وهو يحيل بذلك إلىٰ وجوب التثبت من حال مالك أو يشير إلىٰ جهالته. والله أعلم.

الثاني: أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة، وأخذ به جماهير الأئمة، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار، وهي قولـه تعالىٰ في سورة نوح: ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١﴾ [نوح:١٠-١١] وهذا ما فعله عمر بن الخطاب حين استسقىٰ وتوسل بدعاء العباس كما سبق بيانه، وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط أن يصلوا ويدعوا، ولم ينقل عن أحد منهم مطلقاً أنه التجأ إلىٰ قبر النبي ﷺ، وطلب منه الدعاء للسقيا، ولو كان ذلك مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة، فإذ لم يفعلوه دل ذلك علىٰ عدم مشروعية ما جاء في القصة.

الثالث: هب أن القصة صحيحة، فلا حجة فيها، لأن مدارها علىٰ رجل لم يسم، فهو مجهول أيضاً، وتسميته بلالاً في رواية سيف لا يساوي شيئاً، لأن سيفاً هذا – وهو ابن عمر التميمي – متفق علىٰ ضعفه عند المحدثين، بل قال ابن حبان فيه: «يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث». فمن كان هذا شأنه لا تقبل روايته ولا كرامة، لاسيما عند المخالفة.

الوجه الرابع: أن هذا الأثر ليس فيه توسل بالنبي ﷺ، بل فيه طلب الدعاء منه بأن يسقي الله تعالىٰ أمته، وهذه مسألة أخرىٰ لا تشملها الأحاديث المتقدمة، ولم يقل بجوازها أحد من علماء السلف الصالح ﷺ، أعني الطلب منه ﷺ بعد وفاته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «القاعدة الجليلة» [ص ١٩/ ٢٠]: لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد: «يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا نبي الله يا ولي الله (الأصل: رسول الله) ادعوا الله لي، سل الله لي، سل الله أن يغفر لي... ولا يقول: أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو عليّ، أو أشكو إليك فلاناً الذي ظلمني، ولا يقول: أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجير من يستجيرك. ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضراً أنه استجار بفلان، ويذهب بالمحضر إلىٰ من يعمل بذلك المحضر ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، كما يفعله النصارىٰ في كنائسهم، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم، فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته، وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئاً من ذلك، ولا فعل هذا أحد من أصحابه ﷺ والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم»[1].

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ١١٩ – ١٢٢.

الشبهة العاشرة:

حكاية العتبي أنه رأىٰ أعرابياً أتىٰ قبر الرسول ﷺ قرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤] وهذه القصة لا تصح إسناداً ولا متناً إذ قال ابن عبد الهادي في الصارم: «وهذه الحكاية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب «شعب الإيمان» بإسناد مظلم...»[(١)].

وقال أيضاً: «وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما يقوم به حجة وإسنادها مظلم مختلف ولفظها مختلف أيضاً، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة علىٰ مطلوب المعترض ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد علىٰ مثلها عند أهل العلم»[(٢)].

وبعضهم يستدل بهذه الآية علىٰ الحث علىٰ المجيء إلىٰ قبر الرسول ﷺ والاستغفار عنده، وأن ذلك جائز في حياته وبعد مماته. وقد ردَّ هذا الادّعاء الباطل الإمام ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» فقال: «أما استدلاله بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية، فالكلام فيها في مقامين:

أحدهما: عدم دلالتها علىٰ مطلوبه.

والثاني: بيان دلالتها علىٰ نقيضه، وإنما يتبين الأمران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت لـه وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه؛ وهم سلف الأمة، ومن سلك سبيلهم.

---

(١) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي ص٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) الصارم المنكي ص٣٣٨، وانظر ص٤٣٠.

ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، وقد ذم تعالىٰ من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه، وأخبر أنه من المنافقين؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ ﴾ [المنافقون:٥]، وكذلك هذه الآية، إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف، وغيره من الطواغيت، دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم؛ ثم لم يجيء إلىٰ رسول الله ﷺ ليستغفر له، فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة، وتنصل من الذنب، وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ؛ أن أحدهم متىٰ صدر منه ما يقتضي التوبة، جاء إليه فقال: يا رسول الله، فعلتُ كذا وكذا فاستغفر لي، وهذا كان فرقاً بينهم وبين المنافقين فلما استأثر الله ﷻ بنبيه ﷺ ونقله من بين أظهرهم إلىٰ دار كرامته، لم يكن أحد منهم قط يأتي إلىٰ قبره، ويقول: يا رسول الله، فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن نقل هذا عن أحد منهم، فقد جاهر بالكذب والبهت.

أَفَتُرىٰ عَطَّلَ الصحابةُ والتابعون ـ وهم خير القرون علىٰ الإطلاق ـ هذا الواجبَ الذي ذم الله سبحانه من تخلَّف عنه، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق، ووفق له من لا توبة له من الناس، ولا يعد في أهل العلم، فكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام، وهداة الأنام، من أهل الحديث والفقه والتفسير، ومن لهم لسان صدق في الأمة، فلم يدعو إليه، ولم يحضوا عليه، ولم يرشدوا إليه، ولم يفعله أحد منهم البتة، بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة، فيما يكره وينهىٰ عنه من الغلو والشرك الجفاة، عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية، ولما كان هذا المنقول شجاً في حلوق الغلاة، وقذىً في عيونهم، وريبة في قلوبهم، قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل، ومن استحىٰ منهم من أهل العلم بالآثار، قابله بالتحريف والتبديل، ويأبىٰ الله إلا أن يعلي منار الحق، ويظهر أدلته؛ ليهتدي المسترشد، وتقوم الحجة علىٰ المعاند.

ومما يدل على بطلان تأويله قطعاً، أنه لا يشك مسلم أن من دعي إلى رسول الله ﷺ في حياته، وقد ظلم نفسه، ليستغفر له، فأعرض عن المجيء وأباه، مع قدرته عليه، كان مذموماً غاية الذم، مغموصاً بالنفاق، وليس كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر لـه، ومن سوى بين الأمرين، وبين المدعوين، وبين الدعوتين، فقد جاهر بالباطل، وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق.

وأما دلالة الآية على غير تأويله، فهو أنه سبحانه صدرها بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم، طاعة له؛ ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم قط أن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره، ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها، ووفق لها هؤلاء العصاة الغلاة، وهذا بخلاف قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فإنه نفى الإيمان عمن لم يحكمه، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً، ففي حياته كان هو الحكم بينهم بالوحي، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه، ويوضح ذلك أنه قال: «لا تجعلوا قبري عيداً»، ولو كان يشرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له، لكان القبر أعظم أعياد المذنبين، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به..، ولو كان مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه، ورغبهم فيه، ولكان الصحابة وتابعوهم بإحسان أرغب شيء فيه، وأسبق إليه، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له، ولا شكا إليه ولا سأله، والذي صحّ عنه مجيء القبر هو ابن عمر وحده، إنما كان يجيء للتسليم عليه ﷺ وعلى صاحبيه عند قدومه من السفر، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً البتة»[(١)].

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي ص٤٢٥-٤٢٨.

الشبهة الحادية عشرة:

ومن شبههم الحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة وهذا من الكذب الظاهر.

قال الإمام ابن تيمية: «وهذا كذلك معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل فإن الشافعي لما قدم بغداد ولم يكن ببغداد قبر يُنتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفاً، وقد رأىٰ الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده؟

ثم إن أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة ولا غيره. ثم قد تقدم عن الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه، وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات مجهول لا يعرف»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر»[(٢)].

وقال عنها الشيخ الألباني: «هذه رواية ضعيفة بل باطلة»[(٣)].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٨٥.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٤٦.

(٣) السلسلة الضعيفة: ١/ ٣١.

٩٧. التوكل على الله تعالى *

قال ابن الأثير: «توكَّل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلتُ أمري إلىٰ فلان: أي ألجأته إليه واعتمدتُ فيه عليه، ووكَّل فلان فلاناً: إذا اسْتكفَاه أمرَه ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه»[(١)].

ويقال: «وكلت الأمر إليه وكلاً: من باب وعد، ووُكُولاً: فوَّضته إليه واكتفيت به... وتوكَّل علىٰ الله: اعتمد عليه ووَثِق به، واتكل عليه في أمره كذلك»[(٢)].

وقال الرازي: «والتوكل: إظهار العجز والاعتماد علىٰ غيرك والاسم التكلان»[(٣)].

فمعناه في اللغة: (الاعتماد والتفويض).

وفي الشرع: قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «الصواب في حد التوكل الثقة بالله

* التمهيد لابن عبد البر ٢١/ ٢٧٢، ٢٤/ ٦٥ - ٦٧. شرح السنة للبغوي ١٤/ ٢٩٨. التحفة العراقية لابن تيمية ص٣٠، ٣٣. أحكام القرآن للقرطبي ٤/ ١٨٩، ٢٥٣، ٩ / ١١،٣٧٠ . الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٢٦٢. تيسير العزيز الحميد ص٤٩٩. فتح المجيد ص٤٠٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٥١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٥. القول المفيد ط١-٢/ ١٨٥، ٤٥٣ ط٢- ٢/ ٢٢٨. ومن المجموع ١٠/ ٦٦٦. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٣٨، ٤٨. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٢٤٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٢٥. معارج القبول ١/ ٣٣٠. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٢٧٢. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٩٧. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٢٣٣. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٧٥. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٥٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٤٠، ٦٠٧. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٨٠. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٧٢، ٢٨٦. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٥٩. التوكل علىٰ الله. د. القرني.

(١) النهاية في غريب الحديث (و ك ل).

(٢) المصباح المنير (و ك ل).

(٣) مختار الصحاح (وكل).

تعالىٰ والاعتماد في الأمور عليه، وتفويض كل ذلك إليه بعد استفراغ الوسع في السعي فيما بالعبد الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه علىٰ ما أمر به من السعي»[(١)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «هو صدق اعتماد القلب علىٰ الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه»[(٢)].

وعرّفه ابن رجب أيضا بقوله : «التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الإمام أحمد واستدل عليه بقول إبراهيم عليه السلام لما عرض له جبرائيل في الهواء وقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا»[(٣)].

وقال الحسن رحمه الله تعالىٰ: «توكل العبد علىٰ ربه: أن يعلم أن الله هو ثقته»[(٤)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «التوكل عمل القلب وعبوديته اعتماداً علىٰ الله وثقة به والتجاء إليه وتفويضاً إليه ورضاه بما يقضيه لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها»[(٥)].

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «هو إسناد العبد أمره إلىٰ الله وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية»[(٦)].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «صدق الاعتماد علىٰ الله عز وجل، في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله بها»[(٧)].

(١) شرح ابن بطال للبخاري ٩/ ٤٠٨.
(٢) جامع العلوم والحكم ص ٤٠٩.
(٣) من نور الاقتباس ص ٧٦. جامع العلوم والحكم ص ٤٣٩.
(٤) جامع العلوم والحكم ص ٤٠٩.
(٥) الروح لابن القيم ص٣٤٣، وانظر زاد المعاد ٤/ ١٥.
(٦) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب ص٦،٧.
(٧) المجموع الثمين لابن عثيمين ١/ ٦٦.

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق:٣]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال:٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣](١).

* **الدليل من السنة**: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمْ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى وَقع فِي(٢) سَوادٌ عَظِيمٌ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَإِذَا سَوادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فِي آفَاقِ السَّمَاءِ. فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ. قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخرَجَ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) في رواية مسلم: «إذ رُفِع لي سواد عظيم».

يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»»[(١)].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[(٢)].

وعن ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت ـ أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام: «ما رجا أحد مخلوقاً ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق»[(٤)].

❖ **أحكام وفوائد:**

١- صلة التوكل بالعبادة والإيمان: قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ يقول ابن القيم: «فجعل التوكل شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، وفي الآية الأخرى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ فجعل دليل صحة الإسلام التوكل. وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ذِكرُ اسم الإيمان هاهنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤) قال الترمذي حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٧).

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣١٦.

للتوكل وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوىٰ وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل علىٰ ضعف الإيمان ولا بد. والله تعالىٰ يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والإسلام وبين التوكل والتقوىٰ وبين التوكل والهداية... فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم الرأس إلا علىٰ البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا علىٰ ساق التوكل»[(١)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوكل: عمل القلب»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنىٰ ذلك: أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات..»[(٣)].

فالتوكل من أعمال القلوب: كالمحبة والإنابة والخوف والرجاء.. ونحو ذلك.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوكل علىٰ الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان. وبحسب قوة توكل العبد علىٰ الله يقوىٰ إيمانه ويتم توحيده، والعبد يضطر إلىٰ التوكل علىٰ الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه»[(٤)].

وقال ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو عبادة من أجلّ العبادات، بل هو أجل أنواع العبادة، وأعلىٰ مقامات التوحيد»[(٥)].

٢ - حقيقة التوكل:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحقيقة التوكل تفويض الأمور إلىٰ من هي بيده. فمن

(١) طريق الهجرتين ص٢٥٥، ٢٥٨.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١١٤، طريق الهجرتين ص٢٣٩، تيسير العزيز الحميد ص٥٠٠.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ١١٤ ط. دار الفكر.

(٤) القول السديد ص١٠١.

(٥) حاشية ثلاثة الأصول ص٣٨.

توكل على الله في هدايته، وحراسته، ورزقه وغير ذلك من مصالح دينه ودنياه تولى الله مصالحه كلها، وهذا حقيقة الوثوق بالله، وبرحمته، كما في هذا الدعاء «ولا أثق إلا برحمتك» فمن وثق برحمته،فقد حقق التوكل به في توفيقه وتسديده»[(١)].

قال ابن القيم: «وقد تقدم أن كثيرًا من الناس يفسر التوكل بالثقة، ويجعله حقيقتها، ومنهم من يفسره بالتفويض، ومنهم من يفسره بالتسليم، فعلمت أن مقام التوكل يجمع ذلك كله»[(٢)].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده، في فعل الأسباب النافعة. فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله لـه ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وكل إليه وخاب أمله»[(٣)].

٣ - أقسام التوكل على الله:

قال ابن القيم رحمه الله: «التوكل على الله نوعان:

أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

الثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد

---

(١) مستفاد من «منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة» للشبل، ص٣٨٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٤٤. ط.دار الفكر.

(٣) القول السديد ص١٠١.

والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية ومن توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه، فأعظم التوكل عليه: التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل»[1].

٤ - أقسام التوكل على غير الله:

قال حاتم الأصم سمعت شقيق البلخي يقول: «لكل واحد مقامٌ؛ فمتوكل على ماله، ومتوكل على نفسه، ومتوكل على لسانه، ومتوكل على سيفه، ومتوكل على سلطنته، ومتوكل على الله ﷻ. فأما المتوكل على الله ﷻ؛ فقد وجد الاسترواح، نوّه الله به ورفع قدره، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨] وأما من كان مستروحاً إلى غيره يوشك أن ينقطع به فيشقى»[2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عَمَله أو عِلمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله، غير ناظر إلى الله؛ كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مُشرك. قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]»[3].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: «لكن التوكل على غير الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالذين يتوكلون على

(١) الفوائد لابن القيم ص ٨٦.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، ح: ١٢٩٧ (٢/ ١٠٥)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٦١.

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٠/ ٢٥٧.

الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالىٰ.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية كمن يتوكل علىٰ أمير أو سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذىٰ ونحو ذلك فهذا نوع شرك خفي.

والوكالة[(١)] الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه. لكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله. بل يتوكل علىٰ الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه كما قرره شيخ الإسلام»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «التوكل علىٰ الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، فقد قال يعقوب لبنيه ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف:٨٧] ووكل النبي ﷺ علىٰ الصدقة عمالاً وحفاظاً، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقي من المئة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع علىٰ جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب بل يعلقها بالله، فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقا كاملا مع الغفلة عن المسبب وهو الله فهذا نوع من الشرك أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبب هو الله تَعَالَى فهذا لا ينافي التوكل، والرسول ﷺ كان يأخذ بالأسباب مع

(١) الوكالة في الشرع: «إقامةُ الشخصِ غيرَه مقام نفسه مطلقاً أو مقيداً» فتح الباري ٤/ ٥٥٩، ٥/ ٢٠١.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٩٧، ٤٩٨. وانظر مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١٠/ ٢٥٧.
(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥.

اعتماده على المسبب وهو الله ﷻ»[١].

٥- مسألة: قول توكلت على الله ثم عليك:

سُئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عن قول: «متوكل على الله ثم عليك يا فلان؟»:
فأجاب: «شرك. يقول موكلك ولا يقول موكل الله ثم موكلك على هذا الشيء، هذه عامية، وليست في محلها»[٢].

وقال محقق الفتاوى الشيخ محمد بن قاسم رحمه الله: «والفرق بين هذا وبين أعوذ بالله ثم بك أنه تجوز الاستعاذة بالمخلوق مفرداً فيما يقدر عليه، بخلاف التوكل فإنه كله عبادة، كما لا يجوز أسجد لله ثم لك يا فلان، أو أعبد الله، ثم أعبدك يا فلان»[٣].

وسُئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن قول بعض العامة توكلت عليك يا فلان في كذا؟ قال: «هذا شرك أما التوكيل فيجوز لأنه استنابة»[٤].

٦ - كيف يستكمل العبد مقام التوكل وتثبت قدمه فيه:

التوكل على الله حال مركب من عدة درجات لا تتم حقيقته إلا بها وهي[٥]:

الأولى: معرفة بالرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته، واليقين بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك[٦].

قال ابن القيم: «وهذه المعرفة أول درجات يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل،

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٠٤.
(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٠.
(٣) حاشية على فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٠.
(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٠. وانظر معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبوزيد ص١٥٣.
(٥) مدارج السالكين ٢/ ١١٧.
(٦) طريق الهجرتين ص ٢٣٩.

ونقل عن شيخ الإسلام قوله: ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ولا من القدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضا من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات»[(١)].

الثانية: إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها.

الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل.

فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح لـه توحيده؛ بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل[(٢)].

الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه وطمأنينته به والثقة بتدبيره، كما قال بعض العارفين: «المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه»[(٣)]، ولذلك قال ابن القيم: «التوكل معنى يلتئم من أصلين: الثقة، والاعتماد، وهو حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]»[(٤)].

الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل.

قال ابن القيم: «والتحقيق أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه؛ إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه. والله أعلم»[(٥)].

وفي الحديث القدسي قال الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي»[(٦)]، وقال ﷺ قبل

(١) مدارج السالكين ٢/ ١١٨.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٢٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٢١.
(٤) مدارج السالكين ١/ ٧٥.
(٥) مدارج السالكين ٢/ ١٢١.
(٦) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وفاته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالىٰ»[(١)].

السادسة: استسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته.

السابعة: التفويض: قال الله تعالىٰ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤] قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو روح التوكل ولبه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلىٰ الله، وإنزالها به طلباً واختياراً، لا كرهاً واضطراراً»[(٢)].

الثامنة: الرضا: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي ثمرة التوكل، ومن فسره بها، فإنما فسره بأجل ثمراته وأعظم فوائده؛ فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله[(٣)]. وذكر شيخ الإسلام: «أن الرضا والتوكل يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه»[(٤)]، فمن توكل علىٰ الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل، فقد قام بالعبودية، أو معنىٰ هذا»[(٥)].

ثم قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بعد ذكر هذه الدرجات الثمان: «فباستكمال هذه الدرجات الثمان يستكمل العبد مقام التوكل وتثبت قدمه فيه»[(٦)].

٧ - علاقة الأسباب بالتوكل:

كان من هدي النبي ﷺ وأصحابه اتخاذ الأسباب وكانوا أكمل الخلق توكلا بل إن رسول الله ﷺ لبس الدروع يوم أحد[(٧)]، واستأجر دليلاً مشركاً علىٰ دين قومه،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٢٢ ط. دار الفكر.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٢٣.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٣٧، التحفة العراقية ٨٧ .

(٥) المدارج ٢/ ١٢٢.

(٦) مدارج السالكين ٢/ ١٢٣.

(٧) أخرجه أبو داود (٢٥٩٠)، والترمذي (١٦٩٢).

ليدله على الطريق يوم الهجرة[(١)]، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أوعمرة حمل الزاد والمزاد وجميع أصحابه[(٢)].

ويُذكر أنه قدم ناس من أهل اليمن إلى الحج بلا زاد فجيء بهم إلى عمر ﷺ فسألهم فقالوا: نحن المتوكلون على الله. فقال: لستم المتوكلين بل أنتم المتواكلون.

وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد، أفتح مصحفي فأقرأُه حتى أمسي؟ قال الحسن: «اقرأه بالغداة واقرأه بالعشي، وكن سائر نهارك في صنعتك وما يصلحكم»[(٣)].

وسأل الإمام أحمدَ رجلٌ فقال: أيخرج إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً؟ قال: «لا يعجبني، فمن أين يأكل قال: يتوكل فيعطيه الناس. قال: وإذا لم يعطوه. أليس يستشرف لهم حتى يعطوه؟ لا يعجبني هذا. لم يبلغني أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين فعل هذا، ولكن يعمل ويطلب ويتحرى»[(٤)].

وكان الإمام أحمد يأمر بالسوق، ويقول: «ما أحسن الاستغناء عن الناس»[(٥)].

وسئل عن قوم لا يعملون ويقولون نحن متوكلون فقال: «هؤلاء مبتدعة»[(٦)].

قال عبد الله التستري: «من قال: إن التوكل يكون بترك السبب، فقد طعن في سنة رسول الله ﷺ، لأن الله ﷻ يقول: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال:٦٩] فالغنيمة اكتساب»[(٧)].

(١) راجع حديث عائشة في البخاري (٢٢٦٣).
(٢) انظر بعض أخبارهم في الاكتساب واتخاذ الأسباب، تلبس إبليس، ص٢٨٢، مدارج السالكين ٢/ ١٣٤، ١٣٥. ط. دار الفكر.
(٣) البيهقي في شعب الإيمان، ح (١٢٥٩) ٢/ ٩٤.
(٤) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ٢٣٦.
(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٣٤.
(٦) المصدر السابق ٢/ ٢٣٨.
(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ١٠٣.

وقد أخبر الله في كتابه عن مريم ـ عليها السلام ـ: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم:٢٥].

وهذا دليل على أن الله ﷻ يأمر باتخاذ الأسباب، كما دل على ذلك قوله: ﴿وَهُزِّيٓ﴾ وفي ذلك يقول بعضهم:

ألم تـــــر أن الله قـــــال لمـــــريم فهزي إليك الجذع يسَّاقطُ الرطب

ولـو شـاء أن تجنيـه مـن غيـر هزهـا جنته ولكـن كـل شـيء لــه سـبب

يقول ابن الجوزي: «وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة منها أنهم قالوا: لا بد أن يصل إلينا رزقنا وهذا في غاية القبح فإن الإنسان لو ترك الطاعة وقال: لا أقدر بطاعتي أن أغير ما قضى الله عليّ فإن كنت من أهل الجنة فأنا إلى الجنة أو من أهل النار فأنا من أهل النار. قلنا له: هذا يرد الأوامر كلها ... ومعلوم أننا مطالبون بالأمر لا بالقدر»[(١)].

ويقول أيضاً رحمه الله: «فقد كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح وزكريا نجارَين، وإدريس خياطاً، وإبراهيم ولوط زراعين، وصالح تاجراً، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدروع، ويأكل من ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلى الله عليهم أجمعين»[(٢)].

والإنسان مع أخذه بالأسباب وإثباتها لا يعتمد عليها بل ينظر إلى مسببها وهو الله سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولهذا قال طائفة من العلماء: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقصٌ في العقل والإعراض عن

(١) تلبيس إبليس ص ٢٨٦.
(٢) تلبيس إبليس ص ٢٨١.

الأسباب بالكلية قدحٌ في الشرع، نما التوكل المأمور به: ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وتقييد؛ فالالتفات إلى الأسباب ضربان:

أحدهما: شرك، والآخر عبودية وتوحيد؛ فالشرك أن يعتمد عليها ويطمئن إليها، يعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود، فهو معرض عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصوراً عليها.

وأما إن التفت إليها التفات امتثال وقيام بها، وأداء لحق العبودية فيها، وإنزالها منازلها؛ فهذا الالتفات عبودية وتوحيد، إذا لم يشغله عن الالتفات إلى المسبب.

وأما محوها أن تكون أسبابا؛ فقدح في العقل والحس والفطرة، فإن أعرض عنها بالكلية؛ كان قدحا في الشرع وإبطالا له.

وحقيقة التوكل: القيام بالأسباب، والاعتماد بالقلب على المسبب، واعتقاد أن الأمر بيده، فإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه.

فالموحد المتوكل؛ لا يلتفت إليها؛ بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها؛ بل يكون قائماً بها ملتفتا إليها ناظرا إلى مسببها سبحانه ومجريها... فإذا جمعت بين هذا التوحيد، وبين إثبات الأسباب؛ استقام قلبك على السير إلى الله، ووضح لك الطريق الأعظم الذي مضى عليه جميع رسل الله وأنبيائه وأتباعهم، وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وبالله التوفيق»[(٢)].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٥، وانظر المدارج ٣/ ٤٩٩. ط. دار الفكر.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤٩٩، ٥٠٠.

أمر بتعاطي الأسباب، مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء:٧١]، وقال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ [الأنفال:٦٠]. وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠].

وقال سهل التستري: من طعن في الحركة ـ يعني في السعي والكسب ـ فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته، فمن عمل علىٰ حاله، فلا يتركنَّ سنته. ثم إن الأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام:

أحدها: الطاعات التي أمر الله عباده بها، وجعلها سببا للنجاة من النار، ودخول الجنة، فهذا لا بد من فعله مع التوكل علىٰ الله فيه، والاستعانة به عليه..فمن قصّر في شيء مما وجب عليه من ذلك استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعا وقدرا.

الثاني: ما أجرىٰ الله العادة به في الدنيا، وأمر عباده بتعاطيه كالأكل عند الجوع، والشرب عند العطش، والاستظلال من الحر والتدفي من البرد ونحو ذلك، فهذا أيضا واجب علىٰ المرء تعاطي أسبابه، ومن قصر فيه حتىٰ تضرر بتركه مع القدرة علىٰ استعماله، فهو مفرط يستحق العقوبة، لكن الله ﷻ قد يقوي بعض عباده من ذلك علىٰ ما لا يقوي عليه غيره، فإذا عمل بمقتضىٰ قوته التي اختص بها عن غيره فلا حرج عليه، ولهذا كان النبي ﷺ يواصل صيامه وينهىٰ عن ذلك أصحابه.

الثالث: ما أجرىٰ الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده وهو علىٰ أنواع:

منها: ما يخرقه كثيراً ويغني عنه كثيرا من خلقه، كالأدوية بالنسبة إلىٰ كثير من البلدان وسكان البوادي ونحوها.

وقد اختلف العلماء هل الأفضل لمن أصابه المرض التداوي أم تركه لمن حقق التوكل على الله؟ فيه قولان مشهوران.

وظاهر كلام أحمد أن التوكل لمن قوي عليه أفضل؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» ثم قال: «هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون».

ومنها ما يخرقه القليل من العامة، كحصول الرزق لمن ترك السعي في طلبه فمن رزقه الله صدق يقين، وتوكل، وعلم من الله أن يخرق له العوائد ولا يحوجه إلى الأسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه، جاز له ترك الأسباب ولم ينكر عليه ذلك. وحديث عمر[1] هذا الذي نتكلم عليه يدل على ذلك، ويدل على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم، ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب والسعي لكنه سعي يسير»[2].

٨. مسألة مهمة في علاقة التداوي والاكتواء والاسترقاء بالتوكل:

قد جاء عند أحمد والنسائي مرفوعاً: «من استرقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل»[3].

والمقصود من هذا الحديث التوكل المستحب، لأن طلب الرقية جائز.

وسوف يقتصر كلامنا هنا على الاسترقاء فقط، أما الاكتواء والتداوي فقد سبق الكلام عنهما في بابي (التداوي) و (الكي).

(١) الحديث: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير..».

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٩٨-٥٠٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٤٩، وابن ماجه (٣٤٨٩).

والاسترقاء ـ طلب الرقية ـ قد قال كثير من العلماء أنه يقدح في تمام التوكل، منهم الإمام أحمد والخطابي والقاضي عياض والنووي وابن تيمية وابن القيم ـ رحمهم الله ـ، وهو القول الراجح الذي يدل عليه حديث «السبعون ألفاً».

قال ابن رجب: «وظاهر كلام أحمد أن التوكل لمن قوي عليه أفضل؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» ثم قال: «هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»»[١].

وقال القاضي عياض رحمه الله وغيره: «الحديث يدل على أن للسبعين الألف مزية عن غيرهم وفضيلة تفردوا بها»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المسترقي يسأل غيره ويرجو نفعه وتمام التوكل ينافي ذلك، والمراد وصف السبعين ألفاً بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم ولا يتطيرون من شيء»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «والنبي ﷺ لا يجعل ترك الإحسان المأذون فيه سبباً للسبق إلى الجنان وهذا بخلاف ترك الاسترقاء، فإنه توكل على الله ورغبة عن سؤال غيره ورضاء بما قضاه، وهذا شيء وهذا شيء»[٤].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله: «اعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً، كما يظنه الجهلة؛ فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمرٌ فطري ضروري، لا انفكاك لأحدٍ عنه، حتى الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي كافيه.

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٥٠١.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٩٠، التجريد في شرح كتاب التوحيد للعجيلي ١/ ٧٧.
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٨٢، ٢٣٨.
(٤) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٤.

إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة ـ مع حاجتهم إليها ـ توكلاً علىٰ الله، كالاسترقاء والاكتواء، فتركهم له ليس لكونه سبباً لكن لكونه مكروهاً، لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سبباً لشفائه بخيط العنكبوت، أما نفس مباشرة الأسباب والتداوي علىٰ وجه لا كراهة فيه، فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعاً»[(١)].

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «وإنما المراد وصف السبعين ألفاً بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم»[(٢)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «ومن أخص ما يدل علىٰ تحقيق التوحيد كمال القنوت لله وقوة التوكل علىٰ الله بحيث لا يلتفت القلب إلىٰ المخلوقين في شأن من شئونه ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله وحاله بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبُّه وبغضُه وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله متبعاً فيها رسول الله»[(٣)].

وبيَّن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن مَنْ يطلب مَنْ يرقيه فقد فاته الكمال[(٤)].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لأن طلب الرقية من الناس سؤال للمخلوقين، والسؤال للمخلوق فيه ذلة، فهم يستغنون عن الناس ويعتمدون علىٰ الله سبحانه وتعالى، وهذا من تمام التوحيد أن الإنسان لا يسأل الناس... وسؤال المال يجوز للحاجة إذا كان الإنسان مضطراً، فإنه يجوز أن يسأل الناس حتىٰ ترتفع ضرورته، أما سؤال الإنسان الناس وهو غني فهذا حرام»[(٥)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١١١،١١٠.

(٢) حاشية كتاب التوحيد ص٤٥.

(٣) القول السديد ص٢٣.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٩٩.

(٥) إعانة المستفيد ١/ ١٢٢.

٩٨. التولة *

قال الأصمعي: «التِّوَلة ـ بكسر التاء ـ هو الذي يحبب المرأة إلىٰ زوجها»[(١)].

وقال الشوكاني: «وقد جاء تفسير التولة عن ابن مسعود كما أخرجه الحاكم وابن حبان في صحيحه: أنه دخل علىٰ امرأته وفي عنقها شيء معقود فجذبه فقطعه ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك» قالوا: يا أبا عبد الله، هذه التمائم والرقىٰ قد عرفناها فما التولة قال: شيء يصنعه النساء يتحببن إلىٰ أزواجهن يعني من السحر»[(٢)].

قال ابن حجر: «وهو ضرب من السحر وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله»[(٣)].

* **الدليل من الكتاب**: قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

* شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٥٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٣٨. فتح المجيد ص١٤٩، ٣٦٦. تيسير العزيز الحميد ص١٦٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٨٣. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٧٢. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٧٩.

(١) غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢/ ١٩٠.

(٢) نيل الأوطار ٨/ ٢١٢.

(٣) التيسير ص١٦٩.

* **الدليل من السنة:** عن ابن مسعود ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»»[(١)].

❖ علاقة الدبلة بالتولة:

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن التولة: «ومثل ذلك الدبلة، والدبلة: خاتم يشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج؛ قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضرر، ويقولون: إنه ما دام في يد الزوج؛ فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية؛ فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية ـ وهي بعيدة ألا تصحبها ـ؛ ففيه تشبه بالنصارى، فإنها مأخوذة منهم.

وإن كانت من الذهب؛ فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث وهو لبس الذهب؛ فهي إما من الشرك، أو مضاهاة النصارى، أو تحريم النوع إن كانت للرجال، فإن خلت من ذلك فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم»[(٢)].

وقال رحمه الله عن التولة: «وعندي أن منها ما يسمى بالدبلة إن اعتقدوا أنها صلة بين المرء وزوجته»[(٣)].

وذكر العلاقة بينهما الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله حينما ذكر مخالفات آداب الزفاف فقال: «لبس بعض الرجال خاتم الذهب الذي يسمونه بـ«خاتم الخِطبة»، فهذا مع ما فيه من تقليد الكفار أيضاً ـ لأن هذه العادة سرت إليهم من النصارى... ويرجع ذلك إلى عادة قديمة لهم، عندما كان العروس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى، ويقول: باسم الأب ثم ينقله واضعا له على رأس السبابة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣). وابن ماجه (٣٥٣٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٧٢. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ١٧٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٨١. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ١٨٨.

ويقول: وباسم الابن. ثم يضعه على رأس الوسطى، ويقول: وباسم الروح القدس، وعندما يقول آمين يضعه أخيرا في البِنْصَر حيث يستقر.

وقد وجه سؤال إلى مجلة المرأة[١] وأجابت عنه: «أنجِلا تَلبوت» محررة قسم هذه الأسئلة.

والسؤال هو: لماذا يوضع خاتم الزواج في بنصر اليد اليسرى؟.

والجواب: يقال إنه يوجد عرق في هذه الإصبع يتصل مباشرة بالقلب. وهناك أيضا الأصل القديم، عندما كان يضع العروس الخاتم على رأس إبهام العروسة اليسرى، ويقول: باسم الأب، فعلى رأس السبابة، ويقول: باسم الابن، فعلى رأس الوسطى، ويقول: وباسم روح القدس، وأخيراً يضعه في البنصر ـ حيث يستقر ـ ويقول: آمين.

وعندما يقول: آمين. يضعه أخيراً في البنصر حيث يستقر.

وقد تولى نقل هذا وترجمته الكاتبة الفاضلة ملك هنانو، فجزاها الله خيراً»[٢].

التولي:

انظر (المظاهرة).

***

(١) مجلة المرأة التي تصدر في لندن، في عدد ١٩ آذار ١٩٦٠م ص٨.

(٢) آداب الزفاف ص٢١٢، ٢١٣، ٢١٤. أما الطبعة القديمة ففي ص١٢٥.

فهرس الموضوعات

الموضـوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـوع | الصفحة

الموضــوع | الصفحة

الموضـوع الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضــوع | الصفحة

الموضـوع | الصفحة

الموضــوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضــوع | الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

❊❊❊